

# كِتَابُ الْمِيزَانِ

لِلإِمَامِ  
عَبْدِ الوَهَّابِ الشَّعْرَانِي

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ  
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُمَيْرَةُ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

عالم الكتب

كِتَابُ  
الْمِيزَانِ



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمدار  
الطبعة الأولى  
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

بيروت - المزرعة، نهاية الإيمان - الطابق الأول - ص ٨٧٢٣  
تلفون، ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - بريقي، نابيلبي - للكش، ٢٣٣٩٠



يقول سيدنا رسول الله ﷺ :  
« سيكون بعدي سلاطين الفتنة على أبوابهم كمبارك الإبل  
لا يعطون لأحد شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله »



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله أكرم الخلق  
على الله ، وعلى آله وصحبه والتابعين - رضوان الله عليهم وعلى من نهج  
نهجهم ، وسار على طريقتهم إلى يوم الدين .  
وبعد ،

فإن الفقه الإسلامي - هو في حقيقته - منهج حياة ومواد سلوك للمسلم  
الملتزم ، لأنه يتناول حياته في الصغير منها والكبير وينظم سلوكه العملي  
والأخلاقي والاقتصادي والتشريعي بأوسع ما تتضمنه كلمة تنظيم ويبدأ هذا  
العمل العظيم ، منذ أن يصبح إلى أن يمسي ، ومنذ ميلاده إلى أن تنتهي به  
الحياة ، ثم ينظم شؤون ميراثه - إن كان له ميراث - بعد حياته .

إنه ينظم سلوكه مع نفسه ، ويبين له من ذلك ما خفي وما ظهر . وينظم  
سلوكه مع إخوانه في المجتمع سلباً وإيجاباً قولاً وفعلًا .

وينظم سلوكه مع الله فيبين له ما ينبغي أن يتحلى به حتى يصير ربانياً<sup>(١)</sup>

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَلَيَكُنْ كُونُوا رَبَّائِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ لَعَلَّكُمْ تُزَكُّونَ ﴾ . « سورة آل  
عمران آية رقم ٧٩ » وقال تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ  
وَالْأَخْبَارُ ﴾ . سورة المائدة آية رقم ٤٤

إنه قانون الحياة . الذي يبين أنواع السلوك من حيث كونه جائزاً أو واجباً أو مستحباً ، ومن حيث كونه حراماً أو مكروهاً وذلك في ميادين الحياة .

لقد تتبع فقهاء الإسلام القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وإجماع الصحابة تتبعاً دقيقاً حتى أصبح فقهم صورة واضحة المعالم لفهمهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ - ومن هذا المنطلق أصبح الفقه الإسلامي دستوراً للمسلم وتغلغل بذلك في جميع الميادين .

وما كان الفقه الإسلامي في يوم من الأيام خاصاً بجانب في الحياة الاجتماعية دون جانب .

لقد كان يتضمن الأخلاق قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنِظَةِ الْغَيِّظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ويتضمن التشريع قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ . (٢) . الآية .

وكان يشتمل على العبادات : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ .

الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّقُوتًا ﴿١﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى  
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَرَحِمَنِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٍ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ  
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (٤) .

ويشتمل على المعاملات بيعاً وشراء قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ  
الرِّبَا ﴾ (٥) . وقال أيضاً : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى  
ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ (٦) .

وجهاداً وسلاماً قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ (٧) . وقال :  
﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨) .  
ونكاحاً وميراثاً قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٣ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٦ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٩٧ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥ .

(٦) سورة الجمعة آية رقم ٩ .

(٧) سورة الأنفال آية رقم ٦٠ .

(٨) سورة الأنفال آية رقم ٦١ .

(٩) سورة البقرة آية رقم ٢٢١ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ﴾ (١) .

وغير ذلك كثير .

لقد كان الفقه الإسلامي يشرع للإنسان في جميع أقطاره وزواياه وكانت الطريقة المثل للتأليف في الفقه الإسلامي ، هي الطريقة التي اتبعها السلف الصالح رضوان الله عليهم .

لقد اعتقد الفقهاء اعتقاداً جازماً أن مهمتهم إنما هي جمع الأحاديث في كل مجال وتنسيقها وتبويبها وتقسيمها إلى فصول ، وإلى فقرات تنتظم جميعها تحت وحدة متحدة هي الحياة الإسلامية .

والحياة الإسلامية لا تنقسم إلى ميادين تنفصل وتعدد ، إنها وحدة متماسكة .

ولقد كان الفقه الإسلامي صورة لهذه الوحدة المتماسكة ، لقد كان بياناً للحياة الإسلامية حسبما رسمها الرسول - ﷺ - فهو يلبي حاجات المجتمع فيما يتعلق بالأحكام الإسلامية كلما أحدثت جديداً من الأمر ، أو ابتدعت شيئاً من الشؤون .

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يلجئون إلى الآيات القرآنية وإلى الأحاديث النبوية يستلهمونها الصواب ويستمدون منها الرشد .

إن الفقه الإسلامي ميراث النبوة ، إنه شرح للوحي ، أو بتعبير أدق إنه ترجمة للوحي واستنتاج من قواعده العامة وإتباع لسلوك الرسول ﷺ باعتباره

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٢ .

المسلم الأول (١) .

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣) .

وبهذا الفقه وبهذا التشريع ، أصبح المسلمون سادة العالم تنداح أوامرهم في أربعة أركان الأرض فتتحول الدنيا إلى آذان تسمع وقلوب تعي ، ويعيش العالم في سلام وأمن ، وتتحول كلمة الرسول ﷺ « إنما أنا رحمة مهداة » إلى برنامج يخضع له الحاكم والرعية حتى نرى رجلاً كعمر بن الخطاب رضي الله عنه يملأ الخوف قلبه ( أن تعثر بغلة في طريق العراق ) فيحاسبه الله عليها ( لأنه لم يسوها الطريق ) .

وعندما ابتعد المسلمون عن تشريعهم وأهملوا دستورهم الخالد كان هذا بداية التفسخ والتحلل في كل مرافق الحياة ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى كانت بلادهم غرضاً لكل طامع ومغناً لكل غاصب . ونتساءل :

لماذا ابتعد المسلمون عن دستورهم . . . ؟

ولماذا قبلوا أن تنظم شؤون حياتهم دساتير وقوانين من وراء السهوب ومن خلف البحار . . ؟

أ يكون ذلك من فعل الاستعمار . . ؟ أ يكون ذلك من أهواء بعض الحكام . . ؟

أم أن ذلك نتيجة لتوقف الفقه الإسلامي وقصوره عن مسايرة العصر

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود بتصرف .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٦٣ .

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٣١ .

ومتطلبات المدنية الحديثة . . ؟

إن الإسلام دين التطور ودين الاجتهاد وليس هو بالدائرة المقفلة أو الكتلة الجامدة ، ولكنه من المرونة ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان .

إن الحقيقة الكاملة للدين لا يملكها فرد أو جيل أو بيئة - وهذا هو سر إعجاز الرسالة المحمدية .

لقد نزل الإسلام في بيئة قانونها التطور تتطور البيئة فلكياً وجيولوجياً .

قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣) .

ويتطور سكان البيئة قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُخْضَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْحُطًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَصْرَفُونَ ﴾ (٥) .

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠ .

(٢) سورة النازعات آية رقم ٣٠ .

(٣) سورة يس آية رقم ٤٠ .

(٤) سورة الزمر آية رقم ٢١ .

(٥) سورة الزمر آية رقم ٦ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (١) .

فلا عجب أن يكون قانون هذه البيئة الاجتماعي هو التطور كذلك قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٣) .

إذا كان ذلك كذلك . .

فلماذا ابتعد المسلمون عن شريعة ربهم . . ؟

ولماذا ابتعدوا بمشاكلهم وحياتهم عن قرآن ربهم . . ؟

ولماذا لجأوا إلى غير كتابهم يطلبون منه العون ويستفتونه فيما جدّهم من

أحداث وأمور . . ؟

أليكون للأحداث السياسية سبب في ذلك . . ؟

أليكون العوامل الاقتصادية وظروف المعيشة دخل في ذلك . . ؟

لقد جرت العادة أن كان الخلفاء والأمراء يبنون المدارس والمعاهد ويجرون فيها الجراية على طائفة من علماء المذاهب الأربعة لا يشترك فيها غيرهم من أصحاب الاجتهاد وفيهم من كان في طبقة الأئمة الأربعة في العلم والصلاح وكان له أتباع يأتمنون به وربما قاربوا في عددهم أتباع الأئمة الأربعة أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد ولكن مذاهبهم كانت لا تدرس في المعاهد التي تفرض لها الجراية من خزائن الدولة وهبات الخلفاء والأمراء .

---

(١) سورة الروم آية رقم ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٠ .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥ .

وانتهى الأمر في أوائل القرن السابع الهجري بأن أمر الخليفة الحاكم علماء  
الفقه في المدرسة المستنصرية أن يقصروا دروسهم على أقوال الأئمة من قبلهم ولا  
يدرسوا كتاباً من كتبهم لتلاميذهم فدعاهم الوزير وأبلغهم أمر الخليفة فقال جمال  
الدين الجوزي أستاذ المذهب الحنبلي : إنه على هذا الرأي .

وقال الشرمساخي أستاذ المذهب المالكي : إنه يرتب النقط في مسائل  
الخلاف وليس لأصحابه تعليقة « أي شروح مدونة » .

وقال شهاب الدين الأنجاني : أستاذ المذهب الشافعي وعبد الرحمن  
اللمغاني أستاذ المذهب الحنفي : إن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال .

فلما رفع الوزير إجابتهم إلى الخليفة دعاهم إليه وأعاد إليهم أمره فأطاعوه  
وجرى مثل ذلك في المدارس الكبرى فتضاءل شأن القائلين بأرائهم في مسائل  
الفقه والأصول وكثر الإقبال على دروس المذاهب التي يتعلمها الطلاب في معاهد  
الدولة ومنهم يختار القضاة والمعلمون وخطباء المساجد وعمال الدواوين .

جاء في شرح الجوامع أن الشيخ أبا زرعة سأل أستاذه البلقيني عن الشيخ  
تقي الدين السبكي كيف يقلد وقد استكمل آلة الاجتهاد . . ؟

قال الشيخ فسكت عني .

ثم قلت ما عندي على ذلك إلا للوظائف التي تجري على فقهاء المذاهب  
الأربعة وأن من خرج على ذلك واجتهد لم ينله شيء وحرم ولاية القضاء وامتنع  
الناس عن استفثائه ونسبه إلى البدعة .

فتبسم الشيخ ووافق على ذلك .

إن الاجتهاد عامل من عوامل فهم الإسلام واستخراج كنوزه وقد وقع  
الاجتهاد في الإسلام نصاً وعرفاً في عهد الرسول ﷺ ، وفي عهد الصحابة



والتابعين من بعده .

فمن اجتهاد الرسول ﷺ ما رواه أبو داود عن عبدالله بن فضالة عن أبيه حيث قال : علمني رسول الله ﷺ فكان مما علمني . . وحافظ على الصلوات الخمس فقلت : إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني فقال : حافظ على العصرين ، وما كانت من لغتنا .

فقلت : وما العصران . . ؟

فقال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها .

ومن الاجتهاد النبوي فيما رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف قدموا على النبي ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشتروطوا ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يحبوا أي لا يخرجون للجهاد ولا تؤخذ منهم الزكاة ولا يجنون للصلاة ولا يستعمل عليهم غيرهم .

فقال ﷺ : « لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير في دين لا ركوع فيه » .

ويروي أبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك « سيصدقون ويجاهدون » .

ومما رواه الإمام أحمد في مسنده عن نصر بن عاصم عن رجل منهم أنه أتى النبي ﷺ فأسلم على أنه لا يصلي إلا صلاتين فقبل ذلك منه .

ومن وقائع الاجتهاد التي يشهد بها القرآن أنه استشار أصحابه فيما يصنع بأسرى بدر ثم أخذ برأي أبي بكر ورجح قبول الفداء على ما رآه عمر من قتلهم وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتُخَنَ فِيهِ

الأرض ﴿ (١) 》 .

ويقول النبي ﷺ : « لو نزل بنا عذاب ما نجا منه إلا عمر » .

وكذلك اجتهد في الإذن للمعتذرين أن يتخلفوا عن غزوة تبوك وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) . ولقد اتبع الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في كل قول وعمل واجتهدوا في المصالح المرسله التي لم يرد فيها نص ولم تسبق لها سابقة .

ولقد أجزل الإمام أحمد بن إدريس القرافي ما اجتهدوا فيه من قبيل تلك المصالح فقال : في كتابه ( شرح تنقيح الفصول ) .

ومما يؤكد العمل بالمصالح المرسله أن الصحابة رضوان الله عليهم عملوا 'أموراً لمطلق المصلحة لا لتقدم شاهد بالاعتبار نحو كتابة المصحف ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير وولاية العهد من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير وكذلك ترك الخلافة شوري وتدوين الدواوين وعمل السكة للمسلمين واتخاذ السجن .

ولم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك من عند أنفسهم وإنما بإذن من الرسول ﷺ . ويشهد لذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد روي أنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن يعلمهم ويقوم ببعض الأمر فيهم قال له : « كيف تصنع يا معاذ إن عرض عليك القضاء . . ؟ »

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٧ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٤٣ .

قال : أقضي بما في كتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله . . ؟

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله . . ؟

قال : أجتهد رأيي ولا آلوأ .

قال فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدري وقال . الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله .

واجتهد أبو بكر وعمر معاً فيما ورد فيه النص لزوال العلة الموجبة كما فعل في سهم الزكاة للمؤلفة قلوبهم وكان لهم سهم يأخذونه من رسول الله ﷺ تألفاً لقلوبهم أيام ضعف الإسلام وضعف عقيدتهم ومنهم عباس بن مرداس والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وأبوسفيان بن حرب وابنه معاوية .

فلما ولى الصديق جاءوه يسألونه سهمهم هذا فكتب لهم بذلك إلى عمر فمزق الكتاب وقال لهم لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم .

فلما رجعوا إلى الصديق يستشيرونه ويسألونه والله لا ندري أنت الخليفة أو عمر . . ؟

قال : بل هو إن شاء وأمضى ما فعله عمر كما جاء تفصيله في كتاب الجوهرة على مختصر القدوري .

واستمر الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة ولم يتوقف هذا الفهم والاستنباط في عصر الصحابة ولا في عصور التابعين ولا من جاء بعدهم ، وقد روي أن أبا حنيفة رحمه الله كان يقول : إذا غصب رجل ثوباً وصبغه بالسواد فقد أدخل نقصاً

على قميصه المغصوب فلما جاء تلميذه أبو يوسف وكانت الحالة قد تغيرت واتخذ العباسيون السواد شعاراً رسمياً أفتى بأن الصبغ بالسواد يزيد قيمة المغصوب وليس الأمر تغير الأمر من حكم إلى حكم ولكن تغير الظروف من حال إلى حال .

واقع عبد الرحمن الناصر زوجته في رمضان فأفتاه بعض العلماء بتحرير رقبة كما هو الترتيب في الكفارة ولكن رئيس جماعة الشورى الإمام يحيى بن يحيى الليثي رفض هذا الأمر ونظر للملابسات الشخص وإمكاناته فهو أمير وغني ومن السهل أن يحرر كل يوم رقبة فلا بد من عقوبة رادعة وأصدر حكمه أن يصوم الأمير ستين يوماً بدل اليوم الذي أفطره تحقيقاً لمقصد الشريعة .

فالاتجاه الذي نريده من هذا القبيل فإذا جد للمسلمين موقف درس هذا الموقف بعينين إحداهما مقاصد الشريعة والأخرى موقف المسلمين الحاضر وفي كل عصر نجد مسائل تحتاج إلى هذا الاجتهاد .

الاتجاه الذي يجمع ولا يفرق .

الاتجاه الذي يعيد للمسلمين شخصيتهم .

الاتجاه الذي يجعلنا مباشرة مع الكتاب والسنة .

وهذا ما فعله صاحب كتاب « الميزان » الإمام الشعراوي فمن هو هذا

الإمام . . ؟

## التعريف بالمؤلف

### « عبد الوهاب الشعراني »

هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه المحقق ، يرتفع نسبه إلى الإمام محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

#### مولده :

ولد الشعراني في دار جده لأمه بقرية من إقليم القليوبية تسمى « قلقشندة » عام ٨٩٨ هـ ثم جيء به إلى بلدة أبيه وهي : « ساقية أبي شعرة » بإقليم المنوفية بعد أربعين يوماً من ولادته وإليها انتسب فسمي الشعراني أو الشعراوي كما ورد في بعض كتبه ومؤلفاته .

قضى الإمام الشعراني طفولته بالريف ، وفيه حفظ القرآن الكريم ، ومتون بعض الكتب ثم حضر إلى القاهرة عام عشرة وتسعمائة بعد وفاة والده بثلاثة أعوام .

انتقل إلى القاهرة ومعه أخوه العالم الفقيه الورع الشيخ « عبد القادر » وهو يدين لأخيه هذا بالكثير من التوجيه والحب الصادق ، والرعاية الكاملة ويدين له فوق ذلك بالحضور إلى القاهرة حيث تفتحت أمامه الآفاق ، وعرف الدنيا وعرفته .

## مقامه في القاهرة :

ألقى رحله بعد حضوره من الريف إلى القاهرة ، وبعض المراجع تشير إلى أنه حضر إلى الأزهر ، وأقام فيه فترة يحددها البعض بخمس سنوات تلقى فيها العلم على يد شيخه علي الشوني « رضي الله عنه » .

## تصوفه :

ثم انتقل إلى مسجد الغمري - وأقام به سبع عشرة سنة يتعلم ويعلم وحفظ فيه العلم وشرح الكتب ، وسلك طريق الصوفية ورتب مجلساً للذكر وفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة تحول من جامع الغمري إلى المدرسة المعروفة بـ « أم خوند » بخط « كافور الإخشيدي » .

لقد كان في انتقاله من المسجد إلى المدرسة خير كثير ، تفتحت أمامه الدنيا ، وأصغت لصوته الأذان في مسجد « الغمري » راض نفسه على الطريق الصوفي ، لكنه في مدرسة أم خوند دخل التصوف من أوسع أبوابه وسلك الطريق على غوث الرجال . وبطل الأبطال في عصره أستاذه الأمي « علي الخواص » .

إن حياته في مدرسة « أم خوند » هي المرحلة العليا التي أعدته لتلك الغاية وهيأته لتلك المهمة ، وجعلت نفسه كالبؤرة المشعة من جرم الشمس ترسل ضيائها ودفاتها على من حولها فتعيد إليه الحياة بعد الموت وترشده إلى الهدى بعد الضلال .

في مدرسة أم خوند اتسعت دائرة معارفه وطارَت شهرته ، وصار اسمه يملأ الأسماع ويلهج به كل لسان ، وسعت إليه الدنيا فرفضها وركعت بين يديه فنبذها ، وأصبح ربانياً في نفسه سنياً محمدياً في تفكيره وسلوكه وحياته .

إن الإمام الشعراني طراز فريد من رجال أفرغت فيهم الحياة أفضل ما تملك

من إحساس وشعور عبوا من روح الإسلام ، ووقفوا حياتهم على تبيان تعاليمه فكانوا للدنيا نوراً بدد ظلامها ، وهدياً أزال ضلالها ، وكانوا لدينهم سنداً وحصناً ، ولتعاليمه عزاً وعوناً .

### الإمام المجدد :

يعتبر الشعراي مجدداً في الفقه الإسلامي بوضع كتابه العظيم «الميزان» الذي وفق فيه بين أئمة الفقه الإسلامي ، والذي يعتبر أول دراسة مقارنة للمذاهب الفقهية ، ولقد ترجم إلى أكثر من لغة من اللغات الحية . ومجدداً في فهمه للإسلام بوضع كتابه « لطائف المنن والأخلاق » الذي يعتبره بعضهم أعظم كتاب للأخلاق وضع في العربية بعد كتاب حجة الإسلام الغزالي « إحياء علوم الدين » .

ومجدداً في فهمه للتصوف ، وذلك باختصاره الطرق على السالكين . ومطالبتهم التحقق بالعبودية ، ووضع من أجل تلك الغاية « الأنوار القدسية في آداب العبودية » وداعية إسلامياً بمحاربته البدع والثرهات ، وتنقية الإسلام مما علق به ، ودعوته إلى الأخلاق المحمدية والصفات الربانية ، وزعيماً شعبياً بمحاربته الظلم ووقوفه في وجه الطغاة والحكام المستبدين . وعالماً نفسانياً عرف أمراض النفوس وعللها وشهوات القلوب وآفاتهما وقدم لها العلاج الناجع والبلسم الشافي ولم يكن ذلك غير كتاب الله وسنة رسوله صدق رسول الله ﷺ في قوله : « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » (١) .

---

(١) رواه أبو داود والحاكم في المستدرک والبيهقي في المعرفة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

## الإمام الشعراني والاتهامات

يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : ليس مما يشرف السيد أحمد البدوي ولا مما يشرف الإسلام أن يقول الشعراني عن نفسه : إنه لما تزوج زوجته فاطمة أم عبد الرحمن مكثت معه بكرة خمسة شهور إلى أن رأى السيد أحمد البدوي وقد جاءه وأخذه ومكنه من إزالة بكارتها داخل الضريح وفوق ركن القبة الذي يقع على يسار الداخل .

وكان أن تم ذلك الأمر فعلاً في تلك الليلة بفضل كرامة السيد أحمد البدوي وبركاته .

من أين جاء السيد الدكتور بهذا الكلام ؟

وأي المراجع رجع إليه أو أي الكتب استقى منها هذه الخرافة ؟

إن السيد الدكتور يصمت عن ذلك ولا يشير إلى أي المراجع ويتركنا في حيرة وكأنه فوق الشبهات والاتهامات .

وعلينا أن نقبل كلامه وكأنه قضية مسلمة .

والحقيقة كما يرويها الإمام الشعراني نفسه في كتاب « لطائف المنن والأخلاق » رؤيته لأولياء الله الصالحين الذين ماتوا في المنام وكان في طنطا بلد



السيد البدوي بمفرده ، وليست معه زوجته ، فرآه في المنام يأمره بالدخول عليها .

يقول الشعراني رحمه الله : ولما رجعت إلى مصر حصل ما أشار به الولي الكبير . إنها رؤيا منام . وتم ذلك بمصر . كما حدد الشعراني نفسه ولم يتم في القبة ولا فوق الضريح كما أشار السيد الدكتور .

ومن ذلك أيضاً ما يرويه الدكتور توفيق الطويل على لسان الإمام الشعراني بأنه أفطر في رمضان عشرة أيام ابتهاجاً لشفاء السلطان - سليمان بن عثمان - من ألم أصاب رجله . ويقول إنه أفطر في فرص أخرى منها ما كان بشأن الوزير - علي باشا - حين كان نائباً في مصر .

يقول الدكتور توفيق الطويل : يفعل الشعراني ذلك رغم دعوته العريضة التي يؤكد فيها حرصه على التزام ظاهر الكتاب والسنة .

والحقيقة كما هي في الواقع وترويحاً كتب الشعراني نفسه التي لم تحرف « إنه فطر عشرة صائمين في رمضان ابتهاجاً بشفاء السلطان وفطر آخرين كذلك » .

لأن الإفطار في رمضان ليس فخراً يفتخر به خصوصاً في عصره الذي يقول فيه الدكتور نفسه : « الرأي العام كان يقوم على التعصب الشديد للطقوس والرسوم . وأخذ الخارجين على الشعائر بالحساب العسير . حتى إننا نرى الطالب الذي يقع بصره على جرة خمر بين يدي ممالك السلطان لا يهدأ حتى يحطمها ويعرض نفسه للهلاك دفاعاً عن دينه .

وكان المسلمون يستحلون دم الجنود إذا أقدموا على فعل المنكرات في رمضان يطاردونهم ويتعقبونهم بالذبح وإلقاء جثثهم في اليم » .

هل يتصور بعد هذا أن يفطر الشعراني في رمضان ؟ ويعلن ذلك على رؤوس الملائم ابتهاجاً بشفاء السلطان والحكام .

أيحشى سلطاناً واحداً والدكتور الطويل الذي يتهم الشعراني بهذه التهم يقول : إن الدولة العثمانية كانت تحشى بأسه وتخاف سطوته .

وعندما ذهب إليه أحد الولاة يقول له : إننا مقربون إلى السلطان . فهل لك حاجة نقضيها لك ؟

فيرد عليه الإمام المؤمن الواصل من ربه المنفذ لتعاليمه :

نحن مقربون إلى الله أكثر فهل لك أنت حاجة . . . ؟

ولقد ذاق إمامنا الشعراني من هؤلاء الأعداء في حياته الشيء الكثير يقول عن نفسه : « قد ابتليت أنا كثيراً بهذا الباب مع حسادي فكل قليل يحرفون عني مسائل لم أقل بها قط ، ثم يكتبون بها سؤالاً ويستفتون عنها العلماء فيفتونهم بحسب السؤال . ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس فيحصل لي من ذلك أجور لا تحصى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق . فلو أني كنت مؤاخذاً أحداً من هذه الأمة لما رضيت يوم القيامة بأعمال الواحد منهم طول عمره من غيبة واحدة .

وما أحد من المستفتين عليه اجتمع بي طول عمره ولا بلغه ذلك عني ببينة عادلة ، ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بي وأخذوا مني الجواب فيما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته إليّ بعد ذلك وإما أن أرد تحريفهم ليتبين مرادي على الوجه الشرعي .

لكن العدو ما قصده إلا الأذى ويخاف أن أجيب عن نفسي فلا يروج له أمر مما افتراه عليّ فإله يغفر له » .

ولعلنا نتساءل لماذا كل هذه الحرب التي تعلن على الشعراني ؟

والجواب : إن الشعراني حارب المجاذيب والبهايل والدراويش وكانوا في

هذا العصر هم أصحاب الجاه والسطوة والنفوذ ، وحارب الفقهاء المتزمطين ، والعلماء الجامدين الذين عكفوا على آراء وكتب أغرمت بالافتراض وأولعت بالجدل والحوار ، وأغرمت بكل غريب وشاذ . وحارب الجهل والادعاء في الفقه .

الفقه الذي هو لب الشريعة الإسلامية - الشريعة الإسلامية التي ابتعثت البدو الأميين من صحاريهم ليكونوا هداة عالمين من ساحات العلم والحضارة وما إلى العلم والحضارة . وقواداً فاتحين في ميادين الحرب والجهاد وما إلى الحرب والجهاد قد تحول في مصر في أواخر عهد المماليك والعثمانيين أو حوله الأدعياء إلى مجموعة ضخمة هائلة من الغموض والإيهام والتحلل من الأخلاق والتمرد على الآداب .

ونزل الإمام الشعراي في الميدان مهاجماً ومدافعاً ومرشداً وهادياً من أجل تنقية الإسلام وبعده عن الدروشة والخزعبلات وعودته إلى ينابيعه الأولى يهدي إلى الحق ويرشد إلى الصواب ويخرج الناس من حماة الطين إلى إشراق السماء .

نزل الشعراي ميدان الحياة منادياً باتباع الكتاب والسنة اتباعهما قولاً وفعلًا . منهجاً وسلوكاً . وجاهر ببطلان كل ما يخالف ذلك . فتحركت الطوائف المخالفة لمنازلته ومناهضته ونفس عليه بعض معاصريه . فنالوا منه واهتموه بالمرق عن الدين والخروج على رأي الجماعة - وهو بريء عن كل ذلك ، ونقول إذا كان هذا موقف الشعراي من العلماء والأدعياء وأرباب الدجل والشعبذة فما موقف الشعراي من الولاة والحكام . . ؟

## الإمام الشعراني والولاية

### تمهيد

صلة العلماء بالحكام قديمة . تقوم على النصح والإرشاد من العلماء وقبول الحكام والولاية النصح مرة . وقيام الحزازات والخصومات بينهم في أكثر الأوقات والتاريخ يحفظ لنا في جعبته الكثير من هذه وتلك . ويبين لنا أن الغلبة في النهاية كانت لكلمة الحق . للكلمة التي تمت بسبب إلى السماء والنصرة كانت للعلماء ما دامت نواياهم طيبة وقلوبهم صادقة ويقصدون بنصحهم وجه الله ونصرة الحق . وسير الحكام على تعاليم الشريعة وتنفيذ أوامر الدين .

اختلفت وجهات النظر بين سعيد بن المسيب الإمام التابعي . وبين ملوك بني أمية . ووقفت الدولة كلها بسلاحها وعتادها ترغى وتزبد وتهدد وتتوعد . تتوعد هذا الإمام الجليل الأعزل من السلاح وتطالبه بالنزول على رغبتها وتنفيذ ما تدعوه إليه . ولكن التابعي الجليل لم يرهبه الوعيد . ولم يفزعه السيف . بل سخر منهم ومن قوتهم وصدع بكلمة الحق ﴿ قُلْ لَّنْ يُصَيِّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (١) وعلى الله فليتوكل المؤمنون وجابههم بصوت المؤمن القوي :

« لقد فرغت من دنياكم فلا تنزل سيوفكم مني على لحم حي » ويحدثنا

---

(١) سورة التوبة آية ٥١ .

التاريخ عن محنة الإمام أحمد بن حنبل مع المأمون وقصة خلق القرآن . وعندما طلب المقربون من الإمام والمشفقون عليه أن يخفف من تشدده أمام إصرار المأمون قال لهم : « إن الأمة على رأي علمائها فإن كفروا كفرت الأمة وإن غيروا وبدلوا عاقبهم الله بعذاب من عنده . وخير لي أن يموت أحمد بن حنبل وحده من أن تموت معه الأمة الإسلامية كلها » .

إن القول بخلق القرآن شيء لم يقله الرسول ﷺ ولم يقله الخلفاء الراشدون من بعده . فكيف يتأتى له أن يقول شيئاً لم يقله هؤلاء . . . ؟ .

ويقدم الإمام أحمد بن حنبل للمحاكمة ويضرب عساكر المأمون غنق اثنين أمامه لإرهابه . ولكن الإمام أمام هذا المنظر المروع يسأل أحد أصحابه من تلاميذ الإمام الشافعي رضي الله عنه « أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح على الخفين ؟ وقد أثار تساؤله وعدم مبالاته فزع الخليفة حتى أن خصمه الأول أحمد بن داود قال للخليفة والحاضرين : انظروا رجلاً يقدم لضرب عنقه فيناظر في الفقه » (١) .

ويضيق الحجاج بن يوسف بفتنه الكوفة وسيد التابعين سعيد بن جبير فيقول له الطاغية .

أنت شقي ابن جبير فيرد عليه . أبي كان أعلم باسمي منك . وإذ ذاك يتضايق الحجاج فيصبح في تبرم وغيط .

لقد نسيت وشقي أبوك . .

ويظن بذلك أنه قد قطع الرد عليه . ولكنه يسمعه يجب . .

---

(١) التصوف الإسلامي عبد القادر محمود ص ٩٥ ، حلية الأولياء ص ٩ ، ١٨٦ .

الغيب يعلمه غيرك . .

فيستشري غيظه ويصيح لأبدلنك بالدنيا ناراً تتلظى فيقول سعيد في هدوء : لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت إلهاً غيرك . ثم يسير إلى مصرعه مستشهداً في سبيل الله <sup>(١)</sup> .

والإمام الفاضل صاحب مدرسة الرأي في الإسلام . أبو حنيفة النعمان يضربه ابن هبيرة عامل الأمويين بالسوط ليتولى قضاء العراق فيأبى أن يكون كرة في أيدي الطغاة ثم أراده أبو جعفر المنصور كذلك فامتنع وحلف أبو جعفر ليفعلن :

فحلف أبو حنيفة ألا يفعل . وقال إني لا أصلح للقضاء . . قال الخليفة : كذبت . .

فانطلق أبو حنيفة يقول قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأنه ينسبني إلى الكذب . فإن كنت كاذباً فلا أصلح وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح .

وقالوا : إنه ضرب مائة سوط . حتى سال الدم على عقبيه .

فقال عبد الرحمن بن علي بن عباس عم الخليفة للخليفة : سللت على نفسك مائة ألف سيف . هذا فقيه أهل العراق فقيه أهل المشرق فأمر له أبو جعفر بثلاثين ألف درهم . مكان كل سوط ألف درهم فلما وضعت بين يديه . رفضها فقيل له : لو تصدقت بها قال : أوجد عندهم الحلال . . ؟

وكانت أمه إلى جواره تقول : يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب

---

(١) قال عند قتله اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي فعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ووثعت الأكلة في بطنه ص ٣٧ - الطبقات الكبرى .

والحبس لحقيق بك أن تنفر منه فأجابها « يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنني أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للتهلكة » .

هذا هو أبو حنيفة صلابة في الرأي وإيمان بعدالة السماء . . وقوة عزيمة نابعة من التربية الدينية التي أخذ نفسه بها . يقول لتلميذه أبي يوسف عن السلطان إذ تفرس فيه وتنبا أنه سيلي القضاء .

« فكن منه كما أنت من النار تتنفع بها وتتباعدها عنها ولا تدن منها فإنك تحترق وتتأذى منها فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه » .

وأدخل السجن فلم يقبل أن يأكل من طعام الخليفة . وبعث إلى ولده حماد يقول : قد علمت أن قوتي في الشهر « درهمان من سوق الناعم من الحنطة والشعير » وقد حبسته عني فعجله .

ومكث في السجن أياماً معدودات ثم صعدت روحه إلى بارئها رحمه الله رحمة واسعة .

كان هذا حال العلماء . وكان هذا حال الفقهاء . تعفف عما في أيدي الولاة والحكام وبذل النصح لهم . فإن أبوا جابهوهم بالقول الصارم والتفريع الشديد . فلما كان العصر العثماني . . لحظ الإمام الشعراني وشاهد تهافت العلماء على حكام البلاد . ورأى اسفافهم في طلب الدنيا وتكالبهم عليها . الأمر الذي جعل الحكام والولاة يستهترون بهم ولا يدعونون لكلامهم . فإن طلبوا أن يعطوهم عما في أيديهم لبوا طلبهم مرة ورفضوا طلبهم مرات . . ويروي الإمام الشعراني ضجر هؤلاء الحكام من تهافت هؤلاء الأذعياء على أبوابهم فيقول : « وقد بلغني عن بني بغداد أنهم يقولون سئمت نفوسنا من كثرة ما يسألنا الفقهاء والفقراء وبعضهم جعل نزوله كل سنة إلى مولد سيدي أحمد البدوي حجة في سؤالنا وقبول صدقتنا وربما أنه لم يدخل قبة سيدي أحمد مطلقاً فيضرب خيمته خارج الملقة ويصير يأخذ

ما يأكل هو وجماعته وبهائمهم . ثم إذا انقضى المولد يأتي إلى محلة المرحوم يسألنا بحاله ومقاله ويزعم أنه إنما نزل لزيارتنا شوقاً إلينا وهو كاذب . فلإننا لسنا من العلماء حتى يستفيد منا علماً ولا من الصالحين . حتى ندعوله . ولا عندنا شيء من الحلال حتى يأخذ منه ما يطلب فما بقي إلا أنه نصاب فاسق» (١) .

لقد انكشف هؤلاء الأدعياء أمام الحكام الظلمة . وكل منهم تعرى أمام الآخر . فالحكام يعترفون أنهم ظلمة وأموالهم حرام تؤخذ من أيدي الفقراء من الفلاحين والعمال غصباً وقسراً وهم يعلمون أيضاً بنوايا هؤلاء الأدعياء . فليس الدين مطلبهم ولا نصيح الحكام طريقته . وليست الآخرة هدفهم وإلا لعملوا لها . ولكنهم يطلبون الدنيا فتفر منهم . ويمرغون جباههم أمام الظلمة فلا يعطونهم . ولو أنهم كانوا علماء حقاً لالتزموا بمنهج الرسول ﷺ . واقتدوا بسيرة الخلفاء والتابعين والعلماء من بعدهم .

ويقول الإمام الشعراني أيضاً « وسمعت جماعة الوزير علي باشا يقولون قد سئمت أنفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل « والفلوس » . . ثم إنهم يقولون عنا إننا ظلمة فلا شيء يأخذون منا . . ؟ ولو أن مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما في أيدي الخلائق فكانوا يعظمون في عيونهم» (٢) .

أيترك الإمام الشعراني هؤلاء الأدعياء يشوهون وجه العلماء . . ؟ أيتركهم يدعون - بالباطل - أنهم حملة الشريعة وأتباع محمد بن عبد الله ﷺ . . ؟ أيتكون هؤلاء الأدعياء حاملين شريعة الرسول ﷺ . . ؟ - الرسول الذي عرضت عليه جبال الذهب والفضة فرفضها . وقال : أجوع يوماً وأشبع يوماً حتى ألحق بإخواني

---

(١) لطائف المنن ص ٩٩ ج ١

(٢) لطائف المنن ص ٩٩ ج ١ .



أولي العزم من الرسل<sup>(١)</sup> . . . أهؤلاء الأذعياء خلفاء سعيد بن جبير . وسعيد بن المسيب . والإمام مالك وأبي حنيفة وابن شريك وطاووس اليماني وأمثالهم كابن تيمية وعز الدين بن عبد السلام والإمام الشاذلي وغيرهم وغيرهم . . ؟ الجواب لا . . ؟

ويلجأ الإمام « المربي الشعرائي » إلى الرمز ويسوق إلى هؤلاء الأذعياء النصيح على لسان الطيور مرة ولسان الحيوانات أخرى . . عليهم يرتدون عن غيهم أو يفهمون حقيقة وضعهم . أو يتركون ما هم سائرون فيه من غي وضلال . . يقول الإمام الشعرائي « في الأمثال السائرة : إن كلب السوق تناظر مع كلب الصيد فقال كلب السوق لكلب الصيد مالك لا ترضى بالكسر التي على المزابيل مثلي وتجتنب الملوك والأمراء وأبناء الدنيا فقال كلب الصيد لكلب السوق : أنا وإن خالطت الملوك وغيرهم فأنا متعفف عما بأيديهم ولا آكل منهم شيئاً وأصطاد لهم لا لنفسي . ولذلك عظموني وأكرموني وقربوني وأجلسوني على فراشهم ولم ينظروا إلى خساستي حين رأوا شرف همتي وأنت لما كنت كثير الشره والحرص على ما بأيديهم ولا تصطاد إلا لنفسك طردك الخلق على المزابيل »<sup>(٢)</sup> .

لماذا لجأ الإمام الشعرائي إلى هذا المثال : وكرره في أكثر من كتاب . . ؟ غالب الأمر . أن هؤلاء الأذعياء . قالوا له : إن كنا نذهب إلى الحكام فأنت تذهب . وإن كنا نقابلهم فأنت كذلك . فعلام تنزل علينا باللائمة وتترك نفسك . . ؟ ولماذا تطالبنا بالامتناع عن شيء أنت تفعله . . ؟ فضرب لهم الإمام الشعرائي هذا المثل وقال لهم : إن الشرط الأساسي لمقابلة الحكام والجلوس معهم وطرق أبوابهم أن يعف الفقير عما في أيديهم . فإذا فقد هذا الشرط فلا تصح له المجالسة . لأن الفقير يمثل أمام الناس الرجل الذي فرغ من دنياهم واتجه بكليته

(١) انظر آخر الرسالة .

(٢) الرسالة ص ١٥ والبحر المورود والعهود المحمدية .

إلى الله . والحاكم يمثل أمام الناس رجل الدنيا الحريص على جمعها وتعميرها . إن الدنيا في حاجة إلى الآخرة . ولكن الآخرة ليست في حاجة إلى الدنيا . ويروي لهم أيضاً قصة هذا الولي . الذي نزل عند رأي الخليفة وذهب ليعيش في قصره . ترك الفقر إلى الغنى . وودع الآخرة إلى الدنيا وآثر صحبة الملوك على أن يعيش عابداً لله . فماذا كانت النتيجة . . ؟

يقول الإمام الشعراني . حكى أن شخصاً من أولياء بغداد كان يسقي الناس الماء فما يشرب منه أحد وبه مرض إلا شفي فبلغ ذلك الخليفة فركب إليه وقال له : أشتهي أن تسكب لنا الماء في دارنا فلم يزل به حتى دخل داره . وصار كل من في الدار يتبرك ويحلف به . فسرق لجارية من جوارى الخليفة عقد جوهر . فقالت ما أخذه إلا السقاء . فعظم ذلك على الخليفة فقال : خذي لك ما شئت ولا تذكرني الشيخ بسوء . فقالت : يحلف على مصحف عثمان فعظم ذلك على الخليفة : فتلطف بالشيخ وأرسل له الوزير فالأن له القول فأجاب الشيخ على الحلف فعمي في الحال . وخرج أعمى وشاع الخبر في بغداد أن الشيخ حلف باطلاً فعمي . والشيخ ساكت لا يتكلم فلما كان بعد أيام مرضت الجارية مرضاً شديداً فلم ينجح فيها الدواء فورد عليهم طبيب حاذق فقال : أطعموها قلوب الطواويس تبرا فذبخوا ثلاثة طواويس من التي في دار الخليفة فوجدوا القلادة في جوف طاووس . فشاع الخبر ببراءة الشيخ وزال عماه . وصار الخليفة يقبل أقدامه ويقول اجعلنا في حل . فقال الشيخ : لا أجعلك في حل حتى « تجرسي » على جمل وتنادي علي في أزقة بغداد هذا جزاء من يصحب غير جنسه ويخالطه في داره على صحة وصدق<sup>(١)</sup> .

إننا لا نناقش ما في هذه القصة من صدق أو كذب . . لا نناقش ما فيها

---

(١) البحر المورود على هامش المعهود المحمدية ص ٢٣١ .

من كرامات وخلافه . . ولذلك لم نهتم باسم الخليفة وزمان حدوثها . فقد تكون من القصص الرمزية أو التعليمية التي يلجأ إليها الإمام الشعراني . ولكن الذي يهمنا في هذه القصة هو أسلوب الإمام الشعراني ومنهجه في التربية وطريقته في إصلاح هؤلاء الأذعياء - وتبصيرهم بأخطائهم . أتراهم يفهمون هذا المغزى ويعقلون ما ترمي إليه تلك الإشارات ؟ غالب الأمر أنهم لم يعوا هذا الكلام ولم يفهموا هذا الأسلوب الرمزي الذي لجأ إليه الإمام الشعراني . أو فهموه وصموا آذانهم عن النصيحة . وأصروا واستكبروا استكباراً .

ولكن الإمام الشعراني لم يئأس منهم . ولم يبال ما يلقي في سبيل ذلك من عنت واضطهاد ومن تجريح وتدمير للدسائس والمكائد ورميه بما لم يقله . ودسهم في كتبه الخزعبلات والأباطيل الأمر الذي يضطر معه إمامنا أن يؤلف كتاباً يضع فيه الأسس والشروط التي يجب على الحكام أن يلتزموها إزاء العلماء والفقهاء والقواعد التي يجب أن يسير عليها الفقهاء في اتصاهاهم بالحكام والأمراء إنها أصول وقواعد تحفظ للعلماء حرمتهم وتصور ماء وجوههم عن الابتذال . وتحدد لهم واجباتهم إزاء هؤلاء الحكام . وهذه الأصول والقواعد . لم يخترعها الإمام من عند نفسه ولكنها تنبع من الكتاب والسنة وتسير على منهج التربية الإسلامية الذي اتبعه العلماء والفقهاء على مر العصور . فإذا ما خرجوا عن هذا المنهج وانحرفوا عن هذه القواعد . فقدوا صفتهم الأساسية كحملة للشريعة وكمعلماء للمسلمين .

يقول الإمام الشعراني : في مقدمة هذا الكتاب . . « فهذا كتابي المسمى بإرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط مصاحبة الأمراء من غير معرفتهم بشروط الصحبة . حتى أن بعضهم صار يكره كل من شاركه في صحبة ذلك الأمير الذي سبقه إلى صحبته ولو أنهم كانوا يعرفون شروط صحبته وما يلزمهم من الواجبات لما تزاخوا على أمير قط . . ولكن ذلك كله تصديق لرسول الله ﷺ في قوله : « لا

تقوم الساعة حتى يتفاير العلماء على صحبة الأمراء كما يتفاير الناس على النساء»<sup>(١)</sup> وفي كلام الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « لا ينبغي لعالم أن يدخل على أمير ولو بقصد نصحه فإن الأمراء لا يصبرون على سماع النصيح من العلماء » .

وإنما خصصنا هذه الرسالة بإرشاد المغفلين لأنهم هم الذين يزاحمون على الأعراض الدنيوية . بخلاف الخذاق في أمر دينهم من الفقهاء والفقراء . فإنهم لا يزاحمون على القرب من الأمراء فضلاً عن صحبتهم . والأعمال بالنيات والحمد لله رب العالمين »<sup>(٢)</sup> .

وتخرج مؤلفات الإمام الشعراي تترى . وفي كل منها دعوة صريحة للعلماء أن يجابهوا الحكام الظلمة وقرعوا آذانهم بكلمة الحق . ويحذروهم كي يعفوا عما في أيدي الولاة . وإلا فلا فائدة في كلامهم لأنهم حينئذ لا يجدون آذاناً صاغية لهم بل يصبحون مع الحكام كالمصوت في المغارة لا يسمع غير الصدى أو المنقطع في المفازة لا يحس غير السكون . ويقص عليهم قصص العلماء العاملين قبلهم وكأنه يقول لهم افعلوا مثل هؤلاء واقتدوا بهم . فإن فعلتم كانت لكم الدنيا والآخرة . وإلا فأنتم الأخسرون أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

لما قدم هشام بن عبد الملك مكة ، طلب الاجتماع بطاوس |اليماني فلم يجبه طاوس إلى ذلك . فعمل عليه الحيلة حتى اجتمع به فلما دخل عليه طاوس لم يسلم عليه بسلام الخلفاء وإنما قال السلام عليك يا هشام وكيف حالكم . . ؟ وخلع نعليه بحاشية البساط وجلس بجانبه . فغضب هشام لذلك حتى هم

(١) انظر آخر الرسالة .

(٢) مقدمة كتاب إرشاد المغفلين إلى شروط مصاحبة الأمراء المسمى بالمتن الصغرى مخطوط .

بقتله .

فقال له الوزير : يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله عز وجل . فقال هشام لطاؤوس : ما الذي حملك على ما صنعت . . ؟ فقال وماذا صنعت . . ؟ فقال : نخلعت نعليك - بحاشية بساطي . ولم تجلس بين يدي . ولم تقبل يدي ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين كما يقول غيرك وسميتني باسمي ولم تكن . . ؟ .

فقال طاؤوس : أما ما فعلت من خلعت نعلي بجانب بساطك فإني أفعل ذلك كل يوم خمس مرات بين يدي الله في بيته فلا يعاقبني ولا يغضب علي . وأما عدم تقبيلي يدك فإني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينهى عن تقبيل يد الملوك إلا من عدل . وأنت لم يصح عندي عدلك . وأما عدم قولي لك يا أمير المؤمنين حين سلمت عليك فليس كل المسلمين راضين بأمرتك عليهم . فخشيت أن أقع في الكذب . وأما كوني لم أكنك فإن الله تعالى قد كفى أبا هب لكونه عدوه ونادى أصفياه بأسمائهم المجردة لكونهم أجباه . فقال يا داود يا يحيى يا عيسى . وأما جلوسي بجانبك فإنما فعلته اختباراً لعقلك . فإني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : يختبر عقل الأمير بجلوس أحاد الناس بجانبه . فإن غضب فهو متكبر من أهل النار فأخذت هشام الرعدة . وخرج طاؤوس من عنده بغير استئذان فلم يعد إليه <sup>(١)</sup> .

هل يستطيع العلماء أن يفعلوا ذلك . . ؟ وهل مجابهة هؤلاء الحكام في مقدورهم أم أنهم جبنا . . لا يستطيعون ذلك . . ؟ إن النساء في الزمن الماضي كن لا يبين أمام الحكام . وكن لا يخشين أحداً غير الله . أعجزتم أن تكونوا مثل هؤلاء النسوة أمام حكام أقوياء جبابرة إذا قيسوا بهؤلاء الحكام . . ؟ إنه ينصحهم بالابتعاد عن أبواب الحكام إذا لم يكن في مقدورهم أن يفعلوا ما فعلته النسوة في الزمن الماضي .

(١) لطائف المنن والأخلاق ص ١١٤ جـ ٢ .

حكى الكلبي عن رجل من بني أمية قال حضرت معاوية وقد أذن الناس  
اذناً عاماً فدخلت عليه امرأة وقد رفعت لثامها عن وجه كالقمر الذي شرب من  
ماء البرد . ومعها جاريتان لها . فخطبت للقوم خطبة بهت لها كل من هناك ثم  
قالت وكان من قدر الله تعالى إنك قربت زياداً واتخذته أخاً وجعلت له في آل  
سفيان نسباً ثم وليته على رقاب العباد . فسفك الدماء بغير حلها ولا حقها .  
ويتتهك المحارم بغير مراقبة فيها . ويرتكب من المعاصي أعظمها لا يرجو الله وقاراً  
ولا يظن أن له ميعاداً وغداً يعرض في صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدي  
ربك . فماذا تقول لربك يا معاوية غدا . . ؟ وقد مضى من عمرك أكثره وبقي  
أيسره وشره . فقال لها من أنت . . ؟ فقالت : امرأة من بني ذكوان وثب زياد  
المدعي أنه من بني سفيان على وراثتي من أبي وأمي فقبضها ظلماً وحال بيني وبين  
صنيعتي وممسكة رمقي . فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزياداً إلى الله تعالى  
وأن تظل ظلامي عنده وعندك . فالمنصف لي منكما الحكم العدل . فبهت معاوية  
منها وصار يتعجب من فصاحتها ثم قال :

ما لزياد لعنة الله مع من ينشر مساوينا . . ؟ ثم قال لكاتبه اكتب إلى زياد  
أن يرد لها ضيعتها ويؤدي إليها حقها <sup>(١)</sup> .

هذا قليل من كثير تخر به كتب الأدب وتحفظه لنا أمهات الكتب وقد  
سجل الإمام الشعرا في كتبه ومؤلفاته على كثرتها مواقف العلماء أمام الحكام  
واستطاع أن يحشد منها نخبة ممتازة تصلح أن تكون حافزاً لهؤلاء العلماء يسيرون  
عليه ونبراساً يهتدون بهديه .

وبعد ان بينا منهج الإمام في إرشاد العلماء والفقراء مع هؤلاء الولاة نتكلم  
عن طريقة الإمام في النصيح لهؤلاء الحكام والولاة .

---

(١) لطائف المنن والأخلاق ص ١٢٣ ج ٢ .

## الإمام الشعراني والنصح للولادة

تكلّمنا عن منهج الإمام في مخالطة الحكام . والشروط التي وضعها لذلك . وهو أن يزهد العلماء فيما في أيدي الولاية . فإذا التزموا بهذا المبدأ . استطاعوا أن يجابهوا الحكام بالقول الصادق والنصيحة المخلصة . وإذا رأى الولاية أن العلماء زهدوا عما في أيديهم وتعففوا عما تحويه خزائهم . أذعنوا لقولهم واستمعوا لنصيحهم . من هنا كان الإمام الشعراني يصدق بكلمة الحق في وجوههم فلا يستطيعون أن يعارضوه . ويندد بأفعالهم فلا يقدرّون على أن يغضبوه لأنه زهد عما في أيديهم ورغب فيما عند الله . فأعطاه الله القوة عليهم وأرعبهم منه . ويخالف أستاذه إبراهيم المتبولي رضي الله عنه الذي كان يقول لأصحابه في ذلك الوقت . من أدرك منكم النصف الثاني من القرن العاشر فلا يشدد في إزالة منكرات الولاية . لأن في ذلك الزمان تترادف علامات الساعة التي أخبر بها الشارع ﷺ . ومن شدد في منع وقوعها أصلاً فكأنه ساع في خلف ما وعد به الشارع . ويستدل على ذلك بحديث الرسول ﷺ :

« إذا رأيتم شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليكم بخويصة أنفسكم ودعوا عنكم أمر العامة » (١) .

---

(١) أخرجه أبو عيسى الترمذي عن سعيد بن يعقوب عن عبد الله بن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم عن عمرو بن جارية اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له : كيف =

إن الشح موجود في الطبيعة البشرية وهو من جبلة الإنسان وكذلك الهوى ولم يأت الإسلام لإزالة الشح أو القضاء عليه . ولم يفكر الإسلام في استئصال الهوى من النفوس . بل كل ما أمر به الإسلام أتباعه أن يرتفعوا عن شح الأنفس . وأن ينهوا النفس عن الهوى . قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى :  
 ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ <sup>(٢)</sup> وتاريخ الإسلام يبين لنا في وضوح أن الصفة المختارة هي التي كانت ترتفع عن سخائف النفس وعن طبيعة الطين والحمأ المسنون . لقد أطاعت النفوس هواها عندما قتلت الحسين واستطاعت الأمويون أن يغتصبوا الحكم ويحولوه إلى ملك عضوض وميراث يورث هذا إذا استثنينا بعضهم أمثال عمر بن عبد العزيز وخالد بن يزيد الذي رفض الخلافة . لقد انتهك الأمويون الحرمات وخالفوا تعاليم الشريعة ولم يقل حملة الشريعة في ذلك الوقت « عليكم بخويصة أنفسكم » بل جابهوا الطغيان وصدعوا بكلمة الحق وقدموا أرواحهم قرباناً من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى مدار التاريخ والزمن كان العلماء دائماً يؤدون واجبهم . ومن هنا رأى الإمام الشعراي

= تصنع في هذه الآية ؟ قال : آية آية ؟ قلت : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل اتصمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر . للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم » قال عبدالله بن المبارك وزاد غير عتبة : قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم . . . ؟ قال : « بل أجر خمسين منكم » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم عن عتبة بن أبي حكيم .  
 انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٠٩ طبعة الحلبي .

(١) سورة الحشر آية ٩ .

(٢) سورة النازعات آية ٤٠ .



أن ما يدعو إليه أستاذه تعطيل لقواعد الشريعة لأن هذه القواعد تشهد لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً ولو كان ذلك الأمر وتلك المخالفة من علامات الساعة . هناك أمر واحد يجب على المرء فيه . أن يلتزم بخويصة نفسه ويترك أمر العامة - هذا الأمر أن يخاف الإنسان على نفسه من جراء ذلك حصول ضرر شديد في نفسه أو عرضه أو ماله - لا يحتمله في العادة .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا مقيدين بزمان ولا محددان بوقت بل هذا واجب على كل فرد في الدولة الإسلامية بعامة لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> وعلى العلماء بخاصة لقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعطيل لهذه الخيرية التي امتن بها الله تعالى على أمة محمد ﷺ . ومن مبادئ رجال التصوف الصادقين ( إذا تعارض كشفك مع الشريعة فارم كشفك وقل إن الله ضمن لي النجاة في الشريعة ولم يضمن لي النجاة في الكشف ) .

ويستدل الإمام الشعراني بهذا الأمر بقول أستاذه في الطريق وشيخ الصوفية وإمام العارفين محيي الدين بن عربي رضي الله عنه بقوله : ( لو كشف أن فلاناً لا بد أن يزني بفلانة أو يشرب الخمر مثلاً وجب عليه النهي لأن نور الكشف لا يطفىء نور الشرع . . لأن الله تبارك وتعالى قد تعبدنا بإزالة المنكرات ولو شهدنا كشفاً بأنها إرادته وخلقته تعالى )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) لطائف المنن والأخلاق .

وفي كلام الشيخ أبو المواهب الشاذلي رضي الله تعالى عنه . إياك أن تحرق  
سور الشرع يا من لم يخرج من عادة الطبع فإن الذي أشهدك أن كل شيء في  
الوجود خلقه هو الذي أمرك بإزالة المنكر .

لقد كان الإمام الشعراني أعمق نظراً وفيها لنصوص الشريعة عندما خالف  
أستاذه المتبولي في عدم تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فالغيب يعلمه  
الله . وعندما سأل الرسول ﷺ جبريل عليه السلام عن القيامة . أجابه « ما  
المستول عنها بأعلم من السائل »<sup>(١)</sup> وهو كل يوم في شأن وقد أمرت الأمة  
المحمدية بالعمل حتى آخر رمق والرسول ﷺ يقول : « إذا قامت القيامة وفي يد  
أحدكم فسيلة فلا يتركها حتى يغرسها »<sup>(٢)</sup> .

ولقد مضى على كلام سيدي إبراهيم المتبولي أربعة قرون لم تقم القيامة ولم  
يتوقف الفلك عن الدوران . ولم تمتنع عجلة الزمان عن السير أكان يريد هذا  
العارف الجليل أن تتوقع الأمة الإسلامية فلا تعمل . . ؟ وتغفو إغفاءة الموت فلا  
تفيق . . ؟ وتحنط نفسها في توابيت الانتظار فلا تأمل . وتترك الحياة فوضى فلا  
أمر ولا نهى . . ؟

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافي التسليم لله تبارك وتعالى .  
فالعبد يسلم لربه من حيث تقديره على عباده ويقوم هو بما كلف به . وليس للعبد  
أن يقف مع ظاهر الحديث السابق ويقول قد وجدت العلامات التي أخبر بها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه أيضاً وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة وأبي ذر  
رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس . . الخ . انظر جامع المعقول والمنقول  
شرح جامع الأصول - لأحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير الجزري ج ١ ص ١١٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٩١ - وأخرجه الإمام البخاري في الأدب ، وعبد الرزاق في  
الجامع عن أنس وقيل ضعيف .

الشارع ﷺ وما بقي على أحد وجوب في أمر غيره بمعروف وإنما يترك العبد ذلك إذا خاف على نفسه هذا في شأن العامة أما العلماء فلا يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً كما فعل الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو حنيفة وأمثاهم . ولعل مراد الرسول ﷺ بقوله : « فعليكم بخويصة أنفسكم »<sup>(١)</sup> أي لأنه يخاف عليكم حينئذ من الضرر الذي لا تطيقونه ولا تجدون معيناً يعينكم عليه هذا لا يبعد . فليس في الحديث تصريح بإسقاط أصل الأمر بالمعروف . إنما فيه الأمر بعدم التشديد فيه . لأن أمر الشارع ﷺ لا يترك اختياراً إلا إذا انفسخ ولا ناسخ لأمره ﷺ بعده إلى قيام الساعة وفي حديث الرسول ﷺ ما يؤكد ذلك .

روى البخاري والترمذي مرفوعاً «مثل القائم في حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا إن خرقنا في سفينتنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»<sup>(٢)</sup> .

هكذا فهم الإمام الشعراوي نصوص الشريعة . وإذا كان «الإيمان إحدى وسبعين شعبة أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»<sup>(٣)</sup> فإن «أفضل الإيمان كلمة حق عند سلطان جائر»<sup>(٤)</sup> . لقد انتشر - كما بينا سابقاً عند حديثنا عن العصر العثماني - الظلمة والولاة القساة الذين كانوا يظلمون العباد ويجورون على حقوق الخلق ويأكلون أموال الناس بالباطل فاعتبر الإمام الشعراوي

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٣٥ .

(٢) رواه البخاري والترمذي مرفوعاً .

(٣) رواه الإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، عن أبي هريرة حديث صحيح .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير .

نفسه مسؤولاً عن كل فرد في الأمة وقع عليه ظلم أو أصابه مكروه . واعتبر الشعب رعيته يدافع عنه إذا ظلم ويتألم لآلمه إذا نزلت به نازلة ويصبح عليل الجسم إذا حل به مكروه «مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(١)</sup> والتاريخ يحدثنا أن الوفود المرهقة كانت تفد على زاويته تطلب الأمن بعد الخوف والاطمئنان بعد القلق وتطالب بحقوقها التي سلبت منها . ويستقبلهم الإمام بقلبه الطيب وروحه العالية مخففاً عنهم مواسياً لهم . وتخرج رسله ورسالاته إلى حاكم البلاد مرة وإلى ولاية الأقاليم مرات . فكان كالرحمة المهداة إلى هؤلاء المظلومين الذين أرهقهم الظلم وأثقل كواهلهم الطغيان .

يقول الدكتور توفيق الطويل . مبيناً مكانته لدى الحكام وال جماهير ( استبد بهوى الجماهير وانتزع إعجاب الفقهاء واستل افتتان الأمراء ومن إليهم من الحكام حتى أضحت زاويته مركز الحكم السياسي في مصر )<sup>(٢)</sup> . ولعلنا نتساءل كيف افتتن به الأمراء وخضع له الحكام وأصبحت زاويته مركز الحكم السياسي في مصر . . ؟ الجواب أن هؤلاء الولاة والحكام كانوا يعتقدون في ولاية الإمام الشرعاني ويؤمنون بصلاحه وورعه وتقواه . .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الإمام الشرعاني إمام التصوف في عصره توفيق الطويل ص ١٤٢ .

## اعتقاد الحكام في ولايته

إن الدولة العثمانية كانت تخشى بأس الشعراي وتعمل له ألف حساب وكانت تخاف سلطانها الروحي . فكانت لا ترد له شفاعاة ولا تتوانى في إجابة مطالبه . والسبب في ذلك واضح ، إنه فرغ من دنياهم وصغرت في عينه لذاتها وزهد عما في أيديهم . فلم يقبل عطاياهم . فإن ألحوا عليه في أن يقبلها تناولها منهم بيمينه وطوحها على مرأى منهم بشماله .

يأتي السلطان التركي سليم الأول . يأتي فيستقبله جلة المصريين ويهرع إلى بابه العلماء والفقراء يقدمون الولاء والطاعة . ويبقى الإمام الشعراي في مكانه لا يهتم بحاكم أو وزير - ويتساءل الحاكم الفاتح أبقى في مصر أحد من الأولياء لم يطلع إلينا . . ويأتيه الجواب بقي ولي صغير ولكنه كبير بقي الشعراي الذي ليس من عادته الطلوع لأحد من الولاة أو الوقوف بباب أحد من الحكام .

وتتطامن رأس الحاكم الفاتح ويتصاغر في نفسه وينزل للرجل الرباني الملهم ينزل إليه ليقدم الولاء والطاعة . ويطلب الدعاء والهداية . يطلب الهداية من الرجل الذي تربطه بالسماة عدة أسباب . لقد أدرك هذا الحاكم . أن هذا الرجل ما دامت هذه طبيعته وتلك عادته فلا شك أنه ولي كبير فهم دينه فعمل به وعرف ربه فاعتمد عليه .

ويقول الحاكم القوي للرجل المؤمن الصادق الإيمان . يقول رجل الدنيا  
لرجل الآخرة . ألك حاجة نقضيها لك قبل مغادرتنا البلاد . مرنا نلب طلبك ؟  
وينطق الرجل المؤمن لسنا في حاجة لأحد مطلقاً سوى الله تعالى .

ماذا يطلب الإمام الشعراني من هذا الحاكم . . ؟ وأي شيء يملكه هذا  
الحاكم يستحق أن يطلب . . أطلب الدنيا وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة  
أطلب الجاه وما عند الله خير وأبقى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
بَاقٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

إن الإمام الشعراني يطلب من الولاة رفع الظلم عن الرعية وإقامة العدل  
بين الناس ومراعاة حدود الله . والسير على قواعد الشريعة إنه يعتبر نفسه مسئولاً  
عن كل ظالم وقع على أحد من الناس وسمع به . ويعتبر نفسه أيضاً مطالباً برفع  
هذا الظلم قبل أن يسأل عنه يوم القيامة .

وتمضي الأيام وتتوالى الليالي ويعتزم نائب السلطان في مصر الوزير « علي  
باشا » الرحيل إلى تركيا ويذهب إلى الشعراني في زاويته - يريد أن يتقرب إليه .  
أن ينال رضاه . ويحظى بثقته فيقول « إننا مقربون إلى السلطان فهل لك حاجة  
عنده . فأجابه الشعراني على الفور قائلاً : ألك حاجة عند الله . . ؟ إننا مقربون  
إلى حضرته أكثر فسكت الوزير ولم يجر جواباً » .

ويحكى صاحب المناقب أن بعض الحسدة دس لنائب السلطان وأوهمه بأن  
الشعراني يتآمر على عزله وتولية خصمه مكانه . وأذعن الباشا لما سمع وأخذ يهدد  
ويتوعد . وإذا به يتلقى أمراً من السلطان بالرحيل عن مصر على عجل .

فأشار عليه بعض جلسائه بأن يترضى الشعراني ويستسمحه عما ارتكب في

---

(١) سورة النحل آية ٩٦ .

حقه من معصية فامتثل مشورته وإذا به يتلقى من السلطان أمراً بالعفو عنه وإبقائه في مصر . فامتلاً إيماناً بالشعراني وقدرته على تنفيذ ما يريد حتى كان الشعراني إذا زاره حف لاستقباله وأكرم وفادته وجلس على كئب منه على مقعد متواضع وأنصت لشفاعته وبادر إلى قبولها من غير تردد<sup>(١)</sup> .

أنقول هذا من قبيل الكرامة للإمام الشعراني . . ؟ إن كثيراً من المثقفين يرفضون هذا النوع من الكرامات ويعتبرونه من قبيل المصادفة البحتة ليكن كذلك . . فان الإمام الشعراني لم يدع الكرامات وكان يزهد فيها وكان يعتبر الكرامة الحقيقية للرجل المؤمن . أن يوفقه الله للعمل بالكتاب والسنة والتزام أوامر الشرع . وإنما الذي يهمننا أن نثبت هنا أن الإمام الشعراني كان صاحب حظوة ومكانة لدى الحكام والولاة في عصره . وقد مكنته هذه المكانة . من رفع الظلم عن كواهل المظلومين ورد الحقوق إلى أصحابها في وقت افتقد فيه الشعب العدالة في الأرض فراح يلتمسها عند الشعراني وأمثاله ممن يباهم الولاة ولا يردون لهم طلباً . بل أن هؤلاء الحكام كانوا يتتلمذون على يديه ويصبحون مريدين تحت إمرته ومن هؤلاء الأمير حسن بك صنجق الذي تتلمذ على الإمام الشعراني ويتمكن حب الشعراني من قلبه فيواظب على حضور درسه ثم يلازمه في زاويته ليلاً ونهاراً تاركاً الإمارة والحكم .

ولكن الإمام الشعراني رضي الله عنه لا يرضى عن تلك الصحبة لأن فيها استخفافاً بمصالح الرعية وهي أمانة في عنق الأمير . وواجه الأول أن يتخصص لها ويتفرغ لشئونها ولكن حب الأمير لشيخه الشعراني كان أكبر من حبه للإمارة وجاهاها والحكم وسلطانه والسلطنة ونفوذها . فعز عليه وكبر لديه أن يفارق أستاذه وشيخه ومجالسه وما فيها من أنس وعلم وتقوى فاعتزم أمراً وهو أن يترك

---

(١) المناقب الكبرى ص ١٣٢ .

الإمارة والحكم . ففرق أمواله وأعتق عبيده ووقف أملاكه على وجوه الخير واستبقى من هذا الثراء العريض رخام بيت من بيوتاته وكان تحفة نادرة وقليلاً من المال أما الرخام الفخم النادر والمال القليل فقد اعتزم الأمير أن يبني بهما ضريحاً ومزاراً لشيخه الشعرائي وفاء وحباً .

وأقبل الأمير على أستاذه فقيراً متجرداً ليسلك على يديه طريق الهدى واليقين بلا عائق من حكم ولا مانع من إمارة .

ومن قبل الأمير حسن صنjq - كان كثير من الأمراء والولاة ممن يستهويهم الطريق الصوفي ويأخذ بألبابهم العلم اللدني والمعارف الإلهية . ومنهم يحيى بن يغان كان ملكاً على مدينة تلمسان وكان يعيش في زمنه رجل فقيه زاهد متبتل قد انقطع في مسجد يعبد الله فيه .

وبينما كان هذا العابد سائراً في طريقه بين مدينتي تلمسان وأقادير إذ لقيه « يحيى بن يغان » وقد أحاط به خدمه وحشمه فسأل عن هذا الزاهد . فقالوا له هو أبو عبد الله التونسي عابد وقته فوقف بجواره وسلم على الشيخ فرد عليه الشيخ السلام . ثم قال الملك وكان يرتدي ثياباً فاخرة . للشيخ . يا شيخ هل يجوز لي أن أصلي في هذه الملابس التي أرتديها . . ؟

فضحك الشيخ فقال له الملك . . تضحك . . ؟

فأجاب الشيخ . . من سخف عقلك وجهلك بنفسك ما لك تشبيه عندي إلا بالكلب . يتمرغ في دم الجيفة وأكلها وقذارتها فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول وأنت وعاء مليء حراماً وتسأل عن الثياب ومظالم العباد في عنقك . . ؟

فبكى الملك « يحيى بن يغان » وخرج عن ملكه من حينه . ولزم خدمة



الشيخ فألزمه الشيخ بأن يحتطب فكان يحمل الحطب على رأسه ويمضي به إلى السوق ليبيعه فيقتات منه ويتصدق بالباقي وظل على ذلك حتى مات ودفن بجوار الشيخ .

وكان الناس إذا جاءوا يقصدون الشيخ للتبرك . ويطلبون منه الدعاء يقول لهم : ( التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فإنه ملك وزهد ولو ابتليت بما ابتلى به من الملك ربما لم أزهد )<sup>(١)</sup> .

ومن قبل يحيى بن يغان « أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور » كان من أبناء الملوك فخرج يوماً متصيداً فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو في طلبه فهتف به هاتف يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت . . ؟

ثم هتف به أيضاً من « قربوس » سرجه والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . فنزل عن دابته . وصادف راعياً لأبيه . فأخذ جبة الراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه<sup>(٢)</sup> .

هؤلاء رجال اختارهم الله وحباهم بفضله ومن عليهم بسلوك هذا الطريق . وفي هذا مصداق لما رواه أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله . فقليل له كيف يستعمله يا رسول الله . . ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) ابن عربي حياته ومذهبه - ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٦ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥١ ج ١ .

(٣) هذا جزء من حديث رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن حبان والحاكم في المستدرک عن أنس رضي الله عنه ولفظه : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله » ، قيل : كيف يستعمله . . ؟ قال « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه » .

والإمام الشعراني من رجال الله . وعمن من الله عليهم باستعماله فكانت زاويته مركز الدين والعلم . ومحور السياسة والحكم ومنها كان يخرج النور والإيمان ليهدي الحيارى والتائهين والمارقين عن طريق الحق . وتخرج أيضاً الكلمة الصلبة القوية المؤمنة إلى صدور الحكام فيذعنون لها . . وينفذون ما بها وينزلون على حكم صاحبها .

يقول الإمام الشعراني ( وما من الله به عليّ قبول شفاعتي عند الأمراء والحكام لقد تشفعت عند السلطان الغوري . والسلطان طوماي باي وخابر بك . وغيرهم فقبلوا شفاعتي وذلك معدود من طاعة الملوك لي ولا أعلم الآن أحداً في مصر أكثر مني شفاععة عند الولاة - فربما يفنى الدست الورق في مراسلاتهم في حوائج الناس في أقل من شهر<sup>(١)</sup> ويصادقهم ليمنعهم عن الظلم ويراسلهم ليشفع عندهم للمرهقين ، والغارمين ، وأصحاب الحاجات ، إنهم كانوا يعتقدون في ولايته ، ويؤمنون بكراماته ، ويحاولون أن يغدقوا عليه من أموالهم وهداياهم . ولكنه كان يرفض كل ذلك - ولذلك هابوا كلمته واستجابوا لنصحه واستعموا لأوامره ونواهي . ويطيب لنا بعد ذلك أن نتكلم عن مؤلفات الشعراني وكتبه في كلمة قصيرة موجزة وعلى الله قصد السبيل .

---

(١) لطائف المنن ج ٢ ص ٢٣٦ .

## آثار الشعراني ومؤلفاته

إذا كان العالم الصوفي أبو طالب المكي قد وضع كتابه القيم قوت القلوب في معاملة المحبوب « كمنهاج للتصوف وطريق لإنارة القلوب ، وجاء بعده أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري فوضع رسالة في التصوف سماها «الرسالة القشيرية» وقال في مقدمتها «إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام». فهي إذن منشور عام لإصلاح المتصوفة في ذلك الحين.

وبعد القشيري جاء الغزالي فوضع كتابه العظيم «إحياء علوم الدين» وكانت هذه الكتب موضع اهتمام رجالات الإسلام حتى قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى «كتاب الإحياء يورثك العلم ، وكتاب القوت يورثك النور» . إذا كان ذلك كذلك فإن الشعراني قد وضع كتابه القيم .

١ - لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق إن المتصفح لكتاب «المنن» يرى أنه دعوة إلى الأخلاق المحمدية ونداء قوى لجمع الشاردين إلى حظيرة الدين ، ونفير يجلجل في آذان الحيارى ليعودوا إلى رحاب الشريعة . إنه النموذج والقدوة لأصحاب الهمم العالية ، يقول صاحب كتاب «التصوف الإسلامي والإمام الشعراني» : والمنن من الناحية الموضوعية أعظم كتاب أخلاقي في تاريخ العربية - بل لعله أعظم كتاب

للمثاليات الإيمانية في تاريخ التعبد الإنساني .

فلقد رسم الشعراني في كتابه الفذ الخطوط العليا العريضة للأدب الإسلامية من وجدانية ونفسية وعملية . كما رسم الخطوط العريضة الواضحة لما يقابلها من سيئات منحدره هابطة إلى أسفل ، وما يعتري في الطبع الإنساني من غل وحسد وشهوات <sup>(١)</sup> .

وهذا الكتاب مقسم إلى مقدمة وستة عشر باباً وخاتمة ضمن كل باب جملة صالحة من الأخلاق الحسنة والنعم الجليلة . وهو جزءان .

الجزء الأول : يقع في ٢٣٥ صفحة من القطع الكبير .

الجزء الثاني : يقع في ٢٣٣ صفحة من القطع الكبير

٢ - لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية .

قال في مقدمته : هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثاله ، ولا أظن أحد نسج على منواله . ضمته جميع العهود التي بلغني من رسول الله ﷺ من فعل المأمورات وترك المنهيات .

والكتاب مقسم إلى قسمين قسم المأمورات وقسم المنهيات وهو مطبوع وتبلغ صفحاته الألف .

٢ - الأنوار القدسية في آداب العبودية .

والكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب وخاتمة :

الباب الأول : في آداب العبودية على الإطلاق .

الباب الثاني : في آداب طلب العلم النافع

الباب الثالث : في آداب الفقراء والمساكين .

٤ - كشف الغمة عن جميع الأمة .

وهو في جزئين خاص بالعبادات وجملة من أخلاق الرسول - ﷺ .

٥ - الجواهر والدرر الكبرى

٦ - الجواهر والدرر الكبرى .

٧ - اليواقيت والجواهر .

وهو في جزئين وفق فيه بين أقوال علماء الكلام .

٨ - مختصر إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى إرشاد صحبة الأمراء وتسمى بالمنن الصغرى .

توجد نسختان في مكتبة طلعت تحت رقم ١٠٨٢ ، ورقم ٩٥٠ .

٩ - تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس . نسخة تحمل رقم ١٤٣٥ طلقى

١٠ - حقوق إخوة الإسلام نسخة تحمل رقم ٩٣١ طلقى .

وقد ذكر صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب الكتب

الآتية :

١١ - مختصر تذكرة القرطبي .

١٢ - مختصر سنن البيهقي الكبرى

١٣ - البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير .

١٤ - لوائح الخزلان على من لم يعمل بالقرآن .

١٥ - فوائد القلائد في علم العقائد .

١٦ - الميزان الكبرى . وهو في جزئين وفق فيه بين أقوال المذاهب الأربعة كتب

عنه « جلد تسهير » في مجلة الدراسات الإسلامية ج ٣٨ ص ٦٧٨ وقد ترجم إلى الفرنسية .

لقد عكف الإمام الشعراني على التأليف في شتى فروع المعرفة . وترك عدداً لا يحصى من المؤلفات « كما ذكرنا » وازدادت المكتبة الإسلامية بما قدم لها من كتب في كل علم وفن في التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها . وقد استغرق بعضها خمسة مجلدات ووقع الكثير منها في مجلدين وكما رأينا لا يزال أكثر هذه المؤلفات مخطوطاً وموزعاً على دور الكتب في بلدان العالم . رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما كتب وقدم من خير للإسلام والمسلمين .

وإذا كان ذلك كذلك فعلياً أن نلقي بعض الأضواء على كتاب الميزان الذي نحن بصددده وعلى الله قصد السبيل .

## كتاب الميزان

الميزان ذكره الله تعالى في القرآن الكريم ثلاث مرات كل مرة بمعنى آخر .  
فالأول بمعنى الآلة .

قال الله تعالى : ﴿ووضع الميزان . ألا تطفوا في الميزان﴾<sup>(١)</sup> . والثاني : بمعنى المصدر قال تعالى : ﴿ألا تطفوا في الميزان﴾ أي الوزن ، والثالث للمفعول قال تعالى : «ولا تحسروا الميزان» .

وذكر الكل بلفظ الميزان لأن الميزان أشمل للفائدة . وهو كالقرآن ذكره الله تعالى بمعنى المصدر في قوله تعالى : ﴿فلإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ وبمعنى المقروء في قوله تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ وبمعنى الكتاب الذي فيه المقروء في قوله تعالى : ﴿ولو أن قرآننا سيرت به الجبال﴾ فكأنه آلة ومحل له . وفي قوله تعالى : ﴿آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ . وفي كثير من المواضع ذكر القرآن لهذا الكتاب الكريم ، وبين القرآن والميزان مناسبة ، فإن القرآن فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الكتب والميزان فيه من العدل ما لا يوجد في غيره من الآلات .

ومن هنا نفهم الهدف من تسمية الشعرا في هذا الكتاب بالميزان الكبرى باعتبار آلة يزن بها أقوال الفقهاء ويطابقها على القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

(١) راجع تفسير سورة الرحمن لجمال الدين القاسمي «محاسن التأويل» .

ويقول في مقدمة الكتاب :

اعلم يا أخي أن الشريعة جاءت من حيث الأمر والنهي على مرتبتين تخفيف وتشديد لا على مرتبة واحدة . ويرى الشعراني أن جميع المكلفين لا يخرجون عن قسمين قوي وضعيف من حيث إيمانه وجسمه في كل عصر وزمان فمن قوي منهم خوطب بالتشديد والأخذ بالعزائم ، ومن ضعف منهم خوطب بالتخفيف والأخذ بالرخص وكل منهما حينئذ على شريعة من ربه وتبيان فلا يؤمر القوي بالنزول إلى الرخصة ، ولا يكلف الضعيف بالصعود للعزيمة ، وقد رفع الخلاف في جميع أدلة الشريعة وأقوال علمائها عند كل من عمل بهذه الميزان . والدليل على ذلك ما قاله الإمام الشافعي وغيره : إن أعمال الحديثين أو القولين أولى من إلغاء أحدهما .

ويأخذ الشعراني في تقديم الأدلة الكثيرة لتوضيح مرتبتي الرخصة والعزيمة فيقول : من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ومقامهم في حضرة الإسلام أو الإيمان أو الإحسان وتأمل يا أخي في قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١) . تحط علماً بما قلنا .

وإلا فأين خطابه لأكابر الصحابة من خطابه لأجلاف العرب . . ؟ وأين مقام من بايعه ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره والمعسر والميسر ممن طلب أن يبايعه ﷺ على صلاة الصبح والعصر فقط دون غيرهما من الصلوات ودون الزكاة والحج والصيام والجهاد وغيرهما .

وقد تبع الأئمة المجتهدون ومقلدوهم رسول الله ﷺ على ذلك فما وجدوا

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤ .



رسول الله ﷺ شدد فيه شددوا فيه أمراً كان أو نهياً ، وما وجدوه خفف فيه خففوا فيه .

ثم يبين أن الأئمة اختلفوا لأسباب منها أن منهم من حمل مطلق الأمر على الوجوب الجازم ، ومنهم من حمله على الندب ، ومنهم من حمل مطلق النهي على التحريم ، ومنهم من حمله على الكراهة . ثم إن لكل من المرتبتين رجالاً في حال مباشرتهم للتكاليف . فمن قوي منهم من حيث إيمانه وجسمه خوطب بالعزيمة والتشديد الوارد في الشريعة صريحاً أو المستنبط منها في مذهب المكلف أو غيره ، ومن ضعف منهم من حيث مرتبة إيمانه أو ضعف جسمه خوطب بالرخصة والتخفيف الوارد كذلك في الشريعة صريحاً أو المستنبط منها في مذهب ذلك المكلف أو مذهب غيره . كما قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ خطاباً عاماً .

وقول الرسول ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »<sup>(١)</sup> وأما القياس والتأويل فله فيهما تفصيل فنراه يقول : كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يقدرّون على القياس ولكنهم تركوا ذلك أدباً مع رسول الله ﷺ . ومن هنا قال سفيان الثوري : من الأدب إجراء الأحاديث التي خرجت مخرج الزجر والتنفير على ظاهرها من غير تأويل فإنها إذا أولت خرجت على مراد الشارع كحديث «من غشنا فليس منا» . وحديث «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» فإن العالم إذا أولها بأن المراد ليس منا في تلك الخصلة فقط أي وهو منا في غيرها هان على الفاسق الوقوع فيها وقال : مثل

---

(١) كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن ماجه في سننه أيضاً .

المخالفة في خصلة واحدة أمر سهل . فكان أدب السلف الصالح بعدم التأويل أولى بالاتباع للشارع .

وإن كانت قواعد الشريعة قد تشهد أيضاً لذلك التأويل . وقد دخل جعفر الصادق ، ومقاتل بن حبان وغيرهما على الإمام أبي حنيفة وقالوا له : قد بلغنا أنك تكثر من القياس في دين الله تعالى وأول من قاس إبليس فلا تقس فقال الإمام ما أقوله ليس بقياس وإنما ذلك من القرآن قال تعالى :

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ . فليس ما قلناه بقياس في نفس الأمر وإنما قياس عند من لم يعطه الله تعالى الفهم في القرآن .

ويخلص في النهاية إلى أن المقصود من هذا الكتاب هو الوفاق وليس الخلاف الوفاق بين جماعة المسلمين امتثالاً لقول الله تعالى :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك . وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

أي بالآراء التي لا يشهد لموافقتها كتاب ولا سنة . وأما ما شهد له الكتاب والسنة فهو من جمع الدين لا من تفرقته ومن الدليل على ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ . وقوله : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ .

وأما الأحاديث فقول الرسول ﷺ : « الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه » .

ومنها قوله ﷺ لمن بايعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره « فيما استطعتم » .

ويخلص في النهاية : أنه ما دام لا يجوز لنا الطعن فيما جاءت به الأنبياء مع اختلاف شرائعهم فكذلك لا يجوز لنا الطعن فيما استنبطه الأئمة المجتهدون بطريق الاجتهاد والاستحسان . فإن رسول الله ﷺ قد أمن علماء أمته على شريعته بقوله : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالفوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » وهكذا فإن هذا الكتاب يعتبر دعوة عامة لرجال المذاهب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها بالوفاء والاتفاق حتى يستطيعوا الحفاظ على شريعة ربهم ونقلها صافية نقية إلى قلوب عباده .

وعلى الله قصد السبيل وبالله التوفيق .

أ . د . عبد الرحمن عميرة



# كِتَابُ الْمِيزَانِ

لِلْإِمَامِ  
عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِي

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ  
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عُمَيْرَةُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الحمد لله الذي جعل الشريعة المطهرة بحراً يتفرع منه جميع بحار العلوم النافعة والخلجان ، وأجرى جداوله على أرض القلوب حتى روى منها قلب القاضي من حيث التقليد لعلماؤها والدان ، ومن على من شاء من عبادِهِ المختصين بالإشراف على ينبوع الشريعة المطهرة وجميع أحاديثها وآثارها المنتشرة في البلدان ، وأطلعه الله - من طريق كشفه - على عين الشريعة الأولى<sup>(١)</sup> التي يتفرع منها كل قول في سائر الأدوار والأزمان ، فأقر جميع أقوال المجتهدين<sup>(٢)</sup> ومقلديهم بحق حين رأى اتصالها بعين الشريعة من طريق الكشف والعيان ، وشارك جميع المجتهدين في اغترافهم من عين الشريعة الكبرى وإن تقاصر عنهم في النظرة وتأخر عنهم في الأزمان ، فإن الشريعة كالشجرة العظيمة المنتشرة وأقوال علمائها كالفرع والأغصان ، فلا يوجد لنا فرع من غير أصل ، ولا ثمرة من غير عُصْن ، كما لا يوجد أبنية من غير جدران ، وقد أجمع أهل الكشف على أن كل من أخرج قولاً من أقوال علماء الشريعة عنها فإنما ذلك لقصوره عن درجة العرفان<sup>(٣)</sup> .

فإن رسول الله ﷺ قد آمن علماء أمته على شريعته ، بقوله :

---

(١) المراد بها الوحي الإلهي

(٢) المراد : الأئمة الأربعة رضوان عليهم ومن سار على سننهم من بعدهم .

(٣) وهذا الاجماع المراد به : الاقتداء لا الابتداء ، يقول ابن مسعود رضي الله عنه : ( اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم ) . أسنى المطالب .

« العلماء أمناء الرسل ما لم يخالفوا السلطان » (١) .

ومحال من المعصوم أن يؤمن على شريعته خوان .

وأجمعوا أيضاً : على أنه لا يسمى أحمد عالماً إلا أن بحث عن منازع (٢) أقوال العلماء ، وعرف من أين أخذوها : من الكتاب والسنة ، لا من ردها بطريق الجهل والعدوان ، وأن كل من رد قولاً من أقوال علمائها ، وأخرجه عنها ، فكأنه ينادي على نفسه بالجهل ويقول : ألا اشهدوا أنني جاهل بدليل هذا القول من السنة والقرآن ، عكس من قبل أقوالهم ومقلديهم ، وأقام لهم الدليل والبرهان .

وصاحب هذا المشهد الثاني لا يرد قولاً من أقوال علماء الشريعة إلا ما خالف نصاً أو إجماعاً ، ولعله لا يجده في كلام أحد منهم في سائر الأزمان ، وغايته أنه لم يطلع على دليل ، لا أنه يجده مخالفاً لصريح أو القرآن ، ومن نازعنا في ذلك فليأت لنا بقول من أقوالهم خارج عنها ونحن نرد على صاحبه كما نرد على من خالف قواعد الشريعة بأوضح دليل وبرهان .

ثم إن وقع ذلك ممن يدعي صحة التقليد للأئمة فليس هو بمقلدهم (٣) في ذلك وإنما هو مقلد لهواه والشيطان ، فإن اعتقادنا في جميع الأئمة أن أحدهم لا يقول قولاً إلا بعد نظره في الدليل والبرهان ، وحيث أطلقنا المقلد في كلامنا فإنما مرادنا به : من كان كلامه مندرجاً تحت أصل من أصول إمامه وإلا فدعواه التقليد له زور وبهتان ، وما ثم قول من أقوال علماء الشريعة خارج عن قواعد الشريعة فيما علمناه ، وإنما أقوالهم كلها بين قريب وأقرب ، وبعيد وأبعد ، بالنظر لمقام كل إنسان ، وشعاع نور

---

(١) تكملة الحديث : « ويداخلكم الدنيا فإذا خالفوا السلطان وداخلكم الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم رواه العقيلي في الضعفاء عن انس رضي الله عنه ورمز له الإمام السيوطي في الجامع الصغير بالصحة .

(٢) مصادر وأصول .

(٣) ب بمقلد لهم .



الشرعية يشسّلهم كلهم ويعمهم ، وإن تفاوتوا بالنظر لمقام الإسلام والإيمان ، والإحسان<sup>(١)</sup> .

أحمد بن محمد من كرع<sup>(٢)</sup> من عين الشريعة المطهرة حتى شيع وروى منها الجسم والجنان ، وعلم أن شريعة محمد ﷺ جاءت شريعة واسعة جامعة لمقام الإسلام والإيمان والإحسان ، وأنها لا حرج ولا ضيق فيها على أحد من المسلمين ، ومن شهد ذلك فيها فشهوده تنطع وبهتان ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن ادعى الحرج في الدين<sup>(٤)</sup> فقد خالف صريح القرآن .

وأشكره شكر من علم كمال شريعة محمد ﷺ ، فوقف عند ما حدث له من الأمر والنهي والترغيب والترهيب ، ولم يزد فيها شيئاً إلا إن شهد له شعاع الدليل والبرهان .

فإن الشارع ما سكت عن أشياء إلا رحمة بالأمة<sup>(٥)</sup> لا للذهول ولا نسيان ،

(١) إذ إن مقام الإسلام غير مقام الإيمان والإحسان ، ومقام الإيمان غير مقام الإسلام والإحسان ، ومقام الإحسان غير مقام الإسلام والإيمان ، كما جاء في حديث جبريل عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ ، بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلغائه ورسله ، وتؤمن بالبعث » . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام . . . الحديث أخرجه مسلم في صحيحه .

(٢) نهل وشرب .

(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨ .

(٤) وروى سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : « خير دينكم أيسره » .

وقال في الإكليل : « هذا أصل القاعدة ( المشقة تجلب التيسير ) » .

(٥) يقول صلوات الله وسلامه عليه فيها روي عن أبي ثعلبة الخشني : « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تقربوها ، وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحتوا عنها » أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والبخاري ومسلم .

ويقول ﷺ أيضاً فيها روى عن أبي الدرداء : « إن الله عز وجل قد افترض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها رحمة لكم فاقبلوها » أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط .

=

وأسلم إليه تسليم من رزقه الله تعالى حسن الظن بالأئمة ومقلديهم ، وأقام لجميع أقوالهم الدليل والبرهان .

إما من طريق النظر والاستدلال<sup>(١)</sup> .

وإما من طريق التسليم والإيمان .

وإما من طريق الكشف والعيان .

ولا بد لكل مسلم من أحد هذه الطرق ليطابق اعتقاده بالجنان قوله باللسان :  
أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم في كل حين وأوان ، وكل من لم يصل إلى  
هذا الاعتقاد من طريق الكشف والعيان وجب عليه اعتقاد ذلك عن<sup>(٢)</sup> طريق التسليم  
والإيمان .

وكما لا يجوز<sup>(٣)</sup> الطعن فيما جاءت به الأنبياء مع اختلاف شرائعهم ، فكذلك لا  
يجوز لنا الطعن فيما استنبطه الأئمة المجتهدون بطريق الاجتهاد والاستحسان .

ويوضح لك ذلك أن تعلم يا أخي : أن الشريعة جاءت من حيث الأمر والنهي  
على مرتبتين : تخفيف وتشديد ، لا على مرتبة واحدة كما سيأتي إيضاحه في الميزان .  
فإن جميع المكلفين لا يخرجون عن قسمين : قوي وضعيف من حيث إيمانه أو  
جسمه في كل عصر وزمان ، فمن قوي منهم خوطب بالتشديد والأخذ بالعزائم ،  
ومن ضعف منهم خوطب بالتخفيف والأخذ بالرخص<sup>(٤)</sup> وكل منهما حينئذ على شريعة  
من ربه وتبيان .

---

= وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

(١) فيما يحتاج إلى دليل .

(٢) ب من

(٣) وكما لا يجوز لنا الطعن .

(٤) أخرج الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » وفي رواية كما تؤتى عزائمه . =

فلا يؤمر القوي بالنزول إلى الرخصة ، ولا يكلف الضعيف بالصعود للزعمة  
وقد رفع الخلاف في جميع أدلة الشريعة وأقوال علمائها عند كل من عمل بهذه الميزان .

وقول بعضهم : إن الخلاف<sup>(١)</sup> الذي لا يرتفع من بين أقوال أئمة الشريعة  
مستحيل عند صاحب هذه الميزان ، فامتنح يا أخي ما قلته لك في كل حديث  
ومقابله ، أو كل قول ومقابله تجد كل واحد منهما لا بد أن يكون مخففاً والآخر  
مشدداً ، ولكل منهما رجال في حال مباشرتهم الأعمال ، ومن المحال أن لا يوجد لنا  
قولان معا في حكم واحد مخففان أو مشددان<sup>(٢)</sup> .

وقد يكون في المسألة الواحدة ثلاثة أقوال أو أكثر ، أو قول مفصل ، فالخاذاق  
يرد كل قول إلى ما يناسبه ويقاربه في التخفيف والتشديد حسب الامكان ؛ وقد قال  
الإمام الشافعي وغيره :

إن أعمال الحديثين أو القولين أولى من إلغاء أحدهما وإن ذلك من كمال مقام  
الإيمان .

---

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : « إن الله قد أعطى  
كل ذي حق حقه ، ألا إن الله فرض لفرائض ، وسن سُننا ، وحدّ حدوداً ، وأحلّ حلالاً ، وحرم  
حراماً ، وشرع الدين فجعله سهلاً سمحاً واسعاً ، ولم يجعله ضيقاً إلا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ،  
ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث ذمته طلبه ، ومن نكث ذمتي خاصمته ، ومن خاصمته فلجبت  
( انتصرت عليه وغلبته ) عليه ، ومن نكث ذمتي لم ينل شفاعتي ، ولم يرد على الحوض ، إلا أن الله لم  
يُرخص من القتل إلا ثلاثة : مرتد بعد إيمان ، أو زان بعد إحسان أو قاتل نفس ، فيقتل بقتله ألا  
هل بسلّغت » . وروى أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير ، والحاكم في المستدرک عن أبي  
الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل امرئ مهياً لما خلق له » . « كلٌ ميسر لما خلق  
له » . ويقول سبحانه : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ، ويقول : ﴿ وما آتاكم لرسول  
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول : ﴿ فأتقوا الله ما استطعتم ﴾ .

(١) ب : الحقيقي بين طائفتين مثلاً لا يرتفع بالحمل محمول على من لم يعرف قواعد هذا الكتاب لأن  
الخلاف ...

(٢) يراذ بذلك التخفيف على الضعيف ، والتشديد على القوي في حكم واحد .

وقد أمرنا الله تعالى بأن نقيم الدين ولا نتفرق فيه<sup>(١)</sup> حفظاً له عن تهدم  
الأركان .

فالحمد لله الذي منّ علينا بإقامة الدين وعدم اضجاعه حيث ألهمنا العمل بما  
تضمنته هذه الميزان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة تبوء قائلها غرف  
الجنان .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي فضله على كافة خلقه وبعثه  
بالشريعة السمحاء ، وجعل لإجماع أمته ملحقا في وجوب العمل بالسنة والقرآن .

اللهم : فصل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم  
أجمعين ، وجميع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة وسلاماً دائماً بدوام  
سكان النيران والجنان آمين<sup>(٢)</sup> آمين .

وبعد : فهذه ميزان نفيسة عالية المقدار حاولت فيها ما بنحوه يمكن الجمع بين  
الأدلة المتغايرة<sup>(٣)</sup> في الظاهر ، وبين أقوال جميع المجتهدين ومقلديهم من الأولين  
والآخرين إلى يوم القيامة كذلك ، ولم أعرف أحداً سبقني إلى ذلك في سائر الأدوار .

وصنفتها بإشارة أكابر أهل العصر من مشايخ الإسلام وأئمة العصر ، بعد أن  
عرضتها عليهم قبل إثباتها ، وذكرت لهم أنني لا أحب أن أثبتها إلا بعد أن ينظروا  
فيها ، فإن قبلوها أبقيتها ، وإن لم يرتضوها محوتها ، فإني بحمد الله أحب الوفاق

---

(١) يقول سبحانه : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾ الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) اللهم آمين .

(٣) المختلفة .

وأكره الخلاف ، لا سيما في قواعد الدين - ، وإن كان الاختلاف رحمة بقوم آخرين<sup>(١)</sup> ،  
فرحم الله من رأى فيها خللا وأصلحه نصرة للدين .

وكان من أعظم البواعث لي على تأليفها للإخوان فتح باب العمل بما تضمنه  
قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا  
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وليطابقوا في تقليدهم بين قولهم باللسان : إن سائر أئمة المسلمين على هدى من  
ربهم ، وبين اعتقادهم ذلك بالجنان ، ليقوموا بواجب حقوق أئمتهم في الأدب  
معهم ويحوزوا الثواب المرتب على ذلك في الدار الآخرة ؛ ويخرج من قال ذلك منهم  
بلسانه : إن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ولم يعتقد ذلك بقلبه عما هو  
ملتبس به من صفة النفاق الأصغر<sup>(٣)</sup> الذي ذمه رسول الله ﷺ . لا سيما وقد ذم الله  
سبحانه وتعالى منافقي الكفار بنفاقهم زيادة على حصول ذمهم بصفة كفرهم في نحو  
قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومعلوم أن كل ما عابه الله تعالى على الكفار : فالمسلمون أولى بالتنزه عنه ،  
وعما يقرب من شبه صورته ، ويسد المقلدون باب المبادرة إلى الإنكار على من خالف

---

(١) كما جاء في الخير فيما أسند من الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً : « اختلاف أصحابي لكم رحمة » .

(٢) سورة الشورى آية رقم ١٣

(٣) عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف على امتي الشرك الأصغر » قالوا :

وما الشرك الأصغر يا رسول الله . . ؟ قال : « الرياء . يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم :

أذهبوا إلى الذين كنتم ترأفون في الدنيا فانظروا هل يجدون عندهم جزاء » ورواه أحمد بإسناد جيد

وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره الترغيب والترهيب ج ١ ص ٥٨ .

(٤) سورة المائدة آية : ٤١ وقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ آية ١٦٧

قواعد مذاهبهم ممن هو من أهل الاجتهاد في الشريعة ، فإنه على هدى من ربه ، وربما أظهر مستنده<sup>(١)</sup> في مذهبه لمن أنكر عليه ، فأذعن له وخجل من مبادرته إلى الإنكار عليه .

وهذا من جملة مقاصدي بتأليف هذا الكتاب ، والأعمال بالنيات ، « وإنما لكل امرئ ما نوى »<sup>(٢)</sup> .

فاعملوا أيها الإخوان على الوصول إلى ذوق هذه الميزان ، وإياكم والمبادرة إلى إنكارها قبل أن تطالعوا جميع هذه الفصول التي سنقدمها بين يدي الكلام عليها ، أي قبل كتاب الطهارة ، بل ولو أنكرها أحدكم بعد مطالعة فصولها فربما كان معدوراً لغرابتها وقلة وجود ذائق<sup>(٣)</sup> لها من أقرانكم ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

إذا علمت ذلك وأردت أن تعلم ما أوماننا<sup>(٤)</sup> إليه من دخول جميع أقوال<sup>(٥)</sup> المجتهدين ومقلديهم إلى يوم الدين ، في شعاع نور الشريعة المطهرة ، بحيث لا ترى قولاً واحداً منها خارجاً عن الشريعة المطهرة فتأمل وتدبر فيما أرشدك يا أخي إليه ، وذلك : أن تعلم وتحقق يقيناً جازماً : أن الشريعة المطهرة جاءت من حيث شهود الأمر<sup>(٦)</sup> والنهي ، في كل مسألة ذات خلاف على مرتبتين ، تخفيف وتشديد ، لا على مرتبة واحدة - كما يظنه بعض المقلدين ، ولذلك وقع بينهم الخلاف بشهود التناقض ،

---

(١) دليله وحجته .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم فيما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

(٣) مدرك وفاهم المعانيها .

(٤) أشرنا إليه .

(٥) في باب الأئمة .

(٦) عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ سورة الحشر آية رقم ٧ .

ولا خلاف ولا تناقض في نفس الأمر - كما سيأتي إيضاحه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

فإن مجموع الشريعة يرجع إلى أمر<sup>(١)</sup> ونهي ، وكل منهما ينقسم عند العلماء على مرتبتين تخفيف وتشديد .

وأما الحكم الخامس - الذي هو المباح - فهو مستوى الطرفين وقد يرجع بالنية الصالحة إلى قسم المندوب ، وبالنية الفاسدة إلى قسم المكروه ، وهذا مجموع أحكام الشريعة .

وإيضاح ذلك : أن من الأئمة من حمل مطلق الأمر على الوجوب الجازم .

ومنهم من حمله على الندب .

ومنهم من حمل مطلق النهي على التحريم .

ومنهم من حمله على الكراهة .

ثم إن لكل من المرتبتين رجالاً في حال مباشرتهم للتكاليف .

فمن قوي منهم من حيث إيمانه وجسمه خوطب بالعزيمة والتشديد الوارد في الشريعة صريحاً أو المستنبط منها في مذهب ذلك المكلف أو غيره .

ومن ضعف منهم من حيث مرتبة إيمانه أو ضعف جسمه خوطب بالرخصة والتخفيف الوارد كذلك في الشريعة صريحاً أو المستنبط منها في مذهب ذلك المكلف أو مذهب غيره كما أشار إليه قوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> خطاباً عاماً .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢) سورة التغابن آية رقم ١٦

وقوله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » <sup>(١)</sup> أي كذلك ، فلا يؤمر القوي المذكور بالنزول إلى مرتبة الرخصة والتخفيف وهو يقدر على العمل بالعزيمة والتشديد ، لأن ذلك كالتلاعب بالدين كما سيأتي إيضاحه في الفصول الآتية ، إن شاء الله تعالى .

وكذلك لا يكلف الضعيف المذكور بالصعود إلى مرتبة العزيمة والتشديد والعمل بذلك مع عجزه <sup>(٢)</sup> عنه لكن لو تكلف وفعل ذلك لا نمنعه إلا بوجه شرعي .

فالمرتبتان المذكورتان على الترتيب الوجوبي لا على التخيير كما قد يتوهمه بعضهم ، فإياك والغلط ، فليس لمن قدر على استعمال الماء حساً أو شراً أن يتمم بالتراب ، وليس لمن قدر على القيام في الفريضة أن يصلي جالساً ، وليس لمن قدر على الصلاة جالساً أن يصلي على الجنب <sup>(٣)</sup> ، وهكذا في سائر الواجبات ، وكذلك القول في الأفضل من السنن مع المفضل فليس من الأدب أن يفعل المفضل مع قدرته على فعل الأفضل <sup>(٤)</sup> .

فعلم أن المسنونات ترجع إلى مرتبتين كذلك ، فيقدم الأفضل على المفضل ندبا مع القدرة ، ويقدم الأولى شراً على خلاف الأولى ، وإن جاز ترك الأفضل

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث الزهري ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وروي من حديث اسامة بن زيد عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله . . ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ « ولو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم » ، ثم قال : « فزوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

(٢) لأن الله تعالى قال : « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » .

(٣) فإن ذلك لأعذار أباح الشرع لأهلها ذلك دون من سواهم .

(٤) لأن الله يحب معالي الأمور ويكره سفافها .

يقول ﷺ فيما رواه الحسين بن علي عليهما السلام وأخرجه ابن حبان والطبراني في المعجم الكبير : « إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ، ويكره سفافها » .



والمفضول أصالة ، فمن أراد عدم اللوم فلا ينزل إلى المفضول إلا إن عجز عن الأفضل .

فامتحن يا أخي بهذه الميزان جميع الأوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسنة ، وما انبنى وتفرع على ذلك من جميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم إلى يوم الدين ، تجدها كلها لا تخرج عن مرتبتي تخفيف وتشديد ، ولكل منهما رجال كما سبق ، ومن تحقق بما ذكرنا ذوقاً وكشفاً ، كما ذقناه وكشف لنا وجد جميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم داخلية في قواعد الشريعة المطهرة ، ومقتبسة من شعاع نورها ، لا يخرج منها قول واحد عن الشريعة ، وصحت مطابقة قوله باللسان<sup>(١)</sup> : سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم لا اعتقاده ذلك بالجنان .

وعلم جزماً وبقينا أن كل مجتهد مصيب ورجع عن قوله المصيب واحد لا بعينه كما سيأتي إيضاحه في الفصول إن شاء الله تعالى ، وارتفع التناقض والخلاف عنده في أحكام الشريعة وأقوال علمائها ، لأن كلام الله تعالى ورسوله ﷺ يجلب عن التناقض<sup>(٢)</sup> ، وكذلك كلام الأئمة عند من عرف مقدارهم واطلع على منازع أقوالهم ومواضع استنباطاتها ، فما من حكم استنبطه المجتهد إلا وهو متفرع من الكتاب أو السنة ، أو منهما معا ، ولا يقدح في صحة ذلك الحكم الذي استنبطه المجتهد : جهل بعض المقلدين بمواضع استنباطاته .

وكل من شهد في أحاديث الشريعة ، أو أقوال علمائها تناقضاً لا يمكن رده فهو ضعيف النظر ، ولو أنه كان عالماً بالأدلة التي استند إليها المجتهد ومنازع أقواله لحمل كل حديث أو قول ومقابله على حال من احتذى<sup>(٣)</sup> مرتبتي الشريعة .

---

(١) ب إن سائر

(٢) أما بالنسبة لكلام الله فلا نه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ سورة هود آية رقم ١ وأما بالنسبة لرسول الله ﷺ فلا نه معصوم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

سورة النجم آية رقم ٣ - ٤ .

(٣) ب إحدى مرتبتي

فإن من المعلوم أن رسول الله ﷺ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ومقامهم في حضرة الإسلام ، أو الإيمان ، أو الإحسان<sup>(١)</sup> وتأمل يا أخي في قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾<sup>(٢)</sup> الآية ، تحط علما بما قلناه ، وإلا فأين خطابه لأكابر الصحابة من خطابه لأجلاف العرب . . ؟ وأين مقام من بايعه ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره والمعسر والميسر ، ممن طلب أن يبايعه ﷺ على صلاة الصبح والعصر فقطدون غيرهما من الصلوات ودون الزكاة والحج والصيام والجهاد وغيرها ؟ .

وقد تبع الأئمة المجتهدون ومقلدوهم رسول الله ﷺ على ذلك فما وجدوا رسول الله ﷺ شدد فيه عادة شددوا فيه ، أمرا كان أو نهيا ، وما وجدوه خفف فيه خففوا فيه<sup>(٣)</sup> .

فاعتمد يا أخي على اعتقاد ما قررت به وبينته لك في هذه الميزان ، ولا يضرك غرابتها ، فإنها من علوم أهل الله تعالى ، وهي أقرب إلى طريق الأدب مع الأئمة ، مما تعتقده أنت من ترجيح مذهب على مذهب بغير طريق شرعي .

وأين قول من يقول : إن سائر أئمة المسلمين أو الأئمة الأربعة الآن على هدى من ربهم ظاهراً أو باطناً ممن يقول : ثلاثة أرباعهم أو أكثر ، على غير الحق في نفس الأمر . . ؟ .

وإن أردت يا أخي أن تعلم نفاسة هذه الميزان ، وكمال علم ذائقها بالشرعية : من آيات ، وأخبار ، وآثار ، وأقوال ، فاجمع لك أربعة من علماء المذاهب

---

(١) زمن هنا كان تعدد إجابته ﷺ لمن سأل به حين قال لأحد أصحابه يوماً (١) تغضب ، وقال للآخر «أطب مطعمك» ، وقال للثالث : «تسبك في وجه أخيك صدقة» وقال لآخر : «كفى بالموت واعظاً» وهكذا .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٤

(٣) وهذا تمام التأسي به ﷺ الذي عناه القرآن الكريم بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ سورة الأحزاب آية رقم ٢١ .

الأربعة ، وأقرأ عليهم أدلة مذاهبهم ، وأقوال علمائهم ، وتعاليلهم التي سطورها في كتبهم ، وانظر كيف يتجادلون ، ويضعف بعضهم أدلة بعض ، وأقوال بعض ، وتعللوا أصواتهم على بعضهم بعضا ، حتى كان المخالف لقول كل واحد قد خرج عن الشريعة ، ولا يكاد أحدهم يعتقد ذلك الوقت : أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم أبداً .

بخلاف صاحب هذه الميزان : فإنه جالس على منصة في سرور وطمأنينة<sup>(١)</sup> كالسلطان ، حاكم بمرتبة ميزانه على كل قول من أقوالهم ، لا يرى قولاً واحداً من أقوالهم خارجاً عن مرتبة الميزان من تخفيف أو تشديد ، بل يرى الشريعة قابلة لكل ما قالوه لوسعها .

فاعمل يا أخي بهذه الميزان ، وعلمها لإخوانك من طلبة المذاهب الأربعة ، ليحيطوا بها علماً إن لم يصلوا إلى مقام الدوق لها بطريق الكشف كما أشار إليه قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وليفوزوا أيضاً بصحة اعتقادهم في كلام أئمتهم ومقلديهم ويطابقوا بقلوبهم قولهم باللسان : إن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم إن لم يكن ذلك كشفاً وبقينا فليكن إيماناً وتسليماً .

فعليكم أيها الإخوان باحتمال الأذى<sup>(٣)</sup> ممن يجادلکم في صحة هذه الميزان قبل ذوقها ، وقبل أن تحضروه معكم حال قراءتها على علماء المذاهب الأربعة ، فإنه معذور ، لا يكاد يسلم لكم صحتها لغرابتها ، وربما وافق مذاهب الحاضرين هيئة

(١) وهذه منزلة لا يصل إليها إلا من اصطفاهم الله من عباده وقذف في قلوبهم نور علمه وإيمانه .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٥ .

(٣) عملاً بقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ سورة

فصلت آية رقم ٣٤ .

لهم ، ورد المذهب الذي لم يكن أحد من مقلديه حاضرا ، لعدم من ينتصر لذلك المذهب ، وفي ذلك دلالة على مراعاته وجوه المخلوقين ، نسأل الله العافية . وبما قررناه لك يا أخي انتهت الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية نفع الله بها المسلمين .

وقد حبيب لي أن أذكر لك يا أخي قاعدة هي كالمقدمة لفهم هذه الميزان ، بل هي من أقرب الطرق إلى التسليم لها ، وذلك أن تبني أساس نظرك أولا على الإيمان بأن الله تعالى هو العالم بكل شيء ، والحكيم في كل شيء ، أزلا وأبدا لما أبدع هذا العالم ، وأحكم أحواله ، وميز شؤونه ، وأتقن كماله أظهره على ما هو مشاهد من الاختلاف الذي لا يمكن حصره ، ولا ينضبط أمره متغيرا في الأمزجة والتراكيب ، مختلفا في الأحوال والأساليب على حكم ما سبق به علم الله القديم ، وعلى وفق ما نفذت به إرادة العليم الحكيم ، فجاء على هذه الأوضاع والتأليف ، واستقر أمره على ما لا تنتهي إليه غاياته من الشؤون والتصاريف ، وكان من جملة بديع حكمته ، وعظيم آلائه ، وعميم رحمته أن قسم عباده إلى قسمين : شقي وسعيد<sup>(١)</sup> واستعمل كلا منهما فيما خلق<sup>(٢)</sup> له من متعلق الوعد أو الوعيد ، وأوجد لكل منهما في هذه الدار بحكم عدله وسعة أفضاله ، ما يصلح لشأنه في حاله ومآله من محسوسات صورها ، ومعنويات قدرها ، ومصنوعات أبدعها ، وأحكام شرعها ، وحدود وضعها ، وشؤون أبدعها ، فتمت بذلك أمور المحدثات ، وانعقد بذلك نظام الكائنات ، وكمل بذلك شأن الزمان والمكان ، حتى قيل : إنه ليس في الامكان أبدع مما

---

(١) روى الإمام البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون من ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

(٢) كما قال ﷺ « كلٌ ميسر لما خلق له » .

كان<sup>(١)</sup> ؛ قال تعالى في كتابه القديم :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> . على أنه سبحانه وتعالى لم يجعل كل نافع نافعاً مطلقاً ، ولا كل ضرار ضراراً مطلقاً ، بل ربما نفع هذا ما ضر هذا وضر هذا ما نفع هذا وربما ضر هذا في وقت ما نفعه في وقت آخر ونفع هذا في وقت ما ضره في وقت آخر كما هو مشاهد في الموجودات الحسية والمدرجات المعنوية لمعان جلت عن الإدراك بالأفكار وأسرار خفيت إلا على من أرادته عالم الأسرار<sup>(٣)</sup> ؛ ومن هنا يتحقق أن كلا ميسر لما خلق له ، وأن ذلك إنما هو لإتمام شؤون الأولين والآخرين ، وإن الله هو الغني عن العالمين .

وحيث تقررت لك يا أخي هذه القاعدة العظيمة علمت أن الله تعالى لم يكرر بسعيد من حيثما كلفه أبداً ، وأن اختلاف أئمة هذه الأمة في فروع الدين أحمد عاقبة وأقوم رشداً ، وأن الله تعالى لم يخلقنا عبثاً ولم ينوع لنا التكليف سدى . بل لم يلهم أحداً من المكلفين العمل بأمر من أمور الدين ، تعبده به على لسان أحد من المرسلين ، أو على لسان إمام من أئمة الهدى المجتهدين ، إلا وفي العمل به على وجهه في ذلك الوقت أعلى مراتب سعادة ذلك المكلف المقسومة له حينئذ واللائقة بحاله ، ولا يصرفه عن العمل بقول إمام من أئمة الهدى إلى العمل بقول إمام آخر منهم إلا وفيما صرفه عنه انحطاط في ذلك الوقت عن الأكمل في درجته اللائقة به رحمة منه سبحانه

(١) تنسب هذه المقالة إلى حجة الاسلام الغزالي ولكنها تظهر في أهدافها عند المعتزلة والفلاسفة ابن سينا والفارابي وإن لم تكن بالنص وقد اثارَت نسبتها الى الغزالي اتهامات ضده اقل هذه الاتهامات انه زنديق فالف ابن المنير السكندري كتاباً ضده وشنع عليه حتى اتهمه بالكفر والزندقة ، وقد رد عليه الكثيرون في كتب عديدة مثل السهروردي والبقاعي والجلال السيوطي وبرءوا الرجل مما نسب اليه ومن الكتب الجامعة في هذا الموضوع كتاب الابريز لسيدي أحمد المبارك وفيه محاولة جادة لالقاء الضوء على هذا الموضوع .

(٢) سورة التين آية رقم ٤ .

(٣) وصدق الله العظيم : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية (٢١٦) .

وتعالى بأهل قبضة السعادة ، ورعاية للحظ الأوفر لهم في دينهم ودنياهم ، كما يلاطف الطبيب الحبيب ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ (١) وهو القريب المجيب ، لا سيما وهو الفاعل المختار (٢) في الأموات والأحياء ، والمدبر المريد لكل شيء من سائر الأشياء .

فانظر يا أخي إلى حسن هذه القاعدة ووضوحها ، وكم أزال من اشكالات معجمة ، وأفادت من أحكام محكمة ، فإنك إذا نظرت فيها بعين الإنصاف (٣) ، تحققت بصحة الاعتقاد أن سائر الأئمة الأربعة ومقلديهم ، رضي الله عنهم أجمعين ، على هدى من ربهم في ظاهر الأمر وباطنه ، ولم تعترض قط على من تمسك بمذهب من مذاهبهم ، ولا على من انتقل من مذهب منها إلى مذهب ، ولا على من قلد غير إمامه منهم في أوقات الضرورات (٤) ، لاعتقادك يقينا أن مذاهبهم كلها داخلية في سياج الشريعة المطهرة ، كما سيأتي إيضاحه ، وأن الشريعة المطهرة جاءت شريعة سمحاء واسعة شاملة ، قابلة لسائر أقوال أئمة الهدى من هذه الأمة المحمدية ، وأن كلا منهم - فيما هو عليه في نفسه - على بصيرة من أمره وعلى صراط مستقيم ، وأن اختلافهم إنما هو رحمة بالأمة ، نشأ عن تدبير العليم الحكيم ، فعلم سبحانه وتعالى أن مصلحة البدن والدين والدنيا عنده تعالى لهذا العبد المؤمن في كذا ، فأوجده له لطفاً منه (٥) بعباده المؤمنين ، إذ هو العالم بالأحوال قبل تكوينها ، فالؤمن الكامل يؤمن ظاهراً وباطناً أن الله تعالى لو لم يعلم أزلاً أن الأصلح عنده تعالى لعباده المؤمنين انقسامهم على نحو هذه المذاهب لما أوجدها لهم وأقرهم عليها بل كان يحملهم على أمر واحد لا يجوز لهم العدول عنه إلى غيره كما حرم الاختلاف في أصل الدين بنحو قوله تعالى .

---

(١) سورة النحل آية رقم ٦٠

(٢) يقول سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ سورة القصص آية رقم ٦٨ .

(٣) الحق والعدل .

(٤) إذ إن كلهم من رسول الله ملتصقون .

(٥) يقول سبحانه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ سورة الشورى آية رقم

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١) .

فافهم ذلك فإنه نفيس ، واحذر أن يشتبه عليك الحال فتجعل الاختلاف في الفروع كالاختلاف في الأصول ، فتزل بك القدم في مهواة من التلف .

فإن السنة التي هي قاضية عندنا على ما نفهمه من الكتاب ، مصرحة : بأن اختلاف هذه الأمة رحمة ، بقوله ﷺ ، وهو يعد خصائصه في أمته ما من معناه :

وجعل اختلاف أمتي رحمة وكان فيمن قبلنا عذاباً (٢) اهـ . وزجماً يقال : إن الله تعالى لما علم ألا أن الأحظ والأصلح عنده تعالى لهذا العبد المؤمن في إتمام دينه التطهر بالماء الجاري مثلاً ، لاستحقاق حال مثله التطهر بما هو أشد في إحياء الأعضاء لأمر يقتضي ذلك ، أوجد له إماماً أفهمه عنه إطلاق القول بعدم صحة الطهارة بسوى ذلك الماء في حق كل أحد ، فكان أنعش لهمة وألهمه تقليده ، ليلتزم ما هو الأحوط في حقه رحمة به . .

ولما علم الله سبحانه وتعالى أن الأحظ والأصلح عنده تعالى أيضاً لهذا العبد المؤمن تجديد وضوئه (٣) ، إذا كان متوضئاً ، وصمم العزم على فعل ينتقض به الوضوء لانتقاض وضوئه الأول بنفس ذلك العزم لأمر يقتضي ذلك ، أوجد له إمام هدى

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣

(٢) قال في المقاصد رواه البيهقي في المداخل بسند منقطع عن ابن عباس ، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ «اختلاف أمتي رحمة للناس» ، وذكره الخطائي في غريب الحديث ، وقال النووي في شرح مسلم ولا يلزم من كون الشيء رحمة أن يكون ضده عذاباً ولا يلزم هذا ولا يذكره الا جاهل او متجاهل ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلْتُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ سورة القصص الآية (٧٣) فسمى الليل رحمة ولا يلزم من ذلك ان يكون النهار عذاباً « انتهى » .

كشف الخفاج ١ ص ٦٦

(٣) وفي الأثر : « الوضوء على الوضوء سنة » .

أفهمه عند اطلاق القول بوجوب ذلك في حق كل أحد ، وألهمه التقليد له ليلتزم ما هو الأولى في حقه .

ولما علم سبحانه وتعالى أن الأحظ والأصلح عنده تعالى أيضا لهذا العبد المؤمن التنزه الكلي عن مباشرة ما خامر الكلب مثلاً ولو بغير فمه من المائعات الشاملة للماء القليل ، والغسل من ذلك سبعا إحداها بتراب<sup>(١)</sup> لأمر يقتضي ذلك أوجد له إمام هدى أفهمه عند اطلاق القول بوجوب ذلك في حق كل أحد وألهمه التقليد له ليلتزم ما هو الأولى في حقه أيضاً .

ولما علم سبحانه وتعالى أن الأحظ والأصلح عنده تعالى لهذا العبد المؤمن أن يتمضمض ويستنشق مثلاً في كل وضوء لأمر يقتضي ذلك أوجد له إمام هدى أفهمه عند إطلاق القول بوجوب ذلك في حق كل أحد، وألهمه التقليد له ليلتزم ما هو الأولى في حقه .

وهكذا القول في سائر الأحكام ، فما من سبيل من سُبُل الهدى إلا ولها أهل في علمه سبحانه وتعالى ، أرشدتهم إليها بطريق من طرق الإرشاد الصريحة أو الإلهامية .

كما أنه سبحانه وتعالى يسر ظهور هذه الميزان لما علم أولاً أن الأحظ والأصلح عنده تعالى لمؤلفها ، ومن وافقه في مقامه ، وأخلاقه ، وأحواله ، أن يكشف له عن عين الشريعة الكبرى التي يتفرع منها سائر منازع مذاهب المجتهدين ، ومواد أقوالهم ليرى ويطلع على جميع محال مأخذهم لها<sup>(٢)</sup> عن طريق الكتاب والسنة اطلعه الله سبحانه وتعالى عليها كذلك ليلتزم ما هو الأولى في حقه من كونه يقرر سائر مذاهب

---

(٢) نص الحديث : «إذا ولغ الكلب في إناء أحكم فليفسله سبعا إحداهن بالتراب» رواه البزار بإسناد حسن عن أبي هريرة ، ورواه أحمد والنسائي بلفظ أولاهن بالتراب ورواه مسلم وإبوداود بلفظ : «طهور إناء أحكم إذا ولغ فيه الكلب أن يفسله سبع مرات أولاهن بالتراب» ، وعند الشافعي بلفظ أولاهن أو أخراهن بالتراب كشف الخفا ج ١ ص ١١٣ .

(٢) وهذا يعني التقليد الصحيح بالأئمة والأخذ بأقوالهم وأفعالهم .

(٣) ب : من



الأئمة بحق وصدق ، وليكون فاتحاً لاتباعه باب صحة الاعتقاد في أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ، كما سيأتي ايضاحه فضلاً من الله ونعمة : ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

ولا يقال لم لا سوى الحق تعالى<sup>(٢)</sup> مثلاً . ؟ لأن ذلك كالاكتراض على ما سبق به العلم الالهي<sup>(٣)</sup> .

ثم اعلم : أن اختصاص كل طائفة من هذه الأمة بحكم من أحكام الشريعة في علم الله تعالى ربما يكون طريقاً لترقيهم إلى أعلى<sup>(٤)</sup> بما هم عليه ، وربما يكون حفظاً لمقامهم عن النقص .

ويصح أن يقال إن التكاليف كلها إنما هي للترقي دائماً في حق من أتى<sup>(٥)</sup> على وجهها ، إذ اعتقادنا أن القائمين بما كلفوا به آخذون في الترقى مع الأنفاس ، لأن الله تعالى ، لا تنتهي مواهبه أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، والله واسع عليم .

فقد بان لك يا أخي بهذه القاعدة العظيمة التي ربما يكون عليها مدار هذه الميزان الكريمة ، التي ربما لم تسمح قريحة بمثلها ، أن هذه الميزان الشعرانية مدخلة لجميع مذاهب المجتهدين من أئمة الهدى ومقلديهم في الشريعة المحمدية ، نفع الله بها المسلمين .

واعلم يا أخي : أنني لما شرعت في تعليم هذه الميزان للإخوان لم يتعللوا حتى جمعت لهم على قراءتها جملة من علماء المذاهب الأربعة ، فهناك اعترفوا بفضلها كما اعترف به<sup>(٦)</sup> علماء المذاهب المذكورون<sup>(٧)</sup> حين رأوها توجه جميع أقوال مذاهبهم ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٣

(٢) ب بينهم بقدرته وجعلهم على حالة واحدة أو لم لا أفهم كل مقلد عن إمامه عدم اطلاق ذلك الحكم في حق كل أحد مثلاً

وهذا لا يتفق مع التفويض المطلق الذي أمر به سبحانه : ﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ .

(٣) ب . . ما هم عليه (٥) ب اتى بها على وجهها

(٦) أي الفضل إذ أن عادة الإمام الشعراني جرت على استعمال الميزان مؤثراً لما سبق أن ذكرنا .

(٧) أي من علماء الأئمة الأربعة .

وقد وصلوا في قراءتها وتحريرها إلى باب - ما يحرم من النكاح - ونرجو من فضل الله ، إتمام قراءتها عليهم إلى آخر أبواب الفقه ، وذلك بعد أن سألتوني في إيضاحه بعبارة أوسع من هذه العبارة المتقدمة ، وإيصال معرفتها إلى قلوبهم ، ذوقاً من غير سلوك في طريق الرياضة على قواعد أهل الطريق فكأنهم حملوني بذلك جميع جبال الدنيا على ظهري ، مع ضعف جسدي فصرت كلما أوضحت لهم الجمع بين حديثين أو قولين<sup>(١)</sup> في باب ، يأتوني بحديث أو قول في باب آخر يناقض عندهم مقابله ، فحصل لي منهم تعب شديد ، وكأنهم جمعوا لي سائر العلماء الذين يقولون بقولهم في سائر الأدوار من المتقدمين والمتأخرين إلى يوم الدين ، وقالوا لي : جادل هؤلاء كلهم ، واجعلهم يرون جميع المذاهب المدرسة والمستعملة كلها صحيحة لا ترجيح فيها للمذهب على مذهب لا غترافها كلها من عين الشريعة المطهرة ، وذلك من أصعب ما يتحمله الغارفون بأسرار أحكام الله تعالى ؛

ثم إنني استخرت<sup>(٢)</sup> الله تعالى وأجبتهم إلى سؤالهم في إيضاح الميزان بهذا المؤلف الذي لا أعتقد أن أحداً سبقني إليه من أئمة الإسلام ، وسلكت فيه نهاية ما أعلم ميسر الحاجة إليه ، من البسط والإيضاح لمعانيها ، ونزلت أحاديث الشريعة التي قيل بتناقضها<sup>(٣)</sup> ، وما أنبى على ذلك من جميع أقوال المجتهدين ومقلديهم ، في سائر أبواب الفقه ، من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه ، على مرتبتي الشريعة من تخفيف وتشديد ، حتى لم يبق عندهم في الشريعة تناقض ، تأنيساً لهم ، فإنها ميزان لا يكاد الإنسان يرى لها ذائفاً من أهل عصره ؛

(١) يفيد ظاهرهما التعارض

(٢) تمشياً على سن رسول الله ﷺ واقتداءً به لما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : ( كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول لهم « إذا هم أحدكم بالأمر ليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك . . . » الحديث رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٣) وذلك بالجمع بينها والتوفيق بين ما تعارض منها ظاهراً .

وقدّمت على ذلك عدة فصول نافعة هي كالشرح لما أشكل من ألفاظها عليهم ، أو كالدلهيز الذي يتوصل منه إلى صدر الدار ، وبعضها مشتمل على ذكر أمثلة محسوسة تقرب على العقل كيفية تفريع جميع المذاهب من عين الشريعة الكبرى ، وكيفية اتصال أقوال آخر أدوار المقلدين بأول أدوارهم ، الذي هو مأخوذ من حضرة الوحي الإلهي ، من عرش ، إلى كرسي ، إلى قلم ، إلى لوح ، إلى حضرة جبريل عليه السلام ، إلى حضرة سيدنا محمد ﷺ ، إلى الصحابة ، إلى التابعين ، إلى تابع التابعين إلى الأئمة المجتهدين ومقلديهم إلى يوم الدين .

وعلى بيان شجرة وشبكة ، ودائرة وبحر ، يعلم الناظر فيها إذا تأمل أن جميع أقوال الأئمة لا يخرج شيء منها عن الشريعة .

وعلى بيان أن جميع الأئمة المجتهدين يشفعون في أتباعهم ويلاحظونهم في جميع شدائدهم : في الدنيا ، والبرزخ<sup>(١)</sup> ، ويوم القيامة ، حتى يجاوز<sup>(٢)</sup> الصراط .

وعلى بيان أن كل مذهب سلكه المقلد وعمل به على وجه الإخلاص أوصله إلى باب الجنة .

وعلى بيان قرب منازل الأئمة على نهر الحياة من منزل رسول الله ﷺ ، كما أعطاه الكشف .

وعلى بيان ذم الرأي ، وبيان تبري جميع الأئمة من القول به في دين الله عز وجل ، لا سيما الإمام الأعظم أبو حنيفة<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه ، خلاف ما يظنه بعضهم به .

---

(١) البرزخ : هو الحاجز بين الشيتين وهو تارة قدرة الله تعالى ، وتارة بقدرة الله تعالى والبرزخ من وقت الموت الى القيامة من مات دخله ، وبرازخ الايمان ما بين اوله وآخره والبرزخ في القيامة الحائل بين الانسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة وذلك اشارة الى العقبة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ ﴾ . سورة البلد آية رقم ١١ .

(٢) يمر عليه ويقطعه

(٣) راجع ترجمة الإمام أبي حنيفة ص ١٠٨ .

وختمت أبواب الفقه بخاتمة نفيسة ، مشتملة على بيان سبب مشروعية جميع التكاليف ، وهو : أن أحكام الدين الخمسة نزلت من الأملاك السماوية ؛ فأكرم بها من ميزان ، لا أعلم أحداً سبقني إلى وضع مثلها ، وكل من تحقق بذوقها دخل في نعيم الأبد ، وصار يقرر جميع مذاهب المجتهدين وأقوال مقلديهم ، ويقوم في تقرير ذلك مقامهم ، حتى كأنه صاحب ذلك المذهب ، أو القول العارف بدليله ، وموضع استنباطه ، وصار لا يجد شيئاً من أقوال الأئمة ومقلديهم إلا وهو مستند إلى آية ، أو حديث ، أو أثر ، أو إجماع ، أو قياس صحيح ، على أصل صحيح ، كما سيأتي ايضاحه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) .

وأسأل الله تعالى - من فضله - أن يحمي هذا الكتاب من كل عدو وحاسد ، يدس (٢) فيه ما ليس من كلامي ، مما يخالف ظاهر الشريعة لينفر الناس (٣) من مطالعته ، كما وقع لي ذلك مع بعض الأعداء ، فانهم دسوا في كتابي المسمى « بالبحر المورود » في الموائيق والعهود - أموراً تخالف ظاهر الشريعة وداروا بها في الجامع الأزهر وغيره ، وحصل بذلك فتنة عظيمة ، وما خمدت الفتنة حتى أرسلت لهم نسختي التي عليها خطوط العلماء ففتشتها العلماء فلم يجدوا فيها شيئاً مما يخالف ظاهر الشريعة مما دسه الأعداء ، فالله تعالى يغفر (٤) لهم ويسامحهم والحمد لله رب العالمين .

ولنشرع في ذكر الفصول الموضحة للميزان فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ٤

(٢) يضع فيه ما ليس منه .

(٣) ب عن مطالعته

(٤) أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة عند صدوره ، وكان هذا مدعاة إلى أن يضع في كتبه دائماً ما يؤكد به أنه سني محمدي لا يخرج عن الشريعة قيد أنملة .

(٥) وبهذا الدعاء أثر الإمام الشعراني الاقتداء برسول الله ﷺ في أخلاقه « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » أثر ذلك عن الدعاء بالانتقام من أعدائه ، فرضوان الله عليه .

## فصل

إن قال قائل : إن حملك جميع أقوال الأئمة المجتهدين على حالتين يرفع الخلاف ، ومعلوم أن الخلاف إذا تحقق بين عالين مثلاً لا يرتفع بالحمل ؟ .

فالجواب : الأمر كذلك لكن عند كل من لم يتحقق بذوق هذه الميزان ، أما من تحققها وحمل الحديثين أو القولين على حالين فإن الخلاف يرتفع عنده كما سيأتي إيضاحه في الفصول الآتية :

فاحمل يا أخي قول من قال : إن الخلاف المحقق بين طائفتين لا يرتفع بالحمل على حالين ، على حال من لم يتعقل هذه الميزان ، واحمل قول من قال : إن الخلاف يرتفع بالحمل المذكور على من يتعقلها<sup>(١)</sup> ، لأنه لا يرى بين أقوال أهل الله تعالى خلافاً محققاً أبداً ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ب . على من تعقلها

## فصل

إياك يا أخي أن تبادر أول سماعك لمرتبتني الميزان إلى فهم كون المرتبتين على التخيير مطلقاً حتى إن المكلف يكون مخيراً بين فعل الرخصة والعزيمة في أي حكم<sup>(١)</sup> شاء ، فقد قدمنا لك أن المرتبتين على الترتيب الوجوبي ، لا على التخيير بشرطه الآتي في أوائل الفصل السابع عند الاستثناء ، وأنه ليس الأولى لمن قدر على فعل العزيمة أن ينزل إلى فعل الرخصة الجائزة<sup>(٢)</sup> .

وقد دخل<sup>(٣)</sup> بعض طلبة العلم وأنا أقرر في أدلة المذاهب وأقوال علمائها ، فتوهم أنني أقرر ذلك للطلبة على وجه التخيير بين فعل العزيمة والرخصة ، من حيث أن جميع الأئمة على هدى من ربهم فصار يحط عليّ ويقول : إن فلانا لا يتقيد بمذهب - أي على طريق الذم والنقص لي ، لا على طريق وسع اطلاعي على أدلة الأئمة ؛ فالله تعالى يغفر له ، لعذره بعدم تعقل هذه الميزان الغريبة .

ويكون على علم جميع الإخوان أنني ما قررت مذهبا من مذاهب الأئمة إلا بعد اطلاعي على أدلة صاحبه ، لا على وجه حسن الظن<sup>(٤)</sup> به والتسليم له فقط ، كما

---

(١) إذ إن الرخصة بالتخفيف للضعيف ، والعزيمة بالتشديد على القوى كما سبق

(٢) فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، واتخاذ الرخص دون وجه يعدّ حيلة مكروهه ، كما صرح بذلك السادة الفقهاء .

(٣) ب وقد دخل عليّ بعض .

(٤) فإن طريق التخمين والظن لا يوثق بها في العمل بالأحكام الشرعية المفروضة كالصلاة والزكاة والصيام الخ

يفعله بعضهم ، ومن شك في قولي هذا فليُنظر في كتابي المسمى - « بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين »<sup>(١)</sup> - فإنه يعرف صدقي يقينا .

وإنما لم اكتف بنسبة القول إلى الأئمة من غير اطلاعي على دليله ، لأن أحدهم قد يرجع عنه ، بخلاف ما إذا عرفت الأدلة في ذلك من كتاب أو سنة مثلاً فإنه لا يصح مني رجوع عن تقرير ذلك المذهب ، كما يعرف ذلك من اطلع على توجيهي لكلام الأئمة الآتي من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه ، فإنني وجهت في هذه الميزان ما يقاس عليه جميع الأقوال المستعملة والمندرسة ، وعلمت أن الذين آمنوا<sup>(٢)</sup> بتلك المذاهب ، ودانوا لله بها وأفتوا بها الناس إلى أن ماتوا ، كانوا على هدى من ربهم فيها ، عكس من يقولون : إنهم كانوا في ذلك على خطأ .

فقد علمت يا أخي أنني لا أقول : بتخيير المكلف بين العمل بالرخصة والعزيمة مع القدرة على فعل العزيمة المتعينة عليه ، معاذ الله أن أقول بذلك فإنه كالتلاعب بالدين كما مر في الميزان ، إنما تكون الرخصة للعاجز عن فعل العزيمة المذكورة قطعاً ، لأنه حينئذ تصير الرخصة المذكورة في حقه عزيمة<sup>(٣)</sup> .

بل أقول : إن من الواجب على كل مقلد من طريق الإنصاف أن لا يعمل برخصة قال بها إمام مذهبه إلا إن كان من أهلها<sup>(٤)</sup> ، وأنه يجب عليه العمل بالعزيمة التي قال بها غير إمامه<sup>(٥)</sup> ، حيث قدر عليها ، لأن الحكم راجع إلى كلام الشارع بالأصالة لا إلى كلام غيره ، لا سيما إن كان دليل الغير أقوى ، خلاف ما عليه بعض المقلدين ، حتى إنه قال لي :

لو وجدت حديثاً في البخاري ومسلم لم يأخذ به إمامي لا أعمل به .

---

(١) ذكر هذا الكتاب في الميزان وذكر أيضاً في كتاب الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ولكن بالرغم من كثرة البحث والتتبع فلم نثر على هذا الكتاب

(٢) ب أن الذين عملوا بتلك المذاهب

(٣) ولأنه رفع عنه الحرج بعجزه: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج...» .

(٤) يعني ثبت عجزه وتعين ما يبيح له الرخصة المذكورة .

(٥) ما لم يتحقق بما يرخص له

وذلك جهل منه بالشرعية ، وأول من يتبرأ منه إمامه ، وكان من الواجب عليه حمل إمامه على أنه لم يظفر<sup>(١)</sup> بذلك الحديث ، أولم يصح عنده كما سيأتي إيضاحه في الفصول إن شاء الله تعالى ، إذ لم أظفر بحديث مما اتفق عليه الشيخان قال بضعفه أحد ممن يعتد بتضعيفه أبدا .

وفي كلام القوم : لا ينبغي لأحد العمل بالقول المرجوح إلا إن كان أحوط في الدين من القول الأرجح ، كالقول بنقض<sup>(٢)</sup> الطهارة عند الشافعية<sup>(٣)</sup> بلمس الصغيرة والشعر والظفر ، فإن هذا القول - وإن كان عندهم ضعيفا فهو - أحوط في الدين فكان الوضوء منه<sup>(٤)</sup> أولى انتهى . وصاحب الذوق لهذه الميزان يرى جميع مذاهب الأئمة المجتهدين ، وأقوال مقلديهم ، كأنهم شريعة واحدة لشخص واحد ، لكنها ذات مرتبتين ، كل من عمل بمرتبة منهما بشرطها أصاب ، كما سيأتي إيضاحه في الفصول إن شاء الله تعالى .

وقد اطلعني الله تعالى - من طريق الإلهام - على دليل لقول الإمام داود الظاهري<sup>(٥)</sup> رضي الله عنه ، ينقض الطهارة بلمس الصغيرة التي لا تشتهي ، وهو أن الله تعالى أطلق اسم النساء على الأطفال في قوله تعالى في قصة فرعون :

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومعلوم أن فرعون إنما كان يستحي الأنثى عقب ولادتها ، فكما أطلق الحق تعالى اسم النساء على الأنثى في قصة الذبح فكذلك يكون الحكم في قوله تعالى :

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾<sup>(٧)</sup> .

---

(١) يعني أن الأولى له أن يعمل بالحديث الصحيح ولو لم يعمل به إمامه معللا ذلك أن إمامه لم يسمع بهذا الحديث أو سمع به ولم تثبت له صحته .

(٢) المراد بالطهارة هنا الوضوء .

(٣) أتباع الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب أحد المذاهب الأربعة عند أهل السنة .

(٤) خلافا لما قال به مذهب أبو حنيفة رضي الله عنه وغيره من المذاهب .

(٥) راجع ترجمة الإمام داود الظاهري صاحب المذهب المعروف ص/١٤٦ .

(٦) سورة القصص آية رقم ٤

(٧) سورة المائدة آية رقم ٦



بالقياس على حد سواء وهو استنباط حسن لم أجده لغيري ، فإنه يحمل<sup>(١)</sup> علة  
النقص الأنوثة من حيث هي بقطع النظر عن كونها تشتهي أو لا تشتهي .  
فقس عليه يا أخي كل ما لم تطلع له - من كلام الأئمة - على دليل صريح في  
الكتاب أو السنة ، وإياك أن ترد كلام أحد من الأئمة أو تضعفه بفهمك ، فإن فهمك  
إذا قرن بفهم أحد من الأئمة المجتهدين كان كالهباء والله أعلم .

---

(١) ب يحمل

## فصل

فإن قال قائل : فهل يجب عندكم<sup>(١)</sup> على المقلد العمل بالأرجح من القولين أو الوجهين في مذهبه ما دام لم يصل الى معرفة هذه الميزان من طريق الدوق والكشف . . ؟ .

فالجواب : نعم يجب عليه ذلك ، ما دام لم يصل الى مقام الدوق لهذه الميزان كما عليه عمل الناس في كل عصر ، بخلاف ما إذا وصل الى مقام الدوق لهذه الميزان المذكورة ، ورأى جميع أقوال العلماء ، وبحور علومهم تتفجر من عين الشريعة الأولى ، تبتدىء منها وتنتهي إليها ، كما سيأتي بيانه في فصل الامثلة المحسوسة ، لاتصال أقوال العلماء كلهم بعين الشريعة الكبرى ، في مشهد صاحب هذا المقام ، فإن من اطلع على ذلك من طريق كشفه رأى جميع المذاهب وأقوال علمائها متصلة بعين الشريعة وشارعة إليها ، كاتصال الكف بالأصابع والظل بالشاخص<sup>(٢)</sup> .

ومثل هذا لا يؤمر بالتعبد بمذهب معين ، لشهوده تساوي المذاهب في الاخذ من عين الشريعة ، وأنه ليس بمذهب أولى بالشريعة من مذهب ، لأن كل مذهب عنده متفرع من عين الشريعة كما تتفرع عيون شبكة الصياد في سائر الادوار من العين الاولى منها ، ولو أن أحدا أكرهه على التقيد لا يتقيد كما سيأتي ايضاحه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى .

وصاحب هذا الكشف قد ساوى المجتهدين في مقام اليقين ، وربما زاد على

---

(١) أي عند الشافعية إذ إن الإمام الشعراني وهو المسؤول كان شافعي المذهب .

(٢) الشخص : سواد الإنسان تراه من بعد . انظر المصباح فصل الشين مع الخاء .

بعضهم ، لاغتراف علمه من عين الشريعة ، ولا يحتاج الى تحصيل آلات الاجتهاد التي شرطوها في حق المجتهدين<sup>(١)</sup> ، فحكمه حكم الجاهل بطريق البحر إذا ورد مع عالم بها ليملاً سقاه منه فلا فرق بين الماء الذي يأخذه العالم ولا بين الماء الذي يأخذه الجاهل .

هذا حكم جميع أهل هذه الميزان فيما صرحت به الشريعة من الأحكام ، بخلاف ما لم تصرح به ، إذا أراد الانسان استخراجاً من آية أو حديث فإنه يحتاج الى معرفة الآلات من نحو وأصول ومعان<sup>(٢)</sup> وغير ذلك ، كما بيناه في كتابنا المسمى « بمفحم الأكباد في بيان موارد الاجتهاد »<sup>(٣)</sup> وهو مجلد ضخمة فراجع إن شئت والحمد لله رب العالمين .

---

(١) إذ إنه لا اجتهاد مع النص : وحديث معاذ رضي الله عنه حينما بعثه الرسول ﷺ الى اليمن خير دليل على ذلك .

(٢) يعني اللغة العربية ، وأصول الفقه ، والمعاني البلاغية .

(٣) لم نعرض على هذا الكتاب أيضاً ولم يشر إليه «بروكلمان» في القائمة التي اثبتها لإمامنا ، وكذلك صاحب كتاب المناقب الكبرى ، ونرجع أن هذا الكتاب فقد مع الكثير من كتب إمامنا الشعراني .

## فصل

فإن قال قائل : إن أحداً لا يحتاج إلى ذوق مثل هذه الميزان ، في طريق صحة اعتقاده أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم بل يكفي اعتقاده تسليماً وإيماناً كما عليه عمل غالب طلبة العلم في سائر الأعصار ؟

فالجواب : قد قدمنا لك في الميزان أن التسليم للأئمة هو أدنى درجات العبد في اعتقاده صحة أقوال الأئمة . وإنما مرادنا بهذه الميزان ما هو أرقى من ذلك فيطلع المقلد على ما اطلع عليه الأئمة ، ويأخذ بعلمه من حيث أخذوا ، إما من طريق النظر<sup>(١)</sup> والاستدلال ، وإما من طريق الكشف<sup>(٢)</sup> والعيان .

وقد كان الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه يقول :

( خذوا علمكم من حيث أخذه الأئمة . ولا تقنعوا بالتقليد ، فإن ذلك عمى في البصيرة ) . انتهى .

وسياتي بسط ذلك في فصل ذم الأئمة<sup>(٤)</sup> للقول بالرأي في دين الله ، إن شاء الله

---

(١) من علوم الشريعة .

(٢) من علوم الحقيقة .

(٣) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ، وقد كان مقام الاسرة أولاً بخرسان حيث كان جده والياً على «سرخس» من ولاياتها ، ثم كان أبوه قائداً من قواد المسلمين ، وولد ابن حنبل في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤ وقد كانت ولادته ببغداد ، وهو عربي النسب من جهة أبيه ومن جهة أمه إذ ينتهيان إلى قبيلة شيان وهي قبيلة ربيعة عدنانية تلتقي مع النبي ﷺ في نزار بن معد ومن أشهر كتبه «المسند في السنة»

(٤) القول بالرأي في دين الله مذموم يقول سيدنا علي رضي الله عنه . ( لو كان الدين بالرأي لكان =

تعالى فراجعهم .

فإن قلت : فلاي شيء لم يوجب العلماء بالله تعالى العمل بما أخذه العالم من طريق الكشف مع كونه ملحقاتاً بالنصوص في الصحة عند بعضهم ؟ .

فالجواب : ليس عدم إيجاب العلماء العمل بعلوم الكشف من حيث ضعفها ونقصها عما أخذه العالم من طريق النقل الظاهر ، وإنما ذلك للإستغناء عن عده في الموجبات بصرائح أدلة الكتاب والسنة عند القطع بصحته ، أي ذلك الكشف فإنه حينئذ لا يكون إلا موافقا لها ، أما عند عدم القطع بصحته فمن حيث عدم عصمة الآخذ لذلك العلم ، فقد يكون دخل كشفه للتبليس من إبليس ، فإن الله تعالى قد أقدر إبليس كما قال الغزالي (١) وغيره : على أن يقيم للمكاشف صورة المحل الذي يأخذ علمه منه من سماء ، أو عرش ، أو كرسي ، أو قلم ، أو لوح ، فربما ظن المكاشف أن ذلك العلم عن الله ، فأخذ به فضل وأضل .

فمن هنا أوجبوا على المكاشف انه يعرض ما أخذه من العلم من طريق كشفه على الكتاب والسنة (٢) قبل العمل به ، فإن وافق فذاك وإلا حرم عليه العمل به .

---

= أسفل الخف اولى بالمسح من أعلاه ، وقد رايت رسول الله ﷺ إذا مسح لا يمسه إلا على ظاهر الخفين .

(١) الغزالي ١٠٥٩ الى ١١١١ م

فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوف ومصلح ديني واجتماعي وصاحب رسالة روحية ، ولد بطوس في اعمال خراسان ودرس علوم الفقهاء وعلم الكلام على إمام الحرمين وعلوم الفلاسفة وعلوم الباطنية واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية وارتحل إلى دمشق وبيت المقدس والقاهرة ومكة والمدينة وانقطع للعبادة . من مؤلفاته : احياء علوم الدين - ومقاصد الفلاسفة - والمنقذ من الضلال

(٢) يقول أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد :

(من لم يزن أفعاله وأحواله من كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا تعده في ديوان الرجال) .

ويقول أبو الحسين احمد بن أبي الخواريز :

(من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ ، فباطل عمله)

ويقول أبو القاسم الجنيد :

فعلم أن من أخذ علمه من عين الشريعة من غير تلييس في طريق كشفه فلا يصح منه الرجوع عنه أبداً ما عاش لموافقة الشريعة التي بين أظهرنا من طريق النقل ضرورة أن الكشف الصحيح لا يأتي دائماً إلا موافقاً للشريعة<sup>(١)</sup> كما هو مقرر بين العلماء ، والله أعلم .

---

= (من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به في هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) .

ويقول أبو سليمان الداراني :

(ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أيما ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة)

(١)

يقول أبو يزيد البسطامي :

(لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء ، فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجذونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة)

ويقول أبو القاسم الجنيد :

(علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ)

ويقول أيضاً : (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة)<sup>أ</sup>

## فصل

فإن طعن طاعن في هذه الميزان وقال : إنها لا تكفي أحداً في إرشاده إلى طريق صحة اعتقاده : أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم كما مر ؟ قلنا له : هذا أكثر ما قدرنا عليه في طريق الجمع بين قول العبد بلسانه : أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ، وبين اعتقاده<sup>(١)</sup> ذلك بقلبه .

فإن قدرت يا أخي على طريق أخرى تجمع بين القلب واللسان فاذكرها لنا لترقمها<sup>(٢)</sup> في هذه الميزان ونجعلها طريقة أخرى ، ولعل الطاعن في صحة هذه الميزان التي ذكرناها إنما كان الحامل له على ذلك الحسد والتعصب ، فإنه لا يقدر يجعل الشريعة على أكثر من مرتبتين تخفيف وتشديد أبداً ، ومن شك في قولي هذا فليأت بما يناقضه<sup>(٣)</sup> ، وأنا أرجع إلى قوله ، فإنني والله ناصح للأمة ، ما أنا متعنت ولا مظهر علما لحظ نفسي فيما أعلم بقطع النظر عن ارشادي للإخوان إلى صحة الاعتقاد في كلام أئمتهم ، ولولا محبتي لإرشاد الإخوان إلى ما ذكر لأخفيت عنهم علم هذه الميزان

---

(١) ومن هنا تبين أن كتاب الميزان للإمام الشعراني والذي نحن بصدد هدفه والذي من أجله ألف : تحقيق الجمع بين القول والاعتقاد على طريق الجمع بين المذاهب ، كما اتضح من هذه العبارة .

(٢) الرقم : الكتابة قال تعالى : ﴿ كتاب مرقوم ﴾ وقولهم هو يرقم الماء أي بلغ من حذقه بالامور أن يرقم حيث لا يثبت الرقم ورقم الثوب كتابه . والرقم الكتاب وقوله تعالى : ﴿ أن أصحاب الكهف والرقم ﴾ قيل هو لوح فيه أسماؤهم وقصصهم وعن ابن عباس رضي الله عنه : ما ادري ما الرقيم أكتاب أم بنيان . . ؟

(٣) وبهذا التحدي المشروع بقوله سبحانه : ﴿ فأتوا بمثل إن كنتم صادقين ﴾ وبقوله ﷺ : « البينة على المدعي » ثبت قدم الإمام الشعراني ، وثبت صدقه ودقة علمه وتمكن ميزانه .

الشريفة ، كما أخفيت عنهم من العلوم اللدنية ما لم تؤمر بافشائه كما أشرنا إليه في كتابنا المسمى « بالجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم »<sup>(١)</sup> .

فاننا ذكرنا فيه من علوم القرآن العظيم نحو ثلاثة آلاف علم لا مرقى لأحد من طلبة العلم الآن فيما نعلم الى التسلق<sup>(٢)</sup> إلى معرفة علم واحد منها ، لا بفكر ولا إمعان نظر في كتب ، وإنما طريقها الكشف الصحيح ، فتخلع هذه العلوم على العارف حال تلاوته للقرآن لا يتخلف عن النطق به ، حتى كان عين ذلك العلم عين النطق بتلك الكلمة ، ومتى تخلف العلم عن النطق فليس هو من علوم أهل الله وإنما هو نتيجة<sup>(٣)</sup> فكر وعلوم الأفكار مدخولة عند أهل الله لا يعتمدون عليها لا مكان رجوع أهلها عنها بخلاف علوم أهل الكشف كما مر آنفا علم ذلك .

---

(١) توجد أربع نسخ بدار الكتب مخطوطة تحمل ارقام ٧٨٤ ، ١ ، ٢٠ ، ٩٢ مجاميع .

(٢) التسلق = التسور وزنا ومعنى

(٣) ب وإنما هو ينتجه فكر



## فصل

واياك أن تسمع بهذه الميزان فتبادر إلى الإنكار على صاحبها وتقول : كيف يصح لفلان الجمع بين جميع المذاهب وجعلها كأنها مذهب واحد من غير أن تنظر فيها ؟ أو تجتمع بصاحبها ؟ فإن ذلك جهل منك وتهور في الدين ؟ بل اجتمع بصاحبها وناظره ، فإن قطعك بالحجة وجب عليك الرجوع إلى قوله ، ولو لم يسبقه أحد إلى مثله .

وياك أن تقول : إن واضع هذه الميزان جاهل بالشرعة ، فتقع في الكذب ، فإنه إذا كان مثله يسمى جاهلاً مع قدرته على توجيه أحكام جميع أقوال المذاهب فما بقي على وجه الأرض الآن عالم .

وقد قال الإمام محمد بن مالك<sup>(١)</sup> :

وإذا كانت العلوم منحا إلهية واختصاصات لدنية فلا<sup>(٢)</sup> بدع أن يؤخر<sup>(٣)</sup> الله تعالى لبعض المتأخرين<sup>(٤)</sup> ما لم يطلع عليه أحد من المتقدمين . اهـ .  
فبالله عليك يا أخي ارجع الى الحق وطابق في الاعتقاد بين اللسان والقلب ،

---

(١) محمد بن مالك ٦٠٠ - ٦٧٢ هـ - ١٢٠٣ - ١٢٧٣ م محمد عبد الله بن مالك الطائي الحياتي أبو عبد الله

جمال الدين أحد الأئمة الأربعة في العربية والقرآن ولد في حيان بالاندلس وانتقل الى دمشق فتوفي فيها  
اشهر كتبه الألفية في النحو والقرب في معرفة لسان العرب والكافية الشافية وغير ذلك .

(٢) أي فلا ابتداء ولا اختلاق : ﴿ قل ما كنتُ بدعاً من الرسل ﴾ . (٣) ب يدخر .

(٤) المقصود بالتأخرين هنا : المتأخرين في الزمن وهذا حق يؤيده : ما اختص الله به نبيه ورسوله محمد ﷺ  
دون من سبقه من أنبياء ورسل :

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ .

ولا يصدنك<sup>(١)</sup> عن ذلك : كون أحد من العلماء السابقين لم يدون مثل هذه الميزان ، فإن جود الحق تعالى لم يزل فياضاً على قلوب العلماء في كل عصر .  
واخرج عن علومك الطبيعية الفهمية إلى العلوم الحقيقية الكشفية ، ولو لم يألفها طبعك ، فإن من علامة العلوم اللدنية أن تمجها العقول من حيث إنكارها ولا تقبلها إلا بالتسليم<sup>(٢)</sup> فقط لغرابة طريقها ، فإن طريق الكشف مباينة<sup>(٣)</sup> لطريق الفكر .

وسياتي في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى أن من علامة عدم صحة اعتقاد الطالب في أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ، كونه يحصل له في باطنه ضيق وخرج إذا قلد غير إمامه في واقعة ، ويقال له :  
أين قولك إن غير إمامك على هدى من ربه . . ؟  
وكيف يحصل في قلبك ضيق وخرج من الهدى . . ؟  
فهناك تندحض دعواه ويظهر له عدم صحة عقيدته إن كان عاقلاً ، والحمد لله رب العالمين .

---

= وقوله صلوات الله وسلامه عليه :

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة » ، رواه جابر وأخرجه البخاري ، ومسلم والنسائي . وعن حذيفة فيما رواه مسلم عن أبي ذر «أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي» أخرجه أحمد في مسنده والطبراني والبيهقي .

(١) ولا يمنعنك عن ذلك .

(٢) يوضح كذلك ما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام والخضر الذي قال الله فيه : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ سورة الكهف الآية (٦٥) والقصة توضح تماماً غرابة طريق العلوم اللدنية وشاهد ذلك في القصة نفسها وهو أن موسى استغرب خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار ، حتى تقرر الفراق بينهما بسبب استغراب ذلك ، انظر قصة موسى والخضر تفسير سورة الكهف .

(٣) مغايرة ومختلفة .

## فصل

اعلم يا أخي أني ما وضعت هذه الميزان للإخوان من طلبة العلم إلا بعد تكرار  
سؤالهم لي في ذلك مراراً كما مر أول الفصول ، وقولهم لي : مرادنا الوصول إلى مقام  
مطابقة القلب للسان في صحة اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم في  
سائر أقوالهم ، فلذلك أمعنت النظر لهم في سائر أدلة الشريعة ، وأقوال علمائها ،  
فرايتها لا تخرج عن مرتبتين تخفيف وتشديد ، فالتشديد للأقوياء ، والتخفيف  
للضعفاء كما مر .

لكن ينبغي استثناء ما ورد من الأحكام بحكم التخيير ، فإن للقوي أن ينزل  
إلى مرتبة الرخصة والتخفيف مع القدرة على فعل الأشد ، ولا تكون المرتبتان  
المذكورتان في الميزان فيه على الترتيب الوجوبي ، وذلك كتخيير المتوضىء : إذا كان  
لابس الخف بين نزعه وغسل الرجلين ، وبين مسحه بلا نزع ، مع أن إحدى المرتبتين  
أفضل من الأخرى<sup>(١)</sup> ، كما ترى فإن غسل الرجلين أفضل إلا لمن نفرت نفسه من  
المسح مع علمه بصحة الأحاديث فيه ، فإن المسح له أفضل .  
على أنه لقائل أن يقول :

إن المرتبتين في حق هذا الشخص أيضاً على الترتيب الوجوبي بمعنى أنه لو أراد

---

(١) قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا  
يلبس خفيه حتى ينفضهما » قال : وكان رسول الله ﷺ يمسح على الخفين مالا يحصى ، فجتته مرة  
فصببت عليه ماء الوضوء فغسل أعضائه فلما جاء إلى غسل الرجلين هويت لأنزع خفيه فقال : « دعهما  
فلإني أدخلتهما - يعني القدمين - طاهرين » فمسح عليهما . انظر كتاب الام للشافعي ج ١ ص ٢٨ ،  
كشف الغمة للشعراني ج ١ ص ٦٨ .

ان يعبد الله تعالى بالأفضل كان الواجب عليه في الاتيان بالأفضل ارتكاب العزيمة وهو إما الغسل بالنظر إلى حال غالب الناس ، وإما المسح بالنظر إلى ذلك الفرد النادر الذي نفرت نفسه من فعل السنة ، لا سيما وقولنا أفضل غير مناف للوجوب كما تقول لمن تنصحه : عليك يا أخي برضا الله تعالى ، فإنه أولى لك من سخطه .

وكذلك ينبغي أن يستثنى من وجوب الترتيب في مرتبتي الميزان ما إذا ثبت عن الشارع فعل أمرين معاً في وقتين من غير ثبوت نسخ لأحدهما كمسح جميع الرأس في وقت ومسح بعضه في وقت آخر ، وكموالاة الوضوء تارة وعدم الموالاة فيه تارة أخرى ، ونحو ذلك .

فمثل هذا لا يجب فيه تقديم مسح جميع الرأس ، والموالاة على مسح بعضه وعدم الموالاة إلا إذا أراد المكلف التقرب إلى الله تعالى بالأولى فقط ، وقس على ذلك نظائره .

وأما قول سيدنا ومولانا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن آخر الأمرين من فعل رسول الله ﷺ هو النسخ للحكم<sup>(١)</sup> فهو أكثرى لاكلي ، إذ لو كان ذلك كلياً لحكمنا بنسخ المتقدم من الأمرين بيقين في نفس الأمر من مسح كل الرأس أو<sup>(٢)</sup> بعضه مثلاً .

لأنه لا بد أن يكون انتهى الأمر منه ﷺ إلى مسح الكل أو البعض فيكون ما قبل الأخير منسوخاً ، ولا يخفي ما في ذلك من القدح في مذهب من يقول بوجوب تعميم<sup>(٣)</sup> مسح الرأس أو عدم تعميمه .

وكان الإمام محمد بن المنذر<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى يقول :

---

(١) ب الحكم

(٢) وقد أخذ بالقول بمسح كل الرأس بعض الفقهاء ، وأخذ بالقول بمسح بعض الرأس آخرون انظر شرح معاني الآثار للطحاوي ج ١ ص ٢٩

(٣) ب تعميم .

(٤) كان فقيها عالماً مطلماً ، ذكره الشيخ أبو اسحاق في طبقات الفقهاء ، توفي بمكة سنة تسع او عشر وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

إذا ثبت عن الشارع ﷺ فعل أمرين في وقتين فهما على التخيير ما لم يثبت النسخ ، فيعمل المكلف بهذا الأمر تارة ، وبهذا الأمر تارة أخرى (١) .

وعلى ما قررناه من مرتبتي الميزان ينبغي حمل القول بمسح الرأس كله وجوباً على زمن الصيف مثلاً ، ومسح بعضه على مسحه في زمن البرد (٢) ، لا سيما في حق من كان أقرع ، أو كان قريب العهد بحلق رأسه ، أو يخاف من نزول الخواص من رأسه (٣) ، فاعلم ذلك يا أخي وقس عليه نظائره والحمد لله رب العالمين .

---

ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء «كتاب الاشراف» وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة وهو من أحسن الكتب وانفعها وله كتاب المبسوط وله كتاب الاجماع واسمه بالكامل «أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري» ج ٣ ص ٣٤٤ وفيات الأعيان .

(١) ب انتهى

(٢) ب في زمن البرد مثلاً

(٣) وهذا التأويل الحسن الذي قال به إمامنا الشعراني رضي الله عنه بناء على قاعدة مرتبتي ميزانه : التشديد والتخفيف

أما بالنظر إلى بعض الأئمة أصحاب المذاهب فإنهم يقولون :  
بمسح البعض لا على قاعدة التشديد والتخفيف بل باعتبار ذلك حكم عام لمن لا عذر له ومن به عذر .  
انظر الأم للشافعي والهداية لأبي حنيفة رضي الله عنهما .

## فصل

اعلم يا أخي أن مرادنا بالعزيمة والرخصة المذكورتين في هذه الميزان : هما مطلق التشديد والتخفيف ، وليس مرادنا العزيمة والرخصة اللتين حدّهما الأصوليون في كتبهم ، فما سمينا مرتبة التخفيف رخصة إلا بالنظر لمقابلها من التشديد أو الأفضل لا غير ، وإلا فالعاجز لا يكلف بفعل ما هو فوق طاقته شرعاً<sup>(١)</sup> وإذا لم يكلف بما فوق طاقته فما بقي إلا أن يكون فعل الرخصة في حقه واجباً : كالعزيمة في حق القوي ، فلا يجوز للعاجز النزول على<sup>(٢)</sup> الرخصة إلى مرتبة ترك الفعل بالكلية<sup>(٣)</sup> ، كما إذا قدر فاقد الماء المطلق على التراب : لا يجوز له ترك التيمم ، وكما إذا قدر العاجز عن القيام في الفريضة على الجلوس لا يجوز له الاضطجاع ، أو قدر على الاضطجاع على اليمين أو اليسار لا يجوز له الاستلقاء ، أو قدر على الاستلقاء لا يجوز له الاكتفاء بنحو الإيماء بالعينين ، أو قدر على الإيماء بالعينين لا يجوز له الاكتفاء بأفعال الصلاة على قلبه كما هو مقرر في كتب الفقه<sup>(٤)</sup> .

فكل مرتبة من هذه المراتب بالنظر لما قبلها كالعزيمة مع الرخصة ، لا يجوز له النزول إليها إلا بعد عجزه عما قبلها ، والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

(١) ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

(٢) ب عن الرخصة

(٣) إذ إن الشارع لم يجوز له ذلك واكتفى بالتيسير والتخفيف له رحمة به وتفضيلاً عليه ، حيث إنه لم يكلفه بشيء إلا لياجره عليه .

(٤) يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : ( كل حال قدر المصلي فيها على تأدية فرض الصلاة كما فرض الله تعالى عليه صلاحاً ، وصلى ما لا يقدر عليه كما يطبق ، فإن لم يطق المصلي القعود وأطاق أن يصلي مضطجعاً صلى مضطجعاً ، وإن لم يطق الركوع والسجود صلى مومناً وجعل السجود أخفض من إيماء الركوع ) . انظر الأم ج ١ ص ٧٠

## فصل

ثم لا يخفى عليك يا أخي أن كل من فعل الرخصة بشرطها ، والمفضل بشرطه فهو على هدى من ربه في ذلك ، ولو لم يقل به إمامه على ما يأتي في الفصول الآتية من التفصيل ، كما أن من فعل العزيمة أو الأفضل بكلفة ومشقة فهو على هدى من ربه في ذلك ولو لم يكلفه الشارع بذلك من حيث عظم المشقة فيه ، اللهم إلا أن يأتي عن الشارع ما يخالف ذلك كقوله ﷺ :  
« ليس من البر الصيام في السفر » <sup>(١)</sup> .

فإن الأفضل للمسافر في مثل ذلك الفطر للضرر الخاصل <sup>(٢)</sup> به ، ومن المعلوم أن من شأن الأمور التي يتقرب بها إلى حضرة الله تعالى أن تكون النفس منسجمة بها محبة لها غير كارهة ، وكل من يأتي بالعبادة كارهاً لها أي من حيث مشقتها فقد خرج عن موضوع القرب الشرعية المتقرب بها إلى حضرة الله عز وجل ، لا سيما في مثل المسألة

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام النسائي وأبي داود عن جابر ورواه ابن ماجه عن ابن عمر ، عن كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنهم .

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال : (كنا إذا سافرنا مع رسول الله ﷺ فمننا من يصوم ، ومننا من يفطر ، فنزلنا يوماً منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء فمننا من يتقي الشمس بيده فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال ﷺ : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » ، أخرجه أحمد في

مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أنس .  
وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتغدى في السفر في رمضان يقول لأصحابه ، « هلم إلى الغداء » ، إن الله قد وضع عن المسافر الصيام ونصف الصلاة ، وأرخص له في الإفطار كما أرخص للمريض والحمل إذا خافتا على ولديهما » .

التي نحن<sup>(١)</sup> بها فإنه ﷺ نفى البر والتقرب إلى الله تعالى بالصوم الذي يضر بالمسافر ونحن تابعون للشارع ما نحن مشرعون .

فلا ينبغي لأحد التقرب إلى الله تعالى [ بالصوم الذي يضر ] إلا بما أذن له الشارع فيه ، وانشرت نفسه به من سائر المندوبات ، وما لم يأذن فيه ، فهو إلى الابتداع أقرب ، وما كل بدعة يشهد لها ظاهر الكتاب والسنة حتى يتقرب بها<sup>(٢)</sup> .

وتأمل يا أخي نهى الشارع عن الصلاة حال النعاس تعرف ذلك ، لأن النعاس إذا غلب على العبد وتكلف الصلاة صارت نفسه كالمكرهة عليها ولا يخفى ما في ذلك من نقص الثواب المرتب على محبة الطاعة فاعلم ذلك يا أخي واعمل بالرخص بشرطها .

فإن الله تعالى «يجب أن تؤق رخصه كما يجب أن تؤق عزائمه»<sup>(٣)</sup> ، كما صرح به الحديث الذي رواه الطبراني وغيره . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ب التي نحن فيها

(٢) إذ إن البدعة تحدث وهي أنواع متعددة من حيث الحكم :

بدعة محرمة : وهي التي تناولت قواعد التحريم ، وأدلتها التشريعية .

بدعة مكروهة : وهي التي تناولتها قواعد الكراهة وأدلتها التشريعية .

بدعة مندوبة : وهي ما تناولتها قواعد الندب وأدلتها التشريعية .

بدعة مباحة : وهي ما تناولتها قواعد الإباحة وأدلتها التشريعية .

بدعة واجبة : وهي ما تناولتها قواعد الوجوب وأدلتها التشريعية انظر الابتداع في مضار الابتداع .

(٣) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن حبان ، والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي عن ابن عباس .

ورواه البيهقي والطبراني عن ابن مسعود . ورواه أحمد في مسنده والبخاري ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر .



## فصل

إن قال قائل فعلى ما قررتم فهل رأيتم في كلام أحد من العلماء ما يؤيد هذه الميزان من حمل كلام الأئمة على حالين ورده إلى الشريعة . . ؟ قلنا نعم ذكره<sup>(١)</sup> الشيخ محيي الدين<sup>(٢)</sup> في الفتوحات المكية وغيره من أهل الكشف :

أن العبد إذا سلك مقامات القوم متقيداً بمذهب واحد ، لا يرى غيره ، فلا بد أن ينتهي به ذلك المذهب إلى العين التي أخذ إمامه منها أقواله ، وهناك يرى أقوال جميع الأئمة تغترف من بحر واحد<sup>(٣)</sup> ، فينفك عنه التقيد بمذهبه ضرورة ، ويحكم بتساوي المذاهب كلها في الصحة ، خلاف ما كان يعتقده قبل ذلك .

قال الشيخ محيي الدين : ونظير ما قلناه : القول بتفضيل الرسل بعضهم على بعض بالاجتهاد ، ثم إذا وصل إلى شهود حضرة الوحي التي أخذوا منها أحكام شرائعهم ، انفك عنه التفضيل بالاجتهاد ، وصار لا يفرق بين أحد من رسله ، إلا من حيثما كشف الله تعالى له عنه بحكم اليقين لا الظن ، فهذا نظير المقلد إذا اطلع

---

(١) ب نعم ذكر

(٢) ولد محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي في مدينة الموريشه بالاندلس في سنة ٥٦٠ هـ وفي الثامنة من عمره بعثه أهله إلى اشبيلية فدرس فيها الحديث والفقه وفي سنة ٥٩٠ هـ قام برحلات واسعة إلى الشرق فزار مصر وسوريا والحجاز وبغداد واسيا الصغرى وأقام في مدينة قونية زمناً ثم عاد إلى سوريا فأقام بها حتى توفي سنة ٦٣٨ هـ من مؤلفاته : الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، ومشاهد الاسرار القدسية .

(٣) وكلهم من رسول الله ملتصقون . . . .

على العين التي أخذ الأئمة المجتهدون مذاهبهم منها » انتهى .

وكذلك مما يؤيد هذه الميزان قول الشيخ بدر الدين الزركشي<sup>(١)</sup> في آخر كتاب « القواعد » : له في الفقه :

اعلم وفقك الله لطاعته ، أن الأخذ بالرخص والعزائم في محل كل منهما مطلوب ، فإذا قصد المكلف بفعل الرخصة قبول فضل<sup>(٢)</sup> الله عليه ، كان أفضل كما أشار إليه حديث «إن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه»<sup>(٣)</sup> .

فإذا ثبت هذا الأصل عندك يا أخي فاعلم أن مطلوب الشرع الوفاق ورد الخلاف إليه ما أمكن ، كما عليه عمل الأئمة من أهل الورع والتقوى ، كأبي محمد الجويني<sup>(٤)</sup> وأضرابه ، فإنه صنف كتابه « المحيط » ولم يلتزم فيه المشي على مذهب معين .

قال : وذلك في حق أهل الورع والتقوى من باب العزائم ، كما أن العمل بالمختلف فيه عندهم من باب الرخص .

فإذا وقع العبد في أمر ضروري ، وأمكنه الأخذ فيه بالعزيمة ، فله فعله وله تركه ، وكان ذلك الفعل الشديد عليه من باب القوة والأخذ بالعزائم إن كان

(١) الزركشي، ٧٤٥ - ٧٩٤ هـ - ١٣٤٤ - ١٣٩١ م

محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أبو عبد الله بدر الدين فقيه شافعي تركي الاصل مصري المولد والوفاء له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها «الديباج» في توضيح المنهاج ، والمنثور الذي يعرف بقواعد الزركشي .

(٢) يقول سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ وهذا من عظيم فضله وسابغ نعمه .

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل ورواه البيهقي في السنن عن ابن عباس وعن ابن مسعود رضي الله عنهما وقد سبق تخريجه مفصلاً .

(٤) محمد الجويني : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، شيخ الشافعية وابن شعبة في طبقاته يذكر أنه كان يلقب بركن الاسلام ، وأنه كان إماماً في التفسير والفقه والأدب ، وبلغ من ورعه وتقواه الشيء الكثير توفي عام ٤٣٨ هـ .

راجحاً ، وإن لم يمكنه الأخذ فيه بالعزيمة أخذ بالرخصة كما له الأخذ بالقول الضعيف في بعض<sup>(١)</sup> المواطن ! فلا يكون ذلك منه من باب المخالفة<sup>(٢)</sup> المحضة .

قال الزركشي :

وبعد إذ علمت هذا فحيثل تعرف أن أحداً من الأئمة الأربعة أو غيرهم لم يقيد<sup>(٣)</sup> أمر المسلمين في القول برخصة أو عزيمة ، إلا على حد ما ذكرناه من هذه القواعد<sup>(٤)</sup> .

فينبغي لكل مقلد للأئمة أن يعرف مقاصدهم .

انتهى كلام الزركشي رحمه الله في آخر قواعده .

وهو من أعظم شاهد لصحة هذه الميزان ، فلم ينقل لنا عن أحد من الأئمة الأربعة ، ولا غيرهم فيما بلغنا ، أنه كان يطرد الأمر في كل عزيمة قال بها ، أو رخصة قال بها في حق جميع الأمة أبداً ، وإنما ذلك في حق قوم دون<sup>(٥)</sup> قوم .

وقد بلغنا أنه كان يفتي الناس بالمذاهب الأربعة ، الشيخ الإمام ، الفقيه ، المحدث ، المفسر ، الأصولي ، الشيخ عبد العزيز الديري<sup>(٦)</sup> و الشيخ الإسلام عز الدين بن جماعة المقدسي<sup>(٧)</sup> ، والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي الشهير

---

(١) وذلك في فضائل الأعمال كما صرح بذلك علماء الحديث .

(٢) إذ إن له من الأدلة الشرعية ما يؤيده .

(٣) ب لم يتقلد أمر المسلمين

(٤) ب من هذه القاعدة

(٥) يقصد بذلك إمامنا الإشعراني أن الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم أجمعوا الرأي على أن نصوص الشرع تظاهرت على أن العزيمة على القوي فلا يباح للقوي الأخذ بالرخصة ما لم يؤهل للرخصة بعذر ونحوه . وكذلك الرخصة للضعيف الذي لم يؤهل للأخذ بالعزيمة لمانع يمنعه .

(٦) شيخ عابد زاهر له كتب في الفقه واللغة والتصوف كان يعيش في الريف من أرض مصر توفي سنة ٦٩٧ بهرين وقبره بها .

(٧) ابن جماعة ٦٩٤ - ٧٦٧ هـ - ١٢٩٤ - ١٣٦٦ م

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكتاني الحموي الأصل الدمشقي المولد ثم المصري الحافظ =

بابن الأقطع<sup>(١)</sup> رحمهم الله والشيخ علي النبتيني الضرير<sup>(٢)</sup> .  
ونقل الشيخ الجلال السيوطي رحمه الله ، عن جماعة كثيرة من العلماء ، أنهم  
كانوا يفتون الناس بالمذاهب الأربعة ، لا سيما العوام الذين لا يتقيدون بمذهب ، ولا  
يعرفون قواعده ولا نصوصه ويقولون : حيث وافق فعل هؤلاء العوام قول عالم فلا  
بأس به<sup>(٣)</sup> .

فإن قال قائل : كيف صح من هؤلاء العلماء أن يفتوا الناس بكل مذهب مع  
كونهم كانوا مقلدين ، ومن شأن المقلد ألا يخرج عن قول إمامه . . ؟

فالجواب : يحتمل أن يكون أحدهم بلغ مقام الاجتهاد المطلق المنتسب الذي  
لم يخرج صاحبه عن قواعد إمامه ، كأبي يوسف<sup>(٤)</sup> ومحمد بن الحسن وابن القاسم ،  
وأشهب ، والمزني<sup>(٥)</sup> ، وابن المنذر<sup>(٦)</sup> ، وابن سريج<sup>(٧)</sup> ، فهؤلاء كلهم وإن أفتوا  
الناس بما لم يصرح به إمامهم فلم يخرجوا عن قواعدهم .

---

= قاضي القضاة ولي قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩ وجاور بالحجاز فمات بمكة من كتبه هداية السالك الى  
المذاهب الاربعة في المناسك ، وتخرىج أحاديث الرافعي .  
(١) شهاب الدين البرلسي الشافعي : كان عالماً زاهداً أخذ العلم عن شيخ الاسلام برهان الدين بن ابي  
شريف راجع الطبقات الصغرى للشعراني ص ٧٥ .  
(٢) علي النبتيني الضرير : كان مقياً ببلدة نبتيت بنواحي الحانقاه السرياقوسية توفي في يوم عرفه سنة سبع عشرة  
وتسعمائة ودفن ببلده وضرريحه بها ظاهر يزار .

(٣) ب فلا بأس به انتهى  
(٤) أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن أصحاب أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور .  
(٥) المزني : ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق المزني صاحب الامام  
الشافعي والمزني نسبة الى مزينة بنت كلب وهي قبيلة كبيرة مشهورة توفي سنة ٢٦٤ هـ بمصر ودفن  
بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه قال عنه الشافعي المزني ناصر مذهبي .  
(٦) راجع ترجمته ص ٤٠

(٧) ابن سريج : أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج الفقيه الشافعي : كان من عظماء الشافعيين وأئمة  
المسلمين ، ولي القضاء بشيراز وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري توفي سنة ٣٠٦ هـ ودفن في  
حجرتة بسوقية غالب بالجانب الغربي من حلة الكرج وعمره ٥٧ سنة وثبات الاعيان ص ٥٠ ج ١

وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى : أن الاجتهاد المطلق على قسمين :

مطلق غير منتسب كما عليه الأئمة الأربعة ، ومطلق منتسب<sup>(١)</sup> كما عليه أكابر أصحابهم الذين ذكرناهم .

قال : ولم يدع الاجتهاد المطلق غير المنتسب بعد الأئمة الأربعة إلا الإمام محمد بن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> ولم يسلم له ذلك . انتهى .

ويحتمل أن هؤلاء العلماء الذين كانوا يفتون الناس على المذاهب الأربعة ، أطلعهم الله تعالى على عين الشريعة الأولى ، وشهدوا اتصال جميع أقوال الأئمة المجتهدين بها ، وكانوا يفتون الناس بحكم مرتبتي الميزان ، لا بحكم العموم ، فلا يأمرون قوياً برخصة ، ولا ضعيفاً بعزيمة ، وكأنهم نابوا مناب أهل المذاهب الأربعة ، في تقدير مذاهبهم ، واطلعوا على جميع أدلتهم .

وقد بلغنا حصول هذا المقام أيضاً لجماعة من علماء السلف كالشيخ أبي محمد الجويني<sup>(٣)</sup> ، والإمام ابن عبد البر<sup>(٤)</sup> . المالكي ، ومن الدليل على ذلك أن أبا محمد<sup>(٥)</sup> صنف كتابه المسمى « بالمحيط » ولم يتقيد فيه بمذهب كما مر عن الزركشي .

وكذلك ابن عبد البر كان يقول :

كل مجتهد مصيب فإما أن يكونا فعلاً أو قالاً ما ذكر لاطلاعها على عين الشريعة الكبرى وتفريع أقوال جميع العلماء منها كما أطلعنا بحمد الله تعالى . وإما أن يكونا

---

(١) : منتسب أي منتسب إلى الأئمة الأربعة إذ لا خامس لهم .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، صاحب التفسير الكبير والتاريخ المشهور ذكره أبو اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ولد سنة ٢٢٤ بأمل طبرستان وتوفي ٣١٠ هـ ببغداد وفيات الاعيان

جـ ٣ ص ٥٤٢

(٣) سبق أن ترجمنا له من قبل .

(٤) من علماء المالكية .

(٥) أبا محمد هو أبو محمد الجويني .

قالا ذلك من حيث إن الشارع قرر حكم المجتهد الذي استنبطه من كتاب الله ﷻ تعالى عز وجل ، أو سنة رسوله ﷺ .

وقد بلغنا عن الشيخ عز الدين بن جماعة ، أنه كان إذا أفتى عاميا بحكم على مذهب إمام ، يأمره بفعل جميع شروط ذلك الإمام الذي افتاه بقوله ، ويقول له : إن تركت شرطا من شروطه لم تصح عبادتك على مذهبه<sup>(١)</sup> ، ولا غيره ، إذ العبادة الملققة من عدة مذاهب لا تصح إلا إذا جمعت شروط تلك المذاهب كلها<sup>(٢)</sup> . انتهى .

وذلك منه احتياط للدين ، وخوف أن يتسبب في نقص عبادة أحد من المسلمين .

فإن قلت : فهل ينبغي لمن يفتي على الأربعة مذاهب ألا يفتي المقلدين إلا بالأرجح من حيث النقل ، أو يفتيهم بما شاء من الأقوال ؟ فالجواب : الذي ينبغي له : ألا يفتي الناس إلا بالأرجح بأن<sup>(٣)</sup> المقلد ما سأله إلا ليفتيه بالأرجح من مذهب إمامه ، لا بما عنده هو ، اللهم إلا أن يكون المرجوح أحوط في دين السائل ، فله أن يفتيه بالمرجوح ولا حرج .

ولما ادعى الجلال السيوطي<sup>(٤)</sup> رحمه الله ، مقام الاجتهاد المطلق المنتسب كان

---

(١) يقصد بذلك أن الحكم مبني على قاعدة : إذا بطل الشرط بطل ببطلانه المشروط

(٢) وهذا يؤدي الى التشديد اللاميسور ، ولذلك كره السادة الفقهاء اتخاذ الحيلة رخصة في الأمور التعبدية .

(٣) ب لأن المقلد

(٤) السيوطي : هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المسند المحقق ، صاحب المؤلفات الفائقة ولد سنة ٨٤٩ هـ كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه واخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث توفي سنة ٩١١ هـ في منزله بروضة القياس بمصر من مصنفاته . الجامع الصغير ، والجامع الكبير في الحديث وكتاب الدر المنثور في التفسير المأثور وغير ذلك الكثير رحمه الله .

يفتي الناس بالأرجح من مذهب الإمام الشافعي فقالوا له : لما لا تفتيهم بالأرجح  
عندك . . ؟

فقال : لم يسألوني ذلك ، وإنما سألوني عما عليه الإمام وأصحابه ، فيحتاج من  
يفتي الناس على الأربعة مذاهب أن يعرف الأرجح عند أهل كل مذهب يفتي به  
المقلدين ، إلا أن يعرف من السائل أنه يعتمد علمه ودينه وينشر صدره لما يفتيه به ولو  
كان مرجوحاً عنده .

فمثل هذا لا يحتاج إلى الاطلاع على ما هو الأرجح عند أهل كل مذهب ،  
انتهى فاعلم ذلك .

## فصل

ومما يوضح لك صحة مرتبتي الميزان أن تنظر إلى كل حديث ورد ، أو قول استنبط ، وإلى مقابله ، فإذا نظرت فلا بد أن تجد أحدهما مخففاً ، والآخر مشدداً ، وغير ذلك لا يكون .

ثم إن الحديث أو القول المخفف قد يكون هو الصحيح الراجح في مذهبك ، وقد يكون هو الضعيف المرجوح ، ولا يخلو حالك يا أخي عند العمل به ، من أن تكون من أهل مرتبة من مرتبتي الميزان ، دون المرتبة الأخرى ، بالشروط التي تقدمت في فعل الرخصة ، أي التخفيف ؛ فتفتي كل أحد بما يناسب حاله ، ولو لم تفعل أنت به كذلك ، لأنه هو الذي خوطبت به ، فاعلم ذلك واعمل عليه ، وافت غيرك بما هو أهله .

فليس لمن قدر على سهولة الطهارة أن يمس فرجه إذا كان شافعيًا ويصلي بلا تجديد طهارة<sup>(١)</sup> تقليدًا لأبي حنيفة<sup>(٢)</sup> ، كما أنه ليس له أن يصلي فرضاً أو نفلاً بغير

---

(١) فإن ذلك ينقض الوضوء عند الشافعية ، أخذوا بقوله ﷺ فيما رواه سعيد ابن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة : «إذا أفضى أحدكم يده إلى ذكره ليس بينه وبينه شيء فليتوضأ» .

ويقول ابن عمر ، وعروة رضي الله عنهما : «إذا مس أحدكم ذكره فقد وجب عليه الوضوء» .  
وصلى ابن عمر مرة الصبح ثم قام فتوضأ وصلى عند طلوع الشمس ، فقيل له : ما هذه الصلاة ؟  
فقال : إني توضأت لصلاة الصبح فمسست فرجي ثم نسيت أن أتوضأ فتوضأت وأعدت صلاتي .  
انظر الأم ج ١ ص ١٥ ، كشف القمة ج ١ ص ٦٥ .

(٢) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ أكره رضي الله عنه على =



الفاتحة مع قدرته<sup>(١)</sup> عليها ، أو أن يصلي بالذكر مع قدرته على القرآن ، كما سيأتي  
إيضاحه في توجيه أقوال العلماء ، إن شاء الله تعالى .

على أن لك أيضاً أن تصعد إلى فعل العزيمة مع المشقة إن اخترت ذلك على وجه  
المجاهدة لنفسك ، كما أن لك أيضاً أن تنزل إلى الرخصة بشرطها في هذه الميزان ،  
وهو العجز عن<sup>(٢)</sup> غيرها حساً أو شرعاً فقط ، وتكون على هدى من ربك في كل من  
المرتبتين .

ثم إنه قد يكون في الحكم الواحد أكثر من القولين فالخاذق يرد ما قارب التشديد  
إلى التشديد ، وما قارب التخفيف إلى التخفيف كالقول المفصل على حد سواء .

كما قدمناه في خطبة الميزان ، ومحال أن يوجد دليلاً أو قولان مشددان أو  
مخففان لا يلحق أحدهما بالآخر ، ولا يدخل فيه ، فإن شئت فامتحن ذلك في أقوال  
مذهبك مع بعضها بعضاً ، وإن شئت فامتحن ذلك في مذهبك ومقابلته من جميع  
المذاهب المخالفة له ، تجدهما لا يخرجان عن تخفيف وتشديد ، ولكل منهما رجال في  
حال مباشرة التكاليف<sup>(٣)</sup> كما مر في الميزان .

وكذلك ما أوجبه المجتهد أو حرمه باجتهاده ، فكله يرجع إلى المرتبتين .

---

== توليه القضاء وضرب على رأسه ضرباً شديداً أيام مروان بن الحكم ثم أكرهه أبو جعفر بعد ذلك ،  
وقال : لا أكون قاضياً فحبسه وتوفي في السجن وهو صاحب مدرسة الفقه في الإسلام التي طبقت  
الأفاق رحمه الله رحمة واسعة .

(١) عملاً بقوله ﷺ فيما رواه عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب » وقوله ﷺ فيما رواه أبو

هريرة « كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج » .

وقد جاء في الأم للشافعي رضي الله عنه : سن رسول الله ﷺ أن يقرأ القارئ في الصلاة بأم القرآن ،  
ودل على أنها فرض على المصلي إذا كان يحسن يقرأها . الأم ج ١ ص ٩٣

(٢) ب : من غيرها

(٣) فالتشديد لأهل العزيمة أي من ليس لهم رخصة .

والتخفيف لأهل الرخصة ، أي من لهم رخصة شرعية .

فإن مقابل التحريم ، عدم التحريم الشامل للمندوب .

وقال بعضهم : ما أوجبه المجتهد أو حرّمه يكون في مرتبة الأولى ومقابلته في مرتبة خلاف الأولى ؛ لأنه ليس لغير الشارع أن يحرم أو يوجب شيئاً . انتهى .

والحق أن للمجتهد المطلق أن يحرم ويوجب ، وانعقد اجماع العلماء على ذلك ، بل <sup>(١)</sup> ولو قلنا بقول هذا البعض فهو يرجع إلى المرتبتين أيضاً إذ <sup>(٢)</sup> الأولى في مرتبة التشديد غالباً لتحجير المطلوبة في الجملة ، سواء كان ذلك الأولى فعلاً أو تركاً ، وخلاف الأولى في مرتبة التخفيف غالباً .

فإن قال قائل : فمن أين جعلتم كلام المجتهدين من جملة الشريعة مع أن الشارع لم يصرح بما استنبطوه . . ؟ .

فالجواب : إنه يجب حملهم على أنهم علموا ذلك الوجوب أو التحريم من قرائن الأدلة ؛ أو علموا أنه مراد الشارع من طريق كشفهم ، لا بد لهم من أحد هذين الطريقتين ، وقد يجتمعان عند بعض المجتهدين .

فإن قال قائل : فما تقولون فيما ورد فرداً من الأحاديث والأقوال ؟ فالجواب : مثل ذلك لا مقابل له بل هو شرع مجمع عليه ، فلا يأتي فيه مرتبتا الميزان ، وذلك كالحديث الذي نسخ مقابله ، أو كالقول الذي رجع عنه المجتهد ، أو أجمع العلماء على خلافه ، فليس فيما ذكر إلا مرتبة واحدة لجميع <sup>(٣)</sup> المكلفين ، لعدم وجود مشقة على أحد في فعله ترجح على مشقة تركه ، خلاف ما فيه المشقة المذكورة ، فإنه يجيء فيه التخفيف والتشديد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلاً .

فإنه ورد في كل منهما التخفيف والتشديد .

---

(١) ب بل لو قلنا

(٢) ب أيضاً إلى الأولى

(٣) إما التشديد ، وإما التخفيف .

فالتشديد كونه عند بعضهم لا يسقط عن المكلف بخوفه على نفسه<sup>(١)</sup> أو ماله .

والتخفيف سقوطه عنه بخوفه المذكور عند آخرين .

فالأول : في حق الأقوياء في الدين كالعلماء والصالحين .

والثاني : في حق الضعفاء من العوام في الإيمان واليقين .

فإن قال قائل : فهل تأتي المرتبتان<sup>(٢)</sup> في حق من يغير المنكر بتوجهه إلى الله بقلبه<sup>(٣)</sup> من الأولياء فيكسر إناء الخمر ، ويمنع الزاني من الزنى ، بحيلولته يحال بينه وبين فرج الزانية مثلاً . . ؟

فالجواب : نعم تأتي فيه المرتبتان ، فمن الأولياء من يرى وجوب التوجه إلى الله تعالى في ذلك ويكون بذلك كالقادر على إزالة المنكر .

ومنهم من لا يرى وجوب ذلك ، بل يكره الاطلاع بكشفه على المنكرات الواقعة في الوجود من غير المتجاهرين بمعاصيهم ، وذلك لما فيه من الاطلاع على عورات<sup>(٤)</sup> الناس ، ويسمى ذلك بالكشف الشيطاني عند بعض القوم .

وأنه يجب على صاحبه سؤال الله تعالى أن يحول بينه وبينه<sup>(٥)</sup> فإن قال قائل : فما تقولون فيمن له حال يحميه من أهل المنكر إذا أنكر عليهم ، وكسر إناء خمرهم . . ؟ هل يجب عليه تغييره باليد أو اللسان ، اعتماداً على أن الله تعالى لا يخذله ، أو لا يجب من حيث أن الحق تعالى لا تقيد عليه . . ؟

---

(١) يوضح هذا قول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »

فالحديث ذكر مرتبة التغيير حسب مرتبة الاستطاعة والمقدرة .

(٢) التشديد والتخفيف .

(٣) ب بتوجهه بقلبه الى الله

(٤) وهذا هو سبب عدم الوجوب عنده .

(٥) إذ إن ذلك كشف غير مشروع عنده ولا يباح له استعماله .

فالجواب : مثل هذا تأتي فيه المرتبتان .  
فمن الأولياء من ألزمه بذلك ، إذا علم أن له حالاً<sup>(١)</sup> يحميه . .  
ومنهم من لم يلزمه بذلك ، نظير ما قالوا : فيمن قدر على أن يصل إلى مكة في  
خطوة والحمد لله رب العالمين .

---

(١) والحديث يقول : « فمن لم يستطع » وهذا له حالة الذي تحقق به الاستطاعة عنده .

## فصل

فإن قلت : فمن يقول : إن القياس من جملة الأدلة الشرعية فهل تأتي فيه كذلك مرتبتا الميزان . . ؟

فالجواب : نعم تأنيان فيه ، فإن من العلماء من كره القياس في الدين .  
ومنهم من أجازته من غير كراهة .

ومنهم من<sup>(١)</sup> منعه ، فإنه طرد علة وما يدري العبد أن الشارع قد لا يكون أراد طرد تلك العلة ، وإنما ترك ذلك الأمر خارجاً عن ذلك الحكم توسعة على أمته ، وذلك كقياس الأرز على البر ، في باب الربا بجامع الاقتيات .

فإن الشارع لم يبين لنا حكم الأرز ، فكان الأولى بالأدب عند بعض أهل الله تعالى إبقاءه على عدم دخول الربا فيه كما أشار إليه حديث :  
«وسكت عن أشياء رحمة بكم»<sup>(٢)</sup> .

فمن يقول : بقياس الأرز على البر مشدد ، ومن يقول بعدم قياسه مخفف .  
وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يقدرون على القياس ،

---

(١) والمنع والجواز بناءً على قاعدة التشديد والتخفيف .

(٢) أصل الحديث : عن أبي ثعلبة الخشني بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لکم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . حديث حسن رواه الدارقطني وغيره .

ولكنهم تركوا ذلك أدباً مع رسول الله ﷺ .

ومن هنا قال سفيان الثوري<sup>(١)</sup> : من الأدب اجراء الأحاديث التي خرجت مخرج الزجر والتفجير على ظاهرها من غير تأويل فإنها إذا أولت خرجت على<sup>(٢)</sup> مراد الشارع كحديث :

«من غشنا فليس منا»<sup>(٣)</sup>.

« وحديث : «من تطير أو تطير له»<sup>(٤)</sup>.

وحديث : «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»<sup>(٥)</sup>.

فإن العالم إذا أولها بأن المراد ليس منا في تلك الخصلة فقط ، أي وهو منا في غيرها : هان على الفاسق الوقوع فيها ، وقال : مثل المخالفة في خصلة واحدة أمر سهل ، فكان أدب السلف الصالح بعدم التأويل أولى بالاتباع للشارع ، وإن كانت قواعد الشريعة قد تشهد أيضاً لذلك التأويل . وقد دخل جعفر الصادق<sup>(٦)</sup> ، ومقاتل بن سليمان<sup>(٧)</sup> وغيرهما على الإمام أبي حنيفة وقالوا له :

---

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري كان اماماً في الحديث اجمع الناس على دينه وورعه وهو واحد الائمة المجتهدين ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ودفن عشاء رحمه الله تعالى ولم يعقب .

(٢) ب خرجت عن مراد الشارع

(٣) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رفعه ورواه ابن عنبسة عن العلاء بلفظ : ليس منا من غش ، ولفظ حديث أنس عند الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف من غش امتي فعليه لعنة الله .

(٤) تكملة الحديث : أو تكهن أو تكهن له أو تسحر أو سحر له . رواه الطبراني عن عمران بن حصين .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام البخاري ومسلم في صحيحهما ورواه الإمام الترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن مسعود ورمز له جلال الدين السيوطي بالصحة في جامعة الصغير .

(٦) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أحد الائمة الاثني عشر ولد عام ٨٠ هـ وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودفن بالبقيع

(٧) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء أبو الحسن من أعلام المفسرين اصله من بلخ وانتقل الى

قد بلغنا أنك تكثر من القياس في دين الله تعالى ، وأول من قاس إبليس فلا تقس .

فقال الإمام :

ما أقوله ليس هو بقياس ، وإنما ذلك من القرآن قال تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فليس ما قلناه بقياس في نفس الأمر ، وإنما هو قياس عند من لم يعطه الله تعالى الفهم في القرآن « اهـ » .

ومن هنا يعلم أن أهل الكشف غير محتاجين إلى القياس لاستغنائهم عنه بالكشف .

فإن أورد عليهم شخص نحو تحريم ضرب الوالدين ، فإنه ليس في القرآن التصريح بتحريم ضربهما ، وإنما أخذ العلماء ذلك من قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيُوبَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فكان النهي عن ضربهما من باب أولى .

فالجواب : إن هذا لا يرد على أهل الكشف لأن الله تعالى قال :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ومعلوم أن ضربهما ليس بإحسان فلا حاجة إلى القياس .

---

= البصرة ودخل بغداد فحدث بها وتوفي بالبصرة وكان متروك الحديث من كتبه التفسير الكبير ونوادر التفسير والرد على القدرية توفي عام ١٥٠ هـ ٧٦٧ م .

(١) سورة الانعام آية رقم ٣٨

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٢٣

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٢٣

وسمعت سيدي علياً الخواص<sup>(١)</sup> رحمه الله يقول :

يصح دخول القياس عند من احتاج إليه ، وعند من لم يحتج إليه في مرتبتي الميزان ، فمن كلف الإنسان بالفحص عن الأدلة واستخراج النظائر من القرآن شدد ، ومن لم يكلفه بذلك فقد خفف ولم يزل في الناس من يقدر على الاستنباط ، ومن يعجز عن ذلك في كل عصر .

وكان ابن حزم<sup>(٢)</sup> يقول :

جميع ما استنبطه المجتهدون معدود من الشريعة وإن خفي دليله على العوام ، ومن أنكر ذلك فقد نسب الأئمة إلى الخطأ ، وأنهم يشرعون ما لم يأذن به الله ، وذلك ضلال من قائله عن الطريق .

والحق : أنه يجب اعتقاد أنهم لولا رأوا في ذلك دليلاً ما شرعوه ، فرجع الأمر كذلك في قضية الاستنباط إلى مرتبتي الشريعة كالقياس .

فمن أمر الناس باتباع كل ما شرعه المجتهدون فقد شدد<sup>(٣)</sup> ، ومن لم يأمرهم إلا بما صرحت به الشريعة ، أو أجمع عليه العلماء فقد خفف في الجملة ، لأنه من باب ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾<sup>(٤)</sup> والحمد لله رب العالمين .

---

(١) كان أماً لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك كان يتكلم على معاني القرآن العظيم والسنة المشرفة بدأ حياته طوفاً ببيع الصابون والزيت وغير ذلك وتلمذ عليه الإمام الشعراني ، ومن أثاره درر الخواص على فتاوى سيد علي الخواص ، كتاب الجواهر والدرر الكبرى ،، والجواهر والدرر الصغرى

(٢) أبو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس الاموي ، وجده يزيد اول من اسلم من اجداده واصله من فارس ، وجده خلف أول من دخل الاندلس من ابيه ، ومولده بقرطبة من بلاد الاندلس سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في الجانب الشرقي منها وكان شافعيًا وانتقل الى مذهب أهل الظاهر وتوفي سنة ست وخمسين وأربعمائة في منت ليشم وهي قرية ابن حزم ومن مؤلفاته : نقط العروس ، والملل والنحل ، وكتاب التقريب بحد المنطق .

(٣) الأولى الاقتداء بقوله ﷺ : « إنما بعثتم ميسرين » .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٨٤ -



## فصل

من لازم كل من لم يعمل بهذه الميزان التي ذكرناها وترك العمل بجميع الأقوال المرجوحة ، نقصان الثواب غالباً وسوء الأدب مع جميع أصحاب تلك الأقوال ، والوجوه من العلماء ، عكس ما يحصل لمن عمل بالميزان ، فإن ذلك المرجوح الذي ترك - هذا العبد - العمل به ، لا يخلو إما أن يكون أحوط للدين فهذا لا ينبغي ترك العمل به ، وإما أن يكون غير أحوط فقد يكون رخصة « والله يحب أن تؤق رخصه »<sup>(١)</sup> كما صرح به الحديث .

أي بشرطه ، ويكون على علم الإخوان ، أن لكل سنة سننها المجتهدون أو بدعة حرمها المجتهدون درجة في الجنة أو دركا في النار ، وإن تفاوت مقامهم ، ونزل عما سنه الشارع أو كرهه كما صرح به أهل الكشف .

فاعلم ذلك واعمل بكل ما سنه لك المجتهدون ، واترك كل ما كرهوه ، ولا تطالبهم بدليل في ذلك ، فإنك محبوس في دائرتهم ما دمت لم تصل إلى مقامهم ، لا يمكنك أن تتعداهم إلى الكتاب والسنة وتأخذ الأحكام من حيث أخذوا أبداً .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :  
اعملوا بكل أقوال الأئمة التي ظاهرها المخالفة<sup>(٢)</sup> لبعضهم بعضاً عند اجتماع شروط العمل بها فيكم ، لتحوزوا الثواب الكامل . اهـ .

---

(١) راجع تخريج هذا الحديث ص ١٠٠ .

(٢) إذا إن اختلافهم رحمة كما جاء في الأثر ، فلا يكون اختلافهم مبرر الترك العمل بأقوالهم .

فأين مقام من يعمل بالشرعة كلها ممن يرد غالبها ولا يعمل<sup>(١)</sup> به . . ؟ إذ المذهب الواحد لا يحتوي<sup>(٢)</sup> أبداً على جميع الأدلة ، ولو قال صاحبه في الجملة إذا صح الحديث فهو مذهبي .

بل ربما ترك أتباعه العمل بأحاديث كثيرة صحت بعد إمامهم ، وذلك خلاف مراد إمامهم فافهم اهـ .

فإن توقف إنسان في حصول الثواب بما سنه المجتهدون وطالبنا بالدليل على ذلك ، قلنا له :

إما أن تؤمن بأن سائر أئمة المسلمين علي هدى من ربهم فلا يسعه إن كان صحيح الاعتقاد إلا أن يقول : نعم .

فنقول له : فحيثما آمنت بأنهم على هدى من الله تعالى ، وأن مذاهبهم صحيحة لزمك الإيمان بالثواب لكل من عمل بها على وجه الإخلاص وحصول المراتب لمن عمل بها في الجنة وإن تفاوت المقام ، فإن ما سنه الشارع أعلى مما سنه المجتهد ، لا سيما وقد قال ﷺ :

« مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا »<sup>(٣)</sup> .

إلى آخر ما قال عليه الصلاة والسلام فافهم ، والله أعلم .

---

(١) وصدق الله العظيم إذ يقول مبينا مقام الصنفين من الناس : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٩ . سورة الزمر آية رقم - ٩ .

(٢) لا يشتمل عليها .

(٣) رواه الإمام مسلم عن جرير ، قال في فتح الباري وهو محمول على من لم يتب من ذلك الذنب وعزاه النجم لمسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير بلفظ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء » ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » ورواه ابن ماجه عن أبي جحيفة نحوه ، وعزاه النووي في رياض الصالحين لمسلم في آخر حديث عن جرير ، كشف الخفا جـ ٢ ص ٣٥٣ .

## فصل

ينبغي لكل مؤمن الإقبال على العمل بكل حديث ورد ، وبكل قول استنبط ، أي بشرطه ، لأنه لا يخرج عن مرتبتي الميزان أبداً .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

كل ما تروونه في كلام الشارع ، وكلام أحد من الأئمة مخالفاً للآخر في الظاهر فهو محمول على حالين ، لأن كلام الشارع يحل عن التناقض ، وكذلك كلام الأئمة لمن نظر فيه بعين العلم والانصاف لا بعين الجهل والتعصب كما مر .

قال : وتأملوا قوله عليه السلام لمن سأله من آحاد الصحابة كيف رأيت ربك .. ؟ .

فقال : « نورانياً أراه » <sup>(١)</sup> .

وقال لأكابر الصحابة : « رأيت ربي <sup>(٢)</sup> قولاً واحداً » .

فما قال لغير الأكابر ما قال إلا خوفاً عليهم أن يتخيلوا في جناب الحق تعالى ما لا يليق به .

ونظير ذلك تقريره عليه السلام أبا بكر على خروجه عن ماله كله <sup>(٣)</sup> .

---

(١) ذكر الإمام مسلم في باب الإيمان أن أبا ذر سأل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك . ؟ قال : « نوراني أراه » .

(٢) الرواية الثانية التي يرويها الإمام مسلم عن أبي ذر قول الرسول ﷺ : « رأيت ربي أو رأيت نوراً » .

(٣) فقد ثبت أنه رضي الله عنه تصدق بجميع أمواله حتى قال له الرسول ﷺ : « ماذا أبقيت لأولادك » ؟

فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وقوله لكعب بن مالك حين أراد أن ينخلع من ماله لما تاب الله عليه :  
«أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»<sup>(١)</sup>.

ونظير ذلك أيضاً حديث :

«ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»<sup>(٢)</sup>.

مع مدح الله تعالى المؤثرين على أنفسهم .

فقوله : « ابدأ بنفسك » خطاب للكمل عملاً بحديث « الأقربون أولى بالمعروف »<sup>(٣)</sup> : ولا أقرب إليك من نفسك .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup> فهو خطاب لغير أكابر الصحابة ، وإنما مدحهم على ذلك ، ليخرجوا من ورطة الشح الذي فتحوا عيونهم عليه في الدنيا ، فإذا خرجوا عن ذلك أمروا بالبداة بأنفسهم لأنها ودیعة الله تعالى عندهم ، بخلاف غيرها ليس هو ودیعة عندهم وإنما هو جار لهم .

= وأخرج احمد وأبو حاتم ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :  
« ما نفعتني مال قط ما نفعتني مال أبي بكر » . فبكى أبو بكر وقال : ما أنا وما لي إلا لك .

(١) رواه الإمام البخاري والإمام مسلم عن كعب بن مالك ، ورمز له الجامع الصغير بالصحة .  
(٢) رواه الإمام مسلم ، والنسائي وآخرون عن جابر ورواه في الدرر بلفظ « ابدأ بنفسك ، ثم بمن يملك » ، وقال فيها وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة « إذا أنعم الله على عبد نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته » ورواه مسلم عن جابر بن سمرة بلفظ « إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته » .  
كشف الخفا ج ١ ص ٢٤ .

(٣) قال السخاوي : ما علمته بهذا ولكن قال ﷺ لأبي طلحة : « أرى أن تجعلها في الأقربين » كما رواه البخاري في باب إذا وقف أو أوصى لأقربائه عن أنس قال : وقال ثابت عن أنس قال ﷺ لأبي طلحة اجعلها لفقراء قرابتك وفي التنزيل : ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ بالمعروف . وفي أسنى المطالب اشتهر على الألسنة « الأقربون أولى بالمعروف » وليس بحديث خلافاً لمن زعمه لكن يشهد له قصة أبي طلحة وقوله تعالى ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين ﴾ . الآية كشف الخفا ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) سورة الحشر آية رقم ٩

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

إذا ظلم الكامل ذاته بتقديم غيرها عليها أخذته الله بذلك بخروجه عن العدل المأمور به ، بخلاف المرید فإنه مسامح بظلم نفسه في مرضات الله تعالى وتحميلها فوق طاقتها من العبادات ، بل <sup>(١)</sup> يثاب على ذلك .

فإذا وصل إلى نهاية السلوك النسبية التي بمثابة بلوغ مرام من وصل دار الملك وعرفه ممن له عنده حاجة أمر حينئذ بالإحسان إلى نفسه ، لأنها كانت مطيته في الوصول إلى حضرة ربه .

وأما ما ورد من شد النبي ﷺ الحجر على بطنه من <sup>(٢)</sup> الجوع ونحوه من المجاهدات فإنما ذلك تنزلاً وتشريعاً لأحاد الأمة ، فلو أنه ﷺ وقف مع مقامه الشريف الذي يعامل به ربه ولم يتنزل : لعسر <sup>(٣)</sup> على غالب أمتة الصديق والإخلاص في أتباعه . انتهى .

---

(١) إذ الذات الكاملة في مجال مرضات الله فلا يحق ظلمها بذلك ، أما نفس المرید أو ذاته فإنها في حاجة إلى مران ومجاهدة حتى تترقى بالعبادات في مجال مرضات الله سبحانه .

(٢) روي ابن بحر - وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : أصاب النبي ﷺ جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : «لا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، إلا رب مكرم لنفسه ومعوها مهين، إلا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم». رواه ابن أبي الدنيا، وأخرجه الحافظ المنذري : أنظر الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٢٣ .

(٣) وفي السنة الشريفة من الشواهد ما يوضح ذلك كقوله صلوات الله وسلامه عليه بشلا ، فيما أخرجه البخاري ومسلم ، ومالك ، وأحمد في مسنده :

«لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة» وفي رواية : «عند كل وضوء» .

## فصل

إن قال قائل : كيف الوصول إلى الاطلاع على عين الشريعة المطهرة التي يشهد الإنسان اغتراف جميع المجتهدين مذاهبهم منها ، ويشهد تساويها كلها في الصحة كشفاً و يقيناً ، لا إيماناً وتسليماً فقط ، ولا ظناً وتخميناً . . ؟

فالجواب : طريق الوصول إلى ذلك هو السلوك على يد شيخ<sup>(١)</sup> عارف بميزان كل حركة وسكون بشرط أن يسلمه نفسه يتصرف فيها وفي أموالها وعيالها كيف شاء مع انشراح قلب المرید لذلك كل الانشراح<sup>(٢)</sup> .

وأما من يقول له شيخه : طلق امرأتك أو أسقط حقك من مالك ، أو وظيفتك مثلاً ، فيتوقف ، فلا يشم من طريق الوصول إلى عين الشريعة المذكورة<sup>(٣)</sup> رائحة ؛ ولو عبد الله تعالى ألف عام بحسب العادة غالباً .

---

(١) يقول أبو علي الثقفي :

( لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس ، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ ، أو إمام ، أو مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ، ورعونات نفسه ، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات ) الرسالة القشيرية ج ١ ص ١٥٣ .

(٢) يقول ممشاد الدينوري :

( ما دخلت قط على أحد من شيوخي إلا وأنا خال من جميع مالي ، أنتظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته وكلامه ، فإن من دخل على شيخ بحظه ، انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته ، وكلامه ) الرسالة ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) يؤيد ذلك ما قاله : ممشاد الدينوري كما سبق .

فإن قلت : فهل ثم شروط آخر في حال السلوك . . ؟

فالجواب : نعم من الشروط أن لا يمكث لحظة على حدث في ليل أو نهار .

ولا يفطر مدة سلوكه إلا للضرورة .

ولا يأكل شيئاً فيه روح من أصله .

ولا يأكل إلا عند حصول مقدمات<sup>(١)</sup> الاضطراب<sup>(٢)</sup> .

ولا يأكل من طعام أحد لا يتورع في مكسبه كمن يطعمه الناس لأجل صلاحه وزهده ، وكمن يبيع على من لا يتورع من الفلاحين وأعوان الولاية<sup>(٣)</sup> .

وأن لا يسامح نفسه بالغفلة عن الله لحظة بل يديم مراقبته ليلاً ونهاراً<sup>(٤)</sup> .

فتارة يشهد نفسه في مقام الإحسان كأنه يرى ربه<sup>(٥)</sup> .

---

(١) يغلب علي الظن أنه خطأ من الناسخ ولعل المراد : ( مقومات الاضطراب )

(٢) عن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكيات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، إلا أن ابن ماجه قال : ( فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام ) .

(٣) أخرجه الترمذي ، وابن ماجه عن عطية بن عروة السعدي أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس »

(٤) يقول أبو العباس احمد بن مسروق :

( شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ) ويقول : ( من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه ) .

ويقول محشاد الدينوري :

( ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك )

ويقول أبو بكر الكتاني :

( الغافلون يعيشون في حلم الله ، والذاكرون يعيشون في رحمة الله ، والعارفون يعيشون في لطف

الله ، والصادقون يعيشون في قرب الله ) انظر الرسالة ج ١ ص ١٥٥

(٥) وفي الحديث : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، انظر مسلم ، البخاري .

وتارة يشهد نفسه في مقام الإيقان<sup>(١)</sup> بعد الإحسان فيرى ربه ينظر إليه على الدوام إيماناً بذلك لا شهوداً ، وذلك لأن هذا أكمل في مقام التنزيه لله عز وجل من شهود العبد ، كأنه يرى ربه ، لأنه لا يشهد إلا ما قام في خيلته ، وتعالى الله عن كل شيء يخطر بالبال فافهم .

فإن قال قائل : فما كان كيفية سلوك صاحب هذه الميزان . . ؟

فالجواب : أني أخذتها أولاً عن الخضر عليه السلام<sup>(٢)</sup> علماً وإيماناً وتسليماً ثم إنني أخذت في السلوك على يد سيدي علي الخواص حتى اطلعت على عين الشريعة ذوقاً وكشفاً ويقيناً لا شك فيه<sup>(٣)</sup> ، فجاهدت في نفسي كذا كذا سنة ، وجعلت لي حبلاً في سقف خلوتي أضعه في عنقي حتى لا أضع جنبي على الأرض ، وبالغت في التورع حتى كنت أسف التراب إذا لم أجد طعاماً يليق بمقامي الذي أنا عليه في الورع ، وكنت أجد للتراب دسماً كدسم اللحم أو السمن أو اللبن ، وسبقني إلى نحو ذلك ابراهيم بن أدهم<sup>(٤)</sup> رضي الله عنه فمكث عشرين يوماً يسف التراب حين فقد الحلال

---

(١) اليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف .

يقول أبو عبد الله الانطاكى : ( إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب بملا القلب نورا ، وينفي عنه كل ريب ، ويمتلئ القلب به شكراً ، ومن الله تعالى خوفاً ) انظر الرسالة القشيرية .

(٢) الخضر عليه السلام : قيل سمي الخضر لانه كان لا يقف موقفاً إلا اخضر ذلك الموضع ، وقيل انه نبي واحتجوا بقوله تعالى : آتيناه رحمة من عندنا ، والرحمة هي النبوة بدليل قوله تعالى : أهم يقسمون رحمة ربك ، والحجة الثانية قوله تعالى وعلمناه من لدنا علماً ، وهذا يقتضي انه تعالى علمه لا بواسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله لا بواسطة البشر وجب ان يكون نبياً ، ونفى بعضهم ذلك واكتفى انه من عباد الله الصالحين ، وقيل كان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وبقي الى أيام موسى « الكاشف جـ ٣ ص ٥٧١ »

(٣) ب لا أشك فيه

(٤) ابراهيم بن أدهم : أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم ، من كورة بلخ ، وكان من أبناء الملوك ، دخل مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ، ودخل الشام ومات بها ، وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك ، مات بالجزيرة سنة ١٦٢ وحمل فدفن بصور .



المشاكل لمقامه اهـ وكذلك كنت لا أمر في ظل عمارة أحد من الولاة ، ولما عمل السلطان الغوري<sup>(١)</sup> السباط الذي بين مدرسته وقبته الزرقاء كنت ادخل من سوق الوراقين وأخرج من سوق الشرب<sup>(٢)</sup> ولا أمر تحت ظله ، وكذلك الحكم في جميع عمارات الظلمة والمباشرين والأمراء وأعوانهم ، وكنت لا أكل من شيء إلا بعد تفتيش فيه غاية التفتيش ولا أكتفي فيه برخصة الشرع وأنا على ذلك بحمد الله تعالى إلى الآن ولكن مع اختلاف المشهد ، فلما كنت فيما مضى أنظر إلى اليد المالكة له والآن أنظر إلى لونه أو رائحته أو طعمه فأدرك للحلال رائحة طيبة وللحرام رائحة خبيثة وللشبهات رائحة دون الحرام في الحُبث فاترك ذلك عند هذه العلامات فأغنانني ذلك عن النظر إلى صاحب اليد ولم أعول عليه فالله الحمد على ذلك .

فلما انتهى سيري إلى هذه الحدود وقفت بعين قلبي على عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها قول كل عالم ، ورأيت لكل عالم جدولاً منها ورأيتها كلها شرعاً محضاً وعلمت وتحققت أن كل مجتهد مصيب كشافاً وقيناً لا ظناً وتخميناً وأنه ليس مذهب أولى بالشريعة من مذهب ولو قام لي ألف مجادل يجادلني على ترجيح مذهب على مذهب بغير دليل واضح لا أرجع إليه في قلبي وإنما أرجع إليه إن رجعت مداراة له لحجابه وأقول له : نعم مذهبك أرجح أعني عنده هو لا عندي أنا .

ومن جملة ما رأيت في العين جداول جميع المجتهدين الذين اندرست مذاهبهم لكنها ليست وصارت حجارة ولم أر منها جدولاً يجري سوى جداول الأئمة الأربعة فأولت ذلك ببقاء مذاهبهم إلى مقدمات الساعة ورأيت أقوال الأئمة الأربعة خارجة من داخل الجداول كما ستأتي صورته في فصل الأمثلة لاتصال مذاهب العلماء بالشريعة وايصالها العامل بها إلى باب الجنة إن شاء الله تعالى .

---

(١) فانسوه الغوري ٨٥٠ - ٩٢٢ هـ أبو النصر سيف الدين قانصوه ابن عبد الله الظاهري نسبة إلى الظاهر ثم الاشرف نسبة إلى الاشرف قايتباي الغوري نسبة إلى طبقة الغور سلطان مصر جركس الاصل بويج بالسلطنة بقلعة الجبل سنة ٩٠٥ هـ قتله سليم العثماني

(٢) ب سوق الشرب .

فجميع المذاهب الآن عندي متصلة ببحر الشريعة اتصال الأصابع بالكف والظل بالشاخص ، ورجعت عن اعتقادي الذي كنت أعتقده قبل ذلك من ترجيح مذهبي على غيره وأن المصيب من الأئمة واحد لا بعينه وسررت بذلك غاية السرور .

فلما حججت سنة سبع وأربعين وتسعمائة سألت الله تعالى في الحجر تحت ميزاب الكعبة الزيادة من العلم ، فسمعت قائلاً يقول لي من الجو : أما يكفيك أنا أعطيناك ميزانا تقرر به سائر أقوال المجتهدين وأتباعهم إلى يوم القيامة لا ترى لها ذائفاً من أهل عصرك . . ؟<sup>(١)</sup> .

فقلت : حسبي وأستزيد ربي انتهى .

فإن قلت : فإذا سبب حجاب بعض ضعفاء المقلدين عن شهود عين الشريعة الأولى إنما هو غلظ حجابيه بأكل الحرام والشبهات وارتكاب المخالفات .  
فالجواب : نعم وهو كذلك .

فإن قلت : فما حكم من أكل الحلال وترك المعاصي وسلك بنفسه من غير شيخ فهل يصل إلى هذا المقام من الوقوف على العين الأولى للشريعة . . ؟ فالجواب : لا يصبح لعبد الوصول إلى المقامات العالية إلا بأحد أمرين إما بالجذب الإلهي ، وإما بالسلوك على يد الأشياخ الصادقين ، لما في أعمال العباد من العلل بل لو قدر زوال العلل من عبادته فلا يصبح له الوصول إلى الوقوف على عين الشريعة لحبسه في دائرة التقليد لإمامه فلا يزال إمامه حاجباً له عن شهود عين الشريعة الأولى التي يشهدها إمامه لا يمكن أن يتعداه ويشهدها إلا بالسلوك على يد شخص آخر فوقه في المقام من أكابر أئمة العارفين كما مر .

ومحال عليه أن يعتقد أن كل مجتهد مصيب إلا بالسلوك المذكور حتى يساويه في مقام الشهود .

---

(١) راجع في ذلك : الإمام الشعراني حياته وتصوفه فصل الكرامة للدكتور عبد الرحمن عميرة .

فإن قلت فاذا من أشرف على عين الشريعة الأولى يشارك المجتهدين في الاعتراف من عين الشريعة وينفك عن التقليد . .

فالجواب : نعم وهو كذلك فإنه ما ثم أحد حق له قدم الولاية المحمدية إلا ويصير يأخذ أحكام شرعة من حيث أخذها المجتهدون ، وينفك عنه التقليد لجميع العلماء إلا لرسول الله ﷺ ، ثم إن نقل عن أحد من الأولياء أنه كان شافعيًا أو حنفيًا مثلاً فذلك قبل أن يصل إلى مقام الكمال . وسمعت سيدي إعلياً الخواص رحمه الله يقول : لا يبلغ الولي مقام الكمال إلا إن صار يعرف جميع منازع جميع الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ ، ويعرف من أين أخذها الشارع من القرآن العظيم فإن الله تعالى قال : ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) .

فجميع ما بينته الشريعة من الأحكام هو ظاهر المأخذ للولي الكامل من القرآن كما كان عليه الأئمة المجتهدون ولولا معرفتهم بذلك ما قدروا على استنباط الأحكام التي لم تصرح بها السنة .

قال : وهي منقبة عظيمة للكامل حيث صار يشارك الشارع في معرفة منازع أقواله صورة من القرآن العظيم بحكم الإرث له ﷺ انتهى .

فإن قلت فهل يجب على المحجوب عن الاطلاع على العين الأولى للشريعة التقليد بمذهب معين . . ؟

فالجواب : نعم يجب عليه ذلك لثلا يضل في نفسه ويضل غيره ، فاعذر يا أخي المقلدين المحجوبين إذا انكشف حجابك في قولهم : المصيب واحد ولعله إمامي والباقي مخطيء يحتمل الصواب في نفس الأمر في كل مسألة فيها خلاف ونزل قول كل من قال : كل مجتهد مصيب على من انتهى سيره وخرج عن التقليد وشهد اعتراف العلماء كلهم من عين الشريعة ، ونزل قول كل من قال : المصيب واحد لا بعينه

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٣٨

والباقى مخطىء ىمتمل الصواب على من لم ينته سيره ولا ترجح قولاً منها على الآخر وأشكر ربك على ذلك والحمد لله رب العالمين . فعلم من جميع ما قررناه وجوب اتخاذ الشيخ<sup>(١)</sup> لكل عالم طلب الوصول إلى شهود عين الشريعة الكبرى ، ولو أجمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ولقبوه بالقضية الكبرى .

فإن لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحققون<sup>(٢)</sup> منهم دون الدخيل فيهم بالدعاوى والأوهام ، وربما كان من لقبوه بالقضية لا يصلح أن يكون مريداً للقطب ، بل قال بعض المحققين :

إن القطب لا يحيط بمقامات نفسه فضلاً عن غيره ، وذلك لأن صفات القضية في العبودية تقابل صفات الربوبية ، فكما لا تنحصر صفات الربوبية كذلك لا تنحصر صفات العبودية . انتهى . والحمد لله رب العالمين .

## فصل

فإن قلت : فإذا انفك قلب الولي عن التقليد ورأى المذاهب كلها متساوية في الصحة لاعترافها كلها من بحر الشريعة كشفاً و يقيناً فكيف يأمر المريد بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه . . ؟

فالجواب : إنما يفعل ذلك مع الطالب رحمة به وتقريباً للطريق عليه ليجمع شتات قلبه ويدوم عليه السير في مذهب واحد فيصل إلى عين الشريعة التي وقف عليها إمامه وأخذ منها مذهبه في أقرب زمان .

لأن من شأن المجتهد أن لا يبني قوله على قول مجتهد آخر ولو سلم له صحة مذهبه حفظاً لقلوب أتباعه عن التشتت .

وقد قالوا حكم من يتقيد بمذهب مدة ثم بمذهب آخر مدة وهكذا حكم من سافر يقصد موضع معين بعيد ثم صار كلما بلغ ثلث الطريق أداه اجتهاده أنه لو سلك إلى مقصده من طريق كذا لكان أقرب من هذا الطريق فيرجع عن سيره ويعود قاصداً ابتداء السير من أول تلك الأخرى ، فإذا بلغ ثلثها مثلاً أداه اجتهاده إلى أن سلوك غيرها أيضاً أقرب لقصده ففعل كما تقدم له وهكذا ، فمثل هذا ربما أفنى عمره كله في السير ولم يصل إلى مقصده المعين الذي هو مثال عين الشريعة التي وصل إليها إمامه أو غيره من أصحاب تلك المذاهب .

على أن انتقال الطالب من مذهب إلى مذهب فيه قدح في حق ذلك الإمام الذي انتقل عن مذهبه على تفصيل سيأتي إن شاء الله تعالى في فصل حكم المنتقل من مذهب

إلى مذهب ولو صدق هذا الطالب في صحة هذا الاعتقاد في أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم لما طلب الانتقال من مذهب إلى غيره بل كان يشهد أن كل مذهب عمل به وتقيد عليه أوصله إلى باب الجنة كما سيأتي بيانه آخر هذا الباب في فصل الأمثلة المحسوسة للميزان إن شاء الله تعالى .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما أمر علماء الشريعة الطالب بالتزام مذهب معين ، وعلماء الحقيقة المريد بالتزام شيخ واحد تقريباً للطريق ، فإن مثال عين الشريعة أو حضرة معرفة الله عز وجل مثال الكف ومثال مذاهب المجتهدين وطريق الأشياخ مثال الأصابع ، ومثال أزمنة الاشتغال بمذهب ما أو طريق شيخ ما مثال عقد الأصابع لمن أراد الوصول إلى مس الكف لكن من طريق الابتداء بمس عقد الأصابع فكل عقدة من عقد الأصابع الثلاث بمثابة وصول الطالب إلى ثلث الطريق إلى سلوك عين الشريعة أو عين المعرفة التي مثلناها بالكف ، فإذا كان مدة سلوك المريد أو الطالب في العبادة ثلاث سنين ويصل إلى عين الشريعة أو حضرة المعرفة بالله تعالى فتقيد بمذهب أو شيخ سنة ثم ذهب لآخر سنة ثم لآخر سنة فقد فوت على نفسه الوصول ، ولو أنه جعل الثلاث سنين على يد شيخ واحد لأوصله إلى عين الشريعة أو حضرة المعرفة بالله تعالى فساوى صاحب مذهبه في العلم أو شيخه في المعرفة لكن فوت على نفسه بذهابه من مذهب أو شيخ إلى آخر لما تقدم من أنه لا يصح أن يبني مجتهد أو شيخ له على مذهب غيره أو طريق غيره ، فكأنه مقيم مدة سيره الثلاث سنين في أول عقدة من عقد الأصابع التي هي كناية عن ثلث الطريق ، ولو أنه دام على شيخ واحد لوصل إلى مقصوده ووقف على العين الكبرى للشريعة وأقر سائر المذاهب المتصلة بها بحق فافهم ، والحمد لله رب العالمين .

## فصل

فإن قلت : هذا في حق العلماء بأحكام الشريعة والحقيقة فما تقولون في أقوال أئمة الأصول والنحو والمعاني والبيان ونحو ذلك من توابع الشريعة هل هي كذلك على مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد كالأحكام الشرعية أم لا . . ؟

فالجواب : نعم هي كذلك لأن آيات الشريعة كلها من لغة ونحو وأصول وغير ذلك ترجع إلى تخفيف وتشديد ، فإن من اللغات وكلام العرب ما هو فصيح وأفصح ومنها ما هو ضعيف وأضعف فمن كلف العوام مثلاً اللغة الفصحى في غير القرآن أو الحديث فقد شدد عليهم ، ومن ساعهم فقد خفف ، وأما القرآن والحديث فلا تجوز قراءته باللحن اجماعاً إلا إذا لم يمكن اللحن التعلم<sup>(١)</sup> لعجز لسانه كما هو مقرر في كتب الفقه ، ومن أمر الطالب أيضاً بالتبحر في نحو علم النحو فقد شدد ، ومن اكتفى منه بمعرفة الإعراب الذي يحتاج إليه عادة فقد خفف ، وقد ينقسم تعلم هذه العلوم إلى فرض كفاية وإلى فرض عين فمثال فرض الكفاية ظاهر ومثال فرض العين في ذلك أن يخرج للشريعة مبتدع يجادل علماءها في معاني القرآن والحديث ، فإن تعلم هذه العلوم حينئذ يكون في حق العلماء الذين انحصر الاحتياج إليهم في مجلس المناظرة فرض عين .

فإن لم يخرج للشريعة مبتدع أو خرج ولم يتعين على جماعة كان تعلم هذه العلوم في حق غير من تعين عليه من العلماء فرض كفاية .

---

(١) ب اللحن التعليم

فإن الشريعة كالمدينة العظيمة وهذه العلوم كالمنجنيقات التي على سورها تمنع العدو من الدخول إليها ليفسد فيها فافهم .

فإن قلت : فما الحكم فيما إذا وجد الطالب حديثين أو قولين أو أقوالاً لا يعرف الناسخ من الحديثين ولا المتأخر من القولين أو الأقوال فماذا يفعل . . ؟

فالجواب : سبيله أن يعمل بهذا الحديث أو القول تارة وبالقول الآخر تارة ويقدم الأحوط منهما على غيره في الأمر والنهي بشرطه بمعنى أنه يترك العمل بغيره جملة ، وإن كان أحدهما منسوخاً أو رجع عنه المجتهد في نفس الأمر فذلك لا يقدح في العمل به .

فإن قلت : قد تقدم أن الولي الكامل لا يكون مقلداً وإنما يأخذ علمه من العين التي أخذ منها المجتهدون مذاهبهم ونرى بعض الأولياء مقلداً لبعض الأئمة .

فالجواب : قد يكون ذلك الولي لم يبلغ إلى مقام الكمال أو بلغه ولكن أظهر تقيده في تلك المسألة بمذهب بعض الأئمة أدباً معه حيث سبقه إلى القول بها وجعله الله تعالى إماماً يقتدى به واشتهر في الأرض دونه ، وقد يكون عمل ذلك الولي بما قال به ذلك المجتهد لا اطلاعه على دليله لا عملاً بقول ذلك المجتهد على وجه التقليد له بل لموافقته لما أدى إليه كشفه ، فرجع تقليد هذا الولي للشارع لا لغيره وما ثم ولي يأخذ علماً إلا من<sup>(١)</sup> الشارع ويحرم عليه أن يخطو خطوة في شيء لا يرى قدم نبيه أمامه فيه .

وقد قلت مرة لسيدي علي الخواص رضي الله عنه كيف صح تقليد سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني<sup>(٢)</sup> للإمام أحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup> وسيدي محمد الحنفي الشاذلي للإمام أبي

---

(١) ب الا عن الشارع

(٢) الإمام أحمد بن حنبل بن هلال ، وقد كان مقام الأسرة أولاً بخرسان حيث كان جده والياً على سرخس من ولاياتها ، ثم كان أبوه قائد من قواد المسلمين وولد في شهر ربيع الاول سنة ١٦٤ وقد كانت ولادته ببغداد .

(٣) عبد القادر الجيلاني ٤٩١ - ٥٦١ هـ - ١٠٩٨ - ١١٦٦ م

عبد القادر بن عبد الله بن جنكي دوست الحسيني مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد =



حنيفة مع اشتهاهما بالقضية الكبرى وصاحب هذا المقام لا يكون مقلداً إلا للشارع وحده . . ؟

فقال رضي الله عنه : قد يكون ذلك منها قبل بلوغها إلى مقام الكمال ثم لما بلغا إليه استصحب الناس ذلك اللقب في حقهما مع خروجهما عن التقليد اهـ فاعلم ذلك .

---

== والمتصوفين ، ولد في جيلان وراء طبرستان وانتقل إلى بغداد شاباً تصدر للتدريس والفتوى ببغداد سنة ٥٢٨ هـ

## فصل

فإن قلت : إن الأئمة المجتهدين قد كانوا من الكمل بيقين لا اطلاعهم على عين الشريعة كما تقدم فكيف كانوا يعقدون مجالس المناظرة مع بعضهم بعضاً مع أن ذلك ينافي مقام من أشرف على عين الشريعة الأولى ورأى اتصال مذاهب المجتهدين كلها بعين الشريعة . . . ؟

فالجواب : قد يكون مجلس المناظرة بين الأئمة إنما وقع منهم قبل بلوغ المقام الكشفي واطلاعهم على اتصال جميع مذاهب المجتهدين بعين الشريعة الكبرى فإن من لازم المناظرة ادحاض حجة الخصم وإلا كانت المناظرة عبثاً ، ويحتمل أن مجلس المناظرة كان بين مجتهد وغير مجتهد فطلب المجتهد بالمناظرة ترقية ذلك الناقص إلى مقام الكمال لا ادحاض حجته من كل وجه ، ويحتمل أيضاً أن يكون مجلس المناظرة إنما كان لبيان الأكمل والأفضل ليعمل أحدهم به ويرشد أصحابه إلى العمل به من حيث أنه أرقى في مقام الإسلام أو الإيمان أو الإحسان أو الإيقان ، وبالجملة فلا تقع المناظرة بين الكاملين على الحد المتبادر إلى الإذهان أبداً بل لا بد لها من موجب وأقرب ما يكون قصدهما تشحيذ ذهن أتباعهما وإفادتهم كما كان المصطفى ﷺ يفعل بعض أشياء لبيان الجواز وإفادة الأمة نحو حديث : « أما الإسلام وأما الإيمان وأما الإحسان » (١) . . ؟

وايضاح ذلك أن كل مجتهد يشهد صحة قول صاحبه ولذلك قالوا المجتهد لا ينكر على مجتهد لأنه يرى قول خصمه لا يخرج عن إحدى مرتبتي الشريعة وأن خصمه

---

(١) رواه الإمام البخاري ومسلم

على هدى من ربه في قوله وثم مقام رفيع ومقام أرفع .

فإن قلت : فهل يصح في حق من اطلع على عين الشريعة المطهرة الجهل بشيء من أصول أحكام الشريعة المطهرة . . ؟

فالجواب : إنه لا يصح في حقه الجهل بمنزعه قول من أقوال العلماء بل يصير يقرر جميع مذاهب المجتهدين وأتباعهم من قلبه ولا يحتاج إلى نظر في كتاب لأن صاحب هذا المقام يعرف كشافاً وقيناً وجه إسناد كل قول في العلم إلى الشريعة ويعرف من أين أخذه صاحبه من الكتاب والسنة بل يعرف إسناد كل قول إلى حضرة الاسم الذي برز من حضرته من سائر الأسماء الالهية وهذا هو مقام العلماء بالله تعالى وبأحكامه على التحقيق .

فإن قلت : فعلى ما قررتم من أن سائر الأئمة على هدى من ربهم فكل شخص يزعم أنه يعتقد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم نفرت نفسه من العمل بقول غير إمامه وحصل له به الحرج والضيق فهو غير صادق في اعتقاده المذكور فالجواب : نعم والأمر كذلك ولا يكمل اعتقاده إلا إن تساوى عنده العمل بقول كل مجتهد على حد سواء بشرطه السابق في الميزان .

فإن قلت : فهل يجب على مثل هذا السلوك على يد شيخ حتى يصل إلى شهود عين الشريعة الأولى في مقام الإيمان والإحسان والإيقان من حيث أن لكل مقام من هذه المقامات عيناً تخصه. كما أن لكل عباده شروطاً في كل مقام منها كما يعرف ذلك أهل الكشف وبه يصير أحدهم يعتقد أن كل مجتهد مصيب .

فالجواب : كما تقدمت الإشارة إليه نعم يجب السلوك حتى يصل إلى ذلك لأن كل ما لم يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ، ومعلوم أنه يجب على كل مسلم اعتقاده أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ولا يصح الاعتقاد إلا أن يكون جازماً ولا يصح الجزم الحقيقي إلا بشهود العين التي يتفرع منها كل قول والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين .

## فصل

فإن قلت فيما إذا أجيب من نازعني في صحة هذه الميزان من المجادلين وقال هذا أمر ما سمعنا به عن أحد من علمائنا وقد كانوا بالمحل الأسنى من العلم: فما الدليل عليها من الكتاب والسنة وقواعد الأئمة .

( فالجواب ) من أدلة هذه الميزان طلب الشارع منا الوفاق وعدم الخلاف في قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾<sup>(١)</sup> أي بالآراء التي لا يشهد لموافقتها كتاب ولا سنة وأما ما شهد له الكتاب والسنة فهو من جمع الدين لا من تفرقته ومن الدليل على ذلك أيضاً قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى :

﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(٥)</sup> .

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٥

(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨

(٤) سورة التغابن آية رقم ١٦ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

( وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة ) منها قوله ﷺ :

« الدين يسر ولن يشاء الدين أحد إلا غلبه »<sup>(٢)</sup> ومنها قوله ﷺ لمن بايعه :  
« على السمع والطاعة في المنشط والمكروه فيما استطعتم » . ومنها قوله ﷺ : « إذا  
أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ومنها قوله ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وبشروا  
ولا تنفروا »<sup>(٣)</sup> .

ومنها قوله ﷺ :

« اختلاف أممي رحمة »<sup>(٤)</sup> أي توسعة عليهم وعلى اتباعهم في وقائع الأحوال  
المتعلقة بفروع الشريعة وليس اختلافهم المراد في الأصول كالتوحيد وتوابعه . وقال  
بعضهم : المراد به اختلافهم في أمر معاشهم وسيأتي أن السلف كانوا يكرهون لفظ  
الاختلاف . ويقولون إنما ذلك توسعة خوفاً أن يفهم أحد من العوام من الاختلاف  
خلاف المراد وقد كان سفيان الثوري<sup>(٥)</sup> رحمه الله تعالى يقول : ( لا تقولوا تختلف  
العلماء في كذا وقولوا قد وسع العلماء على الأمة بكذا ) .

ومن الدليل على صحة مرتبتي الميزان أيضاً من قول الأئمة قول إمامنا الشافعي  
وغیره رضي الله عنهم أن أعمال الحديثين أو القولين بحملهما على حالين أولى من إلغاء  
أحدهما : فعلم أن من طعن في صحة هذه الميزان لا يخلو إما أن يطعن فيما شددت فيه

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٣

(٢) رواه الإمام البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والنسائي عن انس رضي الله عنهم

(٤) قال في المقاصد رواه البيهقي في المداخل بسند منقطع عن ابن عباس وقد أورده ابن الحاجب في المختصر

في مباحث القياس بلفظ اختلاف أممي رحمة للناس .

(٥) راجع ترجمة سفيان الثوري أمير الحديث ص ١١٤ .

أو خففت فيه لكون إمامه قال : بضده فقل له : إن كلا من هذين الأمرين جاءت به الشريعة وإمامك لا يجهل مثل ذلك ، فإذا اخذ إمامك بتخفيف أو تشديد فهو مسلم لمن أخذ بالمرتبة الأخرى . ضرورة فيجب على كل مقلد اعتقاد أن إمامه لو عرض عليه حال من عجز عن فعل العزيمة التي قال هو بها لأفتاه بالرخصة التي قال بها غيره اجتهداً منه لهذا العاجز لا تقليداً لذلك الإمام الذي قال بها أو كان يقر ذلك المجتهد على الفتوى بها وكل من أمعن النظر في كلام الأئمة المجتهدين رضي الله عنهم وجد كل مجتهد يخفف تارة ويشدد أخرى بحسب ما ظفر به من أدلة الشريعة فإن كل مجتهد تابع لما وجد من كلام الشارع لا يخرج في استنباطه عنه أبداً وغاية كلام المجتهد أنه أوضح كلام الشارع للعامة بلسان يفهمونه لما عندهم من الحجاب الذي هو كناية هنا عن عدم التوفيق لما يحتاج إليه من طرق الفهم الذي يفتقر معه إلى توفيق كلام أحد من الخلق سوى<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ الثابت عنه ولو أن حجابهم رفع لفهموا كلام الشارع كما فهمه المجتهدون ولم يحتاجوا إلى من يشرحه لهم وقد قدمنا آنفاً أن أحداً من المجتهدين لم يشدد في أمر أو يخفف فيه إلا تبعاً للشارع فما رأى الشارع تسدد فيه شدد وما رآه خفف فيه خفف قياماً بواجب شعائر الدين سواء أوقع التشديد في فعل الأمر أم اجتناب النهي وجميع المجتهدين على ذلك كما يعرف من سير مذاهبهم .

وإيضاح ذلك أن كل ما رآه الأئمة يخل بشعار الدين فعلاً أو تركاً أبقوه على التشديد وكل ما رآوا أن به كمال شعار الدين لا غير ولا يظهر به نقص فيه أبقوه على التخفيف إذ هم أمناء الشارع على شريعته من بعده وهم الحكماء العلماء فافهم .

فإن قلت : إن بعض المقلدين يزعم أن إمامه إذا قال بعزيمة لا يقول بالرخصة أبداً وإذا قال برخصة لا يقول بمقابلها من العزيمة أبداً بل كان إمامه ملازماً قولاً واحداً بطرده في حق كل قوي وضعيف حتى مات وأنه لو عرض عليه حال من عجز عن فعل العزيمة لم يفته بالرخصة أبداً .

---

(١) ب سوى كلام رسول الله

فالجواب : أن هذا اعتقاد فاسد في الأئمة ومن اعتقد مثل ذلك في إمامه فكأنه يشهد على إمامه بأنه كان مخالفاً لجميع قواعد الشريعة المطهرة من آيات وأخبار وآثار كما مر بيانه آنفاً وكفى بذلك قدحاً وجرحاً في إمامه لأنه قد شهد عليه بالجهل بجميع ما انطوت عليه الشريعة من التخفيف والتشديد فالحق الذي يجب اعتقاده في سائر الأئمة رضي الله عنهم أنهم إنما كانوا يفتنون كل أحد بما يناسب حاله من تخفيف وتشديد في سائر أبواب العبادات والمعاملات ومن نازعنا في ذلك من المقلدين فليأتنا بنقل صحيح السند عنهم بأنهم كانوا يعممون في الحكم الذي كانوا يفتنون به الناس في حق كل قوي وضعيف ونحن نوافقه على ما زعمه ولعله لا يجد في ذلك نقلاً عنهم متصل السند منهم إليه نلتزمه حجة له أبداً على هذا الوجه أي بل لا بد لنا من القدرة بمشيئة الله تعالى على القدح في فهم ذلك المقلد لعبارة ذلك الإمام رضي الله تعالى عنه فإن من المعلوم أن جميع أقوال المجتهدين تابعة لأدلة الشريعة من تخفيف أو تشديد كما مر آنفاً بحكم المطابقة فما صرحنا الشريعة بحكمه لا يمكن أحداً منهم الخروج عنه أبداً وما أجملته أي ذكرته ولم تبين مرتبته فإن المجتهدين يرجعون فيه إلى قسمين : قسم يخفف وقسم يشدد بحسب ما يظهر لهم من المدارك أو لغة العرب كما يعرف ذلك من سير مذاهب الأئمة وذلك نحو حديث « إنما الأعمال بالنيات » <sup>(١)</sup> أو حديث « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » <sup>(٢)</sup> أو « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » <sup>(٣)</sup> أو « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » <sup>(٤)</sup> فإن من المجتهدين من قال ( لا صلاة أو لا وضوء لمن ذكر تصح أصلاً ومنهم من قال لا صلاة كاملة ولا وضوء كامل ) ولفظ الأحاديث المذكورة يشهد لكل إمام لا سبيل لأحدهما أن يهدم قول الآخر جملة من غير تطرق احتمال

(١) روى الإمام البخاري هذا الحديث في أواخر كتاب الإيمان عن عبد الله بن مسلمة عن مالك بزيادة « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ».

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم بزيادة « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ».

(٣) رواه الإمام البخاري والإمام مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي عن عباد بن الصامت رضي الله عنه .

(٤) رواه الدارقطني عن جابر وعن أبي هريرة ورمز له السيوطي بالضعف في الصغير

أي معنى يعارض في ذلك أبداً - وأقرب معنى في ذلك أن حكم الله تعالى في حق كل مجتهد ما ظهر له في المسائل الشرعية ولا يطالب بسوى ما يظهر له أبداً .

فإن قلت : فإذا كان من كمال الشريعة سيدنا محمد ﷺ التي اختص بها أنها جاءت على ما ذكر من التخفيف والتشديد الذي لا يشق على الأمة كل تلك المشقة وبذلك ونحوه كان ﷺ رحمة للعالمين<sup>(١)</sup> في تكميل أديانهم ودفع مافيه مشقة عليهم ( فالجواب ) : نعم وهو كذلك فرحم ﷺ أقوياء أمته بأمرهم باكتسابهم الفضائل والراتب العلية وذلك بفعل العزائم التي يترقون بها في درجات الجنة ورحم الضعفاء بعدم تكليفهم ما لا يطيقونه مع توفر أجورهم كما ورد في حق من مرض أو سافر من أن الحق تعالى يأمر الملائكة أن يكتبوا له ما كان يعمل صحيحاً مقبلاً . فعلم ان الشريعة لو كانت جاءت على إحدى مرتبتي الميزان فقط لكان فيها حرج شديد على الأمة في قسم التشديد ، ولم يظهر للدين شعار في قسم التخفيف وكان كل من قلد إماماً في مسألة قال فيها بالتشديد لا يجوز العمل<sup>(٢)</sup> بقول غيره في مضايق الأحوال والضرورات فكانت المشقة تعظم على الأمة بذلك فالحمد لله الذي جاءت شريعة نبينا ﷺ على أكمل حال بحكم الاعتدال فلا يوجد شيء فيها فيه مشقة على شخص إلا ويوجد فيها شيء آخر فيه التخفيف عليه إما حديث أو أثر أو قول إمام آخر أو قول في مذهب ذلك المشدد مرجوح يخفف عنه .

فإن قلت : فما الجواب إن نازعنا أحد فيما قلناه من المقلدين الذين يعتقدون أن الشريعة جاءت على مرتبة واحدة وهي ما عليه إمامه فقط ويرى غير قول إمامه خطأ محتمل . . ؟ الصواب قلنا له :

( الجواب ) : إننا نقيم عليه الحجة من فعل نفسه وذلك إننا نراه يقلد غير إمامه في بعض الوقائع فنقول له : هل صار مذهب إمامك فاسداً حال عملك بقول غيره ،

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٢) ب لا يجوز له العمل بقول غيره



ومذهب الغير صحيحاً أم مذهبك باق على صحته حال عملك بقول غيره ولعله لا يجد له جواباً سديداً يجيبك به أبداً على وجه الحق وسمعت سيدي علياً الخواص<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل لمؤمن العمل بالشرعية كلها وهو متقلد بمذهب واحد أبداً ولو قال صاحبه إذا صح الحديث فهو مذهبي لترك ذلك المقلد الأخذ بأحاديث كثيرة صحت عند غير إمامه وهذا من ذلك المقلد عمي في البصيرة عن طريق هذه الميزان وعدم فهمه لكلام إمامه رضي الله تعالى عنه إذ لو كان إمامه رضي الله تعالى عنه يقول عن<sup>(٢)</sup> نفسه الشريفة أنه أدري بشأن نصوص رسول الله ﷺ من كل أحد لما كان يقول رضي الله عنه إذا صح الحديث أي بعدي فهو مذهبي والله اعلم . انتهى . وهو كلام نفيس فإن الشريعة إنما تكمل أحكامها بضم جميع الأحاديث والمذاهب بعضها الى بعض حتى تصير كأنها مذهب واحد ذو مرتبتين وكل من اتسع نظره وتبحر في الشريعة واطلع على أقوال علمائها في سائر الأدوار وجد الشريعة منسوخة من الآيات والأخبار والآثار سداها ولحمتها منها وكل من أخرج حديثاً أو أثراً أو قولاً من أقوال علمائها عنها فهو قاصر جاهل ونقص علمه بذلك وكان كالثوب الذي نقص من قيامه أو لحمته سلك أو أكثر بحسب ما يقتضيه الحال . فالشريعة الكاملة حقيقة هي جميع المذاهب الصحيحة بأقوالها لمن عقل واستبصر فضم يا أخي جميع أحاديث الشريعة وآثارها وأقوال علمائها إلى بعضها بعضاً وحينئذ يظهر لك كمال عظمة الشريعة وعظمة هذه الميزان ثم انظر إليها بعد الضم تجدها كلها لا تخرج عند مرتبتي تخفيف وتشديد أبداً وقد تحققنا بهذا المشهد والله الحمد من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

( فإن قلت ) فما اصنع بالأحاديث التي صحت بعد موت إمامي ولم يأخذ

بها . . ؟

( فالجواب ) الذي ينبغي لك أنك تعمل بها فإن إمامك لو ظفر بها وصحت

عنده لربما كان أمرك بها فإن الأئمة كلهم أسرى في يد الشريعة كما سيأتي بيانه في فصل

(١) راجع ترجمة علي الخواص ص ١١٦ والطبقات الكبرى للإمام الشعراني ص ١٣٥ ج ٢

(٢) ب يقول من نفسه

تبريهم من الرأي ومن فعل مثل ذلك فقد حاز الخير بكلتا يديه ومن قال لا أعمل بحديث إلا إن أخذ به إمامي فإنه خير كثير كما عليه كثير من المقلدين لأئمة المذاهب وكان الأول لهم العمل بكل حديث صح بعد إمامهم تنفيذاً لوصية الأئمة فإن اعتقادنا فيهم أنهم لو عاشوا وظفروا بتلك الأحاديث التي صحت بعدهم لأخذوا بها وعملوا بها وتركوا كل قياس كانوا قاسوه ، وكل قول كانوا قالوه وقد بلغنا من طرق صحيحة أن الإمام الشافعي<sup>(١)</sup> أرسل يقول للإمام أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup> إذا صح عندكم حديث فأعلمونا به لنأخذ به ونترك كل ما قلناه قبل ذلك أو قاله غيرنا فإنكم أحفظ للحديث ونحن أعلم به انتهى ( فإن قلت ) فإذا قلتم إن جميع مذاهب المجتهدين لا يخرج شيء منها عن الشريعة فأين الخطأ الوارد في حديث « إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران »<sup>(٣)</sup> مع أن استمداد العلماء كلهم من بحر الشريعة .

( فالجواب ) إن المراد بالخطأ هنا هو خطأ المجتهدين في عدم مصادقة الدليل في تلك المسألة لا الخطأ الذي يخرج به عن الشريعة . لأنه إذا خرج عن الشريعة فلا أجر له لقول ﷺ :

« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »<sup>(٤)</sup> . انتهى .

وقد أثبت الشارع له الأجر فيما بقي. إلا أن معنى الحديث أن الحاكم إذا اجتهد وصادف نفس الدليل الوارد في ذلك عن الشارع فله أجران . أجر التبع وأجر مصادقة الدليل وإن لم يصادف عين الدليل وإنما صادف حكمه فله أجر واحد وهو

(١) راجع ترجمة الإمام الشافعي ص ٢١٥ .

(٢) راجع ترجمة الإمام أحمد بن حنبل ص ٨٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والإمام البخاري ومسلم في صحيحهما وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ورواه الإمام أحمد والإمام البخاري والإمام مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنهم .

(٤) رواه الشيخان وأبو داود ، وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ « ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

أجر التتبع فالمراد بالخطأ هنا الخطأ الإضافي لا الخطأ المطلق . فافهم . فإن اعتقادنا أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم في جميع أقوالهم وما ثم إلا قريب من عين الشريعة وأقرب وبعيد عنها وأبعد بحسب طول السند وقصره وكما يجب علينا الإيمان بصحة جميع شرائع الأنبياء قبل نسخها مع اختلافها ومخالفة أشياء منها لظاهر شريعتنا فكذلك يجب على المقلد اعتقاد صحة مذاهب جميع المجتهدين الصحيحة وإن خالف كلامهم ظاهر كلام إمامه فإن الإنسان كلما بعد عن شعاع نور الشريعة خفي مدركه ونوره وظن غيره أن كلامه خارج عن الشريعة وليس كذلك ولعل ذلك سبب تضعيف العلماء كلام بعضهم بعضاً في سائر الأدوار إلى عصرنا هذا فتجد أهل كل دور يطعن في صحة قول بعض الأدوار التي مضت قبله وأين من يخرق بصره في هذا الزمان جميع الأدوار التي مضت قبله حتى يصل إلى شهود اتصالها بعين الشريعة الأولى التي هي كلام رسول الله ﷺ ممن هو محجوب عن ذلك فإن بين المقلدين الآن وبين الدور الأولى من الصحابة نحو خمسة عشر دوراً من العلماء فاعلم ذلك .

( فإن قلت ) فهل لهذه الميزان دليل في جعلها على مرتبتين من حضرة الوحي الإلهي قبل أن ينزل بها جبريل . . ؟

( فالجواب ) نعم أجمع أهل الكشف الصحيح على أن أحكام الدين الخمسة نزلت من أماكن مختلفة لا من محل واحد كما يظنه بعضهم فتزل الواجب من القلم الأعلى والمندوب من اللوح والحرام من العرش والمكروه من الكرسي والمباح من السدرة . فالواجب يشهد لمرتبة التجديد والمندوب يشهد لمرتبة التخفيف وكذلك القول في الحرام والمكروه وأما المباح فهو أمر برزخي جعله الله تعالى من جملة الرحمة على عباده ليستريحوا بفعله من جملة مشقة التكليف والتحجير ولا يكونوا فيه تحت أمر ولا نهي إذ تقيد البشر بأن يكون تحت التحجير على الدوام مما لا طاقة له به ولكن بعض العارفين قد قسم المباح أيضاً إلى تخفيف وتشديد بالنظر للأولى وخلاف الأولى فيكون ذلك عنده على قسمين : كالعزيمة والرخصة كما تقدم .

( فإن قلت ) فما الحكمة في تخصيص نزول الأحكام الخمسة من هذه الأماكن المتقدمة .

( فالجواب ) الحكمة في ذلك أن كل محل يمد صاحبه بما فيه فيكون من القلم الأعلى نظراً إلى التكاليف الواجبة فيمد أصحابها بحسب ما يرى فيها ويكون من العرش نظراً إلى المحظورات فيمد أصحابها بالرحمة لأن العرش مستوى الاسم الرحمن فلا ينظر إلى أهل حضرته إلا بعين الرحمة كل أحد بما يناسبه من مسلم وغيره رحمة إيجاب أو رحمة إمداد أو رحمة إمهال بالعقوبة ويكون من الكرسي نظراً إلى الأعمال والأقوال المكروهة فيسرع إلى أهلها بالعفو والتجاوز ولهذا كان يؤجر تارك المكروه ولا يؤخذ فاعله وأما السدرة فهي المرتبة الخامسة وإنما سميت منتهى لأنها لا يجاوزها شيء من أعمال بني آدم بمقتضى أن الأمر والنهي ينزل من قلم إلى لوح إلى عرش إلى كرسي إلى سدرة ثم يتعلق بعد ذلك بمظاهر المكلفين فليس للأحكام محل يجاوز السدرة للاستقرار فيه بينها وبين مظاهر المكلفين ابداً فهي منتهى مستقرات الأحكام في العالم العلوي فليتأمل .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول المباح قسم النفس وهو خاص بالسدرة واليها تنتهي نفوس عالم السعادة وإلى أصولها وهو الزقوم تنتهي نفوس عالم الشقاء الأبدي فاعلم ذلك فإنه نفيس والحمد لله رب العالمين .

## فصل

فإن ادعى أحد من العلماء ذوق هذه الميزان والتدين بها هل نصدقه او نتوقف في تصديقه . . ؟

( فالجواب ) إننا نسأله عن منازع أقوال مذاهب العلماء المستعملة والمندرسة فإن قررها كلها وردّها إلى مرتبتين وعرف مستنداتها من الكتاب والسنة كأصحابها صدقناه وإن توقف في توجيه شيء من ذلك تبين أنه لا ذوق له فيها وإنما هو عالم بها مسلم لأهلها لا غير . واعلم أن مرادنا بمنزح كل قول منشؤه مثال ذلك قول بعض العلماء بتحريم رؤية وجه الأمرد الجميل فهذا القول منشؤه الاحتياط ودليل هذا المحتاط نحو قوله ﷺ : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » <sup>(١)</sup> .

قال بعضهم ومن تأمل نحو قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

اعلم أن النهي عن القرب بغير الوجه المطلوب إنما هو تنفير مما لعله يؤدي إليه من الأضرار باليتيم وماله لاحت له اسرار منازع أقوال العلماء العاملين والأئمة المجتهدين فليتأمل والله أعلم : وقد تقدم أن الله تعالى لما منّ عليّ بالاطلاع على عين الشريعة رأيت المذاهب كلها متصلة بها ورأيت مذاهب الأئمة الأربعة تجري جداولها كلها

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس والنسائي عن الحسن بن علي والطبراني في الكبير عن وابصة بن معبد والخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهم .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٥٢

ورأيت جميع المذاهب التي اندرست قد استحالت حجارة ورأيت أطول الأئمة جدولاً الإمام ابا حنيفة ويليهِ الإمام مالك ويليهِ الإمام الشافعي ويليهِ الإمام احمد بن حنبل وأقصرهم جدولاً مذهب الإمام داود<sup>(١)</sup> وقد انقضى في القرن الخامس فأولت ذلك بطول زمن العمل بمذاهبهم وقصره فكما كان مذهب الإمام أبي حنيفة أول المذاهب المدونة تدويناً فكذلك يكون آخرها انقراضاً وبذلك قال اهل الكشف ثم لما نظرت إلى مذاهب المجتهدين وما تفرع منها في سائر الأدوار إلى عصرنا هذا لم اقدر أخرج قولاً واحداً من اقوالهم عن الشريعة لشهود ارتباطها كلها بعين الشريعة الأولى .

ومن اقرب مثال لذلك شبكة صياد السمك في أرض مصر فإن العين الأولى منها مثال عين الشريعة المطهرة فانظر الى العين المنتشرة منها إلى آخر الأدوار التي هي مثال اقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم إلى يوم القيامة تحط علماً بصورة ارتباط اقوالهم بعين الشريعة وتجد كل عين مرتبطة بما فوقها حتى تنتهي الى العين الأولى فيا سعادة من اطلعه الله تعالى على عين الشريعة الأولى كما اطلعنا ورأى ان كل مجتهد مصيب ويا فوزه ويا كثرة سروره إذا رآه جميع العلماء يوم القيامة وأخذوا بيده وتبسموا في وجهه وصار كل واحد يبادر الى الشفاعة فيه ويزاحم غيره على ذلك ويقول ما يشفع فيه إلا أنا ويا ندامة من قصر في السلوك ولم يصل إلى شهود العين الأولى من الشريعة ويا ندامة من قال المصيب واحد والباقي مخطيء فإن جميع من خطأهم يعبسون في وجهه لتخطئته لهم وتجرىحهم بالجهل وسوء الأدب وفهمه السقيم فاسع يا أخي الى الاشتغال بالعلم على وجه الإخلاص والورع والعمل بكل ما علمت حتى تطوى لك الطريق بسرعة وتشرف على مقام المجتهدين وتقف على العين الأولى التي اشرف عليها إمامك وتشاركه في الاعتراف منها فكما كنت متبعاً له حال سلوكك مع حجابك عن العين التي يستمد منها

---

(١) أبو سليمان داود بن علي بن خلف، الأصبهاني الإمام المشهور ، أخذ العلم عن اسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيزهما وصنف في فضائل الإمام الشافعي وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية . ولد بالكوفة سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة احدى ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين ودفن بالشويزية واصله من أصبهان

كذلك تكون متبعاً له في الاعتراف من العين التي اغترف منها ثم إذا حصلت ذلك المقام فاستصحب شهود العين الأولى وما تفرع منها في سائر الأدوار تصر توجه جميع اقوال العلماء ولا ترد منها قولاً واحداً إما لصحة دليل كل واحد منهم عندك من تخفيف أو تشديد وأما لشهودك صحة استنباطاتها<sup>(١)</sup> واتصالها بعين الشريعة وإن نزلت في آخر الأدوار فرجع الأمر في ذلك كله إلى مرتبة الشريعة من تخفيف وتشديد ولكل منهما رجال وقد كان الإمام أحمد يقول : كثرة التقليد عمى في البصيرة : كأنه يحث العلماء على أن يأخذوا أحكام دينهم من عين الشريعة ولا يقنعوا بالتقليد من خلف حجاب أحد من المجتهدين فالحمد لله الذي جعلنا من يوجه كلام جميع علماء الشريعة ولا يرد من أقوالهم شيئاً لشهودنا اتصال أقوالهم كلها بعين الشريعة ويؤيدنا حديث « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »<sup>(٢)</sup> . انتهى .

وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين فهو صحيح عند أهل الكشف ومعلوم أن المجتهدين على مدرجة الصحابة سلكوا فلا تجد مجتهد إلا وسلسلته متصلة بصحابي قال بقوله أو بجماعة منهم .

( فإن قلت ) فلا شيء قدم العلماء كلام المجتهدين من غير الصحابة على كلام آحاد الصحابة مع أن المجتهدين من فروعهم . . ؟

( فالجواب ) إنما قدم العلماء كلام المجتهد غير الصحابي على كلام الصحابي في بعض المسائل لأن المجتهد لتأخره في الزمان أحاط علماً بجميع أقوال الصحابة أو غالبهم فرجع الأمر في ذلك إلى مرتبة الميزان من تخفيف وتشديد لأن ما عليه جمهور الصحابة أو بعضهم لا يخرج عن ذلك . وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه<sup>(٣)</sup> الله تعالى يقول مراراً : ( عين الشريعة كالبحر فمن أي الجوانب اغترفت منه فهو

(١) صحة استنباطاتهم

(٢) رواه البيهقي ، واسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ « أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

(٣) الإمام زكريا الأنصاري راجع ترجمته ص ١٦٦ .

واحد) وسمعتة أيضاً يقول : ( إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته  
إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت  
عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها . فإذا احطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك  
الأمر الذي انكرتموه فيها فحينئذ لكم الإنكار والخير لكم وإني لكم بذلك ) فقد روى  
الطبراني<sup>(١)</sup> مرفوعاً « إن شريعتي جاءت على ثلثمائة وستين طريقة ما سلك أحد  
طريقة منها إلا نجا » انتهى والحمد لله رب العالمين .

---

(١) روى هذا الحديث الإمام الطبراني فقط ويخيل إلينا أنه لم يروه غيره



## فصل

إن أردت يا أخي الوصول إلى معرفة هذه الميزان ذوقاً وتصوير تقرر مذاهب المجتهدين ومقلديهم كما يقررها أصحابها فاسلك كما مرّ طريق القوم والرياضة على يد شيخ صادق له ذوق في الطريق ليعلمك الاخلاص والصدق في العلم والعمل ويزيل عنك جميع الرعونات النفسية التي تعوقك عن السير وامثل إشارته إلى أن تصل إلى مقامات الكمال النسبي وتصير ترى الناس كلهم ناجين إلا أنت فترى نفسك كأنك هالك فإن سلكت كذلك ضمنت لك إن شاء الله تعالى وصولك في أسرع زمان عادة إلى شهود عين الشريعة الأولى التي يتفرع منها قول كل عالم . وأما سلوكك<sup>(١)</sup> بغير شيخ فلا يسلم غالباً من الرياء والجدال . والمزاحمة على الدنيا ولو بالقلب من غير لفظ فلا يوصلك إلى ذلك ولو شهد لك جميع اقرانك بالقطبية فلا عبرة بهذه الشهادة وقد اشار إلى ذلك الشيخ محيي الدين<sup>(٢)</sup> في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فقال : من سلك الطريق بغير شيخ ولا ورع عما حرم الله تعالى فلا وصول<sup>(٣)</sup> إلى معرفة الله تعالى المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه الصلاة والسلام ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك فهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرات الأسماء الإلهية ويرى اتصال جميع اقوال العلماء

---

(١) يتفق الكثير من الصوفية على أن السلوك يكون عن طريق شيخ صادق في الطريق وإما عن طريق الجذب

كما يقول بعضهم جذبة من جذبات الحق تساوي عمل الثقلين

(٢) راجع ترجمة الإمام محيي الدين بن العربي صاحب الفتوحات المكية ص ١٠١ .

(٣) ب فلا وصول له

بحضرة الأساء ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين لشهوده اتصال جميع أقوالهم بحضر الأساء والصفات لا يخرج عن حضرتها قول واحد من أقوالهم إنتهى وهذا نظير ما قدمناه في عين الشريعة الكبرى .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إذا انتهى سلوك المريد انحلت عنه عقدة التفضيل بالفهم وتمسك بمعرفة معنى قوله تعالى ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وعرف هناك أن كل من فضل بعقله بعض الرسل على بعض من غير كشف صحيح فقد فرق بخلاف من فضل بالكشف فإنه يشهد وحده الأمر ويرى عين الجمع هي عين الفرق كما أن السالك من طلبة العلم يسلك حنفياً أو حنبلياً مثلاً مقتصرأ على مذهب واحد بعينه يدين الله تعالى به لا يرى مخالفته فينتهي به هذا المشهد الى مقام يصير يتعبد نفسه فيه بجميع المذاهب من غير فرقان أي لشهوده اعتراف جميع المذاهب من عين واحدة . انتهى كلام الشيخ . وهو شاهد عظيم للميزان مقدر للقولين في مسألة : هل كل مجتهد مصيب أم لا ؟

فاعلم ان كل من كان في حال السلوك فهو لم يقف على العين الأولى فلا يقدر على أن يتعقل أن كل مجتهد مصيب بخلاف من انتهى سلوكه فإنه يشهد يقينا أن كل مجتهد مصيب وحيث لا يكثر الإنكار عليه من عامة المتقلدين متى صرح لهم بما يعتقده لحجابه عند شهود المقام الذي وصل اليه فهم معذورون من وجه غير معذورين من وجه آخر من حيث لم يردوا صحة علم ذلك إلى الله تعالى فإنه ماثم لنا دليل واضح يرد كلام أهل الكشف أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً لأن الكشف لا يأتي إلا مؤيداً بالشرعية دائماً إذ هو إخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه وهذا هو عين الشريعة .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : العلوم الدنية كلها من انواع علوم الخضر<sup>(٢)</sup> عليه السلام ولا يخفى عليكم ما وقع من إنكار السيد موسى عليه

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٦

(٢) راجع ترجمة سيدي الخضر عليه السلام ص ١٢٤ .

الصلاة والسلام ولكن لما سكنت موسى عن إنكاره عليه آخر الأمر علمنا أن موسى عليه الصلاة والسلام أطلعه الله تعالى على ما أطلع عليه الخضر عليه السلام وإلا فما كان يسوغ له السكوت على ما يراه منكراً عنده . فإن خرق سفينة قوم بغير إذنه خوفاً أن يسخرها ظالم أو قتل غلام خوفاً أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً لا تجوز مثله الشريعة انتهى .

وقد أشار الى نحو ذلك الشيخ محمي الدين أوائل الفتوحات فقال : من علامة العلوم اللدنية أن تمجها العقول من حيث أفكارها ولا يكاد أحد من غير أهلها يقبلها إلا بالتسليم لأهلها من غير ذوق وذلك لأنها تأتي أهلها من طريق الكشف لا الفكر وما تعود العلماء أخذ العلوم إلا من طريق افكارهم فإذا أتاهم علم من غير طريق أفكارهم أنكروه لأنه أتاهم من طريق غير مألوفة عندهم انتهى .

ومن هنا تعلم يا أخي أن من أنكر هذه الميزان من المحجوبين فهو معذور لأنها من العلوم اللدنية التي أوتيها الخضر عليه السلام بيقين فاعلم ذلك . والحمد لله رب العالمين .

## فصل

في بيان تقرير قول من قال : إن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا بعينه وحمل كل قول على حاله وبيان ما يؤيد هذه الميزان ( اعلم ) أن مما يؤيد هذه الميزان ما أجمع عليه اهل الكشف وصرح به الشيخ محيي الدين في الكلام على مسح الخف من الفتوحات فقال لا ينبغي لأحد قط أن يخطئ مجتهداً أو يطعن في كلامه لأن الشرع الذي هو حكم الله تعالى قد قرر حكم المجتهد فصار شرعاً لله تعالى بتقرير الله تعالى إياه قال وهذه مسألة يقع في محظورها كثير من اصحاب المذاهب لعدم استحضارهم ما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به . وكل من خطأ مجتهداً بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكماً انتهى .

وفي هذا الكلام ما يشعر بإلحاق اقوال المجتهدين كلها بنصوص الشارع وجعل اقوال المجتهدين كأنها نصوص للشارع في جواز العمل بها بشرطه السابق في الميزان ويؤيد ذلك أيضاً قول علمائنا . لو صلى إنسان أربع ركعات لأربع جهات بالاجتهاد فلا قضاء مع أن ثلاث جهات منها غير القبلة بيقين ولكن لما كانت كل ركعة مستندة إلى الاجتهاد قلنا بالصحة ولم تكن جهة أولى بالقبلة من جهة ، ومما يؤيد ذلك ايضاً ما أجمع عليه اهل الكشف من أن المجتهدين هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة في علوم الوحي فكما أن النبي معصوم كذلك وارثه محفوظ من الخطأ في نفس الأمر وإن خطأه أحد فذلك الخطأ إضافي فقط لعدم إطلاعه على دليل فإن جميع الأنبياء والرسل في منازل رفيعة لم يرثهم فيها إلا العلماء المجتهدون فقام اجتهداهم مقام نصوص الشارع

في وجوب العمل به فإنه ﷺ أباح لهم الاجتهاد في الأحكام تبعاً لقوله تعالى :  
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

ومعلوم أن الاستنباط من مقامات المجتهدين رضي الله عنهم فهو تشريع عن أمر الشارع كما مر فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد الذي أقره الشارع عليه كما أن كل نبي معصوم انتهى .

وسمعت بعض أهل الكشف يقول : إنما تعبد الله تعالى المجتهدين بالاجتهاد ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة فلا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيهم محمد ﷺ فيحشر علماء هذه الأمة حفاظ أدلة الشريعة المطهرة العارفون بمعانيها في صفوف الأنبياء والرسل لا في صفوف الأمم فما من نبي أو رسول إلا وبجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان ، أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم منهم له درجة الأستاذية في علم الأحكام والأحوال والمقامات والمنازلات الى ختام الدنيا بخروج المهدي عليه السلام .

ومن هنا تعلم أن جميع المجتهدين تابعون للشارع في التخفيف والتشديد فإياك أن يشدد إمام مذهبك في أمر فتأمر به جميع الناس أو يخفف في أمر فتأمر به جميع الناس فإن الشريعة قد جاءت على مرتبتين لا على مرتبة واحدة كما مر في الميزان ولذلك صح لك القول بأن الله تعالى لم يكلف عباده بما يشق أبداً بل دعا ﷺ على من شق على أمته بقوله : « اللهم من ولي من أمور أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به ومن شق على أمتي فاشق اللهم عليه »<sup>(٢)</sup> ولم يبلغنا أنه ﷺ دعا على من سهل عليهم أبداً بل

---

(١) سورة النساء آية رقم ٨٣

(٢) إرواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ورمز له الإمام جلال الدين السيوطي في جامعه الصغير بالصحة .

كان يقوله لأصحابه : « اتركوني ما تركتكم »<sup>(١)</sup> خوفاً عليهم من كثرة تنزل الأحكام التي يسألونه عنها فيعجزون عن العمل بها فالعالم الدائر مع رفع الحرج دائر مع الاصل الذي ينتهي اليه أمر الناس في الجنة بخلاف الدائر مع الحرج فإنه دائر مع أمر عارض يزول بزوال التكليف .

( فإن قلت ) فإذا من ألزم الناس بالتقيد بمذهب واحد فقد ضيق عليهم وشق عليهم .

( فالجواب ) أنه ليس في ذلك مشقة في الحقيقة لأن صاحب ذلك المذهب لم يقل بالزام الضعيف بالعزيمة بل جوزله الخروج من مذهبه الى الرخصة التي قال بها غيره فرجع مذهب هذا الإمام الى مرتبة الشريعة فلا تضيق ولا مشقة على من التزم مذهبا معينا فإن لم تفهم الشريعة هكذا فما فهمت وإن لم تقرر مذاهب المجتهدين هكذا فما قررت ولا كان صح للمقلد اعتقاد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم بل كان يخالف قوله جنانه وذلك معدود من صفات النفاق وقد تقدم أنني ما وضعت هذه الميزان في هذه السطور إلا انتصاراً للمذاهب الأئمة ومقلديهم خلاف ما أشاعه عني بعض الحسدة من قوله أن من تأمل في هذه الميزان وجدها تحكم بتخطة جميع المجتهدين قال لأن كل مجتهد لا يقول بقول الآخر بل يخطئه فيلزم من ذلك تخطة كل مجتهد في تخطئته الآخر انتهى كلام هذا الحاسد .

( فالجواب ) قد أجمع الناس على قولهم أن مجتهداً لا ينكر على مجتهد وإن كل واحد يلزمه العمل بما ظهر له أنه الحق وقد أرسل الليث بن سعد<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه

---

(١) روي الحديث برواية : « فروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » . أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والإمام مسلم في صحيحه ، والإمام النسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، إمام أهل مصر في الفقه والحديث ، أصله من أصبهان وسمع من نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما .  
ولد سنة اثنتين وتسعين للهجرة وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة

سؤالاً كما مرّ الى الإمام مالك يسأله عن مسألة فكتب اليه الإمام مالك أما بعد فإنك يا أخي إمام هدى وحكم الله تعالى في هذه المسألة هو ما قام عندك انتهى وما ذلك إلا لاطلاع كل مجتهد على عين الشريعة الاولى التي يتفرع منها كل مذهب ولولا اطلاعه لكان من الواجب عليه الانكار ويحتمل ان من خطأ غيره من الائمة إنما وقع ذلك منه قبل بلوغه مقام الكشف كما يقع فيه كثير ممن ينقل كلام الائمة من غير ذوق فلا يفرق بين ما قاله العالم أيام بدايته وتوسطه ولا بين ما قاله أيام نهايته فتأمل في هذا الفصل فإنه ناطق بصحة هذه الميزان ومذاهب المجتهدين كلها لتقرير الشارع حكمهم باستناده الى الاجتهاد والحمد لله رب العالمين .

## فصل

لا يلزم من تقييد كامل من الأولياء أو المجتهدين بالعمل بقول دون آخر أن يكون يرى بطلان ذلك القول الذي لم يعمل به فيحتمل أنه إنما ترك العمل به لكونه ليس من أهله سواء أكان ذلك في العزيمة أم الرخصة فإن كل كامل ومجتهد يرى استمداد سائر المذاهب من عين الشريعة سواء المذاهب المستعملة والمندرسة فكل قول لا يعمل به لعدم اهليته له فهو في حقه كالحديث المنسوخ وفي حق غيره كالحديث المحكم وأما غير الكامل من المقلدين فحكمه حكم من كان متعبداً بشريعة عيسى التي لم تبدل مثلاً ثم نسخت بشريعة محمد ﷺ فإنه يلزمه العمل بشريعة محمد ﷺ وترك ما نسخ من شريعة عيسى فترى العلماء يتعبدون بقول مدة من الزمان ثم يظهر لهم قول آخر هو أصح دليلاً عندهم من الأول فيتركون الأول ويعملون بالثاني ويصير الأول عندهم كأنه حديث منسوخ مع أن علماءهم الذين تقدموا تعبدوا بذلك القول زماناً ، وافتوا به الناس حتى ماتوا فلو قلت لأحد الآن تعبد بذلك القول القديم لا يجيب إلى ذلك وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد أن يتعبد عباده بأحكام أخر على وجه آخر مخصوص غير الأحكام التي كانوا عليها أظهر لعلمائهم وجه ترجيح أقوال غير الأقوال التي كانوا يرجحونها فبادروا إلى العمل بما ترجح عندهم وتبعهم المقلدون لهم في الترجيح على ذلك بانسراح صدر وهكذا الأمر إلى انقراضه المذاهب ويؤيد ذلك قول السيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الله عز وجل يحدث للناس أفضية بحسب زمانهم وأحوالهم وتبعه على ذلك عطاء<sup>(١)</sup>

(١) عطاء : أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي الفقيه: كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة سمع جابر بن عبد =



ومجاهد<sup>(١)</sup> والإمام مالك فكانوا لا يفتون فيما يسألون عنه من الوقائع إلا إن وقع ويقولون فيما لم يقع إذا وقع ذلك فعلماء ذلك الزمان يفتونهم فيه انتهى .

وربما يكون في باطن ذلك أيضاً رحمة بالأمة لأن الحق تعالى ربما علم من أهل ذلك الزمان الممل من العمل بذلك الحكم فقيض لهم من أبطله ممن يمكنهم الأخذ عنه من جنسهم لانقطاع الوحي رحمة منه تعالى بهم حيث كان يحدث لهم في كل زمان من الشرع أحكاماً يتلقونها بالقبول وميل النفس فلا يجدون في العمل بها مشقة في الجملة وقد يقال - والله تعالى اعلم : إن ذلك إنما كان من الله تعالى ليقع لعلماء هذه الأمة مثل ما وقع للأنبياء الذين هم ورثتهم من ظهورهم بشرع كالجديد كل برهة من الزمان يشبه النسخ لشرعية من قبلهم من غير نسخ حقيقية .

وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما من قول من أقوال المذاهب المستعملة والمندرسة إلا وقد كان شرعاً لنبي تقدم فأراد الحق تعالى بفضلته ورحمته أن يجعل لهذه الأمة نصيباً من العمل ببعض تشريع الأنبياء ليحصل لهم بعض الأجر الذي كان يحصل للعاملين بنحو ما عملوا به من شرائع الأنبياء خصوصية لهذه الأمة من حيث أن شريعة نبيهم حاوية لمجموع أحكام الشرائع المتقدمة انتهى .

فاعلم<sup>(٢)</sup> أنه لا يلزم من ترك الكامل العمل يقول : أن يكون ذلك لكونه يراه خارجاً عن الشريعة لأن ذلك القول المتروك لا يخرج عن كونه رخصة أو عزيمة فرجع الأمر إلى مرتبتي التخفيف والتشديد .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول أيضاً : اعتقدنا<sup>(٣)</sup> في جميع

---

= الله الانصاري ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم توفي

سنة خمس عشرة ومائة وعمره ثمان وثلاثون سنة رضي الله عنه

(١) مجاهد : بن جبر أبو الحجاج المخزومي - مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة . [ صون

المنطق والكلام للسيوطي ] .

(٢) ب فعلم

(٣) ب اعتقدنا

الأكابر من العلماء انهم ما سلموا لبعضهم بعضاً إلا لعلمهم صحة أقوالهم ومستنداتهم واتصالها بعين الشريعة لا إحساناً للظن بهم من غير اطلاع على صحتها واتصالها بعين الشريعة وقد تقدم أن بعض اتباع المجتهدين وصل الى شهود عين الشريعة الأولى وقال كل مجتهد مصيب كابن عبد البر المالكي والشيخ أبي محمد الجويني والشيخ عبد العزيز الديري وأضرابهم بدليل أن الشيخ أبي محمد صنف كتابه المسمى « بالمحيط » الذي تقدم أنه لم يتقيد فيه بمذهب وكذلك الشيخ عبد العزيز الديري صنف كتاب « المدرر الملتقط في المسائل المختلطة » أفتى فيها على المذاهب الأربعة فلولا اطلاعه على مستندات الأئمة الأربعة ما كان يسوغ له أن يفتي على مذاهبهم كلهم وحمل أمثال هؤلاء على أنهم كانوا يفتون على المذاهب من باب الايمان والتسليم من غير أن يعرف أحدهم مستندات أصحابها فيها ومدارك أقوالهم بعيد جداً على مقامهم وكذلك القول فيمن اختار غير ما نص عليه إمامه يحتمل أنه إنما اختاره لاطلاعه على اتصال ذلك القول بعين الشريعة المطهرة كما اتصل بها قول إمامه على حد سواء كالإمام زفر<sup>(١)</sup> وأبي يوسف وأشهب وابن القاسم والنووي<sup>(٢)</sup> والرافعي<sup>(٣)</sup> والطحاوي<sup>(٤)</sup> وغيرهم من أتباع المجتهدين ويحتمل أن كل من أفتى واختار غير قول إمامه لم يطلع على أدلة إمامه وإنما أفتى لاعتقاده صحة قول ذلك الإمام الآخر في نفس الأمر . . فعلم أن كل مقلد اطلع على عين الشريعة المطهرة لا يؤمر بالتقيد بمذهب واحد لأنه يرى اتصال أقوال الأئمة كلها صحيحة وضعيفها بعين الشريعة الكبرى وإن أظهر التقيد بمذهب واحد فانما

---

(١) الإمام زفر : أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس- الفقيه الحنفي ، كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وهو قياس أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، ومولده سنة عشر ومائة وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة .

(٢) الإمام النووي : هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي ابو زكريا يحيى الدين ، ولد سنة ٦٣١ هـ في قرية نوى وانتقل الى دمشق وتلقى العلم على الرضى بن برهان توفي رحمه الله سنة ٦٧٦ من مؤلفاته المنهاج في شرح صحيح مسلم .

(٣) عبد الكريم الرافعي ٦٦٣ هـ ١٢٢٦ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي عالم ديني كبير كان له مجلس بقزوين في التفسير والحديث وتوفي فيها له كتاب المحرز في الفقه وشرح مسند الشافعي .

(٤) راجع ص ١٧٨ .

ذلك لكونه من أهل تلك المرتبة التي تقيد بها من تخفيف أو تشديد وربما لزم المذهب الأحوط في الدين مبالغة منه في طاعة الله تعالى من باب التطوع في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ (١) .

وإلى نحو ما ذكرناه أشار الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه بقوله : ما جاء عن رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه تخيرنا وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال انتهى .

ففي ذلك إشارة إلى ان للعبد أن يختار من المذاهب ما شاء من غير وجوب ذلك عليه إن (٢) كان من أهل ذلك المقام .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى إذا سأل إنسان عن التقيد بمذهب معين الآن هل هو واجب أم لا يقول له : يجب عليك التقيد بمذهب ما دمت لم تصل إلى شهود عين الشريعة الأولى خوفاً من الوقوع في الضلال وعليه عمل الناس اليوم فإن وصلت إلى شهود عين الشريعة الأولى فهناك لا يجب عليك التقيد بمذهب لأنك ترى اتصال جميع مذاهب المجتهدين بها وليس مذهب أولى بها من مذهب فيرجع الأمر عندك حينئذ إلى مرتبتي التخفيف والتشديد بشرطهما .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى : يقول ايضاً : ما ثم قول من أقوال العلماء إلا وهو مستند إلى أصل من أصول الشريعة لمن تأمل لأن ذلك القول إما أن يكون راجعاً إلى آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح . لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الآيات أو الأخبار أو الآثار ومنه ما هو مأخوذ من المأخوذ أو من المفهوم فمن أقوالهم ما هو قريب ومنها ما هو أقرب ومنها ما هو بعيد ومنها ما هو أبعد ومرجعها كلها إلى الشريعة لأنها مقتبسة من شعاع نورها وما ثم لنا فرع يتفرع من غير أصل أبداً كما مر بيانه في الخطبة وإنما العالم كلما بعد عن عين

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٤

(٢) ب إذا كان من أهل

الشريعة ضعف نور اقواله بالنظر الى نور أول مقتبس من عين الشريعة الأولى ممن قرب منها .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول ايضاً : كل من اتسع نظره من العلماء ورأى عين الشريعة الأولى وما تفرع منها في سائر الأدوار واستصحب شهود ما تفرع منها في سائر الأدوار وهو نازل إلى آخر الأدوار أقر بحقيقة<sup>(١)</sup> مذاهب الأمة ومقلديهم من عصر رسول الله ﷺ إلى عصره هو اهد وسيأتي مثاله في فصل الأمثلة المحسوسة إن شاء الله تعالى من تمثيل ذلك بالشجرة أو شبكة الصيد وغير ذلك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ب أقر بحقية جميع مذاهب

## فصل

وإياك يا أخي ان تطالب أحداً من طلبة العلم الآن بصدق اعتقاده في أن كل مجتهد مصيب ما دام مرتكباً خطيئة واحدة لا سيما محبته للدنيا وشهواتها كما أنه لا ينبغي لك أن تطالبه بمثل ذلك ما دام في حجاب التقليد لإمامه فإنه محجوب بإمامه عن شهود العين الأولى التي اغترف منها إمامه لا يراها أبداً بل مره بالسلوك على يد شيخ عارف بطريق القوم وبالعوائق التي تعوق الطالب عن الوصول الى منتهى السير فإذا بلغ النهاية وشهد مذاهب العلماء كلها شارعة إلى كبد العين وجداولها كما سيأتي بيانه في الأمثلة المحسوسة فهناك يقرر مذاهب الأئمة المجتهدين كما مر في الفصل قبله ويقول : كل مجتهد مصيب وأما قبل بلوغه إلى هذا المقام فلا يجوز لك منعه من التقيد بمذهب واحد بل إنك لو نهيته عن ذلك لا يجيبك لأن من لازمه أن يقول : المصيب واحد في نفس الأمر ولعله مذهبي أنا وحدي والباقي مخطيء لا يتعقل في قلبه غير ذلك ويقول : الحق واحد غير متعدد ويجعل الشريعة جاءت على مرتبة واحدة لا على مرتبتين وأن الصحيح من الشريعة هو ما أخذ به إمامه سواء كان تخفيفاً أم تشديداً والحق أن الشريعة جاءت على مرتبتين بقرينة صحة أدلة كل من المرتبتين غالباً في أحاديث لا تحصى كما سيأتي بيانه في فصل الجمع بين الأحاديث إن شاء الله تعالى وكثيراً ما يقول البيهقي<sup>(١)</sup> وغيره كالحافظ الزيلعي<sup>(٢)</sup> ممن جمع أدلة المذاهب في كتابه

---

(١) احمد بن الحسين البيهقي الحافظ ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل الى بيهق من كتبه السنن الصغرى ودلائل النبوة ، وشعب الايمان .

(٢) الحافظ الزيلعي ت ٧٦٢ هـ ١٣٦٠ م جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد فقيه عالم بالحديث اصله =

وانتصر لمذهبه ورجح أدلته بكثرة الرواة أو صحة السند وهذا الدليل وإن كان صحيحاً فأحاديث مذهبنا أصح سنداً أو أكثر رواة وما قال ذلك إلا عند العجز عن تضعيف دليل المخالف وادحاضه بالكلية ولو أن صاحب هذا القول من البيهقي أو غيره اطلع على ما اطلعنا عليه من ان الشريعة المطهرة جاءت على مرتبتين تخفيف وتشديد لم يحتج إلى قوله أحاديثنا أصح وأكثر بل كان يرد كل حديث أو قول خالف الآخر إلى إحدى مرتبتي الشريعة وكذلك القول في مرجحي المذاهب من مقلدي الأئمة قلت : ما قالوا : «<sup>(١)</sup> إلا الأصح كذا وكذا إلا لعدم إطلاعهم على مرتبتي الميزان ، ولو أنهم اطلعوا عليهما ما جعلوا من اقوال مذهبهم اصح وصحيحاً ، وأظهر وظاهراً ، بل كانوا يقولون : بصحة الأقوال كلها ويردونها إلى مرتبتي التخفيف والتشديد وإفتاء كل سائل بما يناسب حالة من قوة أو ضعف برخصة أو عزيمة وكان يفتي احدهم على الأربعة مذاهب .

( فإن قال لنا الشافعي ) : فعلى هذه الميزان فلي أن أصلي إذا مسست ذكرى بلا تهديد وضوء ( قلنا له ) نعم لك ذلك ولكن بشرط أن تكون من أهل هذه الرخصة لا مطلقاً وذلك كما إذا ابتلى الشخص بكثرة الوسواس في الوضوء لصلاة الصبح مثلاً حتى كاد الوقت يخرج فلما فرغ هذا من الوضوء مس فرجه بغير قصد ففي مثل هذه الصورة له تقليد للإمام أبي حنيفة في الصلاة بهذه الطهارة التي وقع فيها مس الفرج بشرطها تحصيلاً لفعل الفريضة في وقتها فإن المقاصد أكد من الوسائل عند جمهور العلماء لا سيما وقد ورد في الحديث « هل هو إلا بضعة منك »<sup>(٢)</sup> ولم يكبت عند من قال بذلك نسخة على اصطلاحنا فرجع الأمر في هذه المسألة إلا مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد فليس لنحو من لم يتبل بالوسواس أن يصلي إذا مس فرجه أو لمس اجنبية مثلاً إلا بعد تجديد الطهارة .

= من زيلع ووفاته في القاهرة ، من كتبه تخريج أحاديث الهداية في مذهب الحنفية وتخريج أحاديث الكشاف .  
(١) ب ما قالوا قلت إلا الأصح

(٢) رواه الإمام البيهقي في سننه والإمام مسلم في صحيحه ، وقال الميتمي رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

( فإن قال ) لنا احد من قلد ابا<sup>(١)</sup> حنيفة رضي الله عنه : إن إمامنا لا يقول بمطلوبية الطهارة ممن مس فرجه أبداً سواء كان ممن يعسر عليه تجديد الطهارة أم لا .

( قلنا له ) هات لنا عند ذلك بسند متصل منك إليه في هذه المسألة إنه صرح بذلك ولعله لا يجد ذلك أبداً لا سيما وقد انعقد الاجماع على أن الأولى للشخص مراعاة الخروج من الخلاف في كل عبادة اداها وهذه القاعدة هي مدار إصلاح<sup>(٢)</sup> صاحب هذه الميزان وهناك نقول له : إن ذلك شهادة منك على إمامك بالجهل بمرتبتني الشريعة وعدم اطلاعه على العين الأولى من الشريعة كما اطلع عليها بقية المجتهدين ونقول له أيضاً : أين اعتقادك في ورع إمامك الذي كان لا يدون مسألة واحدة مما استنبطه من الكتاب والسنة حتى يعقد لها مجلساً من العلماء ؟ ويقول أترضون هذا . . ؟ فإذا قالوا : نعم قال : لأبي يوسف أو محمد بن الحسن<sup>(٣)</sup> اكتب ذلك وإن لم يرضوه تركه - واعتقادنا في جميع الأئمة المجتهدين أنهم كانوا لا يشبتون لهم قولاً في الشريعة إلا عند فقدهم النص في ذلك عن الشارع فلو أن الإمام أبا حنيفة ظفر بحديث «من مس فرجه فليتوضأ»<sup>(٤)</sup> لقال به أيضاً وحمله على اهل العافية من الوسواس مثلاً أو على الأكابر من العلماء والصالحين ونزل الحديثين على مرتبتي الميزان وقس على ذلك يا أخي كل ما كان واجب الفعل أو الترك في مذهبك فلك فعله إن كنت من اهله ولك تركه إن عجزت عن فعله حساً أو شرعاً فالعجز الحسي معروف والعجز الشرعي هو كما إذا رأيت الماء مثلاً وحال دونه مانع من سبع أو قاطع طريق مثلاً وقد تقدم أول الميزان أن مرتبتها على الترتيب الوجوبي لا على التخيير فإياك أن تذهل عن ذلك وكذلك تقدم إن

---

(١) من قلد الإمام أبا حنيفة

(٢) ب اصطلاح

(٣) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرسنا وولد بواسط ونشأ بالكوفة وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقّه علي أبي يوسف وصنف كثيراً من الكتب منها الجامع الكبير ، والجامع الصغير ونشر علم أبي حنيفة وولد سنة خمس وثلاثين ومائة ومات سنة تسع وثمانين ومائة بالري رضي الله عنه .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٠٨ .

كل من نازعنا من المقلدين في حمل<sup>(١)</sup> الدليلين أو القولين على حالين وادعى أن إمامه كان يطرد القول بالتشديد أو التخفيف في حق كل قوي وضعيف طالبناه بالنقل الصحيح عن إمامه أو خطأناه فيما ادعى وكل من نور الله تعالى قلبه<sup>(٢)</sup> لا يفتي أحداً برخصة إلا إن رآه عاجزاً ولا بعزيمة إلا إن رآه قادراً وإن لم يكن صاحب الواقعة حاضراً عند إمامه حين افتى الناس بذلك حتى إن صاحب هذا النور يعرف جميع المسائل التي افتى بها إمامه الأقوياء والضعفاء على التفصيل وقد تحققنا بمعرفة ذلك والحمد لله .

إذا علمت ذلك فيقال لكل مقلد : امتنع من العمل بقول غير إمامه في مضايق الأحوال - امتناعك هذا تعنت لا ورع لأنك تقول : لنا إنك تعتقد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وإن كل إمام عملت بقوله منهم فأنت على هدى من ربك فيه وذلك لاغتراف الأئمة كلهم مذاهبهم من عين الشريعة ثم أول جميع ما اغترفوه منها لا يخرج عن مرتبتي الميزان أبداً كما لا تخرج أبداً<sup>(٣)</sup> عن أن تكون من أهل واحدة منهما فتعمل بما أنت اهله من رخصة أو عزيمة كما سيأتي بسطه في الجمع بين أقوال أئمة المذاهب إن شاء الله تعالى :

( فإن قال الشافعي ) ايضاً : فعلى ما قررتموه في هذه الميزان فلي أن اصلي بلا قراءة فاتحة الكتاب مع القدرة عليها .

قلنا له : هي عزيمة فإن قدرت على قراءتها لم يجزئك غيرها وإن كنت عاجزاً عن قراءتها فاقرأ غيرها وعلى ذلك مع الاصطلاح المتقدم قريباً يحمل قول الإمام أبي حنيفة بعدم تغنيها وإن عمم مقلدوه الحكم في ذلك للقادر والعاجز فافهم والحمد لله رب العالمين . .

---

(١) ب في حمله الدليلين

(٢) ب وكل من نور الله تعالى قلبه وعرف مقام الأئمة في الورع وعدم القول بالرأي في دين الله تعالى شهد لهم كلهم بأن أحد منهم كان لا يفتي .

(٣) ب كما لا تخرج أنت عن أن تكون .



## فصل

ومما يدل على صحة ارتباط جميع اقوال علماء الشريعة بعين الشريعة كارتباط الظن بالشخص ما يفصلونه من المجمل في الشريعة فما فصل عالم ما أجمل في كلام من قبله من الأدوار الا للنور المتصل به من الشارع ﷺ فالمنة في ذلك حقيقة لرسول الله ﷺ الذي هو صاحب الشرع لأنه هو الذي اعطى العلماء تلك المادة التي فصلوها بها ما أجمل في كلامه كما أن المنة بعده لكل دور على من تحته فلو قدر أن اهل دور تعدوا من فوقهم الى الدور الذي قبله لانقطعت وصلتهم بالشارع ولم يهتدوا للإيضاح مشكل ولا تفصيل مجمل .

وتأمل يا أخي لو أن<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ ما فصل بشريعته ما أجمل في القرآن لبقية القرآن على إجماله كما أن الأئمة المجتهدين لو لم يفصلوا ما أجمل في السنة لبقية السنة على إجمالها وهكذا الى عصرنا هذا فلولا أن حقيقة الإجمال سارية في العالم كله من العلماء ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا وضع العلماء على الشروح حواشي كالشروح للشروح .

( فإن قلت ) : فما الدليل على ما قلت من وجود الإجمال في الكتاب .  
والتفصيل له في السنة . . ؟

( قلنا ) قوله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> فإن

---

(١) ب لولا أن رسول

(٢) سورة النحل أية رقم ٤٤

البيان وقع بعبارة أخرى غير عبارة الوحي الذي نزل عليه فلو أن علماء الأمة كانوا يستقلون بالبيان وتفصيل المجمل واستخراج الأحكام من القرآن لكان الحق تعالى اكتفى من رسوله ﷺ بالتبليغ للوحي من غير أن يأمره ببيان .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا<sup>(١)</sup> رحمه الله يقول : لولا بيان رسول الله ﷺ والمجتهدين لنا ما أجهل في الكتاب والسنة لما قدر أحد منا على ذلك كما أن الشارع لولا بين لنا بسنة أحكام الطهارة ما اهتمدنا لكيفيتها من القرآن ولا قدرنا على استخراجها منه وكذلك القول في بيان عدد ركعات الصلوات من فرض ونفل وكذلك القول في أحكام الصوم والحج والزكاة وكيفيتها وبيان انصبتها وشروطها وبيان فرضها من سنتها وكذلك القول في سائر الأحكام التي وردت مجملة في القرآن لولا أن السنة بينت لنا ذلك ما عرفناه والله تعالى في ذلك حكم وأسرار يعرفها العارفون انتهى .

قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى : ومن هنا تعلم يا ولدي أن السنة قاضية على ما نفهمه من أحكام الكتاب ولا عكس فإنه ﷺ هو الذي أبان لنا أحكام الكتاب بالفاظ شريعته ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾<sup>(٢)</sup> وفي القرآن العظيم ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾<sup>(٣)</sup> يعني إلى الكتاب والسنة واعلموا بما وافقهما أو وافق احدهما عندكم انتهى .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى ايضاً يقول : لا يكمل مقام العالم عندنا في العلم حتى يرد سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأدوار إلى الكتاب والسنة ولا يصير عنده جهل بنزع قول واحد منها لو عرض عليه قال : وهناك يخرج من مقام العوام ويستحق التقليل بالعالم وهو أول مرتبة تكون للعلماء

---

(١) شيخ الإسلام زكريا ؟ هو زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا الانصاري السنيكي القاهري الازهري الشافعي زين الدين أبو يحيى عالم شارك في الفقه والفرائض والتفسير ولد بسنيكة عام ٨٢٦ هـ ١٤٢٣ م ونشأ بها وتحول إلى القاهرة وتوفي رحمه الله عام ٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م .

(٢) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤ .

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩

بالله تعالى ثم يترقى احدهم عن ذلك درجة بعد درجة حتى يصير يستخرج جميع احكام القرآن وآدابه من سورة الفاتحة فإذا قرأ بها في صلاته ربما يكون ثوابه كشواب من قرأ القرآن كله من حيث احاطته بمعانيه ثم يترقى من ذلك حتى يصير يخرج احكام القرآن كله وأحكام الشريعة وجميع اقوال المجتهدين ومقلديهم الى يوم القيامة من أي حرف شاء من حروف الهجاء ثم يترقى الى ما هو ابلغ من ذلك .

قال وهذا هو العالم الكامل عندنا انتهى .

وسمعتة مرارا يقول : الجدل في الشريعة من بقايا النفاق لأنه يراد به إدحاض حجة الغير من العلماء. وقد قال تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فنفى تعالى الايمان عمن يجد في الحكم عليه بالشريعة حرجا وضيقا وقال ﷺ :

« عند نبي لا ينبغي التنازع » (٢) .

ومعلوم أن نزاع الإنسان لعلماء شريعته وجدالهم وطلب ادحاض حججهم التي هي الحق كالجدال معه ﷺ وان تفاوت المقام في العلم فإن العلماء على مدرجة الرسل درجوا وكما يجب علينا الإيمان والتصديق بكل ما جادت به الرسل وإن لم نفهم حكمته فكذلك يجب علينا الإيمان والتصديق بكلام الأئمة وإن لم نفهم علته حتى يأتيانا عن

(١) سورة النساء آية رقم ٦٥

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ولفظه قال : حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس يوم الخميس ، وما يوم الخميس ؟ ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى ، فقلت يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال : « اتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي ، فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع » ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر استفهموه ، قال : « دعوني فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ، قال : وسكت عن الثالثة ، أو قالها فأنسيها . صحيح مسلم ج ١١ ص ٩٠ ، ٩٢ شرح النووي .

الشارع ما يخالفه وقد تقدم نقل الاجماع على وجوب الايمان والتصدق بشرائع الرسل كلهم وإن اختلفوا في التشريع وإنها كلها حق مع اختلافها وتباينها وكذلك القول في مذاهب الأئمة المجتهدين يجب الايمان بصحتها على سائر المقلدين الذي يشهدون تباينها وتناقضها حتى يمين الله تعالى عليهم بالإشراف على عين الشريعة المطهرة الكبرى واتصال جميع أقوال العلماء بها فهناك يجد أحدهم جميع مذاهب المجتهدين ومقلديهم ترجع إلى الشريعة المطهرة لا يخرج عنها من أقوالهم قول واحد لرجوعها جميعها إلى مرتبة الشريعة المطهرة من تخفيف وتشديد فيما ثم عند صاحب هذا المشهد تخطئة لأحد من العلماء في قول له أصل فيها أبدا وإن وقع أن أحدا من المقلدين خطأ أحدا في شيء من ذلك فليس هو خطأ في نفس الأمر وإنما هو خطأ عنده فقط لخفاء مدركه عليه لا غير . وروينا عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول التسليم نصف الايمان ، قال له الربيع الجيزي (١) بل هو الايمان كله يا أبا عبد الله فقال : وهو كذلك وكان الإمام الشافعي يقول : من كمال إيمان العبد أن لا يبحث في الوصول ولا يقول فيها لِمَ ولا كيف ؟ فقليل له : وما هي الأصول ؟ فقال هي الكتاب والسنة والجماع الأمة . انتهى .

أي فنقول في كل ما جاءنا عن ربنا أو نبينا : آمنا بذلك على علم ربنا فيه ويقاس بذلك ما جاء عن علماء الشريعة فنقول : آمنا بكلام أئمتنا من غير بحث فيه ولا جدال . ( فإن قلت ) : فهل يصح لأحد الآن الوصول إلى مقام أحد من الأئمة المجتهدين . . ؟ ( فالجواب ) : نعم لأن الله تعالى على كل شيء قدير ولم يرد لنا دليل على منعه ولا في نفس الأدلة الضعيفة هذا ما نعتقد وندين الله تعالى به وقد قال بعضهم : إن الناس الآن يصلون إلى ذلك من طريق الكشف فقط لا من طريق النظر والاستدلال فإن ذلك مقام لم يدعه أحد بعد الأئمة الأربعة إلا الإمام محمد ابن جرير

---

(١) الربيع : بن سليمان بن داود الجيزي الموادي أبو محمد البصري مات سنة ٢٥٦ هـ روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيراً وكان ثقة وروى عنه أبو داود والنسائي وكان صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ودفن بالجيزة رحمه الله .

ولم يسلموا له ذلك كما مر وجميع من ادعى الاجتهاد المطلق إنما مراده المطلق المنتسب الذي لا يخرج عن قواعد إمامه كابن القاسم وأصبغ<sup>(١)</sup> مع مالك وكمحمد وأبي يوسف مع أبي حنيفة وكالمزني<sup>(٢)</sup> والربيع<sup>(٣)</sup> مع الشافعي إذ ليس في قوة أحد بعد الأئمة الأربعة أن يبتكر الأحكام ويستخرجها من الكتاب والسنة فيما نعلم أبداً ومن ادعى ذلك قلنا له فاستخرج لنا شيئاً لم يسبق لأحد من الأئمة استخراجها فإنه يعجز فليتأمل ذلك مع ما قدمناه آنفاً<sup>(٤)</sup> مع سعة قدرة الله تعالى لا سيما والقرآن لا تنقضي عجائبه ولا أحكامه في نفس الأمر فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أبو عبد الله أصبغ بن الفرّج بن سعيد بن نافع الفقيه المالكي المصري كان كاتب ابن وهب وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان ابن الحكم الأموي والى مصر ، وتوفي سنة ٢٢٥ قال عبد الملك بن

الماجشون ما أخرجت مصر مثل أصبغ .

(٢) راجع ترجمة المزني ص ١٠٤ .

(٣) راجع ترجمة الربيع الجيزي ص ١٦٨ .

(٤) ب مع ما قدمناه آنفاً من سعة قدرة الله

## فصل

ومما يؤيد هذه الميزان عدم إنكار أكابر العلماء في كل عصر على من انتقل من مذهب إلى مذهب إلا من حيثما يتبادر إلى الأذهان من توهم الطعن في ذلك الإمام الذي خرج من مذهبه لا غير بدليل تقريرهم لذلك المنتقل على المذهب الذي انتقل إليه إذ المذاهب كلها عندهم طريق إلى الجنة كما سيأتي بيانه أواخر الأمثلة المحسوسة إن شاء الله تعالى فكل من سلك طريقاً منها أوصلته إلى السعادة والجنة وكان الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى يقول : ولم يبلغنا عن أحد من الأئمة أنه أمر أصحابه بالتزام مذهب معين لا يرى صحة خلافه بل المنقول عنهم تقريرهم الناس على العمل بفتوى بعضهم بعضاً لأنهم كلهم على هدى من ربهم وكان يقول أيضاً : لم يبلغنا في حديث صحيح ولا ضعيف أن رسول الله ﷺ أمر أحداً من الأئمة بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه وما ذلك إلا لأن كل مجتهد مصيب . انتهى .

ونقل القرافي<sup>(١)</sup> الإجماع من الصحابة رضي الله عنهم على أن من استفتى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وقلدهما فله بعد ذلك أن يستفتي غيرهما من الصحابة ويعمل به من غير تكبر وأجمع العلماء على أن من أسلم فله أن يقلد من يشاء من العلماء بغير حجة ومن ادعى دفع هذين الإجماعين فعليه الدليل . انتهى .

---

(١) القرافي : . . ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م

أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي الصنهاجي من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب وهو مصري المولد والنشأة والوفاء له مصنفات جليلة في الفقه والأصول منها « أنوار البروق في أنواء الفروق » ومنها كتاب « اليواقيت في أحكام المواقيت » .

وكان الإمام الزناتى<sup>(١)</sup> من أئمة المالكية يقول : يجوز تقليد كل من أهل المذاهب في النوازل وكذلك يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب لكن بثلاثة شروط :

الأول : ألا يجمع بينهما على وجه يخالف الإجماع كمن تزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود فإن هذه الصورة لم يقل بها أحد .

الثاني : أن يعتقد فيمن يقلده الفضل ببلوغ أخباره إليه .

الثالث : ألا يقلد وهو في عماية من دينه كأن يقلد في الرخصة من غير شرطها انتهى .

وقال القرافي : يجوز الانتقال من جميع المذاهب إلى بعضها بعضاً في كل ما لا ينتقض فيه حكم حاكم وذلك في أربعة مواضع :

أن يخالف الإجماع أو النص أو القياس الجلي أو القواعد . انتهى .

قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : ومن بلغنا أنه انتقل من مذهب إلى آخر من غير تكير عليه من علماء عصره الشيخ عبد العزيز بن عمران الخزاعي<sup>(٢)</sup> كان من أكابر المالكية فلم قدم الإمام الشافعي بغداد تبعه وقرأ عليه كتبه ونشر علمه ومنهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم<sup>(٣)</sup> كان على مذهب الإمام مالك فلم قدم الإمام الشافعي إلى مصر انتقل إلى مذهبه وصار يحث الناس على اتباعه ويقول : يا إخواني هذا ليس بمذهب إنما هو شريعة كله . وكان الإمام الشافعي يقول

---

(١) عبد العزيز بن عمران بن أيوب الخزاعي المصري الملقب أبو علي أخذ عن الشافعي وعن عبد الله بن وهب ، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما وهو ابن بنت سعيد بن أيوب وكان فقيها زاهداً توفي

سنة ٢٣٤ هـ رحمه الله .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الشافعي ولد سنة ١٨٢ هـ وتوفي ٢٦٨ هـ وحمل في المحنة إلى بغداد إلى القاضي أحمد بن أبي داود فلم يجب إلى ما طلب منه فرده إلى مصر .

له : سترجع إلى مذهب أبيك فلما مات الإمام الشافعي رجع كما قال الشافعي وكان يظن أن الإمام يستخلفه على حلقة درسه بعده فلما استخلف البويطي<sup>(١)</sup> رجع ابن عبد الحكم وصحت فراسة الشافعي رضي الله تعالى عنه ومنهم إبراهيم بن خالد البغدادي<sup>(٢)</sup> كان حنفياً فلما قدم الشافعي بغداد ترك مذهبه واتبعه ومنهم أبو ثور<sup>(٣)</sup> كان له مذهب فتركه واتبع الشافعي ومنهم أبو جعفر بن نصر الترمذي<sup>(٤)</sup> رأس الشافعية بالعراق كان أولاً حنفياً فلما حج رأى ما يقتضي انتقاله للمذهب الشافعي فتفقه على الربيع وغيره من أصحاب الشافعي ومنهم أبو جعفر<sup>(٥)</sup> الطحاوي كان شافعيّاً وتفقه على خاله المزني ثم تحول حنفياً بعد ذلك ومنهم الخطيب البغدادي<sup>(٦)</sup> الحافظ كان حنبلياً ثم عمل شافعيّاً ومنهم ابن فارس<sup>(٧)</sup> صاحب كتاب المجمل في اللغة كان شافعيّاً

(١) البويطي . . ٣٣١ هـ - ٨٤٦ م يوسف بن يحيى البويطي القرشي أبو يعقوب صاحب الإمام الشافعي قام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته وهو من أهل مصر ونسبته إلى بويط من أعمال الـ الصعيد الأولى ولما كانت المحنة في قضية القرآن في أيام الـ واثق حمل إلى بغداد فسجن ومات في سجنه .

(٢) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي أبو ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كان أحد الفقهاء الاعلام وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي ثم اتبع الشافعي توفي ٢٤٦ هـ ببغداد .

(٣) هو الإمام إبراهيم بن خالد الكلبي السابق الشهير بأبي ثور .

(٤) أبو جعفر محمد بن أحمد الترمذي الشافعي ، كان يسكن بغداد وحدث بها عن يحيى بن بكير المصري ويوسف بن عدي ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٩٥ هـ وخرج إلى مصر وكتب كتب الشافعي ، قال الدارقطني هو ثقة مأمون ناسك .

(٥) أحمد بن محمد الطحاوي ٢٣٩ - ٣٢١ هـ - ٨٥٣ - ٩٣٣ م

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي الصباوي فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر وتفقه على مذهب أهل العراق ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨ هـ فاتصل بأحمد بن طالون من كتبه معاني الآثار ، بيان السنة ، وشرح الحديث .

(٦) البغدادي ٣٩٢ - ٤٦٣ هـ - ١٠٠٢ - ١٠٧١ م أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي أحد الحفاظ المؤرخين مولده ووفاته ببغداد ، ذكر ياقوت له أساء ٥٦ كتاباً أهمها تاريخ بغداد .

(٧) أحمد بن فارس اللغوي الرازي ، كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة والف كتابه «المجمل» في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً وله كتاب «حلية الفقهاء» توفي سنة ٣٩٠ هـ



تبعاً لوالده ثم انتقل إلى مذهب مالك ومنهم السيف الأمدي الصولي<sup>(١)</sup> المشهور كان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ومنهم الشيخ نجم الدين بن خلف المقدسي كان حنبلياً ثم تفقه على الشيخ موفق الدين ودرس في مدرسة أبي عمر و ثم تحول شافعيّاً وارتفع شأنه ومنهم الشيخ محمد بن الدهان<sup>(٢)</sup> النحوي كان حنبلياً انتقل إلى مذهب الشافعي ثم تحول حنفيّاً حين طلب الخليفة نحويّاً يعلم ولده النحو ثم إنه تحول شافعيّاً حين شغرت وظيفة تدريس النحو بالنظامية لما شرط صاحبها أن لا ينزل فيها إلا شافعي المذهب ولم يكن هناك أحد أعلم منه بالفقه والنحو ومنهم الشيخ تقي الدين بن دقيق<sup>(٣)</sup> العيد كان أولاً مالكيّاً تبعاً لوالده ثم تحول إلى مذهب الشافعي ومنهم شيخ الإسلام كمال الدين بن يوسف الدمشقي كان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ومنهم الإمام أبو حبان<sup>(٤)</sup> كان أولاً على مذهب أهل الظاهر ثم عمل شافعيّاً انتهى كلام الجلال السيوطي رحمه الله تعالى :

---

(١) السيف الأمدي الصولي : علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الإمام أبو الحسن السيف الأمدي المشهور صاحب « أبحار الأفكار في علم الكلام » وأحكام الأحكام في أصول الفقه ولد بآمد منذ سنة خمسين وخمسائة ووصل مصر سنة اثنتين وتسعين وخمسائة ومات في سنة إحدى وثلاثين وستمائة وله تصانيف مشهورة .

(٢) أبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي ، سمع الحديث من أبي القاسم هبة بن الحصين وكان سيّويه عصره وله في النحو منها « شرح الايضاح والتكملة » ولد سنة ٤٩٤ هـ وتوفي ٥٦٩ هـ .

(٣) ابن دقيق ٦٢٥ - ٧٠٢ هـ ١٢٢٨ - ١٣٠٢ م محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد قاض من أكابر العلماء بالأصول أصله من منفوط مصر ومولده في ينبع على ساحل البحر الأحمر ووفاته بالقاهرة ولي القضاء في الديار المصرية من مؤلفاته « الالمام في أحاديث الأحكام » عشرون جزءاً .

(٤) أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المصري المحدث المؤرخ ، كان خبيراً بأحوال الناس ومطلعاً على تواريخهم وهو حفيد يونس بن عبد الله صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه جمع لمصر تاريخين أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين والثاني بالغرباء توفي سنة ٣٤٧ هـ رحمه الله .

وقال صاحب جامع الفتاوى من الحنفية يجوز للحنفي أن ينتقل إلى مذهب الشافعي وبالعكس لكن بالكلية أما في مسألة واحدة فلا يمكن كما لو خرج دم من بدن حنفي وسال فلا يجوز له أن يصلي قبل أن يغسله اقتداء بمذهب الشافعي في هذه المسألة فإن صلى بطلت صلاته وقال بعضهم ليس لعامي أن يتحول من مذهب إلى مذهب حنفياً كان أو شافعيًا والمشهور غيره كما سيأتي وقال بعضهم يجوز للشافعي أن يتحول حنفياً ولا عكس قال السيوطي وهذه دعوى لا برهان عليها وقد أدركنا علماءنا وهم لا يبالغون في النكير على من كان مالكيًا ثم عمل حنفياً أو شافعيًا ثم تحول بعد ذلك حنبليًا ثم رجع بعد ذلك إلى مذهب مالك وإنما يظهرون النكير على المنتقل لايهامه التلاعب بالمذاهب وجزم الرافعي بجواز ذلك وتبعه النووي وعبارة الروضة إذا دونت المذاهب فهل يجوز للمقلد أن ينتقل من مذهب إلى مذهب آخر قلنا يلزمه الاجتهاد في طلب العلم وغلب على ظنه أن الثاني أعلم فينبغي أن يجوز بل يجب وإن خيرناه فينبغي أن يجوز أيضاً كما لو قلد في القبلة هذا أياماً وهذا أياماً انتهى كلام الروضة فلولا أن علماء السلف رأوا أنه ليس بذلك بأس ما أقروا من انتقل من مذهب إلى غيره ولولا علمهم بأن الشريعة تشمل المذاهب كلها وتعممها لأنكروا عليه أشد النكير ثم لا يخلو أمر السلف من أمرين إما أن يكونوا قد اطلعوا على عين الشريعة ورأوا اتصال جميع المذاهب بها أو سكتوا على ذلك إيماناً بصحة كلام الأئمة وتسلياً لهم وإن قال أحد من المالكية اليوم بشئ ما صنع من ينتقل من مذهبه إلى غيره قلنا له بل بشئ ما قلت أنت لأن إمام مذهبك الشيخ جمال الدين بن الحاجب<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى والإمام القرافي رحمه الله تعالى جوزا ذلك فقولك هذا تعصب محض فإن الأئمة كلهم في الحق سواء فليس مذهب أولى بالشريعة من مذهب وقد سأل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عن حنفي يقول يجوز للإنسان أن يتحول حنفياً ولا يجوز

(١) جمال الدين بن الحاجب أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي كان والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي وكان كردياً ، صنف مختصراً في مذهبه ومقدمة وجيزة في النحو سماها الكافية وأخرى سماها الشافية ولد سنة ٥٧٠ هـ باسنا وتوفي ٦٤٦ هـ واسنا بليدة صغيرة من اعمال القوصية بالصعيد الاعلى من مصر .

للحنفي أن يتحول شافعيًا أو مالكيًا أو حنبليًا . فقال قد تقدم أننا قلنا أن هذا تحكم من قائله لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولم يرد لنا (١) حديث صحيح ولا ضعيف تميز أحد من أئمة المذاهب على غيره على التعيين والاستدلال بتقديم زمن أبي حنيفة رضي الله عنه لا ينتهض حجة ولو صح لوجب تقليده على كل حال ولم يجر تقليد غيره البتة وهو خلاف الاجماع وخلاف ما رواه البيهقي في كتاب المدخل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مهما أوتيتم من كتاب الله فاعمل به واجب لا عذر لأحد في تركه فإن لم يكن في كتاب الله فستته لي ماضية فإن لم يكن في سنة لي فما قال أصحابي لأن أصحابي كالنجوم في السماء فأما أخذتم به فقد اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة » (٢) .

قال الجلال السيوطي ثم أنه يلزم من تخصيص تحريم الانتقال بمذهب الإمام أبي حنيفة طرد ذلك في بقية المذاهب فيقال بتحريم الانتقال من مذهب المتقدم بالزمن إلى مذهب المتأخر كالشافعي يتحول مالكيًا والحنبلي يتحول شافعيًا دون العكس وكل قول لا دليل عليه فهو مردود على صاحبه قال ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » (٣) . انتهى .

ورأيت فتوى أخرى له مطولة قد حث فيها على اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وإن تفاوتوا في العلم والفضل ولا يجوز لأحد التفضيل الذي يؤدي إلى نقص في غير إمامه قياساً على ما ورد في تفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد حرّم العلماء التفضيل المؤدي إلى نقص نبي أو احتقاره لا سيما وإن أدى ذلك إلى خصام ووقعة في الأعراض وقد وقع الاختلاف بين الصحابة في الفروع وهم خير الأمة وما بلغنا أن أحدا منهم خاصم من قال بخلاف قوله ولا عاداه ولا نسبته إلى خطأ ولا قصور

(١) ب ولم يرد لنا في حديث

(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٤٧ .

(٣) راجع تخريج هذا الحديث ص ١٤٢ .

نظر وفي الحديث « اختلاف أمتي رحمة »<sup>(١)</sup> وكان الاختلاف على من قبلنا عذاباً أوقال هلاكاً ، انتهى . ومعنى رحمة أي توسعة على الأمة . ولو كان أحد من الأئمة مخطئاً في نفس الأمر لما كان اختلافهم رحمة وقد استنبطت من حديث « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » أننا إذا اقتدينا بأي إمام كان اهتدينا لأنه ﷺ خيرنا في الأخذ بقول من شئنا منهم من غير تعيين وما ذلك إلا لكونهم كلهم على هدى من ربهم ولو كان المصيب من المجتهدين واحداً والباقي مخطئاً لكانت الهداية لا تحصل لمن قلد الباقي وكان محمد بن حزم يقول في حديث « إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران »<sup>(٢)</sup> .

إن المراد بالخطأ هنا عدم مصادفة الدليل كما تقدم لا الخطأ الذي يخرج صاحبه عن الشريعة إذ لو خرج به عن الشريعة لم يحصل له به أجر . انتهى .

وقد دخل هارون الرشيد<sup>(٣)</sup> على الإمام مالك رضي الله عنه فقال له دعني أبا عبد الله أفرق هذه الكتب التي ألقتها وانشرها في بلاد الإسلام واحمل عليها الأمة فقال له يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة فكل يتبع ما صح دليله عنده وكل على هدى وكل يريد الله . وكان الإمام مالك يقول كثيراً ما شاورني هارون الرشيد أن يعلق كتاب الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت له لا تفعل لأن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب فقال زادك الله توفيقاً يا أبا عبد الله . انتهى .

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٧٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام البخاري ومسلم في صحيحهما وأبو داود والإمام النسائي وابن ماجه عن عمرو بن العاص ، ورواه الإمام أحمد في مسنده والإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) هارون الرشيد ١٤٩ - ١٩٣ هـ - ٧٦٦ - ٨٠٩ م هارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن المنصور العباس ابو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم ، نشأ في دار الخلافة ببغداد وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيرين وافدت منه المملكة بسبعين ألف دينار وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ وتوفي بطوس .

فانظر يا أخي إن كنت مالكيّاً إلى قول إمامك وكل مصيب .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول : لما حج المنصور<sup>(١)</sup> قال للإمام مالك : إني عزمت على أن أمر بكتبك هذه التي وضعتها فتسخ ثم أبعث بها إلى كل مصر من أمصار المسلمين وأمرهم أن يعملوا بما فيه ولا يتعدوه إلى غيره فقال الإمام مالك رحمه الله تعالى ( لا تفعل ذلك يا أمير المؤمنين فإن الناس قد سيقوا إليهم اقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سيق إليهم ودانوا إلى الله تعالى به فدفع الناس وما اختاروا لأنفسهم في كل بلد ) انتهى .

ورأيت بخط الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ما نصه حين سأل عن الانتقال من مذهب إلى آخر الذي أقول به إن للمتقل أحوالاً أحدها أن يكون الحامل له على الانتقال أمراً دنيوياً اقتضته الحاجة إلى الرفاهية اللاتقة به وحصول وظيفة أو مرتب أو قرب من الملوك وأكابر الدنيا فهذا حكمه حكم مهاجر أم قيس لأنه الأعز من مقاصده ، الثاني أن يكون الحامل له على الانتقال أمراً دنيوياً كذلك لكنه عامي لا يعرف الفقه وليس له من المذهب سوى الاسم كغالب المباشرين وأركان الدولة وخدامهم وخدام المدارس فمثل هذا أمره خفيف إذا انتقل عن مذهبه الذي كان يزعم أنه متقيد به ولا يبلغ إلى حد التحريم لأنه إلى الآن عامي لا مذهب له فهو كمن أسلم جديداً له التمدد بأي مذهب شاء من مذاهب الأئمة . الثالث . أن يكون الحامل له أمراً دنيوياً كذلك ولكنه من القدر الزائد عادة على ما يليق بحاله وهو فقيه في مذهبه وأراد الانتقال لغرض الدنيا الذي هو من شهوات نفسه المذمومة فهذا أمره أشدّ وربما وصل إلى حد التحريم لتلاعبه بالأحكام الشرعية بمجرد غرض الدنيا مع عدم اعتقاده

---

(١) المنصور العباس ٩٥ - ١٥٨ هـ - ٧١٤ - ٧٧٥ م أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباس ثاني خلفاء

بني العباس وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب .

ولد في الشراة قرب معان وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ وهو باني مدينة بغداد وأمر بتخطيطها سنة ١٤٥ وجعلها دار حكمة بدلاً من الهاشمية التي بناها السفاح ، توفي ببشر ميمون من أرض مكة حاجاً ودفن في المحجون بمكة ومدة خلافته ٢٢ عاماً .

في صاحب المذهب الأول إنه على كمال هدى من ربه إذ لو اعتقد أنه على كمال هدى ما انتقل <sup>(١)</sup> من مذهبه . الرابع أن يكون انتقاله لغرض ديني ولكنه كان فقيهاً في مذهبه وإنما انتقل لترجيح المذهب الآخر عنده لما رآه من وضوح أدلته وقوة مداركه فهذا ما يجب عليه الانتقال أو يجوز له كما قال الرافعي وقد أقر العلماء من انتقل إلى مذهب الشافعي حين قدم مصر وكانوا خلقاً كثيراً مقلدين للإمام مالك ، الخامس أن يكون انتقاله لغرض ديني لكنه كان عارياً من الفقه وقد اشتغل بمذهبه فلم يحصل منه على شيء ووجد مذهب غيره أسهل عليه بحيث يرجو سرعة إدراكه والتفقه فيه فهذا يجب عليه الانتقال قطعاً ويحرم عليه التخلف لأن تفقه مثله على مذهب إمام من الأئمة الأربعة خير من الاستمرار على الجهل لأنه ليس له من التمدد سوى الإثم والإقامة على الجهل نقص عظيم في المؤمن وقل أن تصح معه عباده قال الجلال السيوطي وأظن أن هذا هو السبب في تحول الطحاوي <sup>(٢)</sup> حنفياً بعد أن كان شافعيّاً فإنه كان يقرأ على خاله الإمام المزني فتعسر يوماً عليه الفهم فحلف المزني أنه لا يجيء منه شيء فانتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة ففتح الله تعالى عليه وصنف كتاباً عظيماً شرح فيه المعاني والآثار وكان يقول لو عاش خالي ورآني اليوم لكفر عن يمينه انتهى .

السادس أن يكون انتقاله لا لغرض ديني ولا دنيوي بأن كان مجرداً عن القصدتين جميعاً فهذا يجوز مثله للعامي أما الفقيه فيكره له أو يمنع منه لأنه قد حصل فقه ذلك المذهب الأول ويحتاج إلى زمن آخر ليحصل فيه فقه المذهب الآخر فيشغله ذلك عن الأمر الذي هو العمل بما تعلمه قبل ذلك وقد يموت قبل تحصيل مقصوده من المذهب الآخر فالأولى لمثل هذا ترك ذلك انتهى كلام الجلال السيوطي رحمه الله

(١) ب ما انتقل عن مذهبه

(٢) أحمد بن محمد الطحاوي ٢٣٩ - ٣٢١ هـ - ٨٥٣ - ٩٣٣ م

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر وولد ونشأ في طحا من صعيد مصر وتفقه على مذهب أهل العراق ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨ هـ فاتصل بأحمد بن طالون فكان من خاصته ، من تصانيفه معاني الآثار وبيان السنة ، والمحاضر والسجلات « وشرح مشكل أحاديث رسول الله ﷺ » رحمه الله .

تعالى .

فقد بان لك يا أخي من جميع ما قررناه في هذا الفصل من عدم إنكار أهل الأعصار على من انتقل من مذهب إلى آخر إنهم كانوا يرون الشريعة واسعة وإن جميع الأئمة على هدى من ربهم وقد اجمع أهل الكشف على ذلك ولا يصح أن يجتمع مثلهم على ضلالة . وقالوا كل قول من أقوال علماء هذه الأمة موافق للشريعة في نفس الأمر وإن لم يظهر لبعض المقلدة ذلك كما أن كل قول من أقوال علماء هذه الشريعة موافق لشريعته نبي ممن تقدم وأن من عمل بما اتفق عليه العلماء كلهم فكأنه عمل بغالب شرائع الأنبياء وربما كان لهم من الأجر جميع اتباع الأنبياء إكراماً لأمة محمد ﷺ :

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : كل من نور الله تعالى قلبه علم أن سكوت العلماء على من انتقل من مذهب إلى آخر إنما هو لعلمهم بأن الشريعة تعمهم كلهم وتشملهم فيحمل قول من رجح قول إمامه على غيره على أنه لم يبلغ إلى مقام الكمال حال قوله ذلك وقد قدمنا في ايضاح الميزان وجوب اعتقاد الترجيع على كل من لم يصل إلى الاشراف على العين الأولى من الشريعة وبه صرح إمام الحرمين<sup>(١)</sup> وابن السمعاني<sup>(٢)</sup> والغزالي<sup>(٣)</sup> والكنيا الهراس<sup>(٤)</sup> وغيرهم وقالوا لتلامذتهم يجب عليكم التقيد بمذهب إمامكم الشافعي ولا عذر لكم عند الله تعالى في العدول عنه أهـ ولا

---

(١) أبو المعالي عبد الملك الملقب بضيء الدين النيسابوري والمعروف بإمام الحرمين ولد عام ٤١٩ هـ وتوفي ٤٧٨ هـ عن تسعة وخمسين عاماً من مؤلفاته كتاب الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد .

(٢) ابن السمعاني ذكر في ص ١٣٤ أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار - المعروف بابن السمعاني - فقيه خراسان توفي سنة ٥٦٢ هـ - طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢١ ، ٢٦ وكانت ولادته ٥٠٦ هـ ومن مؤلفاته « تدليل تاريخ بغداد » الذي صنّفه الحافظ أبو بكر الخطيب ومن ذلك تاريخ مرو رحمه الله .

(٣) راجع ترجمة الإمام الغزالي ص ٨٩ .

(٤) الكيا الهراسي : عماد الدين أبو الحسن علي بن محمد الطبري الشافعي ، تولى تدريس المدرسة النظامية في بغداد ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي ٥٠٤ هـ وكان من أهل طبرستان وخرج الى نيسابور وتفقّه على امام الحرمين أبي المعالي الجويني .

خصوصية للإمام الشافعي في ذلك عند كل من سلم من التعصب بل كل مقلد من مقلدي الأئمة يجب عليه اعتقاد ذلك في إمامه ما دام لم يصل إلى شهود عين الشريعة الأولى وأما قوله ﷺ « الأئمة من قریش » <sup>(١)</sup> فيحتمل أن يكون مراده الخلافة ويحتمل أن مراده إمامة الدين وإذا تطرق الاحتمال سقط الاستدلال وقد فتش العلماء فوجدوا غالب الأئمة المجتهدين من الموالى كالإمام أبي حنيفة والإمام مالك فإنهم من بني أصبح والنخعي من النخع وهم قوم من اليمن لا من قریش ومحمد بن الحسن والإمام أحمد شيبانين وهما من ربيعة لا من قریش ولا من مضر والثوري من بني ثور بن عمرو بن أد وكذلك مكحول والأوزاعي من الموالى وأضرابهم والحمد لله رب العالمين .

---

(١) تكملة الحديث: «أبرارها امراء أبرارها وفجارها امراء فجارها وإن أمرت عليكم قریش عبدا حبشياً مجدعاً فاسمعوا له وأطيعوا ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه فإن خير بين إسلامه وضرب عنقه فليقدم عنقه» رواه الحاكم في مستدركه ورواه الإمام البيهقي في السنن عن علي رضي الله عنه ورمز له السيوطي في جامعه الصغير بالصحة .



## فصل

في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة . . وذلك لأنهم بنوا قواعد مذاهبهم على الحقيقة التي هي أعلى مرتبة الشريعة كما بنوها على ظاهر الشريعة على حد سواء وأنهم كانوا عالمين بالحقيقة أيضاً خلاف ما يظنه بعض المقلدين فيهم فكيف يصح خروج شيء من أقوالهم عن الشريعة ومن نازعنا في ذلك فهو جاهل بمقام الأئمة فوالله لقد كانوا علماء بالحقيقة والشريعة معاً وإن في قدرة كل واحد منهم أن ينشر الأدلة الشرعية على مذهبه ومذهب غيره بحكم مرتبة مرتبة هذه الميزان فلا يحتاج أحد بعده إلى النظر في أقوال مذهب آخر لكنهم رضي الله عنهم كانوا أهل إنصاف وأهل كشف فكانوا يعرفون أن الأمر يستقر في علم الله تعالى على عدة مذاهب مخصوصة لا على مذهب واحد فأبقى كل واحد لمن بعده عدة مسائل عرف من طريق كشفه أنها تكون من جملة مذهب غيره فترك الأخذ بها من باب الإنصاف والاتباع لما أطلعهم الله تعالى عليه من طريق كشفهم أنه مراد له تعالى لا من باب الإيثار بالقرب الشرعية والرغبة عن السنة كما أطلع الأولياء على قسمة الأرزاق المحسوسة لكل إنسان . فانظر يا أخي في أقوال أئمة المذاهب تجد أحدهم إن خفف في مسألة شدد في مسألة أخرى وبالعكس كما سيأتي بسطه في توجيه أقوالهم في أبواب الفقه إن شاء الله تعالى . .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما أيد أئمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة إعلاماً لأتباعهم بأنهم كانوا علماء بالطريقين وكان يقول : لا يصح خروج قول من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة

أبدا عند أهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومع الكشف الصحيح ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله ﷺ وسؤالهم عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين أهل الكشف ؟ وكذلك كانوا يسألونه ﷺ عن كل شيء فهموه من الكتاب والسنة قبل أن يدونسوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به ويقولون يا رسول الله : قد فهمنا كذا من آية كذا وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا فهل ترتضيه أم لا ؟ ويعملون بمقتضى قوله وإشارته ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة المجتهدين ومن اجتماعهم برسول الله ﷺ من حيث الأرواح قلنا له هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين وإن لم تكن الأئمة المجتهدون أولياء فما على وجه الأرض ولي أبدا وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين في المقام بيقين أنهم كانوا يجتمعون برسول الله ﷺ كثيراً ويصدقهم أهل عصرهم على ذلك كسيدي الشيخ عبد الرحيم القناوي<sup>(١)</sup> وسيدي الشيخ أبي مدين المغربي<sup>(٢)</sup> وسيدي أبي السعد بن أبي العشائر<sup>(٣)</sup> وسيدي الشيخ ابراهيم الدسوقي<sup>(٤)</sup> وسيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي وسيدي الشيخ أبي العباس

(١) عبد الرحيم القناوي : لم يولد في قنا وإنما ولد في بلدة ترغاي من مقاطعة سبتا في المغرب الأقصى أول شعبان ٥٢١ هـ - ١١٢٧ م رحل إلى قوص بعد وفاة والده ووالدته ثم انتقل إلى قنا والتقى بالشيخ القرشي وتوفي في صفر ٩٥٢ هـ - ١١٩٦ م عن ٧٢ عاماً هجرية .

(٢) أبو مدين المغربي ت ٥٩٤ هـ - ١١٩٨ م .

أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني صوفي من مشاهيرهم أصله من الأندلس وأقام بفاس ثم سكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور وتوفي بتلمسان .

(٣) أبو السعد بن شعبان بن الطيب الباذني بلدة بقرب جزائر واسط بالعراق رضي الله عنه ومن أجلاء مشايخ مصر توفي سنة ٦٤٤ هـ ودفن بجبل المقطم

(٤) ابراهيم الدسوقي : هو ابراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق تفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة ومات سنة ست وسبعين وستمائة رضي الله عنه .

الموسي وسيدى ابراهيم المتبولي<sup>(١)</sup> وسيدى الشيخ جلال الدين السيوطي وسيدى الشيخ أحمد الزواوي<sup>(٢)</sup> البحري وجماعة ذكرناهم في كتاب طبقات الأولياء ورأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند أحد أصحابه وهو الشيخ عبد القادر الشاذلي مرسله لشخص سأل في شفاعته عند السلطان قايتباي<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى : أعلم يا أخي أنني اجتمعت برسول الله ﷺ إلى وقتي هذا خمساً وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفاً من احتجابه ﷺ عني بسبب دخولي للولاية لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان ولاني رجل من خدام حديثه ﷺ واحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخي . أهـ ويؤيد الشيخ جلال الدين في ذلك ما اشتهر عن سيدي محمد بن زين المادح لرسول الله ﷺ أنه كان يرى رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من داخل القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من النجراوية أن يشفع له عند حاكم البلد فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يتطلب من رسول الله ﷺ الرؤية حتى قرأ له شعراً فترأى له من بعيد فقال تطلب رؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات أهـ .

وقد بلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي<sup>(٤)</sup> وتلميذه الشيخ أبي العباس

---

(١) ابراهيم المتبولي كان من اصحاب الدوائر الكبرى في الولاية ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ اختلف مع السلطان قايتباي فخرج ووقف باسدود ومات سنة نيف وثمانين وثمانمائة .

(٢) احمد الزواوي أخو الشونوزي في الطريق له كرامات كثيرة مات سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه .

(٣) الملك الاشرف ابو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي ، وهو الحادي والأربعين من ملوك الترك والخامس عشر من ملوك الجراكسة تولى الحكم يوم ٢١ شهر ٤ سنة ٢٩ وتوفي عام ١٤٩٦ م وكان ذا حشمة ووقار كفاً للسلطة وافر العقل شديد الرأي عارفاً باحوال المملكة يضع الأشياء في محلها ولم يكن عجولاً .

(٤) الامام الشاذلي : علي بن عبد الجبار الشاذلي ، وشاذلة قرية من أفريقية نزىل اسكندرية وشيخ الطريقة =

المرسي<sup>(١)</sup> وغيرهما أنهم كانوا يقولون لو احتجبت عنا رؤية رسول الله ﷺ طرفه عين ما عددنا أنفسنا من جملة المسلمين فإذا كان هذا قول آحاد الأولياء فالأئمة المجتهدون أولى بهذا المقام . .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لمقلد أن يتوقف في العمل بقول من أقوال أئمة المذاهب ويطالبهم بالدليل على ذلك لأنه سوء أدب في حقهم وكيف ينبغي التوقف عن العمل ، بأقوال قد بنيت على أصل صحيح الأحاديث أو على الكشف الصحيح الذي لا يخالف الشريعة أبداً فإن علم الكشف إخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها وهذا إذا حققته وجدته لا يخالف الشريعة في شيء بل هو الشريعة بعينها فإن رسول الله ﷺ لا يخبر إلا بالواقع لعصمته من الباطل والظن اهـ .

وسياتي بيانه ذلك قريباً إن شاء تعالى . .

وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول مراراً كان أئمة المذاهب رضي الله عنهم واثقين لرسول الله ﷺ في علم الأحوال وعلم الأقوال معاً خلاف ما يتوهمه بعض المتصوفة حيث قال : إن المجتهدين لم يرثوا من رسول الله ﷺ إلا علم المقال فقط حتى إن بعضهم قال جميع ما علمه المجتهدون كلهم ربع علم رجل كامل عندنا في الطريق إذ الرجل لا يكمل عندنا حتى يتحقق في مقام ولايته بعلوم الحضرات الأربع في قوله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (٢) .

---

■ الشاذلية ، وكان كبير المقدار ، عالي المنار ، حج مرات ومات بصحراء عيذاب وهو قاصد الحج فدفن هناك عام ٦٥٦ هـ رضي الله عنه .

(١) أبو العباس المرسي : ولد بالاندلس في بلدة مرسية التي ينسب إليها سنة ٦١٦ هـ ١٢١٩ م وكان والده يعمل بالتجارة وانتقل من مرسية الى تونس بعد عودته من الحج عام ٦٤٠ هـ وانتقل الى الاسكندرية واقام بها وانتقل الى جواربه سنة ٦٨٥ هـ ودفن بالاسكندرية في مقبرة باب البحر .

(٢) سورة الحديد آية رقم ٣

وهؤلاء المجتهدون لم يتحققوا بسوى علم حضرة اسمه الظاهر فقط لا علم لهم  
بعلوم حضرة الأزل ولا الأبد ولا بعلم الحقيقة . انتهى .

( قلت ) وهذا كلام جاهل بأحوال الأئمة الذين هم أوتاد الأرض وقواعد  
الدين والله أعلم وسمعت سيدي علياً الخواص أيضاً يقول : كل من نور الله تعالى  
قلبه وجد مذاهب المجتهدين وأتباعهم كلها تتصل برسول الله ﷺ من طريق السند  
الظاهر بالعنونة ومن طريق ابداد قلبه ﷺ لجميع قلوب علماء أمته فما اتقد مصباح عالم  
إلا من مشكاة نور قلب رسول الله ﷺ فافهم :

وسمعته يقول مرة أخرى : ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا  
وينتهي سنده برسول الله ﷺ ثم بجبريل ثم بحضرة الله عز وجل التي تجلى عن  
التكليف من طريق السند الظاهر والسند الباطن الذي هو علم الحقيقة المؤيدة  
بالعصمة فمن نقل علمها على الحقيقة لم يصح منه خطأ في قول من أقواله وإنما يقع  
الخطأ في طريق الأخذ عنها فقط فكما يقال : إن جميع ما رواه المحدثون بالسند  
الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا فكذلك يقال فيما نقله أهل  
الكشف الصحيح من علم الحقيقة وذلك لأن جميع مصابيح علماء الظاهر والباطن قد  
انقذت من نور الشريعة فما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وهو مؤيد  
بأقوال أهل الحقيقة لا شك عندنا في ذلك اهـ .

وهذا سبب تأييدي لكلام أئمة الشريعة بتوجيهي لكلامهم بكلام أهل الحقيقة  
في كل مسألة من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه كما سيأتي بيانه فيها إن شاء الله  
تعالى ولا أعلم أحداً سبقني إلى التزام ذلك في كتاب كل ذلك تقوية لقلوب الطلبة من  
مقلدي المذاهب ليعملوا بكلام أئمتهم على يقين وبيان إذا رأوا الحقيقة تؤيد الشريعة  
المستنبطة وعكسه اهـ .

وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين وقد جادله فقيه في مسألة يقول : والله ما  
بنى أحد من أئمة المذاهب مذهبه إلا على قواعد الحقيقة المؤيدة بالكشف الصحيح

ومعلوم أن الشريعة لا تخالف الحقيقة أبداً وإنما تتخلف الحقيقة عن الشريعة في مثل حكم الحاكم بشهادة شهود الزور الذين اعتقد الحاكم عدالتهم فقط فلو كانوا شهود عدالة ما تخلفت الحقيقة عن الشريعة فكل حقيقة شريعة وعكسه . .

( وایضاح ذلك ) أن الشارع أمرنا بإجراء أحوال الناس على الظاهر ونهانا عن أن ننقب وننظر ما في قلوبهم رحمة بهذه الأمة كما قال تعالى « سبقت رحمتي غضبي »<sup>(١)</sup> ولا تسبق الرحمة الغضب إلا بكثرة وقوع الناس في المعاصي والزور وزيادة ذلك على الطاعات والصدق فافهم . وعلى هذا الذي قررناه يكون اجراء أحكام الناس على الظاهر من الشرع المقرر بتقرير الشارع ونظير ذلك أيضاً اكتفاؤنا من المكلف بفعل التكاليف ظاهراً وقد يكون في باطنه زنديقا على خلاف ما أظهره لنا وإن كان مراد الشارع بشريعته حقيقة وإنما هو ما وافق فيه الظاهر الباطن فمن شهد زوراً أو صلى غير مؤمن فليس هو على شرع مطلقاً في نفس الأمر حتى يقابل بالحقيقة وإنما ذلك باطل من غير الدين فإن فهمت يا أخي ما قررته لك أنقذ لك الجمع بين قول من يقول : إن حكم الحاكم ينفذ ظاهراً وباطناً وبين من يقول : إنه ينفذ ظاهراً فقط أي في الدنيا دون الآخرة وقد ينتصر الحق تعالى لمنصب الشرع فينفذ حكم الحاكم بشهادة الزور ظاهراً وباطناً وبه قال : بعض الأئمة فيسامح شهود الزور في الآخرة ويعفو عنهم ويمشي حكم الحاكم في مسألتهم كما يمشي شهادة العدول ويرضى الخصوم كل ذلك فضلاً منه ورحمته بعباده وستراً على فضائحهم عند بعضهم بعضاً .

وفي الحديث أن شخصاً مات في عهد رسول الله ﷺ فشهد الصحابة كلهم فيه بالشر إلا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ إن الذين شهدوا في فلان بالسوء صادقون ولكن الله أجاز شهادة أبي بكر تكملة له اهـ وذلك

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الديلمي في مسند الفردوس عن عمرو ابن عبسة في حديث اوله كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي وستمائة عام على ورقة آس : سبقت رحمتي غضبي .

أن مقام الصديقية<sup>(١)</sup> يقتضي أن لا يرى صاحبه من الناس إلا محاسنهم قياساً على باطنه هو فافهم . .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل إيمان العبد بأن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم إلا إن سلك طريق القوم وأما أصحاب الحجب الكثيفة من غالب المقلدين فمن لازمهم سوء الاعتقاد في غير إمامهم أو يسلمون له قوله وفي قلبهم منه حزازة فيأياكم أن تكلفوا أحداً من هؤلاء المحجوبين بهذا الاعتقاد الشريف إلا بعد السلوك وإن شككت يا أخي في قولي هذا فاعرض عليه أقوال المذاهب وقل لكل واحد اعمل بقول غير إمامك فإنه لا يطيعك في ذلك وكيف يطيعك في ذلك وأنت تريد تهدم قواعد مذهبه عنده بل ولو سلم لك ظاهراً لا يقدر على انشراح قلبه بذلك باطناً قال : وقد بلغنا أن من وراء النهر جماعة من الشافعية والحنفية يفطرون في نهار رمضان ليتقوا على الجدال وإدحاض بعضهم حجج بعض أهـ .

وقد قررنا في فصل انتقال المقلدين من مذهب إلى مذهب تحقيق المناظر في ذلك . واعلم يا أخي أن الأئمة المجتهدين ما سموا بذلك إلا لبذل أحدهم وسعه في استنباط الأحكام الكامنة في الكتاب والسنة فإن الاجتهاد مشتق من الجهد والمبالغة في اتعاب الفكر وكثرة النظر في الأدلة فالله تعالى يجزي جميع المجتهدين عن هذه الأمة خيراً فانهم لولا استنبطوا للأمة الأحكام من الكتاب والسنة ما قدر أحد من غيرهم على ذلك كما مر . .

( فإن قلت ) : فما دليل المجتهدين في زيادتهم الأحكام التي استنبطوها على صريح الكتاب والسنة وهلا كانوا وقفوا على حد ما ورد صريحاً فقط ولم يزدوا على ذلك شيئاً لحديث :

« ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ولا شيئاً يبعدكم عن

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ سورة مريم الآية ( ٥٦ ) وقال تعالى : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ سورة المائدة الآية ( ٧٥ ) والصديقية مقام من مقامات الطريق ، ومرتبة من مراتب الولاية .

الله إلا وقد نهيتكم عنه» (١) ٤ .

( فالجواب ) دليلهم على ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ في تبينه ما أجمل في القرآن مع قوله تعالى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢) .

فإنه لولا بين لنا كيفية الطهارة والصلاة والحج وغير ذلك ما اهتدى أحد من الأمة لمعرفة استخراج ذلك من القرآن ولا كنا نعرف عدد ركعات الفرائض ولا النوافل ولا غير ذلك مما سيأتي في الفصل الآتي عقبه إن شاء الله تعالى فكما أن الشارع بين لنا بسنته ما أجمل في القرآن فكذلك الأئمة المجتهدون بينوا لنا ما أجمل في أحاديث الشريعة ولولا بيانهم لنا ذلك لبقيت الشريعة على إجمالها وهكذا القول في أهل كل دور بالنسبة للدور الذي قبلهم إلى يوم القيامة فإن الإجمال لم يزل سارياً في كلام علماء الأمة إلى يوم القيامة . ولولا ذلك ما شرحت الكتب ولا عمل على الشروح حواش كما مر فافهم .

( فإن قلت ) فهل ما وقع من رسول الله ﷺ ليلة الإسراء من المراجعة في شأن الصلاة كان اجتهاداً منه أم لا ؟

( فالجواب ) كما قال الشيخ محيي الدين : كان ذلك منه اجتهاداً فإن الله تعالى لما فرض على أمته الخمسين صلاة نزل بها إلى موسى ولم يقل شيئاً ولا اعترض ولا قال هذا كثير على أمتي فلما قال له موسى إن أمتك لا تطيق ذلك وأمره بالمراجعة فبقي ﷺ متحيراً من حيث وفور شفقتة على أمته ولا سبيل له إلى ردّ أمر ربه فأخذ في الترجيح في أي الحالين أولى وهذا هو حقيقة الاجتهاد فلما ترجع عنده أنه يراجع ربه رجع بالاجتهاد إلى ما يوافق قول موسى وأمضى ذلك في أمته بإذن من ربه عز وجل فإن فهمت ما ذكرناه علمت أن في تشريع الله تعالى اجتهاد المجتهدين تأنيساً له ﷺ كي لا

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم ولفظه : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « دعوني ما تركتكم ؛ إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا فيه ما استطعتم » متفق عليه ، ورواه أحمد في مسنده وقال : ( فأتوا ما استطعتم ) .

(٢) سورة الانعام آية رقم ٣٨ .



يستوحش وفيه ايضاً الناسي به كما أن في اجتهاده ﷺ أيضاً تأنيساً وجبر القلب موسى عليه الصلاة والسلام لأنه ربما ندم إذا رجع إلى نفسه وتأمل فوجد الله ارحم بعباده منه -ولو أنه كان أبقى عليه الخمسين صلاة لكان يقويهم على فعلها فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها كما أن الله تعالى جبر قلب موسى حين استشعر الندم على قوله . بقوله تعالى ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴾ (١) .

فأفهم موسى أن مراجعة موسى كانت في محلها لكون القول كان من الحق تعالى على سبيل إرادة إظهار نعمه على رسول الله ﷺ تشریفاً له فسرّ بذلك . . واعلم أن في الحضرة الإلهية ما يقبل التبديل والنسخ ومنه ما لا يقبل ذلك فقد بان ذلك يا أخي بما قررناه منشأ اجتهاد المجتهدين وهو كلام نفيس ولعلك لا تجده في كتاب والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة ق آية رقم ٢٩ .

## فصل

إن قال قائل أي فائدة في تأليف هذه الميزان، ومن المعلوم أن أهل جميع المذاهب يعلمون أن كل من عجز عن العزيمة يجوز له العمل بالرخصة ؟

( فالجواب ) أن ما قاله هذا القائل صحيح ولكن المذاهب<sup>(١)</sup> إذا عملوا بالرخصة يعملون بها وعندهم منها حَصْرٌ وضيق في نفوسهم لعدم معرفتهم بتوجيهها وموافقتها للكتاب والسنة بخلاف صاحب هذه الميزان فإنه يعمل بها مع انشراح القلب لمعرفته بتوجيهها وموافقتها للكتاب والسنة وأين من هو على يقين من صحة عبادته ممن هو على شك فيها فاعلم ذلك والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين .

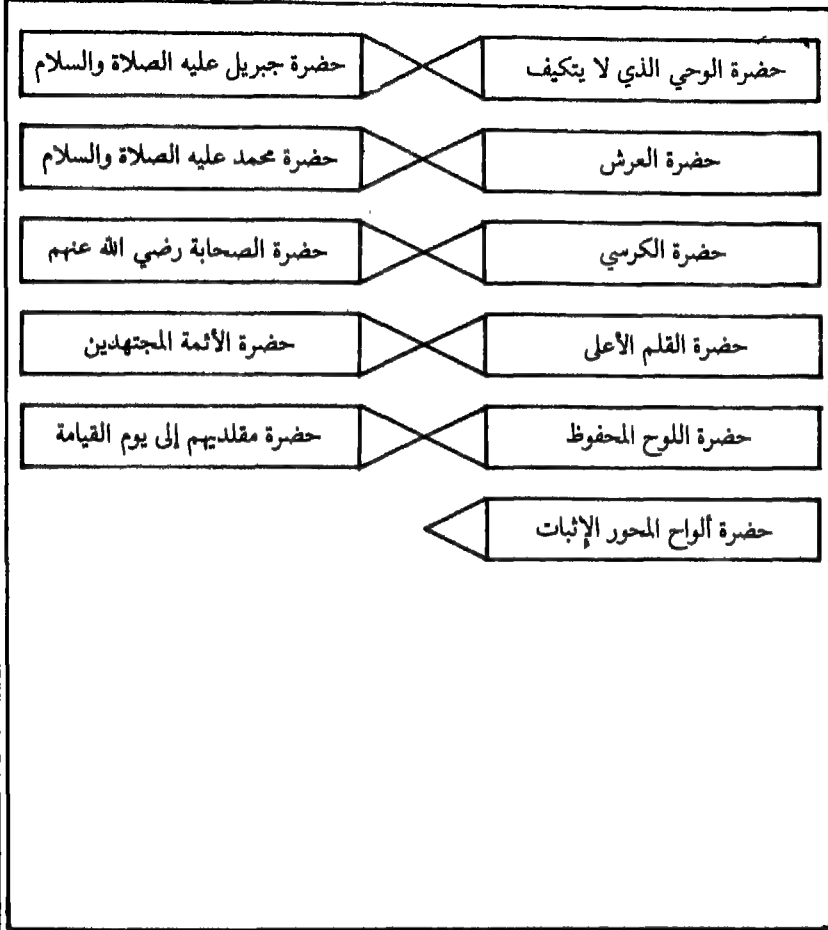
---

(١) ب ولكن أهل المذاهب

## فصل

في بيان جلة من الأمثلة المحسوسة التي يعلم منها اتصال أقوال جميع المجتهدين ومقلديهم بعين الشريعة الكبرى فتأملها ترشد إن شاء الله تعالى .

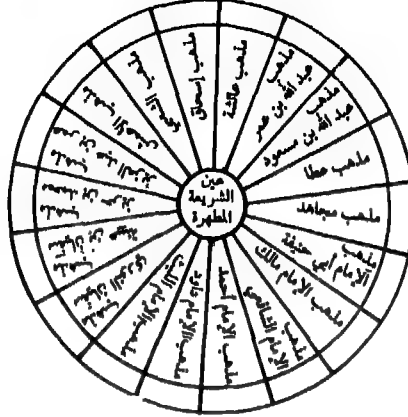
وهذه صورة الأمثلة المحسوسة الموعد بذكرها فمثال حضرة الوحي  
وتفرع جميع الأحكام عنها أو منها هكذا.



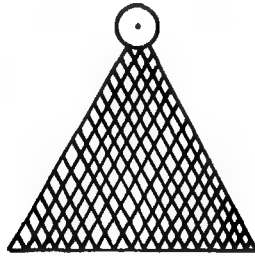
هذا مثال الشجرة المطهرة الممثلة بعين الشريعة المطهرة



وهذا مثال آخر لاتصال سائر مذاهب المجتهدين  
ومقلديهم بعين الشريعة المطهرة فتأمل



فانظريا أخي إلى العين الوسطى التي هي مثال عين الشريعة المطهرة  
التي يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلى يوم القيامة ومثال  
مذاهب جميع المجتهدين المندرسة والمستعملة مثال الخطوط الشارعة إلى العين  
الوسطى في سائر الجوانب من تأمل في ذلك عرف ما أردناه بقولنا أنه ليس  
مذهب أولى بالشريعة من مذهب لرجوعها كلها إلى عين واحدة اهـ ونظير  
ذلك أيضاً شبكة الصياد فإن كل عين منها تتصل بالعين الأولى في سائر  
الأدوار وهذا مثالها .



فانظريا أخي إلى العين الأولى وما تفرع منها في سائر الأدوار الذي هو  
مثال عين الشريعة ومثال اتصال أقوال علماء الشريعة كلها بعين الشريعة فما  
تم قول من أقوالهم يخرج من عين الشريعة أبداً كما ترى، فكل عين تمكث بها  
أوصلتك إلى العين الأولى، ومن شهد هذا المشهد تساوى عنده جميع الأقوال  
في الصحة والله سبحانه وتعالى أعلم انتهى .

وهذا مثال صورة اتصال مذاهب المجتهدين وأقوال مقلدهم بنحو الكتاب والسنة من طريق السنة.

الإمام أبي حنيفة عن عطا عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل.

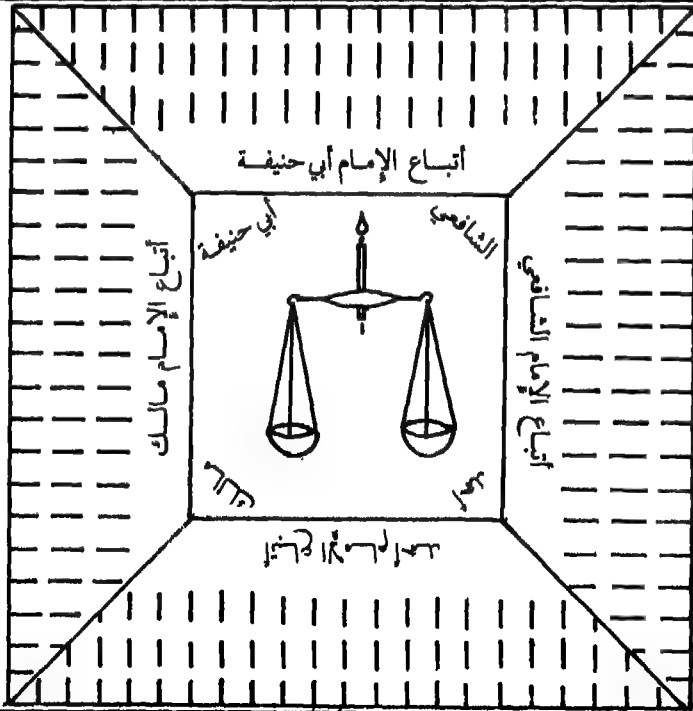
الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل.

الإمام الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل.

الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل.

انظروا يا أخي إحاطة البحر بمذاهب الأئمة ابتدؤوا منها.

مثال موقف الأئمة الأربعة وغيرهم عند الحساب والميزان وأتباعهم خلفهم ليشفَعُوا.

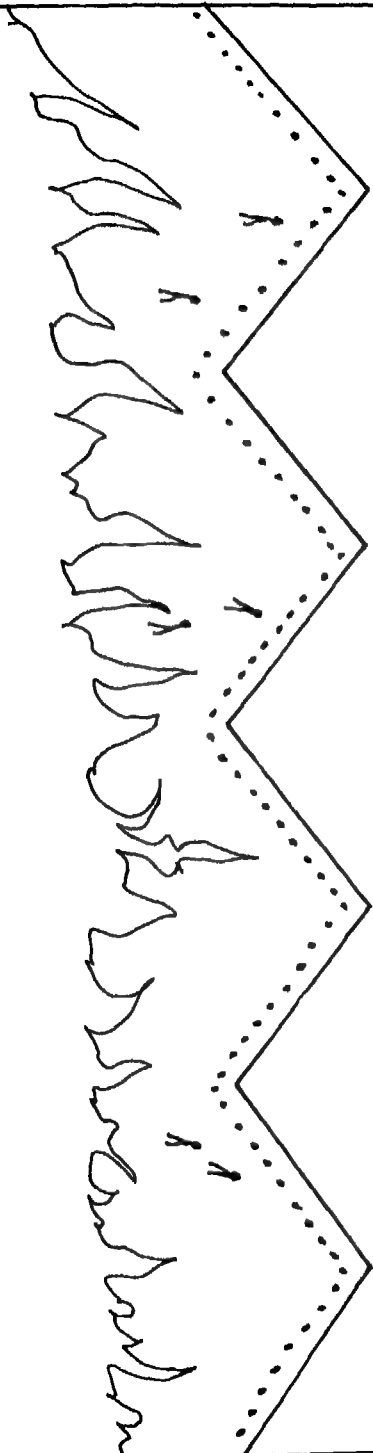


مثال صراط من استقام على الشريعة في دار الدنيا ومثال الناس فوقه.

وهذا مثال موقف الأئمة المجتهدين بالاحظون أتباعهم على الصراط حتى يخلصوا إلى الجنة من غير وقوع في النار.

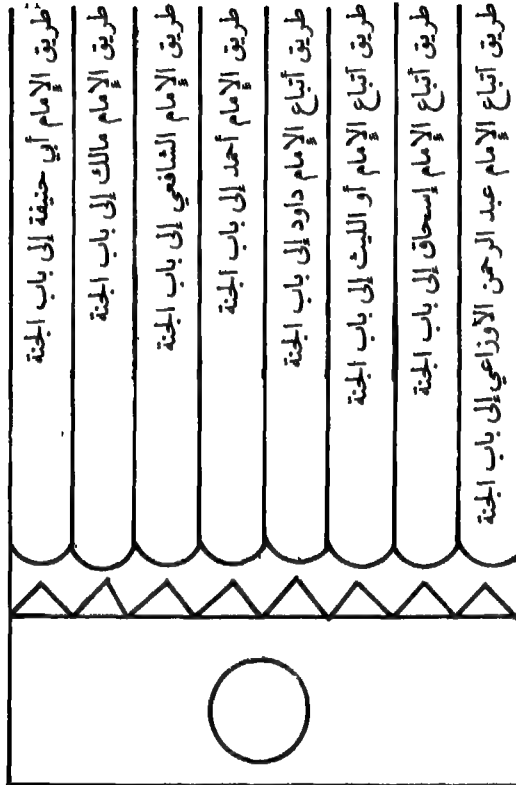


مثال صراط من البوح عن الشريعة في دار الدنيا ومثال الناس فوقه ومعلوم أن الصراط في نفس الأمر واحد في نفسه لكنه يشكل لكل من قصد فوقه يشاكله علمه وعمله ومن هنا قال أهل الكشف أن النبي على الصراط حقيقة إنما هو هنا لا هناك فيجني كل إنسان ثمرة عمله فمن زل عن الشريعة هنا زلت قدمه هناك بقدر ما زل هنا وقد يساعده الله والله أعلم.

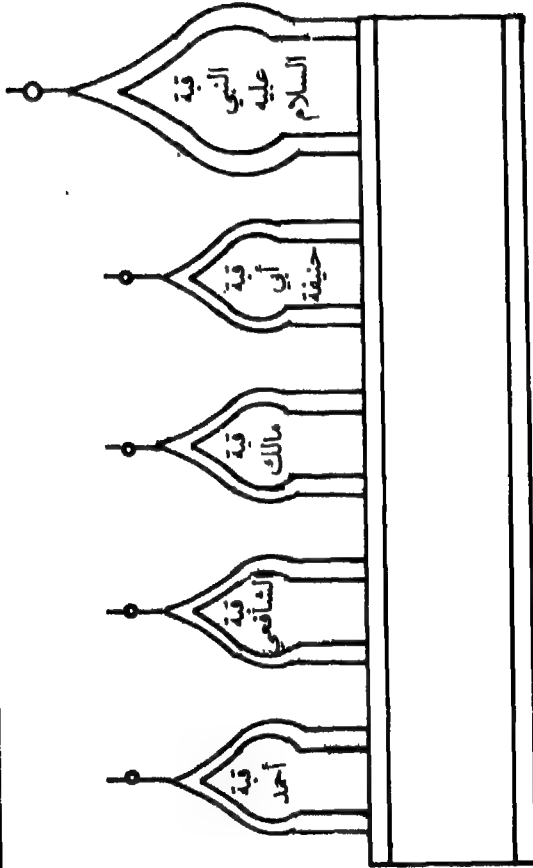




وهذا مثال طرق مذاهب الأئمة المجتهدين إلى أبواب الجنة وإن كل من عمل بمذهب منها خالصاً أوصله إلى باب الجنة.



وهذا مثال قباب الأئمة المجتهدين على نهر الحياة في الجنة الذي هو  
مظهر بحر الشريعة المطهرة في الدنيا وإنما ذكرنا فيه رسول الله ﷺ مع  
قباب الأئمة الأربعة لأنهم ما نالوا هذا المقام إلا باتباع شريعته فكان من كمال  
نعيمهم في الجنة شهود ذاته ﷺ فتأمل تهتدي إن شاء الله تعالى .



## فصل

شريف في بيان الذم من الأئمة المجتهدين للقول في دين الله تعالى بالرأي لا سيما الإمام أبو حنيفة : اعلم أنني إنما قدمت هذا الفصل على ما بعده من الجمع بين الأحاديث والأقوال لأنه طالب العلم على شدة تبري جميع المجتهدين من القول في دين الله بالرأي ليقبل على العمل بجميع أقوال الأئمة المجتهدين بطيب نفس وانسراح صدر على حكم مرتبتي الميزان فإن أقوالهم كلها لا تخرج من مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد وقد كان الأئمة المجتهدون كلهم يحثون أصحابهم على العمل بظاهر الكتاب والسنة ويقولون إذا رأيتم كلامنا يخالف ظاهر الكتاب والسنة فاعملوا بالكتاب والسنة واضربوا بكلامنا الحائط اهـ .

وإنما قالوا ذلك احتياطاً للأمة وأدباً مع رسول الله ﷺ أن يزيد أحدهم في شريعته ﷺ شيئاً لم يرده ولم يرضه وخوفاً أن يكتب أحدهم من جملة الأئمة المضلين إذا زاد في الشريعة شيئاً مما ذكر .

(فإن قلت) فما حد القول الذي لا يرضاه الله ورسوله ؟ .

(فالجواب) حده أن يخرج عن قواعد الشريعة الثابتة عن رسول الله ﷺ فكل ما شهدت له الشريعة بالصحة وموافقة القواعد فهو معدود من الشريعة وإن لم يصرح به الشارع وعبرة البيهقي في باب القضاء من سنته الكبرى .

اعلم أن الرأي المزموم هو كل ما لا يكون مشبهاً بأصل . قال : وعلى ذلك يحمل كل ما جاء في ذم الرأي اهـ .

إذا علمت ذلك فاعلم أن الشريعة منقسمة على ثلاثة أقسام : الأول ما أتى به الوحي من الأحاديث مثل : حديث : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»<sup>(١)</sup> ومثل حديث : «لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها»<sup>(٢)</sup> ومثل حديث : «لا يحرم في الرضاعة المصاة ولا المصتان»<sup>(٣)</sup> ومثل حديث : «الدية على العاقلة»<sup>(٤)</sup> وما جرى مجرى ذلك من الأصول الثابتة في الشريعة فإنه كالقرآن من حيث انعقاد الإجماع على عدم مخالفته القسم الثاني : ما أباح الحق تعالى لنبيه ﷺ أن يسنه على رأيه هو على وجه الإرشاد لأئمة كتبه كتحريم لبس الحرير على الرجال وقوله في حديث : تحريم مكة إلا الأذخر حين قال له عمه العباس إلا الأذخر يا رسول الله ولولا أن الله تعالى كان يحرم جميع نبات الحرم لم يستثن ﷺ الأذخر لما سأله عمه العباس في ذلك ونحو حديث «لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى ثلث الليل»<sup>(٥)</sup> ونحو حديث : «ولو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا»<sup>(٦)</sup> في جواب من قال له في فريضة الحج أكل عام يا رسول الله قال : «لا ولو قلت نعم لوجبت» الحديث وقد كان ﷺ يخفف عن أمته

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنه وأخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة بقوله : «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» ، وبرواية عن أبي هريرة أيضاً «لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها» باب النكاح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه عن عائشة ، والترمذي وابن حبان عن الزبير رضي الله عنهم .

(٤) رواه الإمام مسلم في كتاب القسامة عن أبي هريرة قال ( اقتتل امرأتان من هذيل فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عصبة القاتلة ) وهذا دليل الفقهاء أن دية الخطأ على العاقلة .

(٥) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وأخرجه الترمذي وصححه وحسنه .

(٦) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث الزهري ، ورواه شريك عن سهاك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه ، وروى من حديث اسامة بن زيد عن أبي هريرة ، قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل : أكل عام يا رسول الله . . ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : «لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال : «ذروني ما تركتكم فإنما أهلكت من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» .

« وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

حسب طاقتها وينهاهم عن كثرة السؤال ويقول: « اتركوني ما تركتكم »<sup>(١)</sup> خوفاً عن كثرة تنزل الأحكام عن سؤالهم فيعجزون عن القيام بها : والقسم الثالث ما جعله الشارع فضيلة لأمته وتاديباً لهم فإن فعلوه حازوا الفضيلة وإن تركوه فلا حرج عليهم وذلك كنهيه ﷺ عن كسب الحجام وكأمره بالمسح على الخفين بدلاً عن غسل الرجلين وكنهيه الناس عن زيارة القبور وعن لبس الحرير ومعلوم أن السنة قاضية على الكتاب ولا عكس من حيث أنها بيان لما أجمل في القرآن كما أن الأئمة المجتهدين هم الذين بينوا لنا ما في السنة من الاجمال كما أن اتباع المجتهدين هم المبينون لنا ما أجمل في كلام المجتهدين وهكذا الى يوم القيامة وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : لولا أن السنة بينت لنا ما أجمل في القرآن ما قدر أحد من العلماء على استخراج أحكام المياه والطهارة ولا عرف كون الصبح ركعتين والظهر والعصر والعشاء أربعاً ولا كون المغرب ثلاثاً ولا كان يعرف أحد ما يقال في دعاء التوجه والافتتاح ولا عرف صفة التكبير ولا اذكار الركوع والسجود والاعتدالين ولا ما يقال في جلوس التشهدين ولا كان يعرف كيفية صلاة العيدين والكسوفين ولا غيرها من الصلوات كصلاة الجنازة والاستسقاء ولا كان يعرف أنصبة الزكاة ولا أركان الصيام والحج والبيع والنكاح والجراح والأقضية وسائر أبواب الفقه وقد قال رجل لعمران بن حصين<sup>(٢)</sup> لا تتحدث معنا إلا بالقرآن فقال له عمران إنك لأحق هل في القرآن بيان عدد ركعات الفرائض أو اجهروا في كذا دون كلنا فقال الرجل لا فأفحمه عمران اهـ وروى البيهقي أيضاً في باب صلاة المسافرين سننه عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عن قصر الصلاة في السفر وقيل له إنا لنجد في الكتاب العزيز صلاة الخوف ولا نجد صلاة السفر فقال للسائل يا ابن أخي إن الله تعالى أرسل إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً وإنما نفعل ما رأينا رسول الله ﷺ يفعل قصر الصلاة في السفر سنة سنها رسول الله ﷺ اهـ فتأمل ذلك فإنه نفيس .

(١) راجع تخريج هذا الحديث ص ٩٨ .

(٢) عمران بن حصين بن عبد الله بن خلف الخزاعي مات سنة ٥٢ هـ بالبصرة .

## فصول

في بيان ما ورد في ذم الرأي عن الشارع وعن أصحابه والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين .

روينا في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة <sup>(١)</sup> » وكان ﷺ يقول « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وروى البخاري عن ابن مسعود أوائل كتاب الفرائض من صحيحه أنه قال : ( تعلموا العلم قبل الظانين أي الذين يتكلمون في دين الله بالظن والرأي ) . فانظر كيف نفى عبد الله بن مسعود العلم عن المتكلمين في دين الله بالرأي وروى الترمذي بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة « إن أردت ألا توقف على الصراط طرفة عين فلا تحدث في دين الله شيئاً برأيك » اهـ .

وكان عبد الله بن عباس ومجاهد وعطاء وغيرهم يخافون من دخول الرأي في

---

(١) هذا جزء من حديث طويل عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قالاه أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وانه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الترغيب والترهيب ج ١ ص ٧١ .

أقوالهم أشد الخوف حتى إن عبد الله بن عباس ومحمد بن سيرين <sup>(١)</sup> كانا إذا وقع أحد في عرضهما وسألها أن يحلله قالوا له : ان الله تعالى قد حرم أعراض المؤمنين فلا نحلها ولكن غفر الله لك يا أخي . قال بعض العارفين : وهو من دقيق الورع ذو عجب في التصريف (وايضاح ذلك) أن الغيبة وكل ذنب يقع فيه العبد له وجهان : وجه يتعلق بالله تعالى من حيث تعلق حدوده ولا يدخل للعبد فيه ، ووجه يتعلق بالعبد يؤاخذ الله تعالى به الخصم إذا وقعت المشاحة في الآخرة من العبد اهـ .

وروى البيهقي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول : لا يقلدن رجل رجلا في دينه فإن آمن آمن وإن كفر كفر <sup>(٢)</sup> . يعني في نفس الأمر ، وانظروا في دينكم . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أفتى الناس يقول : هذا رأي عمر فإن كان صوابا من الله وإن كان خطأ فمن عمر . وروى البيهقي عن مجاهد وعطاء أنها كانا يقولان : ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ .

قلت وكذلك كان مالك بن أنس <sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى يقول كما سيأتي في الفصل الذي سيأتي بعده إن شاء الله تعالى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنة فإن أصحاب السنة أعلم بكتاب الله عز وجل . قال الخطابي وأصحاب السنة هم حفاظ الحديث والمطلعون عليه كالأئمة المجتهدين . وكمل أتباعهم فإنهم عم الذين يفهمون ما تضمنه السنة

(١) أبو بكر محمد بن سيرين البصري : كان أبوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه ، وكان من سبى ميسان وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق وروى محمد عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين ، وكانت ولادته لستين بقيتا من خلافة عثمان ، وتوفي سنة عشر ومائة بالبصرة .

(٢) رواه أيضاً أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) الإمام مالك ٩٣ - ١٧٩ هـ

٧١٢ - ٧٩٥ م

مالك بن أنس بن مالك الأصبحي أبو عبد الله امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته بالمدينة من كتبه « الموطأ » وكتابه في المسائل والرد على القدرية ، وتفسير غريب القرآن .

من الأحكام .

وسمع الإمام أحمد بن أبي اسحق السبيعي قائلًا يقول : إلى متى حديث  
اشتغلوا بالعلم فقال له لإمام أحمد قم يا كافر لا تدخل علينا أنت بعد اليوم ثم إنه  
التفت إلى أصحابه وقال ما قلت أبدا لأحد من الناس لا تدخل داري غير هذا الفاسق .  
اهـ .

فانظر يا أخي كيف وقع من الإمام هذا الزجر العظيم لمن قال إلى متى حديث  
اشتغلوا بالعلم فكانوا رضي الله عنهم لا يتجرأ أحد منهم أن يخرج عن السنة قيد شبر  
بل بلغنا أن مغنيا كان يغني للخليفة فقيل له : إن مالك بن أنس يقول بتحريم الغناء  
فقال المغني وهل لمالك وأمثاله أن يحرم في دين ابن عبد المطلب والله يا أمير المؤمنين ما  
كان التحريم لرسول الله ﷺ إلا بوحي من ربه عز وجل وقد قال تعالى ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ  
النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> ولم يقل بما رأيت يا محمد فلو كان الدين بالرأي لكان رأي  
رسول الله ﷺ لا يحتاج إلى وحي وكان الحق تعالى أمره أن يعمل به بل عاتبه الله تعالى  
حين حرم على نفسه ما حرم في قصة مارية وقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ  
لَكَ﴾<sup>(٢)</sup> الآية اهـ .

فإذا كان هذا كلام المغني في ذلك الزمان في الإمام مالك فكيف كلام غيره من  
العلماء العاملين في ذلك الزمان وتقييدهم بالكتاب والسنة؟ وما ذكرت لك يا أخي هذه  
الحكاية عن المغني إلا لأبين لك عدم تجرؤ أحد من السلف على الكلام في دين الله  
بالرأي لتأخذ كلام المجتهدين بالإيمان والتصديق ولو لم تعرف من أين أخذوه  
واستنبطوه من الكتاب أو السنة وتعتقد أن الإمام مالكا<sup>(٣)</sup> لولا رأى في السنة ما يشهد  
لتحريم الغناء وسأعه ما أفتى به وكان الإمام حمدان بن سهل يقول : لو كنت

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٥ .

(٢) سورة التحريم آية رقم ١ .

(٣) راجع ترجمة الإمام مالك ص ٢٠٣ .



قاضياً لحبست كلاً من هذين الرجلين من يطلب الحديث ولا يطلب الفقه أو يطلب الفقه ولا يطلب الحديث ويقول انظروا الى الأئمة المجتهدين كيف طلبوا الحديث مع الفقه ولم يكتفوا بأحدهما وكان الإمام جعفر الصادق (١) رحمه الله تعالى يقول من اعظم فتنة تكون على الأمة قوم يقيسون في الأمور برأيهم فيحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله أهـ .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول والذي نفس عمر بيده ما قبض الله تعالى روح نبيه ﷺ ولا رفع الوحي عنه حتى أغنى أمته كلهم عن الرأي وكان الشعبي (٢) يقول : سيجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام بذلك وينشلم . وكان وكيع (٣) رحمه الله تعالى يقوله عليكم باتباع الأئمة المجتهدين والمحدثين فإنهم يكتبون ما لهم وما عليهم بخلاف أهل الأهواء والرأي فإنهم لا يكتبون قط ما عليهم وكان الشعبي وعبد الرحمن بن مهدي يزجران كل من رأياه يتدين بالرأي وينشدان .

دين النبي محمد مختار نعم المطية للفتى الآثار  
لاترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار

وكان أحمد بن سريج يقول أهل الحديث أعظم درجة من الفقهاء لا عتائهم بضبط الأصول وكان عامر بن قيس يقول لا تذهب الدنيا حتى يصير العلم جهلاً

---

(١) راجع ترجمة الإمام جعفر الصادق ص ١١٤ .

(٢) الشعبي : أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي : هو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب والشعبي والحسن البصري ومكحول ولد لست خلون من خلافة عثمان وتوفي سنة ١٠٥ هـ وكانت وفاته فجأة .

(٣) وكيع بن الجراح ١٢٩ - ١٩٧ هـ / ٧٤٦ - ٨١٢ م وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان حافظ للحديث ثبت كان محدث العراق في عصره ولد بالكوفة وابوه ناظر على بيت المال فيه وتفقه وحفظ الحديث فاراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعا وكان يصوم الدهر له مصنف في الفقه والسنن ، قال الإمام ابن حنبل ما رأيت أحداً أوعى منه ولا احفظ وكيع امام المسلمين ، توفي بفيء راجعاً من الحج .

والجهل علما وكان عبد الله بن مسعود يقول : من سأل عن علم لا يعلمه فليقل الله أعلم فإن الله تعالى قال لمحمد ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾<sup>(١)</sup> يعني في الجواب عما سألتهمني عنه وكان يقول من أفتى الناس في كل ما يسألونه فيه فهو مجنون وكان مسروق<sup>(٢)</sup> إذا سأل عن مسألة يقول للسائل هل وقعت فإن قال : لا قال : اعفني منها حتى تكون وكان مجاهد يقول لأصحابه لا تكتبوا عن كل ما أفتيت به وإنما يكتب الحديث ولعل كل شيء أفتيتكم به اليوم أرجع عنه غدا وكان الأعمش رضي الله عنه يقول عليكم بملازمة السنة وعلموها للأطفال فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقتهم وكان أبو عاصم<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى يقول إذا تبحر الرجل في الحديث كان الناس عنده كالبحر وكان أبو بكر بن عياش يقول : أهل الحديث في كل زمان كأهل الإسلام مع أهل الأديان والمراد بأهل الحديث في كلامه ما يشمل أهل السنة من الفقهاء وإن لم يكونوا حفاظا وكان أبو سليمان الخطابي يقول عليكم بترك الجدال في الحديث وأقوال الأئمة فإن الله تعالى يقول ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾<sup>(٤)</sup> وما كانت قطزندقة أو بدعة أو كفر أو جراءة على الله تعالى إلا من قبل الجدال وعلم الكلام وكان عمر بن عبد العزيز يقول إذا رأيتم جماعة يتناجون سرا فيما بينهم بأمر دينهم فاشهدوا أن ذلك ضلال وبدعة وكان يقول : أكابر الناس هم أهل السنة وأصاغرهم هم أهل البدعة .

وكان سفيان الثوري يقول المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا فاعلم ذلك (وأما ما نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين في ذم الرأي) .

(١) سورة ص آية رقم ٨٦ .

(٢) مسروق : هو أبو عائشة ، مسروق بن الأجدع ابن مالك روى عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم كان إماماً في التفسير وعالماً خبيراً بمعاني كتاب الله روى شعبة عن أبي اسحق أنه قال حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً وكانت وفاته سنة ثلاث وستين من الهجرة رحمه الله .

(٣) أبو عاصم الإمام الهروي راجع ترجمته ص ٢١٢ .

(٤) سورة غافر آية رقم ٤ .

فأولهم تبرياً من كل رأي يخالف ظاهر الشريعة الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه خلاف ما يضيفه إليه بعض المتعصبين ويا فضيحتة يوم القيامة من الإمام اذا وقع الوجه في الوجه فإن من كان في قلبه نور لا يتجرأ أن يذكر أحدا من الأئمة بسوء وأين المقام من المقام إذ الأئمة كالنجوم في السماء وغيرهم كاهل الأرض الذين لا يعرفون من النجوم إلا خيالها على وجه الماء وقد روى الشيخ محيي الدين في الفتوحات المكية بسنده إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول إياكم والقول في دين الله تعالى بالرأي وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل .

(فإن قيل) إن المجتهدين قد صرحوا بأحكام في أشياء لم تصرح الشريعة بتحريمها ولا بوجوبها فحرموها وأوجبوها (فالجواب) إنهم لولا علموا من قرائن الأدلة تحريمها أو وجوبها ما قالوا به والقرائن أصدق الأدلة وقد يعلمون ذلك بالكشف أيضا فتأييد به القرائن اهـ .

وكان الإمام أبو حنيفة يقول : القدرية <sup>(١)</sup> مجوس هذه الأمة . وشيعة الدجال <sup>(٢)</sup> وكان يقول حرام على من لم يعرف دليلي ان يفتي بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأي أبي حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب وكان يقول إياكم وآراء الرجال :

ودخل عليه مرة رجل من أهل الكوفة والحديث يقرأ عنده فقال الرجل دعونا من هذه الأحاديث فزجره الامام أشد الزجر وقال له لولا السنة ما فهم أحد منا القرآن ثم

(١) رواه الطبراني وأبو داود وغيرهما عن ابن عمر مرفوعاً والقدرية نسبة إلى القدر قال النووي في شرح مسلم يقال القدر والقدرة وحكماهما ابن قتيبة عن الكسائي وغيره قال الخطابي إنما جعلهم مجوس هذه الأمة لمضاهاة مذهبهم المذهب المجوس من قولهم بالأصلين النور والظلمة ويزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية ، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره خلقاً وإيجاداً . انتهى .

(٢) الدجال : أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ، وقال الإمام مسلم الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم وهو أحد الكذابين وقال ابن عباس الدجال آدم هيجان - ايض - أعور جعد الرأس وقال في الخبر أنه لا يخرج حتى يدع الخطباء ذكره على المنابر . كشف الخفاء ج ١ ص

قال للرجل ما تقول في لحم القرد وأين دليله من القرآن ؟ فأفحم الرجل فقال للإمام فما تقول أنت فيه فقال ليس هو من بهيمة الأنعام فانظروا يا أخي الى مناضلة الإمام عن السنة وزجره من عرض له بترك النظر في أحاديثها فكيف ينبغي لأحد أن ينسب الإمام الى القول في دين الله بالرأي الذي لا يشهد له ظاهر كتاب ولا سنة وكان رضي الله عنه يقول عليكم بأثر من سلف وإياكم ورأي الرجال وان زخرفوه بالقول فإن الأمر يتجلى حين يتجلى وأنتم على صراط مستقيم وكان يقول : إياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمر الأول العتيق ودخل رجل الكوفة بكتاب دانيال فكاد أبو حنيفة أن يقتله أكتاب ثم غير القرآن والحديث وقيل له مرة ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام في العرض والجوهر والجسم فقال هذه مقالات الفلاسفة فعليكم بالأثار وطريقة السلف وإياكم وكل محدث فإنه بدعة وقيل له مرة قد ترك الناس العمل بالحديث واقبلوا على سماعه فقال رضي الله عنه نفس سماعهم للحديث عمل بها وكان يقول : لم تزل الناس في صلاح ما دام فيهم من يطلب الحديث فإذا طلبوا العلم بلا حديث فسدوا وكان رضي الله عنه يقول : قاتل الله عمرو بن عبيد <sup>(١)</sup> فإنه فتح للناس باب الخوض في الكلام فيما لا يعنيهم وكان يقول : لا ينبغي لأحد أن يقول قولاً حتى يعلم أن شريعة رسول الله ﷺ تقبله وكان يجمع العلماء في كل مسألة لم يجدها صريحة في الكتاب والسنة ويعمل بما يتفقون عليه فيها وكذلك كان يفعل إذا استنبط حكماً فلا يكتبه حتى يجمع عليه علماء عصره فإن رضوه قال لأبي يوسف اكتبه رضي الله عنه فمن كان على هذا القدم من أتباع السنة كيف يجوز نسبته الى الرأي ؟ معاذ الله أن يقع في مثل ذلك عاقل كما سيأتي بسطه في الأجوبة عنه إن شاء الله تعالى وقال صاحب الفتاوي السراجية : قد اتفق لأبي حنيفة من الأصحاب . ما لم يتفق لغيره وقد

(١) أبو عثمان عمرو بن عبيد : كان جده باب من سبي كابل من جبال السند وكان أبوه يخلف أصحاب الشرط بالبصرة ، فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا : هذا خير الناس ابن شر الناس ، كانت ولادته في سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي سنة أربع وأربعين ومائة ، من مؤلفاته « كتاب التفسير عن الحسن البصري » وكتاب الرد على القدريه ، وكلام كثير في العدل والتوحيد .

وضع مذهبه شورى ولم يستبد بوضع المسائل وإنما كان يلقيها على أصحابه مسألة مسألة فيعرف ما كان عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم حتى يستقر أحد القولين فيثبت به أبو يوسف حتى أثبتت الأصول كلها وقد أدرك بفهمه ما عجزت عنه أصحاب القرائح اهـ ونقل الشيخ كمال الدين بن الهمام عن أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن أنهم كانوا يقولون ما قلنا في مسألة قولنا إلا وهو روايتنا عن أبي حنيفة وأقسموا على ذلك أيماناً مغلظة فلم يتحقق إذن في الفقه بحمد الله تعالى جواب ولا مذهب إلا له رضي الله عنه كيفما كان وما نسب إلى غيره فهو من مذهب أبي حنيفة وإن نسب إلى غيره فهو بطريق المجاز للموافقة فهو كقول القائل : قولي كقوله ومذهبي كمذهبه فعلم أن من أخذ بقول واحد من أصحاب أبي حنيفة فهو أخذ بقول أبي حنيفة رضي الله عنه والحمد لله رب العالمين . .

## فصل

فما نقل عن الإمام مالك من ذم الرأي وما جاء عنه في الوقوف على ما حدثه  
الشيعة المطهرة .

كان رضى الله عنه يقول : إياكم ورأي الرجال إلا أن أجمعوا عليه ، ﴿ أَتَبِعُوا مَا  
أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وما جاء عن نبيكم وإن لم تفهموا المعنى فسلموا لعلمائكم  
ولا تجادلوهم فإن الجدل في الدين من بقايا النفاق .

قال ابن القاسم <sup>(٢)</sup> : بل هو النفاق كله لأن الجدل بالباطل في الحق مع العلماء  
كالجدال مع رسول الله ﷺ من حيث أن الحق شرعه ﷺ وإن تفاوت مقام المجادل في  
الدين .. انتهى

وكان يقول : سلموا للأئمة ولا تجادلوهم فلو كنا كلما جاءنا رجل أجدل من  
رجل أتبعناه لخفنا أن نقع في ردما جاء به جبريل عليه السلام ، وكان رضى الله عنه إذا  
استنبط حكماً يقول لأصحابه : انظروا فيه فإنه دين وما من أحد إلا وماخوذ من كلامه  
ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يعني به رسول الله ﷺ ونقل ابن حزم عنه أنه لما  
حضرته الوفاة قال لقد وددت الآن أني أضرب على كل مسألة قلتها برأيي سوطاً ولا

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ٣ .

(٢) أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس الشافعي أخذ الفقه عن أبي  
حامد الغزالي ببغداد وعن غيره وولي القضاء برحبة مالك بن طوق ثم رجع إلى الموصل وصنف كتباً  
كثيرة منها « مناقب الأبرار » على أسلوب رسالة القشيري ومنها « مناسك الحج » وأخبار المناسك ،  
توفي سنة ٥٥٢ هـ رحمه الله .

ألقى رسول الله ﷺ بشيء زده في شريعته أو خالف فيه ظاهرها قال ومن هنا منع رضي الله عنه رواية الحديث بالمعنى للعارف خوفاً أن يزيد الراوي في الحديث أو ينقص . انتهى .

( قلت ) وقد رأيت النبي ﷺ مرة في جملة مبشرة لي وقال لي : عليك بالاطلاع على أقوال إمام دار هجرتي والوقوف عندها فإنه شهد آثاره . انتهى فامتثلت أمره ﷺ وطالعت الموطأ والمدونة الكبرى ثم اختصرتها وميزت فيها المسائل التي تميز بها عن بقية الأئمة عملاً بإشارته ﷺ ورأيت رضي الله عنه يقف عند حد الشريعة لا يكاد يتعداها وعملت بذلك أن الوقوف على حد ما ورد أولى من الابتداع ولو استحسن فإن الشارع قد لا يرضى بتلك الزيادة في التحريم أو في الوجوب والحمد لله رب العالمين . .

## فصل

فيما نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه من ذم الرأي والتبري منه :

روى الهروي<sup>(١)</sup> بسنده إلى الإمام الشافعي أنه كان يقول حديث رسول الله ﷺ مستغن بنفسه إذا صح اهـ يعني أنه لا يحتاج إلى قول يعضده إذا صح دليله لأن السنة قاضية على القرآن ولا عكس وهي مبينة لما أجمل منه .

وسأل الشافعي مرة عن محرم قتل زنبوراً فقال ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾<sup>(٢)</sup> وقال الإمام محمد الكوفي رضي الله عنه رأيت الإمام الشافعي بمكة وهو يفتي الناس ورأيت الإمام أحمد ، واسحق بن راهويه<sup>(٣)</sup> حاضرين فقال الشافعي قال رسول الله ﷺ « وهل ترك لنا عقيل من دار » .

فقال اسحق رويانا عن الحسن وإبراهيم أنهما لم يكونا يرياناه وكذلك عطاء ومجاهد فقال الشافعي لاسحق لو كان غيرك موضعك لفركت أذنه أقول قال رسول الله ﷺ وتقول قال عطاء ومجاهد والحسن وهل لأحد مع قول رسول الله ﷺ حجة بأبي هو وأمي وكان الإمام أحمد يقول سألت الإمام الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات

---

(١) أبو عاصم محمد بن أحمد العبادي الهروي الشافعي ولد سنة ٣٧٥ وتوفي ٤٥٨ من مؤلفاته « أدب القضاء » و « المبسوط » و « الهادي » إلى مذهب العلماء والرد على السمعاني .

(٢) سورة الحشر آية رقم ٧ .

(٣) ابن راهويه اسحاق بن إبراهيم : جمع بين الحديث والفقه والورع وكان أحد أئمة الإسلام ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي ولد سنة إحدى وستين ومائة وسكن في آخر عمره بنيسابور وتوفي بها سنة سبع وثلاثين ومائتين .



وكان الشافعي رضي الله عنه يقول لولا أهل المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر وكان رضي الله عنه يقول الأخذ بالأصول من أفعال ذوي العقول ولا ينبغي أن يقال في شيء من الأصول لم ولا وكيف فقليل له مرة وما الأصول ؟ فقال : الكتاب والسنة والقياس عليهما وكان يقول : إذا اتصل بينكم الحديث برسول الله ﷺ فهو السنة ولكن الاجماع أكبر منه إلا أن تواتر يعني الحديث وكان يقول : الحديث على ظاهره لكنه إذا احتمل عدة معان فأولاهما ما وافق الظاهر وكان يقول : أهل الحديث في كل زمان كالصحابة في زمانهم وكان يقول : إذا رأيت صاحب حديث فكأنني رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ وكان يقول : إياكم والأخذ بالحديث الذي أتاكم من بلاد أهل الرأي إلا بعد التفتيش فيه وكان رضي الله عنه يقول من خاض في علم الكلام فكأنه دخل البحر في حال هيجانه فقليل له يا أبا عبد الله إنه في علم التوحيد فقال قد سألت مالكا عن التوحيد فقال هو ما دخل به الرجل الإسلام وعصم به دمه وماله وهو قول الرجل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وكان يقول : إذا رأيتم الرجل يقول الاسم غير المسمى أو عينه فاشهدوا عليه بالزندقة - وروى الحاكم<sup>(١)</sup> والبيهقي عن الإمام الشافعي : أنه كان يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي قال ابن حزم أي صح عنده أو عند غيره من الأئمة وفي رواية أخرى إذا رأيتم كلامي يخالف كلام رسول الله ﷺ فاعملوا بكلام رسول الله ﷺ واضربوا بكلامي الحائط . وقال مرة للربيع : يا أبا إسحق لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين وكان رضي الله عنه إذا توقف في حديث يقول لو صح ذلك لقلنا به وروى البيهقي عنه ذلك في باب حديث المستحاضة تغسل عنها أثر الدم وتصلي ثم تتوضأ لكل صلاة وقال لو صح هذا الحديث لقلنا به وكان أحب إلينا من القياس على سنة محمد ﷺ في الوضوء مما خرج من

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري المحدث : امام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها كان عالماً عارفاً واسع العلم تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الفقيه الشافعي ، صنف في علوم الحديث ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء منها «الصحيحان» والعلل والامالي وفوائد الشيخ « وتراجم الشيوخ » وتقلد القضاء بنيسابور سنة ٣٥٩ هـ وولد سنة ٣٢١ هـ وتوفي ٤٠٥ هـ بنيسابور رحمه الله .

قبل أو دبراه .

وكان يقول : إذا ثبت عن النبي ﷺ بأبي هو وأمي شيء لم يحل لنا تركه وقال في باب سهم البراذين <sup>(١)</sup> : لو كنا ثبت مثل هذا الحديث ما خالفناه وفي رواية أخرى : لو كنا ثبت مثل هذا عن النبي ﷺ لأخذنا به فإنه أولى الأمور بنا ولا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ وإن كثروا ولا في قياس ولا شيء إلا طاعة الله ورسوله ﷺ بالتسليم له ذكره البيهقي في سننه في باب أحد الزوجين يموت ولم يفرض صداقاً وروى عنه أيضاً في باب السير أنه كان يقول : إن كان هذا الحديث يثبت فلا حجة لأحد معه وكان رضي الله عنه يقول : رسول الله ﷺ أجل في أعيننا من أن نحجب غير ما قضى به .

وقال الشافعي في باب الصيد من الأم : كل شيء خالف أمر رسول الله ﷺ سقط ولا يقوم معه رأي ولا قياس فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر هو به وقال في باب المعلم : يأكل من الصيد وإذا ثبت الخبر عن رسول الله ﷺ لم يحل تركه لشيء أبداً وقال في باب العتق من الأم : وليس في قول أحد وإن كانوا عدداً مع النبي ﷺ حجة . هذا ما اطلعت عليه من المواضع التي نقلت عن الإمام الشافعي في تبريه من الرأي وأدبه مع رسول الله ﷺ بل رويناه عنه أنه كان يتأدب مع أقوال الصحابة والتابعين فضلاً عن كلام سيد المرسلين ﷺ فنقل ابن الصلاح <sup>(٢)</sup> في علوم الحديث أن الشافعي قال في رسالته القديمة بعد أن أثنى على الصحابة بما هم أهلهم والصحابة رضي الله عنهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وفي كل أمر استدرك به علمهم وآراؤهم لنا أحمد وأولى من رأينا

---

(١) البراذين : جمع برذون، وهو الحصان غير العربي .

(٢) ابن الصلاح : تقي الدين ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشافعي ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة بشرخان وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية .  
تولى التدريس بالمدرسة الرواحية التي أنشأها الزكي أبو القاسم وصنف في علوم الحديث كتاباً نافعا وكذلك في مناسك الحج وله اشكالات على كتاب الوسيط في الفقه .

عندنا لأنفسنا اهـ .

وروى البيهقي<sup>(١)</sup> أن الشافعي استفتى فيمن نذر ليمشين إلى الكعبة وحنث فأفتى بكفارة يمين فكأن السائل توقف في ذلك فقال الشافعي : قد قال بهذا القول من هو خير من عطاء بن أبي رباح<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه وسيأتي في فصول الأجوبة عن الإمام أبي حنيفة وبيان مقامه في العلم : أن الشافعي ترك القنوت لما زار قبره وأدركته صلاة الصبح عنده . وقال كيف أقنت بحضرة الإمام وهو لا يقول به . وإن الإمام الشافعي<sup>(٣)</sup> إنما فعل ذلك فتحا لباب الأدب مع الأئمة المجتهدين وحلهم في جميع أقوالهم على المحامل الحسنة وعلى أنهم ما قالوا قولاً إلا لكونهم اطلعوا على دليله من كلام الشارع ﷺ فلا ينافي ذلك قول الشافعي فيما تقدم عنه أنه لا حجة لقول أحد مع قول رسول الله ﷺ فأفهم على أن بعضهم قال : إن الشافعي ما فعل ذلك إلا باجتهاد منه فأدى اجتهاده إلى أن الأدب مع الأئمة المجتهدين واجب فقدمه على فعل بعض السنن لما يترتب عنه من توهم القدح فيه والذي نقول به أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لم يترك القنوت لمحض الأدب مع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مع قول الإمام الشافعي بسنيته حينئذ لما فيه من إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ بترك شيء قال به لشيء قال به غيره وحاشا الإمام الشافعي رضي الله عنه من ذلك وإنما نقول إن ترك الإمام الشافعي رضي الله عنه القنوت عند زيارة قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه إنما كان لموافقة في اجتهادهما حصلت ذلك الوقت ويكون ذلك من إحدى الكرامات الجليلة المعدودة للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ولا يقدح ذلك في مقام الإمام الشافعي

(١) راجع ترجمة الإمام البيهقي ص ١٦١ .

(٢) راجع ترجمة الإمام عطاء بن أبي رباح ص ١٥٦ .

(٣) الإمام الشافعي ١٥٠ - ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠ م .

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين ، وزار بغداد مرتين ، وقصد الديار المصرية سنة ١٩٩ هـ وتوفي في القاهرة . من كتبه « الام » في الفقه ، والمسند في الحديث واحكام القرآن ، وكتاب الاشربة ، وكتاب الموارث .

رضي الله عنه مع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وإنما ذلك فيه رعاية لكمال المقامين على انه قد نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه في تعظيم الإمام أبي حنيفة والأدب معه ما فيه مقنع وكفاية لكل ذي لب كما سئرى بعضه إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب مرارا وقال بعضهم لا يدع في حملنا ترك القنوت على الأدب المحض لأن الأدب مما أمر به رسول الله ﷺ فكان المتأدب مع أخيه إنما هو متأدب مع رسول الله ﷺ وتابع لشرعه فليتأمل وسيأتي في فصل الأجوبة عن الإمام أبي حنيفة قول الإمام مالك لما سأل عن الإمام أبي حنيفة ما تقولون في رجل لو ناظرني في أن نصف هذه الاسطوانة حجر ونصفها فضة لقام بحجته وكذلك قول الإمام الشافعي الناس كلهم في الفقه عيال على الإمام أبي حنيفة فتأمل يا أخي أدب الأئمة مع بعضهم بعضا واقتد بهم في ذلك وإياك والتعصب لإمامك حمية جاهلية من غير دليل فتخطىء طريق الصواب وأول من يتبرأ منك أمامك يوم القيامة وتقدم قول الإمام الليث للإمام مالك في مسألة ارسلها له من مصر ما حكم الله تعالى في هذه المسألة عندكم وإن الإمام مالكا كتب إلى الليث بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ : أما بعد فإنك يا أخي إمام هدى وحكم الله تعالى في هذه المسألة ما قام عندك اه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

## فصل

( فيما نقل عن الإمام أحمد من ذمه الرأي وتقيده بالكتاب والسنة )

روى البيهقي عنه أنه كان إذا سأل عن مسألة يقول أو لأحد كلام مع رسول الله ﷺ وبلغنا أنه لم يدون له كلاماً كبقية المجتهدين خوفاً أن يقع في رأي يخالف الشريعة وأن جميع مذهبه إنما هو ملفق من صدور الرجال وبلغنا أنه وضع في الصلاة نحو عشرين مسألة هكذا أخبرني به شيخ الإسلام شهاب الدين الحنبلي الفتوحي<sup>(١)</sup> رضي الله عنه وبلغنا أنه لم يأكل البطيخ حتى مات وكان إذا سأل عن ذلك يقول لم يبلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله وكذلك بلغنا عنه أنه اختفى أيام المحنة في مسألة خلق القرآن ثم خرج بعد اليوم الثالث فقبل له إنهم الآن في طلبك فقال إن رسول الله ﷺ لم يمكث في الغار حين اختفى من الكفار أكثر من ثلاثة أيام وحاله في العمل بالسنة مشهور وكان يتبرأ كثيراً من رأي الرجال ويقول لا نرى أحداً ينظر في كتب الرأي غالباً إلا وفي قلبه دخل وكان ولده عبد الله يقول : سألت الإمام أحمد عن الرجل يكون في بلد لا يجد فيها إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وصاحب رأي فمن يسأل منهما عن دينه ؟ فقال يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي وكان كثيراً ما يقول ضعيف الحديث أحب إلينا من رأي الرجال وكذلك نقل عن الإمام داود وكان رضي الله عنه يقول : انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة وكان يقول قبيح على من أعطي شمعة يستضيء بها

---

(١) المقصود به هو الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المشهور .

أن يطفئها ويمشي معتمداً على غيره يشير والله أعلم إلى أنه لا ينبغي لمن قدر على الاجتهاد أن يقلد غيره مع قدرته على النظر في الأدلة واستخراج ذلك الحكم منها والله أعلم ! .

وبلغنا أن شخصاً استشاره في تقليد أحد من علماء عصره فقال لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي<sup>(١)</sup> ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا اهـ .

( قلت ) وهو محمول على من له قدرة على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وإلا فقد صرح العلماء بأن التقليد واجب على العامي لئلا يضل عن دينه والله أعلم ..

فقد بان لك يا أخي مما نقلناه عن الأئمة الأربعة وغيرهم أن جميع الأئمة المجتهدين دائرون مع أدلة الشريعة حيث دارت وانهم كلهم منزهون عن القول بالرأي في دين الله وأن مذاهبهم كلها محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر وأن أقوالهم كلها ومذاهبهم كالثوب المنسوج من الكتاب والسنة سداه ولحمته منهما وما بقي لك عذر في التقليد لأي مذهب شئت من مذاهبهم فإنها كلها طريق إلى الجنة كما سبق بيانه أواخر الفصل قبله وأنهم كلهم على هدى من ربهم وأنه ما طعن أحد في قول من أقوالهم إلا لجهله به إما من حيث دليله وإما من حيث دقة مداركه عليه لا سيما الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه الذي أجمع السلف والخلف على كثرة علمه وورعه وعبادته ودقة مداركه واستنباطاته كما سيأتي بسطه في هذه الفصول إن شاء الله تعالى وحاشاه رضي الله عنه من القول في دين الله بالرأي الذي لا يشهد له ظاهر كتاب ولا سنة ومن نسبه إلى ذلك فبينه وبينه الموقف الذي يثيب فيه المولود .

---

(١) الأوزاعي : أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام وكان يسكن بيروت وكانت ولادته ببلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة ببيروت رحمه الله وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها حنتوس . سمع من الزهري وعطاء وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة .

وسمعت سيدي علياً الخواص رضي الله عنه مرة يقول : يجب على كل مقلد الأدب مع أئمة المذاهب كلهم . وسمع مرة بعض الشافعية يقول : وفي هذا الحديث رد على أبي حنيفة فقال : قطع الله لسانك مثلك يقول هذا اللفظ إنما الأدب أن تقول : ولم يطلع الإمام على هذا الحديث اهـ وسمعت مرة أخرى يقول : مدارك الإمام أبي حنيفة دقيقة لا يكاد يطلع عليها إلا أهل الكشف من أكابر الأولياء . قال : وكان الإمام أبو حنيفة إذا رأى ماء الميضأة يعرف سائر الذنوب التي خرت فيه من كبائر وصغائر ومكروهات فلماذا جعل ماء الطهارة إذا تطهر به المكلف له ثلاثة أحوال : أحدها كالنجاسة المغلظة احتياطاً لاحتمال أن يكون المكلف ارتكب كبيرة . الثاني أنه كالنجاسة المتوسطة الاحتمال أن يكون المكلف ارتكب صغيرة . الثالث : أنه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره لاحتمال أن يكون المكلف ارتكب مكروهاً أو خلاف الأولى فإن ذلك ليس ذنباً حقيقة لجواز ارتكابه في الجملة وفهم جماعة من مقلديه أن هذه الثلاثة أقوال في حال واحد والحال أنها في أحوال كما ذكرنا بحسب حصر الذنوب الشرعية في ثلاثة أقسام كما ذكرنا ولا يخلو غالب المكلفين أن يرتكب واحداً منها إلا نادراً إنتهى وسيأتي بسطه في الجمع بين أقوال العلماء في باب الطهارة إن شاء الله تعالى :

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق

## فصول في بعض الأجوبة عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

### الفصل الأول

« في شهادة الأئمة له بغزارة العلم وبيان أن جميع أقواله وأفعاله وعقائده مشيدة بالكتاب والسنة » اعلم يا أخي أنني لم أجب عن الإمام في هذه الفصول بالصدر وإحسان الظن فقط كما يفعل بعضهم وإنما أجبت عنه بعد التتبع والفحص في كتب الأدلة كما أوضحت ذلك في خطبة كتاب المنهج المبين في بيان أدلة مذاهب المجتهدين ومذهبه أول المذاهب تدويناً وآخرها انقراضاً كما قاله بعض أهل الكشف قد اختاره الله تعالى إماماً لدينه وعباده ولم يزل أتباعه في زيادة في كل عصر إلى يوم القيامة لو حبس أحدهم وضرب على أن يخرج عن طريقة ما أجاب فرضي الله عنه وعن أتباعه وعن كل من لزم الأدب معه ومع سائر الأئمة .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لو أنصف المقلدون للإمام مالك والإمام الشافعي رضي الله عنهما لم يضعف أحد منهم قولاً من أقوال الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بعد أن سمعوا مدح أئمتهم له أو بلغهم ذلك . فقد تقدم عن الإمام مالك أنه كان يقول : لو ناظرني أبو حنيفة في أن نصف هذه الاسطوانة ذهب أو فضة لقام بحجته أو كما قال وتقدم عن الإمام الشافعي أنه كان يقول : الناس كلهم في الفقه عيال على أبي حنيفة رضي الله عنه . انتهى . ولو لم يكن من التنويه برفعة مقامه إلا كون الإمام الشافعي ترك القنوت في الصبح لما صلى عند قبره مع أن الإمام الشافعي قاتل باستحبابه لكان فيه كفاية في لزوم أدب مقلديه معه كما مر انتهى .



وأما ما قاله الوليد بن مسلم<sup>(١)</sup> من قوله : قال لي مالك بن أنس رحمه الله تعالى : أذكر أبو حنيفة في بلادكم قلت : نعم . فقال : ما ينبغي لبلادكم أن تسكن فقال : الحافظ المزني رحمه الله تعالى : إن الوليد هذا ضعيف انتهى .

( قلت ) وبتقدير ثبوت ذلك عن الإمام مالك فهو مؤول أي إن كان الإمام أبو حنيفة في بلادكم يذكر أي على وجه الانقياد والاتباع له فلا ينبغي لعالم أن يسكنها لاكتفاء بلادكم بعلم أبي حنيفة واستغناء الناس بسؤاله في جميع أمور دينهم عن سؤال غيره فإذا سكن أحد من العلماء في بلاده صار علمه معطلا عن التعليم فينبغي له الخروج إلى بلاد أخرى تحتاج إليه ليثبت علمه في أهلها . هذا هو اللائق بفهم الإمام مالك رحمه الله تعالى إن ثبت ذلك عنه لبراءة الأئمة عن الشحنة والبغضاء لبعضهم بعضاً ومن حمله على ظاهره فعليه الخروج من ذلك بين يدي الله عز وجل يوم القيامة . فإن مثل الإمام مالك لا يقع في تنقيص إمام من الأئمة بقرينة ما تقدم عنه من شهادته له بقوة المناظرة وقوة الحجة والله أعلم .

وأما ما نقله أبو بكر الأجري<sup>(٢)</sup> عن بعضهم أنه سأل عن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فقال : لا رأي ولا حديث . وسأل عن الإمام مالك فقال : رأي ضعيف وحديث صحيح . وسأل عن اسحق بن راهويه فقال حديث ضعيف ورأي ضعيف . وسأل عن الإمام الشافعي فقال : رأي صحيح وحديث انتهى . فهو كلام ظاهره التعصب على الأئمة بإجماع كل مصنف إن صح النقل عنه فإن الحس لا يصدق هذا القائل فيما قاله في حق الإمام أبي حنيفة وقد تتبعنا بحمد الله أقواله وأقوال أصحابه لما ألفت كتاب « أدلة المذاهب » فلم أجد قولاً من أقواله وأقوال أتباعه إلا

---

(١) الوليد بن مسلم ١١٩ - ١٩٥ هـ / ٧٣٧ - ٨١٠ م .

الوليد بن مسلم الأموي بالولاء الدمشقي أبو العباس عالم الشام في عصره من حفاظ الحديث له سبعين تصنيفاً في الحديث والتاريخ والمغازي توفي بلذّي المروة قافلاً من الحج رحمه الله .

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين الأجري المحدث الفقيه روى عنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم صاحب كتاب « حلية الأولياء » توفي سنة ستين وثلاثمائة وينسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجر ، واستوطن مكة حرسها الله تعالى وصنف في الفقه والحديث كثيراً وذكره أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه .

وهو مستند إلى آية أو حديث أو أثر أو إلى مفهوم ذلك أو حديث ضعيف كثرت طرقه أو إلى قياس صحيح على أصل صحيح فمن أراد الوقوف على ذلك فليطالع كتابي المذكور وبالجمله فقد ثبت تعظيم الأئمة المجتهدين له كما تقدم عن الإمام مالك والإمام الشافعي فلا التفات إلى قول غيرهم في حقه وحق اتباعه . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول مراراً يتعين على اتباع الأئمة أن يعظموا كل من مدحه إمامهم لأن إمام المذهب إذا مدح علماً وجب على جميع أتباعه أن يمدحوه تقليداً لإمامهم وأن ينزهوه عن القول في دين الله بالرأي وأن يبالحوا في تعظيمه وتبجيله لأن كل مقلد قد أوجب على نفسه أن يقلد إمامه في كل ما قال سواء أفهم دليله أم لم يفهمه من غير أن يطالبه بدليل وهذا من جملة ذلك وقد تقدم في فصل الانتقال من مذهب إلى مذهب أنه يحرم على المقلد أن يفاضل بين الأئمة تفضيلاً يؤدي إلى التنقيص لأحد منهم مع أن جميع المعترضين على بعض أقوال الإمام رضي الله عنه دونه في العلم بيقين ولا ينبغي لمن هو مقلد لإمام أن يعترض على إمام آخر لأن كل واحد تابع أسلوباً إلى أن يصل ذلك إلى عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها قول كل عالم كما مر إيضاحه . وكل من ترك التعصب ونظر في أقوال المجتهدين وجدها كالنجوم في السماء ووجد المعترض عليهم كالذي ينظر خيال تلك النجوم على وجه الماء فلا يعرف حقيقتها ولا مدرکہا فالله تعالى يرزق جميع إخواننا من المقلدين للمذاهب الأدب مع جميع أئمة المذاهب .

ومما وقع لي أن شخصاً دخل على من ينسب إلى العلم وأنا أكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فنظر فيها وأخرج لي من كنهه كرايس وقال لي انظر في هذه فنظرت فيها فرأيت فيها الرد على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . فقلت له ومثلك يفهم كلام الإمام حتى يُرد عليه فقال : إنما اخذت ذلك من مؤلف للفخر الرازي<sup>(١)</sup>

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين ، المعروف بابن الخطيب الرازي ولد في مدينة « هرا » إحدى مدن الري في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٤ هـ وكان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، من أهم مؤلفاته « مفاتيح الغيب » ويسمى التفسير الكبير ، توفي سنة ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م . رحمه الله .

فقلت له : إن الفخر الرازي بالنسبة إلى الإمام أبي حنيفة كطالب العلم أو كآحاد الرعية مع السلطان الأعظم أو كآحاد النجوم مع الشمس وكما حرم العلماء على الرعية الطعن على إمامهم الأعظم إلا بدليل واضح كالشمس فكذلك يحرم على المقلدين الاعتراض والطعن على ائمتهم في الدين إلا بنص واضح لا يحتمل التأويل ثم بتقدير وجود قول من أقوال الإمام أبي حنيفة لم يعرف المعترض دليله فذلك القول من الاجتهاد بيقين فيجب العمل به على مقلده حتى يظهر خلافه وكان بعض العلماء من مشايخ الجامع الأزهر ينكر على ابن أبي زيد القيرواني<sup>(١)</sup> .

فقال يوماً : إن بعض الأطفال يقدر على تأليف مثل رسالته فخرج من الجامع الأزهر فلقبه جندي فقال : اقرأ لي هذا الكتاب فلم يعرف أن يقرأه للجندي فمده وضربه إلى أن ألهب قلبه وقال له : تكبر عما منك وتوهم الناس أنك فقيه اهـ .

فكان الناس يرون أن ذلك ببركة ابن أبي زيد رحمه الله تعالى ، وكان بعض طلبة العلم من الشافعية المترددين إليّ ينكر على أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول لا اقدر اسمع لأصحابه كلاماً فنهيته يوماً فلم ينته ففارقني فوق من سلم ربيع عال فانكسر عظم وركه فلم يزل على مقور حتى مات على أسوأ حال ، وأرسل إليّ أنني اعوده فأبيت أدباً مع أصحاب الإمام رضي الله عنه من حيث كونه يكرههم فاعلم ذلك واحفظ لسانك مع الأئمة واتباعهم فانهم على هدى مستقيم والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ابن أبي زيد القيرواني ٣١٠-٣٨٦ هـ / ٩٢٢-٩٩٦ م أبو محمد عبدالله ابن عبدالرحمن أبي زيد القيرواني فقيه من أعيان القيروان مولده ونشأته ووفاته فيها كان إمام المالكية في عصره يلقب بإمام المذهب ويمالك الصغير من تصانيفه «النوادر» و«مختصر المدونة» و«الذب عن ملذهب مالك» رحمه الله .

## فصل

في بيان ضعف قول من نسب الإمام أبا حنيفة إلى أنه يقدم القياس على حديث رسول الله ﷺ .

اعلم : أن هذا الكلام صدر من متعصب على الإمام متهور في دينه غير متورع في مقاله غافلاً عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>(١)</sup> وعن قوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعن قوله ﷺ لمعاذ : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »<sup>(٣)</sup> .

وقد روى الإمام أبو جعفر الشيزاماري نسبة إلى قرية من قرى بلخ بسنده المتصل إلى الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : أنه كان يقول : كذب والله وافترى علينا من يقول عنا إننا نقدم القياس على النص ، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس . . ؟ وكان رضي الله عنه يقول : نحن لا نقيس إلا عند الضرورة الشديدة ، وذلك أننا ننظر أولاً في دليل تلك المسألة من الكتاب والسنة أو اقضية الصحابة فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتاً عنه على منطوق به بجامع اتحاد العلة بينهما .

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٣٦ .

(٢) سورة ق آية رقم ١٨ .

(٣) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من رواية ابي واثل عن معاذ وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما .

وفي رواية أخرى عن الإمام أنا نأخذ أولاً بالكتاب ثم السنة ثم باقضية الصحابة ونعمل بما يتفقون عليه ، فإن اختلفوا قسنا حكما على حكم بجامع العلة بين المسألتين حتى يتضح المعنى .

وفي رواية أخرى إنا نعمل بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ﷺ ثم بأحاديث أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

وفي رواية أخرى أنه كان يقول : ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين بابي هو وأمي وليس لنا مخالفته وما جاءنا عن أصحابه نخيرنا وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال .

وكان أبو مطيع البلخي يقول : قلت للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أرايت لو رأيت رأياً ورأي أبو بكر رأياً أكنت تدع رأيك لرأيه . . ؟  
قال : نعم

فقلت له : أرايت لو رأيت رأياً ورأي عمر رأياً أكنت تدع رأيك لرأيه . . ؟

فقال : نعم : وكذلك كنت أدع رأيي لرأي عثمان وعلي وسائر الصحابة ما عدا أبا هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب<sup>(١)</sup> اهـ .

قال بعضهم : ولعل ذلك لنقص معرفتهم وعدم اطلاعهم على المدارك والاجتهاد وذلك لا يقدر في عدالتهم وكان أبو مطيع يقول : كنت يوماً عند الإمام أبي حنيفة في جامع الكوفة فدخل عليه سفيان الثوري ومقاتل بن حيان ، وحماد بن سلمة<sup>(٢)</sup> وجعفر الصادق وغيرهم من الفقهاء فكلّموا الإمام أبا حنيفة .

(١) سمرة بن جندب ٠٠ - ٦٠ هـ / ٠٠ - ٦٨٠ م

سمرة بن جندب بن هلال الفزاري صحابي من الشجعان القادة ، نشأ في المدينة ونزل البصرة فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة .

(٢) حماد بن سلمة ٠٠ - ١٦٧ هـ - ٠٠ - ٧٨٤ م

حماد بن سلمة بن دينار البصري مفتي البصرة وأحد رجال الحديث ومن النحاة كان حافظاً ثقة مأموناً إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره .

وقالوا : قد بلغنا أنك تكثر من القياس في الدين وانا نخاف عليك منه فإن أول من قاس إبليس : فناظرهم الإمام من بكرة نهار الجمعة إلى الزوال وعرض عليهم مذهبه وقال : إني أقدم العمل بالكتاب ثم بالسنة ثم بأقضية الصحابة مقدماً ما اتفقوا عليه على ما اختلفوا فيه ، وحينئذ اقيس فقاموا كلهم وقبلوا يده وركبته وقالوا له : أنت سيد العلماء فاعف عنا فيما مضى منا من وقيعتنا فيك بغير علم .

فقال : غفر الله لنا ولكم أجمعين .

قال أبو مطيع : وما كان وقع فيه سفيان أنه قال : قد حل أبو حنيفة عرى الإسلام عروة عروة فإياك يا أخي إن أخذت الكلام على ظاهره أن تنقل مثل ذلك عن سفيان بعد أن سمعت رجوعه عن ذلك واعترافه بأن الإمام أبا حنيفة سيد العلماء وطلبه العفو عنه ، وإن أولت هذا الكلام فلا يحتاج الأمر الى رجوع ويكون المراد بانه حل عرى الإسلام أي مشكله مسألة بعد مسألة حتى لم يبق في الإسلام شيئاً مشكلاً لغزارة فهمه وعلمه .

وما كان كتبه الخليفة أبو جعفر المنصور إلى الإمام أبي حنيفة : بلغني أنك تقدم القياس على الحديث .

فقال : ليس الأمر كما بلغك يا أمير المؤمنين إنما أعمل أولاً بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ﷺ ، ثم بأقضية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثم بأقضية بقية الصحابة ثم اقيس بعد ذلك إذا اختلفوا وليس بين الله وبين خلقه قرابة اهـ .

ولعل مراد الإمام بهذا القول انه لا مراعاة لأحد في دين الله عز وجل دون أحد بل الحق واجب فعله على جميع الخلق والله اعلم بمراده .

وقد أطال الإمام أبو جعفر الشيزاماري الكلام في تبرئة الإمام أبي حنيفة من القياس بغير ضرورة ورد على من نسب الإمام إلى تقديم القياس على النص وقال : إنما الرواية الصحيحة عن الإمام تقديم الحديث ثم الآثار ثم يقيس بعد ذلك ، فلا يقيس إلا بعد ان لم يجد ذلك الحكم في الكتاب والسنة وأقضية الصحابة فهذا هو

النقل الصحيح عن الإمام فاعتمده واحم سمعك وبصرك قال : ولا خصوصية للإمام أبي حنيفة في القياس بشرطه المذكور بل جميع العلماء يقيسون في مضايق الأحوال إذا لم يجدوا في المسألة نصاً من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا اقضية الصحابة وكذلك لم يزل مقلدوهم يقيسون إلى وقتنا هذا في كل مسألة لا يجدون فيها نصاً من غير نكير فيما بينهم بل جعلوا القياس أحد الأدلة الأربعة فقالوا الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وقد كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول : إذا لم نجد في المسألة دليلاً قسناها على غيرها اهـ .

فمن اعترض على الإمام أبي حنيفة في عمله بالقياس لزمه الاعتراض على الأئمة كلهم لأنهم كلهم يشاركونه في العمل بالقياس عند فقدهم النصوص والإجماع .

فاعلم من جميع ما قررناه أن الإمام لا يقيس أبداً مع وجود النص كما يزعمه بعض المتعصبين عليه ، وإنما يقيس عند فقد النص ، وإن وقع أننا وجدنا للمسألة التي قاس فيها نصاً من كتاب أو سنة فلا يقدح ذلك فيه لعدم استحضاره ذلك حال القياس ولو أنه استحضره لما احتاج إلى قياس ، ثم بتقدير وقوعه رضي الله عنه في القياس مع وجود حديث فرد لا يقدح<sup>(١)</sup> فيه أيضاً ، فقد قال جماعة من العلماء : إن القياس الصحيح على الأصول الصحيحة أقوى من خبر الأحاد الصحيح ، فكيف بخبر الأحاد الضعيف . . ؟ وقد كان الإمام أبو حنيفة يشترط في الحديث المنقول عن رسول الله ﷺ قبل العمل به أن يرويه عن ذلك الصحابي جمع أتقياء عن مثلهم وهكذا .

واعتقدنا واعتقاد كل منصف في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بقرينة ما رويناه آنفاً عن<sup>(٢)</sup> ذم الرأي والتبري منه ، ومن تقديمه النص على القياس ، أنه لو عاش حتى

---

(١) ب لا يقدح ذلك فيه أيضاً .

(٢) ب آنفاً عنه من ذم الرأي .

دونت أحاديث الشريعة وبعد رحيل الحفاظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه ، وكان القياس قل في مذهبه كما قل في مذهب غيره بالنسبة إليه ، لكن لما كانت أدلة الشريعة مفرقة في عصره مع التابعين وتابع التابعين في المدائن والقرى والثغور كثر القياس في مذهبه بالنسبة إلى غيره من الأئمة ضرورة لعدم وجود النص في تلك المسائل التي قاس فيها بخلاف غيره من الأئمة فإن الحفاظ كانوا قد رحلوا في طلب الأحاديث وجمعها في عصرهم من المدائن والقرى ودونوها فجاوبت أحاديث الشريعة بعضها بعضاً ، فهذا كان سبب كثرة القياس في مذهبه وقلته في مذاهب غيره ، ويحتمل أن الذي أضاف إلى الإمام أبي حنيفة أنه يقدم القياس على النص ظفر بذلك في كلام مقلديه الذين يلزمون العمل بما وجدوه عن إمامهم من القياس ويتركون الحديث الذي صح بعد موت الإمام ، فالإمام معذور وأتباعه غير معذورين ، وقولهم : إن إمامنا لم يأخذ بهذا الحديث لا ينهض حجة لاحتمال أنه لم يظفر به أو ظفر به لكن لم يصح عنده .

وقد تقدم قول الأئمة كلهم : إذا صح الحديث فهو مذهبنا وليس لأحد معه قياس ولا حجة إلا طاعة الله ورسوله بالتسليم له انتهى .

وهذا الأمر الذي ذكرناه يقع فيه كثير من الناس فإذا وجدوا عن أصحاب إمام مسألة جعلوها مذهباً لذلك الإمام وهو تهوّر ، فإن مذهب الإمام حقيقة هو ما قاله ولم يرجع عنه إلى أن مات ، لا ما فهمه أصحابه من كلامه ، فقد لا يرضى الإمام ذلك الأمر الذي فهموه من كلامه ، ولا يقول به لو عرضه عليه .

فعلم أن من عزا إلى الإمام كل ما فهم من كلامه فهو جاهل بحقيقة المذاهب على أن غالب أقيسة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه من القياس الجلي الذي يعرف به موافقة الفرع للأصل بحيث ينتقي افتراقهما أو نقضه كقياس غير الفأرة<sup>(١)</sup> الميتة إذا وقعت في السمن على الفأرة في غير السمن من سائر المائعات والجمادات عليه ،

---

(١) ب الفأرة من الميتة .



وكقياس الغائط على البول في الماء الراكد ونحو ذلك .

نعلم مما قررناه أن كل من اعترض على شيء من أقوال الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه كالفسخ الرازي فإنما هو لخفاء مدارك الإمام عليه ، وقد تتبعنا أنا بحمد الله تعالى المسائل التي قدم فيها أصحابه القياس على النص فوجدتها قليلة جداً ، وبقيّة المذهب كله فيه تقديم النص على القياس .

ونقل الشيخ محيي الدين عن بعض المالكية أنه كان يقول: القياس عندي مقدم على خبر الأحاد ، لأننا ما أخذنا بذلك الحديث إلا بحسن الظن بروايته ، وقد أمرنا الشارع بضبط جوارحنا وأن لا نزكي على الله أحداً ، وإن وقع أننا زكينا أحداً فلا نقطع بتركيبته وإنما نقول : نظنه كذا أو نحسبه كذا ، بخلاف القياس على الأصول الصحيحة انتهى .

قال الإمام أبو جعفر الشيرازي رحمه الله تعالى : وقد تتبعنا المسائل التي وقع الخلاف فيها بين الإمام أبي حنيفة والإمام مالك رضي الله عنهما فوجدتها يسيرة جداً نحو عشرين مسألة انتهى .

ولعل ذلك بحسب أصول المسائل التي نص عليها الإمامان ، وكذلك القول في خلاف بعض المذاهب لبعضها بعضاً في الأقيسة هي يسيرة جداً والباقي كله مستند إلى الكتاب والسنة أو الآثار الصحيحة وقد أخذ بها الأئمة كلهم وما انفرد أحد عن صاحبه إلا ببعض أحاديث ، فكلهم في فلك الشريعة يسبحون كما مر بيانه في الفصول .

فالعامل من أقبل على العمل بأقوال جميع الأئمة بانسراح صدر لأنها كلها لا تخرج عن مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد . اللهم إني أبرأ إليك من كل من اعترض على أقوال الأئمة وأنكر عليهم في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

## فصل

في تضعيف قول من قال : إن أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة ضعيفة غالباً .

اعلم يا أخي أني<sup>(١)</sup> أني طالعت بحمد الله تعالى أدلة المذاهب الأربعة وغيرها سيما<sup>(٢)</sup> أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فإني خصصته بمزيد اعتناء ، وطالعت عليه كتاب تخريج أحاديث الهداية للمحافظ الزيلعي وغيره من كتب الشروح فرأيت أدلته رضي الله عنه وأدلة أصحابه ما بين صحيح أو حسن أو ضعيف كثرت طرقه حتى لحق بالحسن أو الصحيح في صحة الاحتجاج به من ثلاثة طرق أو أكثر إلى عشرة .

وقد احتج جمهور المحدثين بالحديث الضعيف إذا كثرت طرقه وألقوه بالصحيح تارة والحسن<sup>(٣)</sup> أخرى ، وهذا النوع من الضعيف يوجد كثيراً في كتاب « السنن الكبرى » للبيهقي التي ألفها بقصد الاحتجاج لأقوال الأئمة وأقوال أصحابهم فإنه إذا لم يجد حديثاً صحيحاً أو حسناً يستدل به لقول ذلك الإمام أو قول أحد من مقلديه يصير يروي الحديث الضعيف من كذا وكذا طريقاً ويكتفي بذلك ويقول : وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً ، فبتقدير وجود ضعف في بعض أدلة أقوال الإمام أبي حنيفة وأقوال أصحابه فلا خصوصية له في ذلك ، بل الأئمة كلهم يشاركونه في ذلك ، ولا لوم إلا على من يستدل بحديث واه<sup>(٤)</sup> جاء من طريق واحدة ،

---

(١) ب اعلم يا أخي أني .

(٢) ب وغيرها لا سيما .

(٣) ب وبالحسن أخرى .

(٤) ب بحديث واه مرة .

وهذا لا يكاد أحد يجده في أدلة أحد المجتهدين فما منهم أحد استدل بضعيف إلا بشرط مجيئه من عدة طرق .

وقد قدمنا أني لم أجب عن الإمام أبي حنيفة وغيره بالصدر وحسن الظن كما يفعل ذلك غيري ، وإنما أجيب عنه بعد التتبع والفحص عن أدلة أقواله وأقوال أصحابه ، وكتابي المسمى « بالمنهج المين في بيان أدلة مذاهب المجتهدين » كافل بذلك فإنني جمعت فيه أدلة جميع المذاهب المستعملة والمندرسه قبل دخولي في حجة طريق القوم ووقوفي على عين الشريعة التي يتفرع منها أقوال جميع المجتهدين ومقلديهم ، وقد من الله تعالى علي بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة من نسخة صحيحة عليها خطوط الحفاظ آخرهم الحافظ الدمياطي ، فرأيت لا يروي حديثاً إلا عن خيار التابعين العدول الثقات الذين هم من خير القرون بشهادة رسول الله ﷺ .

كالأسود ، وعلقمة<sup>(١)</sup> ، وعطاء ، وعكرمة<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد ، ومكحول<sup>(٣)</sup> والحسن البصري<sup>(٤)</sup> وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين .

فكل الرواة الذين هم بينه وبين رسول الله ﷺ عدول ثقات أعلام أخیار ليس فيهم كذاب ولا متهم بكذب .

---

(١) علقمة بن قيس ، أبو شبل الفقيه : قال أبو معمر : قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله هديا ودلا وسمتا فقمنا إلى علقمة ، مات سنة ٦٢ هـ .

(٢) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس اجتهد بن عباس في تعليمه القرآن والسنن حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وهو أحد فقهاء مكة توفي في سنة سبع ومائة وعمره ثمانون بالمدينة وقيل القيروان .

(٣) أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي قال الواقدي كان مولى لأمراة من هذيل وقيل مولى سعيد بن العاص توفي سنة أربع عشرة ومائة سمع انس بن مالك ووائله بن الاسقع وإبا هدد الرازي وغيرهم وكان مقامه بدمشق .

(٤) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري ، كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وابوه مولى زيد بن ثابت الانصاري وامه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ونشأ بوادي القرى ومولده لستين بقتنا من خلافة عمر بن الخطاب وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ رضي الله عنه .

وناهيك يا أخي بعدالة من ارتضاهم الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لأن يأخذ عنهم أحكام دينه مع شدة تورعه وتحريزه وشفقته على الأمة المحمدية ، وقد بلغنا أنه سأل يوماً عن الأسود<sup>(١)</sup> وعطاء وعلقمة أيهم أفضل . . ؟

فقال : والله ما نحن بأهل أن نذكرهم فكيف نفاضل بينهم . . ؟  
على أنه ما من راوٍ من رواية المحدثين والمجتهدين كلهم إلا هو يقبل الجرح كما يقبل التعديل لو أضيف إليه ، ما عدا الصحابة وكذا التابعون عند بعضهم لعدم العصمة أو الحفاظ في بعضهم ، ولكن لما كان العلماء رضي الله عنهم أمناء على الشريعة وقدموا الجرح أو التعديل عمل به مع قبول كل الرواة لما وصف به الآخر احتمالاً وإنما قدم جمهورهم التعديل على الجرح وقالوا : الأصل العدالة والجرح طارئ لثلاث يذهب غالب أحاديث الشريعة .

كما قالوا أيضاً : إن إحسان الظن بجميع الرواة المستورين أولى ، وكما قالوا : إن مجرد الكلام في شخص لا يسقط مرويه فلا بد من الفحص عن حاله ، وقد خرج الشيخان لخلق كثير ممن تكلم الناس فيهم إثباتاً للأدلة الشرعية على نفيها ليحوز الناس فضل العمل بها ، فكان في ذلك فضل كثير للأمة أفضل من تحريجهم كما أن في تضعيفهم للأحاديث أيضاً رحمة للأمة بتخفيف الأمر بالعمل بها وإن لم يقصد الحفاظ ذلك ، فإنهم لو لم يضعفوا شيئاً من الأحاديث وصححوها كلها لكان العمل بها واجباً وعجز عن ذلك غالب الناس ، فاعلم ذلك . قال الحافظ المزني ، والحافظ الزيلعي رحمهما الله تعالى : ومن خرج لهم الشيخان مع كلام الناس فيهم جعفر بن سليمان الضبعي<sup>(٢)</sup> ، والحارث بن عبيد<sup>(٣)</sup> ، وأمين بن ثابت الحبشي<sup>(٤)</sup> ،

---

(١) هو أبو عبد الرحمن ، الأسود بن يزيد ابن قيس النخعي كان من كبار التابعين ، ومن رواية عبد الله بن مسعود ، وكان رحمه الله ثقة صالحاً وقال ابن حبان كان فقيهاً زاهداً توفي بالكوفة سنة ٧٥ هـ .

(٢) جعفر بن سليمان الضبعي : ثقة فيه شيء مع كثرة علومه ، قيل كان أمياً وهو من زهاد الشيعة توفي سنة ١٧٨ هـ .

(٣) الحارث بن عبيد ، أبو قدامة الأيادي ، بصري ليس بالقوي وضعفه ابن معين .

(٤) أمين بن ثابت : هو عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس السلمي وأمين هذا صدوق .

وخالد بن مخلد القطواني<sup>(١)</sup> ، وسويد بن سعيد الحدثاني<sup>(٢)</sup> ، ويونس بن أبي اسحاق السبيعي<sup>(٣)</sup> ، وأبو أويس<sup>(٤)</sup> . لكن للشيخين شروط في الرواية عمن تكلم الناس فيه<sup>(٥)</sup> ، أنهم لا يروون عنه إلا ما توبع عليه ، وظهرت شواهد ، وعلموا أن له أصلاً ، فلا يروون عنه ما انفرد به أو خالفه فيه الثقات وذلك كحديث أبي أويس الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً يقول الله عز وجل : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » الحديث مع أنه لم ينفرد به بل رواه غيره من الثقات كذلك منهم الإمام مالك وشعبة<sup>(٦)</sup> وابن عيينه<sup>(٧)</sup> رضي الله عنهم وصار حديثه متابعة .

قال الحافظ الزيلعي والدمياطي<sup>(٨)</sup> : وهذه العلة قد راجت على كثير من الحفاظ لا سيما من استدرك على الصحيحين كأبي عبد الله الحاكم فكثيراً ما يقول : وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين أو أحدهما مع أن فيه هذه العلة إذ ليس كل حديث احتج براويه في الصحيح يكون صحيحاً إذ لا يلزم من كون راويه محتجاً به في الصحيح أن يكون كل حديث وجدناه له يكون صحيحاً على شرط ذلك الصحيح

- 
- (١) خالد بن مخلد القطواني نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة روى عنه محمد بن عثمان بن كرامة .  
(٢) سويد بن سعيد أبو محمد الهروي ثم الانباري ثم الحدثاني نسبة إلى الحديث بلد على الفرات والانباري نسبة إلى الانبار بلد على الفرات . توفي سنة ٢٤٠ هـ .  
(٣) يونس بن أبي اسحاق السبيعي قال أحمد حديثه مضطرب وقال أبو حاتم لا يحتج به توفي سنة ١٥٩ هـ .  
(٤) عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي أبو أويس قال ابن معين وغيره صالح توفي سنة ١٦٧ هـ .  
(٥) ب عمن تكلم الناس فيه منها .  
(٦) شعبة بن الحجاج الحافظ أبو بسطام العتكي أمير المؤمنين في الحديث ولد بواسطوسكن البصرة له نحو من ألفي حديث مات في أول عام ١٦٠ هـ ثبت حجة .  
(٧) أبو سفيان ابن عيينه الهلالي الكوفي المحدث حج سبعين حجة وروى عن الزهري وأبي اسحاق السبيعي وعمرو بن دينار وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ بمكة ودفن بالجحون رحمه الله .  
(٨) الدمياطي ٦١٣ - ٧٠٥ هـ / ١٢١٧ - ١٣٠٦ م  
شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن خلف الدمياطي حافظ للحديث من أكابر الشافعية ولد بدمياط وتنقل في البلاد وتوفي فجأة في القاهرة من كتبه « معجم » ضمنه أساء شيخه و « مختصر السيرة » .

لاحتال فقد شرط من شروط ذلك الحافظ كما قدمناه .

فإن أحداً غير أصحاب ذلك الصحيح لم يلتزم هذه الشروط في الصحيح عنده انتهى . فقد بان لك أنه ليس لنا ترك حديث كل من تكلم الناس فيه بمجرد الكلام ، فرجما يكون قد توبع عليه وظهرت شواهد وكان له أصل ، وإنما لنا ترك ما انفرد به وخالف فيه الثقات ولم يظهر له شواهد ، ولو أننا فتحنا باب الترك لحديث كل راو تكلم بعض الناس فيه بمجرد الكلام للذهب معظم أحكام الشريعة كما مر ، وإذا أدى الأمر إلى مثل ذلك فالواجب على جميع أتباع المجتهدين إحسان الظن برواة جميع أدلة المذاهب المخالفة للمذاهبهم ، فإن جميع ما روه لم يخرج من مرتبة الشريعة اللتين هما التخفيف والتشديد .

وقد قال الشيخ تاج الدين السبكي<sup>(١)</sup> في الطبقات الكبرى ما نصه : ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع جميع الأئمة الماضين وأن لا تنظر إلى كلام بعض الناس فيهم إلا ببرهان واضح ، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل وإلا فاضرب صفحا عما ترى بينهم ، فإنك يا أخي لم تخلق لمثل هذا وإنما خلقت للاشتغال بما يعينك من أمر دينك ، قال : ولا يزال الطالب عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين الأئمة فتحلق الكآبة وظلمة الوجه ، فاياك ثم إياك أن تصغي لما وقع بين أبي حنيفة وسفيان الثوري ، أو بين مالك وابن أبي ذئب<sup>(٢)</sup> ، أو بين أحمد بن صالح والشعبي ، أو بين أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي<sup>(٣)</sup>

---

(١) تاج الدين السبكي : أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، قاضي القضاة المؤرخ الباحث ، ولد في القاهرة ، وقدم دمشق مع والده فسكنها إلى أن توفي بها نسبه إلى سبك من أعمال مصر ، ومن تصانيفه طبقات الشافعية الكبرى ٦ جزء وجمع الجوامع في الأصول ، والطبقات الوسطى والصغرى .  
(٢) أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب العامري القرشي المدني أحد الأئمة المشاهير وهو صاحب الإمام مالك ، ولما قدم مالك على أبي جعفر المنصور سأله من بقي بالمدينة من المشيخة فقال يا أمير المؤمنين : ابن أبي ذئب وابن أبي سلمة وتوفي أبو الحارث سنة ٥٩ هـ بالكوفة رضي الله عنه .  
(٣) الحارث ابن أسد المحاسبي البصري الزاهد أحد رجال الحقيقة وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن =

وهلم جرا إلى زمان الشيخ عز الدين بن عبد السلام<sup>(١)</sup>، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، فإنك إن فعلت ذلك خفت عليك الهلاك.

فإن القوم أئمة أعلام ولأقوالهم محامل ربما لم يفهمها غيرهم، فليس لنا إلا الترضي عنهم والسكوت عما جرى بينهم كما نسكت عما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قال: وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: إذا بلغك أن أحداً من الأئمة شدد النكير على أحد من أقرانه فإنما ذلك خوفاً على أحد أن يفهم من كلامه خلاف مراده لا سيما علم العقائد، فإن الكلام في ذلك أشد وقد اختفى أحمد بن حنبل في دار إسماعيل بن إسحق السراج، وكان الحارث المحاسبي ينام عنده هو وأصحابه فلما صلوا العشاء تذاكروا في الطريق وبكوا فبكى أحمد معهم، فلما أصبح قال: ما رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علوم الحقائق شيئاً يشبه كلام هذا الرجل، ومع هذا فلا أرى لك يا إسماعيل صحبتهم خوفاً عليك أن تفهم عنهم غير مرادهم انتهى كلام ابن السبكي فعلم أن كل دليل ورد مناقضاً لدليل آخر فليس هو بمناقض حقيقة وإنما هو محمول على حالين من وجوب وندب أو تحريم وكراهة، أو أحد الحديثين منسوخ لا بد من ذلك إذ التناقض في كلام الشارع ممنوع كما مر.

ومن قال: إن حديث «من مسب ذكره فليتوضأ»<sup>(٢)</sup> يناقض حديث «هل هو إلا بضعة منك»<sup>(٣)</sup>، فما حقق النظر.

== من كتبه «الرعاية»، كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع عنه توفي سنة ٢٤٣ هـ.

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي شيخ الإسلام وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء إمام عصره ولد سنة ٥٧٨ هـ من تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، جاء إلى مصر سنة ٦٣٩ وتوفي في العاشر من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة الكبرى رحمه الله تعالى.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده عن البرساني، ورواه أيضاً محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة، ورواه البيهقي في معرفة السنن والآثار.

(٣) أخرجه أحمد في المسند والترمذي في جامعه، وأبو داود في سننه وابن ماجه والدارقطني في سنته وفي السنن الكبرى للبيهقي.

لأن حديث النقض بمس الفرج خاص بأكابر المؤمنين وحديث : «هل هو إلا بضعة منك» خاص بالعوام كما سيأتي بسطه في توجيه كلام الأئمة إن شاء الله تعالى .

فإن قيل : إذا قلتم بأن أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ليس فيها شيء ضعيف لسلامة الرواة بينه وبين رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين من الجرح ، فما جوابكم عن قول بعض الحفاظ عن شيء من أدلة الإمام أبي حنيفة بأنه ضعيف . . ؟

فالجواب : يجب علينا حمل ذلك جزماً على الرواة النازلين عن الإمام في السند بعد موته رضي الله عنه ، إذا رويوا ذلك الحديث من طريق غير طريق الإمام إذ كل حديث وجدناه في مسانيد الإمام الثلاثة فهو صحيح ، لأنه لولا صح عنه ما استدل به ، ولا يقدح فيه وجود كذاب أو متهم بكذب مثلاً في سنده النازل عن الإمام وكفانا صحة لحديث استدلال مجتهد به ، ثم يجب علينا العمل به ولو لم يروه غيره ، فتأمل هذه الدقيقة التي نهتكم عليها فلعلك لا تجدها في كلام أحد من المحدثين ، وإياك أن تبادر إلى تضعيف شيء من أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة إلا بعد أن تطالع مسانيد الثلاثة ، ولم تجد ذلك الحديث فيها ، ويحتمل أن يكون مراد القائل في شيء من أدلة مذهب الإمام أنه ضعيف أدلة مذهب أصحابه الذي ولدوه بعده وفهموه من كلامه لجهل هذا بحقيقة المذهب ، إذ مذهب الإمام حقيقة هو ما قاله ولم يرجع عنه إلى أن مات ، لا ما فهم من كلامه كما مر أوائل الفصل ، وهذا الجهل يقع فيه كثير من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم فيقولون . عن مذهب أصحاب الإمام<sup>(١)</sup> أنه مذهب له ، مع أن ذلك الإمام ليس له في تلك المسألة كلام .

وقد عدوا مثل ذلك من قلة الورع في المنطق وسوء التصريف ، وقالوا : من بركة العلم وقوة المعرفة به عزو كل قول إلى قائله على التعيين لينظر العلماء فيه ويكونوا على ثقة في عزوه إليه ، بخلاف نحو قولهم قال بعض العلماء : كذا فإنه عزو

---

(١) الإمام أبو يوسف ، ومحمد الشيباني والإمام زفر وغيرهم .



ناقص ، وثم من العلماء من جعل الله تعالى على كلامه القبول ومنهم من لم يجعل عليه قبولاً فيطعن فيه الناس ، وها أنا قد أبنت لك عن صحة أدلة مذهب الإمام<sup>(١)</sup> أبي حنيفة رضي الله عنه وأن جميع ما استدل به لمذهبه أخذه من<sup>(٢)</sup> خيار التابعين ، وأنه لا يتصور في سنده شخص منهم بكذب أبداً وإن قيل : بضعف شيء من أدلة مذهبه ، فذلك الضعف إنما هو بالنظر للرواة النازلين عن سنده بعد موته ، وذلك لا يقدح فيما أخذ به الإمام عند كل من استصحب النظر في الرواة وهو صاعد إلى النبي ﷺ وكذلك نقول في أدلة مذهب أصحابه ، فلم يستدل أحد منهم بحديث ضعيف فرد لم يأت عن<sup>(٣)</sup> طريق واحدة أبداً ، كما تتبعنا ذلك ، إنما يستدل أحدهم بحديث صحيح أو حسن أو ضعيف قد كثرت طرقه حتى ارتفع لدرجة الحسن ، وذلك أمر لا يختص بأصحاب الإمام أبي حنيفة بل يشاركهم فيه جميع المذاهب كلها كما مر إيضاحه فاترك يا أخي التعصب على الإمام أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وإياك وتقليد الجاهلين بأحواله ، وما كان عليه من الورع والزهد والاحتياط في الدين فتقول : إن ادلته ضعيفة بالتقليد فتحشر مع الخاسرين وتتبع أدلته كما تتبعناها تعرف أن مذهبه رضي الله عنه من أصح المذاهب كبقية مذاهب المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين .

وإن اردت<sup>(٤)</sup> أن يظهر لك صحة مذهبه كالشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب فاسلك طريق أهل الله تعالى على الإخلاص في العلم والعمل حتى تقف على عين الشريعة التي قدمنا ذكرها في أوائل الكتاب ، فهناك ترى جميع مذاهب العلماء وأتباعهم تتفرع منها ، وليس مذهب أولى بها من مذهب ، ولا ترى من أقوال المذاهب قولاً واحداً خارجاً عن الشريعة . فرحم الله تعالى من لزم الأدب مع الأئمة

(١) ب الإمام الأعظم أبي حنيفة .

(٢) ب أخذه عن خيار .

(٣) ب لم يأت إلى من طريق .

(٤) ب وإن شئت أن يظهر .

كلهم وأتباعهم ، فإن الله تعالى جعلهم قدوة للعباد في سائر أقطار الأرض فإنها كلها هدى من الله تعالى ، ونور وطريق إلى دخول الجنة وعن قريب يقدم عليهم في الآخرة من لزم الأدب معهم وينظر ما يحصل له من الفرح والسرور حين يأخذون بيده ويشفعون فيه ضد ما يحصل لمن أساء معهم الأدب والحمد لله رب العالمين .

## فصل

في بيان ضعف قول من قال : إن مذهب الإمام أبي حنيفة أقل المذاهب احتياطاً في الدين اعلم يا أخي أن هذا قول متعصب على الإمام رضي الله عنه ، وليس عند صاحبه ذوق في العلم فإني بحمد الله تتبع مذهب فوجدته في غاية الاحتياط والورع لان الكلام صفة المتكلم ، وقد أجمع السلف والخلف على كثرة ورع الإمام وكثرة احتياطاته في الدين وخوفه من الله تعالى فلا ينشأ عنه من الأقوال الا ما كان على شاكلة حاله ، على أنه ما من إمام إلا وقد شدد في شيء وترك التشديد في شيء آخر نوسعة للأمة كما يعرف ذلك من سير مذاهبهم كلها مثل ما سبرناها ، فبتقدير وجود قلة الاحتياط في شيء من مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، فلا خصوصية له في ذلك .

فامتحن يا أخي ما قلته لك في جميع أبواب الفقه - من باب الطهارة إلى آخر الأبواب - تعرف صدق قولي ، لا سيما في الأموال والأبضاع فإنه إن احتاط أمام المشتري قل احتياطه للبائع ، وإن احتاط إمام لوقوع الطلاق من الزوج قل احتياطه لمن يتزوجها بعده وبالعكس ، فقد لا يكون الطلاق وقع بذلك اللفظ الذي قاله الخالف ، وقس على ذلك سائر مسائل الخلاف ثم إن ما سماه هذا المعترض قلة احتياط من الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ليس هو بقلة احتياط وإنما هو تيسير وتسهيل على الأمة تبعاً لما بلغه عن الشارع ﷺ فإنه <sup>(١)</sup> يقول « يسروا ولا تعسروا » <sup>(٢)</sup> يعني في

(١) ب فانه كان يقول

(٢) سبق تخريج هذا الحديث ص ١٣٧ .

كل شيء لم تصرح به شريعتي .

والأفكل شيء صرحت به الشريعة ليس فيه تضيق ولا مشقة على أحد أبدا  
فرجع الأمر في مثل ذلك إلى مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد تبعاً لما ورد عن الشارع  
سواء ، وقد كان طلحة بن مصرف <sup>(١)</sup> ، وولده ، وسفيان الثوري وغيرهم يكرهون  
لفظ الاختلاف بين العلماء ويقولون : لا تقولوا : اختلاف العلماء وقولوا : توسعة  
العلماء .

وقد قال تعالى : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ <sup>(٢)</sup> اهـ .

فيجب على كل مقلد أن لا يعترض على قول مجتهد خفف أو شدد فإنه ما خرج  
عن قواعد الدين ولا عن مرتبتي الميزان السابقة الجامعة لجميع أقوال المجتهدين  
وأتباعهم ، وكذلك يجب عليه الاعتقاد الجازم بأن ذلك الإمام الذي خفف أو شدد  
على هدى من ربه في ذلك ، حتى يمين الله تعالى عليه بالوقوف على عين الشريعة  
المطهرة التي يتفرع منها كل قول من أقوال علماء الشريعة ، وقد أجمع أهل الكشف على  
أن الدائر مع رفع الحرج عن الأمة أولى من الدائر مع الحرج عليهم ، لأن رفع الحرج  
هو الحال الذي ينتهي أمر الخلائق إليه في الجنة فيتبوؤن منها حيث شاءوا لا تحجير فيها  
على أحد عكس الحال في الدنيا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو اليامي ، أحد علماء الكوفة قال ابن ادريس كانوا يسمونه سيد القراء ، مات  
سنة ١١٢ هـ .

(٢) سورة الشورى آية رقم ١٣ .

## فصل

في بيان ذكر بعض من أطنب في الثناء على الإمام أبي حنيفة من بين الأئمة على الخصوص ، وبيان توسعته على الأمة وسعة علمه وكثرة ورعه وعبادته وعفته وغير ذلك .

وروى الإمام أبو جعفر الشيزاماري عن شقيق البلخي <sup>(١)</sup> أنه كان يقول : كان الإمام أبو حنيفة من أروع الناس ، وأعلم الناس ، وأعبد الناس ، وأكرم الناس وأكثرهم احتياطاً في الدين وأبعدهم عن القول بالرأى في دين الله عز وجل وكان لا يضع مسألة في العلم حتى يجمع أصحابه عليها ويعقد عليها مجلساً ، فإذا اتفق أصحابه كلهم على موافقها للشرعة قال لأبي يوسف <sup>(٢)</sup> أو غيره : ضعها في الباب الفلاني اهـ .

وقد مر ذلك في الفصول السابقة . فانظريا أخي شدة ورع هذا الإمام وخوفه من الله أن يزيد في شرعه ما لم تقبله شريعة نبينا ﷺ وروى أيضاً بسنده إلى إبراهيم بن عكرمة المخزومي رحمه الله تعالى أنه كان يقول : ما رأيت في عصري كله

---

(١) أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشايخ خرسان ، له لسان في التوكل حسن الكلام وهو استاذ حاتم الأصم توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة .

(٢) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم قاضي الرشيد الحنفي سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التميمي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش ، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في مواضع كثيرة ولد سنة ١١٣ هـ وتوفي ١٨٢ هـ ببغداد وولي القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى .

علما أورع ولا أزهد ولا أعبد ولا أعلم من الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وروى الشيزاماري أيضا عن عبد الله بن المبارك؟<sup>(١)</sup> قال : دخلت الكوفة

فسألت علماءها وقلت من أعلم الناس في بلادكم هذه ؟ . .

فقالوا كلهم : الإمام أبو حنيفة

فقلت لهم من أورع الناس ؟ . .

فقالوا كلهم أبو حنيفة .

فقلت لهم : من أزهد الناس ؟ . .

فقالوا كلهم : الإمام أبو حنيفة .

فقلت لهم : من أعبد الناس وأكثرهم اشتغالا للعلم ؟ . .

فقالوا كلهم : الإمام أبو حنيفة ، فما سألتهم عن خلق الأخلاق الحسنة إلا

وقالوا كلهم : لا نعلم أحداً بذلك غير الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . وكان

شقيق البلخي يمدح أبا حنيفة ويشني عليه كثيراً ويقول على رموس الأشهاد في الملاء

العظيم : من مثل الإمام أبي حنيفة في الورع كان إذا اشترى أحد منه ثوبا وخلط ثمنه

على الغلة ثم رده عليه يعطي صاحب الثوب جميع الغلة التي عنده . . ؟

ويقول : قد اختلطت دراهمك بدراهمي فخذها كلها وساحتك يا أخي دنيا

وأخرى ، وهذا ورع لم يبلغنا وقوعه من غيره رضي الله عنه .

وروى أبو جعفر الشيزاماري أيضاً أن الإمام أبا حنيفة وكل وكيلا في بيع ثياب

من خز وكان فيها ثوب معيب فقال للوكيل : لا تبع هذا الثوب حتى تبدين عيبه فباعه

ونسي أن يبين عيبه وخلط ثمنه على ثمن بقية الثياب فلما أخبره الوكيل بذلك تصدق

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد ، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن انس وروى عنه

الموطأ ولد بمرو سنة ثمان مائة وتوفي سنة ١٨٢ هـ .

بشمن الثياب كلها على الفقراء والمساكين ومحاييج أهل الذمة .

قال : وروينا عن شقيق البلخي أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه كان لا يجلس في ظل جدار غريمه ويقول : ان لي عنده قرضاً وكل قرض جر نفعا فهو ربا ، وجلوسي في ظل جداره انتفاع لي بظل جداره .

ومن دقيق ورعه رضي الله عنه أن أبا جعفر المنصور <sup>(١)</sup> الخليفة لما منع الإمام أن يفتي سألته ابنته في الليل عن الدم الخارج من لحم الأسنان هل ينقض الوضوء . . ؟ فقال لها : سبي عمك حمادا عن ذلك بكرة النهار فإن إمامي منعني الفتيا ولم أكن ممن يخون إمامه بالغيب انتهى .

فانظر يا أخي إلى شدة مراقبته لله عز وجل ، وكان هذا المنع للإمام رضي الله عنه قبل اجتماعه به ومعرفته بمقام الإمام في العلم ، وروى أبو نعيم <sup>(٢)</sup> وغيره عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أكثر من خمسين سنة ، ولم يكن يضع جنبه على الأرض في الليل أبداً وإنما كان ينام لحظة بعد صلاة الظهر وهو جالس ويقول : قال رسول الله ﷺ : « استعينوا على قيام الليل بالقبولة » <sup>(٣)</sup> يعني النوم بعد الظهر ، وروى الثقات عنه أنه رضي الله عنه ضرب وحبس ليلي القضاء فصبر على ذلك ولم يل ، وكان سبب إكراهه على القضاء أنه لما مات القاضي الذي كان في عصره فتش الخليفة في بلاده عن أحد يكون مكان القاضي الذي مات فلم يجدوا أحداً يصلح لذلك غير الإمام لكثرة علمه وورعه وعفته وخوفه من الله تعالى .

---

(١) راجع ترجمة الخليفة الثاني للدولة العباسية أبو جعفر المنصور باني مدينة بغداد وأول من اهتم بالعلم والعلماء والذي مات في مكة ودفن بالجحون ص ١٧٧ .

(٢) أبو نعيم الاصبهاني الحافظ : صاحب كتاب حلية الاولياء ، كان من الاعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات له كتاب تاريخ اصبهان ولد في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة باصبهان رحمه الله .

(٣) الحديث «استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقبولة على قيام الليل» رواه ابن ماجه . والحاكم في المستدرک ، والطبراني الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقيل : إنه مات في السجن وبلغ الإمام أبا حنيفة أنهم قالوا للخليفة قد فتشنا العلماء فما وجدنا أحداً أفقه ولا أروع من الإمام أبي حنيفة ويليهِ سفيان الثوري ، وصلة بن أشيم<sup>(١)</sup> ، وشريك<sup>(٢)</sup> .

فقال الإمام أبو حنيفة أنا اخمن لكم تخميناً أما أنا فأضرب وأحبس ولا الى القضاء ، وأما سفيان فيهرب ، وأما صلة بن أشيم فيتحامق ويتخلص وأما شريك فيقع فكان الأمر كما قال الإمام .

فإن سفيان لبس ثياب الفتيان وأخذ بيده عصا وخرج إلى بلاد اليمن فلم يعرفه أحد حين خرج ، وأما شريك فتولى ، وأما صلة فدخل على الخليفة وقال له : كم عندك من الحمير والبراذين ؟ . . . وايش طبخت اليوم . . ؟

فقال الخليفة : اخرجوه عني هذا مجنون .

قال الشيزاماري : وبلغنا عن الإمام أبي حنيفة وسفيان وصلة أنهم هجروا شريكا حتى ماتوا ، وقالوا : كان يمكنه<sup>(٣)</sup> الحيلة ويتخلص من هذه الورطة فلم يفعل رضي الله عنهم أجمعين .

وأما توسعة الإمام رضي الله عنه على الأمة فكثيرة لمن تتبع أقواله وسيأتي غالبها في توجيه أقوال الأئمة إن شاء الله تعالى ، فمن ذلك قوله رضي الله عنه بصحة الطهارة من ماء الحمامات المسخنة بالسرجين<sup>(٤)</sup> وعظام الميتة فإنه في غاية التوسعة على الأمة عكس من قال بمنع الطهارة من ذلك الماء ومنع أكل الخبز المخبوز بالنجاسة وإن كان

---

(١) صلة ابن أشيم أبو الصهباء العدوي كان يأمر بالرفق ويعظ بالمعروف وله الكثير من الكرامات وروى عن ابن عباس راجع في ذلك حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) أبو عبد الله شريك بن عبد الله النخعي القاضي : تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله موسى الهادي وكان عالماً فقيهاً فهما ذكياً فطناً ، كان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة وتوفي سنة سبع وسبعين ومائة بالكوفة رحمه الله .

(٣) ب كان يمكنه عمل الحيلة

(٤) ب السرجين : والسرجين بكسرهما الزيل معرباً .



كل من المذهبيين يرجع الى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد ، ومن ذلك قوله رضي الله عنه : بطهارة الفخار الذي خلط بالنجاسة ، وقوله : إن النار تطهر ذلك ، فإن ذلك في غاية التوسعة على الأمة فلولا هذا القول ما كان يجوز لنا استعمال شيء من الأزيار والأباريق والشقف والزبادي والقلل والكيزان والطواجن والخوابي ورماد النجاسة الذي يني به . وقد بلغنا أن جميع ما ذكر لا بد من خلطه بالسرجين ليتم تماسكه بل رأينا ذلك وشاهدناه من صانع الفخار والشقف ولولا تقليد الناس للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في قوله بحل استعمال الفخار المذكور لتكدر عيش الناس وضاعت مصالحهم وقد استنبطت لقوله رضي الله عنه في ذلك دليلاً : وهو ما ورد من تطهير عصاة المسلمين بالنار ثم بعد ذلك يدخلون الجنة ، لأن من شأن الجنة أن يدخلها إلا المطهرون من الدنس الظاهر والباطن فكما كانت النار مطهرة من الذنوب المعنوية فكذلك تكون مطهرة من الأمور المحسوسة كالسرجين الذي يعجن به الفخار .

فإن قلت : فما تقولون فيما كان نجساً من أصل خلخته كعظام الخنزير وبقية أجزائه إذا أحرقت عند من يقول بنجاسته من أصل الخلقة ذاتاً وصفة . ؟

فالجواب : مثل ذلك لا ينبغي إضافته إلى الإمام أبي حنيفة لأنه نظير أجسام الكفار فلا يطهره أحراقه بالنار كما سيأتي بسطه في توجيه أقوال العلماء إن شاء الله تعالى .

فعلم أنه يجب على كل مكلف أن يشكر الله تعالى على إيجاده مثل الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في الدنيا ليوسع على الناس تبعاً لتيسير الله تعالى ورسوله ﷺ .

وجميع ما سكت الشرع عنه ولم يتعرض فيه لأمر أو <sup>(١)</sup> نهى فهو عافية وتوسعة على الأمة ، فليس لأحد أن يحجره عليهم ، ثم إن وقع من عالم تحجيره <sup>(٢)</sup> في مثل

---

(١) ب لأمر ولا نهى

(٢) ب من عالم تحجير.

ذلك كان على سبيل التنزه والتورع .

كما نهى النبي ﷺ أهل بيته عن لبس الحرير مع قوله ﷺ بحله للإناث دون الرجال<sup>(١)</sup>

والعلماء أمناء الشارع على شريعته من بعده فلا اعتراض عليهم فيما بينوه للخلق واستنبطوه من الشريعة لا سيما الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ، فلا ينبغي لأحد الاعتراض عليه لكونه من أجل الأئمة وأقدمهم تدوينا للمذاهب وأقربهم سنداً لرسول الله ﷺ ، ومشاهداً لفعل أكبر<sup>(٢)</sup> التابعين من الأئمة رضي الله عنهم أجمعين ، وكيف يليق بأمثالنا الاعتراض على إمام عظيم . . ؟ أجمع الناس على جلالة وعلمه وورعه وزهده وعفته وعبادته وكثرة مراقبته لله عز وجل وخوفه منه طول عمره ما هذا والله إلا عمى في البصيرة ، لأن جميع ما وسع به علينا إنما هو من توسعة الشارع ، ثم بتقدير عدم تصريح الشريعة بذلك فهو من باب اجتهاده ونور قلبه ، وإمام عظيم يوسع علينا باجتهاده مع شدة ورعه واحتياطه في دينه ، وشدة احتياجنا إلى ما وسع به علينا . كيف يسوغ لمسلم عاقل أن يعترض عليه مع شدة احتياجه هو إلى ما وسع به الإمام عليه ليلاً ونهاراً . . ؟

فاعلم ذلك وتأمله فإنه نفيس وإياك أن تخوض مع الخائضين في أعراض الأئمة بغير علم فتخسر في الدنيا والآخرة .

فإن الإمام رضي الله عنه كان متقيداً بالكتاب والسنة متبرئاً من الرأي - كما قدمناه لك في عدة مواضع من هذا الكتاب .

ومن فتش مذهبه رضي الله عنه وجده من أكثر المذاهب احتياطاً في الدين ، ومن قال غير ذلك فهو من جملة الجاهلين المتعصبين المنكرين على أئمة الهدى بفهمه

---

(١) روى الإمام البخاري عن سليمان بن حرب قول الرسول ﷺ « الذهب والفضة والحرير والديباغ هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة » وروى أيضاً عن أنس بن مالك « من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة » .

(٢) ب لفعل أكابر .

السقيم وحاشا ذلك الإمام الأعظم من مثل ذلك حاشاه ، بل هو إمام عظيم متبع الى انقراض المذاهب كلها كما أخبرني به بعض أهل الكشف الصحيح ، وأتباعه لن يزالوا في ازدياد كلما تقارب الزمان ، وفي مزيد اعتقاده في أقواله وأقوال أتباعه .

وقد قدمنا قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه : الناس كلهم عيال في الفقه على أبي حنيفة رضي الله عنه .

وقد ضرب بعض أتباعه وحبس ليقلد غيره من الأئمة فلم يفعل وما ذلك والله سدى ولا عبرة بكلام بعض المتعصبين في حق الإمام ولا بقولهم أنهم من جملة أهل الرأي ، بل كلام من يطعن في هذا الإمام عند المحققين يشبه الهزيانات (١) ، ولو أن هذا الذي طعن في الإمام كان له قدم في معرفة منازع المجتهدين ودقة استنباطاتهم لقدم الإمام أبا حنيفة في ذلك على غالب المجتهدين لخفاء مدركه رضي الله عنه .

واعلم يا أخي أنني ما بسطت لك الكلام على مناقب الإمام أبي حنيفة أكثر من غيره إلا رحمة بالتهوليين (٢) في دينهم من بعض طلبة المذاهب المخالفة ، فانهم ربما وقعوا في تضعيف شيء من أقواله لخفاء مدركه عليه (٣) بخلاف غيره من الأئمة فإن وجوه استنباطاتهم من الكتاب والسنة ظاهرة لغالب طلبة العلم الذين لهم قدم في الفهم ومعرفة المدارك ،

وإذا بان لك تبري الأئمة كلهم من الرأي فاعمل بكل ما تجده من كلام الأئمة بانشرح صدر ، ولو لم تعرف مدركه فإنه لا يخرج عن إحدى مرتبتي الميزان ، ولا يخلو أن تكون أنت من أهل مرتبة منهما ، وإياك والتوقف عن العمل بكلام أحد من الأئمة المجتهدين رضي الله عنهم ، فإنهم ما وضعوا قولا من أقوالهم إلا بعد المبالغة في الاحتياط لأنفسهم وللأمة ، ولا نفرق بين أئمة المذاهب بالجهل والتعصب ، فإن من

(١) لو كانت الهزيان لكان أقرب الى قواعد اللغة

(٢) ب الارجمة بالتهوليين

(٣) ب مدركه عليهم

فرق بين الأئمة فكانه فرق بين الرسل كما مر بيانه في الفصول قبله ، وإن تفاوت المقام فإن العلماء ورثة الرسل ، وعلى مدرجتهم سلكوا في مذاهبهم وكل من اتسع نظره وأشرف على عين الشريعة الأولى وعرف منازع أقوال الأئمة ورآهم كلهم يغترفون أقوالهم من عين الشريعة لم يبق عنده توقف في العمل بقول إمام منهم كائنا من كان بشرطه السابق في الميزان .

وقد تحققنا بذلك والله الحمد فليس عندي توقف في العمل برخصة قال بها إمام إذا حصل شرطها أبدا ، ومن لم يصل الى هذا المقام من طريق الكشف وجب عليه اعتقاد ذلك في الأئمة من طريق الإيمان والتسليم .

ومن فهم ما ذكرناه من هذا البيان العظيم لم يبق له عذر في التخلف عن اعتقاده أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم أبدا ، ويقال لكل من توقف عن ذلك الاعتقاد إن هؤلاء الأئمة الذين توقفت عن العمل بكلامهم كانوا أعلم منك وأورع بيقين في جميع ما دونه <sup>(١)</sup> في كتبهم لأتباعهم .

وإن ادعيت أنك أعلم منهم نسبك الناس إلى الجنون أو الكذب جحدا وعنادا . وقد أفتى علماء سلفك بتلك الأقوال التي تراها أنت ضعيفة ودانوا لله تعالى بها حتى ماتوا .

فلا يقدح في علمهم وورعهم جاهل <sup>(٢)</sup> مثلك لمنازعتهم وخفاء مداركهم ومعلوم بل مشاهد أن كل عالم لا يضع في مؤلفه عادة إلا ما تعب في تحريره ووزنه بميزان الأدلة ، وقواعد الشريعة ، وحرره تحرير الذهب والجوهر ، فأياك أن تنقبض نفسك من العمل بقول من أقوالهم ، إذا لم تعرف منزعه ، فإنك عامي بالنسبة إليهم والعامي ليس من مرتبته الإنكار على العلماء لأنه جاهل بل اعمل يا أخي بجميع أقوال العلماء ولو مرجوحة ، أو رخصة بشرطها المعروف بين العلماء ، وشاكل بعضك

---

(١) ب ما دونوه في كتبهم

(٢) ب جهل مثلك

بعضاً ، وفتش نفسك فربما رأيتها تقع في الكبائر من غل وحسد وكبر ومكر واستهزاء بالناس ، وغيبة فيهم وأكل حرام ، فضلاً عن الشبهات وغير ذلك من الكبائر فضلاً عن الصغائر والمكروهات .

ومن يقع في مثل ذلك فإين دعواه الورع وصدقه فيه حتى يتورع عن العمل بقول مجتهد لا يعرف دليله . . ؟

ما هذا والله إلا جهل أو حمية جاهلية كيف يقع فيما عرف دليل تحريمه من الكتاب والسنة واجماع الأمة ويتورع عما يراه من كلام أئمة الهدى . . ؟

فليتنا نراك يا أخي تتكدر من وقوعك في هذه الكبائر كما نراك تتكدر من تقليد غير إمامك أو ممن أمرك بالانتقال من مذهبك الى غيره ، ويا ليت ذنوبك كلها مثل ذنوب انتقالك من مذهب إلى مذهب أو مثل عملك بقول إمام لم تعرف دليله أو عمل بقول ضعيف فاعتقادك يا أخي الصحة في كلام أئمة الهدى واجب عليك ما دمت لم ينكشف لك الحجاب ، ولم تقف على عين الشريعة الأولى التي يتفرع منها قول كل عالم كما تقدم بيانه في فصل الامثلة المحسوسة ، وكل من نظر بعين الإنصاف وصحة الاعتقاد وجد جميع مذاهب الأئمة كأنها نسجت من الكتاب والسنة سداها ولحمتها منها والحمد لله رب العالمين .

## فصل

قال المحققون: إن للعلماء وضع الأحكام حيث شاءوا بالاجتهاد بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فكما أن للشارع ﷺ أن يبيح ما شاء للقوم <sup>(١)</sup> ويحرمه على قوم آخرين فكذلك للعلماء أن يفعلوا مثل ذلك فيمنعوا صحة الصلاة أو البيع أو غيرهما في باب ويصححوا ذلك في باب آخر كما <sup>(٢)</sup> اتحاد التعليل في البابين ، نظير ذلك قولهم بوجوب الغسل على النفساء لكون الولد منياً منعقداً وعدم قولهم بوجوبه إذا ألفت المرأة يداً أو رجلاً فقط مع أن اليد أو الرجل منى منعقد بلا شك ، فمن اعترض عليهم في ذلك قلنا له : إن العلماء تابعون للشارع في ذلك بدليل ما نقل إلينا في الخصائص النبوية مع أنه ﷺ أوجب على نفسه ما أباحه لأمته ، وحرم عليهم ما أباحه لنفسه بإذن من ربه عز وجل ، إذ العلماء أمناؤه ﷺ على شريعته من بعده فلا ينبغي لأحد أن يعترض عليهم ، إذا تناقض كلامهم في أبواب الفقه مع اتحاد العلل والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ب ما شاء لقوم

(٢) ب مع اتحاد التعليل

## فصل

في بيان بعض ما اطلعت عليه من كتب الشريعة قبل وضعي هذه الميزان الشريفة لتقتدي بي يا أخي في ذلك إن طلبت <sup>(١)</sup> الإحاطة بها ذوقاً ، إذ العلم قد يتخلف عن صاحبه ويحجب عنه بخلاف الذوق . ولعل قائلًا يقول : من أين اطلع صاحب هذه الميزان على جميع ما دونه المحدثون من الأحاديث ، والفقهاء ومن المذاهب في سائر أقطار الأرض ، حتى قدر أن يردها كلها الى مرتبتي تخفيف وتشديد ؟ .

فإذا اطلع على الكتب التي طالعنها وحفظتها وشرحتها على مشايخ الإسلام من الشريعة فرمما سلم لي واقتدى بي في مطالعة هذه الكتب التي أذكرها إن شاء الله تعالى وكلها ترجع الى ثلاثة أقسام : حفظ متون وشرح لها ومطالعة لنفس مع مراجعة العلماء في المشكلات منها .

القسم الأول : في ذكر الكتب التي حفظتها عن ظهر قلب وعرضتها على العلماء فمن ذلك كتاب المنهاج للنووي <sup>(٢)</sup> ، وكتاب الروض لابن المقرئ ومختصر الروضة إلى باب القضاء على الغائب ، وكتاب جمع الجوامع في أصول الفقه والدين ، وكتاب ألفية ابن مالك في النحو ، وكتاب تلخيص المفتاح في المعاني والبيان ، وكتاب ألفية العراقي في علم الحديث ، وكتاب التوضيح في النحو لابن هشام <sup>(٣)</sup> ، وكتاب

---

(١) ب إن أردت

(٢) كتاب المنهاج للإمام النووي على شرح صحيح الإمام مسلم .

(٣) ابن هشام ٨٠٧ - ٧٦١ .

جمال الدين أبو محمد ، عبد الله ، بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن هشام من أئمة العربية مولده =

الشاطبية في علم القرآن وغير ذلك من المختصرات .

القسم الثاني : ما شرحته على العلماء فقرأت بحمد الله شروح جميع هذه الكتب على العلماء رضي الله عنهم مراراً قراءة بحث وتحقيق حسب طاقتي ومرتبتي فقرأت شرح المنهاج <sup>(١)</sup> للشيخ جلال الدين المحلي على الأشياخ مع تصحيح ابن قاضي عجلون مع مطالعة شروحه الموجودة في مصر عشر مرات وقراءت شرح الروض على مؤلفه سيدنا ومولانا شيخ الإسلام زكريا كاملاً وقراءت عليه شرح المنهاج له أيضاً ، وشرح البهجة الكبير ، وشرح التحرير ، وشرح التنقيح ، وشرح رسالة القشيري ، وشرح آداب البحث ، وآداب القضاء ، وشرح البخاري للمؤلف ، وشرحه للشيخ شمس الدين الجوجري وكتاب القوت للاذرعى والقطعة والتكملة للزركشي وقطعة السبكي على المنهاج وكتاب التوشح لولده ، وشرح ابن الملقن على المنهاج والتنبيه وشرح ابن قاضي شعبة الكبير والصغير <sup>(٢)</sup> ، وقراءت شرح الروض على الشيخ شهاب الدين الرملي <sup>(٣)</sup> ، وكنت أكتب على كل درس منها زوائد شرح الروض ، وزوائد الخادم ، وزوائد المهمات ، وزوائد شرح المذهب وغير ذلك حتى كان الشيخ يتعجب من سرعة مطالعتي لهذه الكتب ويقول لي : لولا كتابتك زوائد الكتب لما كنت أظن أنك طالعت كتاباً واحداً من هذه الكتب .

---

وفاته بمصر قال ابن خلدون : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه من تصانيفه « مغنى اللبيب » وعمدة الطالب في تحقيق تصارييف ابن الحاجب وشذور الذهب .  
(١) شرح النواج في فقه الشافعية

(٢) ابن قاضي شعبة تقي الدين ٧٧٩ - ٨٥١ هو أبوبكر تقي الدين بن احمد بن محمد فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها من أهل دمشق اشتهر بذلك لان جده كان قاضياً بشعبة من قرى حوران من كتبه طبقات الشافعية والحنفية ، توفي بدمشق فجأة .

(٣) شهاب الدين الرملي : خاتمة المحققين في مصر والحجاز الشافعي الأنصاري وبلده صغيرة قريبة من البحر من منية العطار تجاه مسجد الخضر عليه السلام بالمنوفية شرح كتاب الزبد في الفقه ، ومات سنة سبع وخمسين وتسعمائة رحمه الله .



ولما قرأت شرح الروض <sup>(١)</sup> على مؤلفه شيخ الإسلام زكريا كنت أطلع عليه جميع المواد التي تيسرت لي زمن القراءة وتحرير جميع عباراته من أصولها كلها ، حتى احطت علما باصول الكتاب التي استمد منها في الشرح كالمهمات والخادم وشرح المذهب والقطعة والتكملة وشرح ابن قاضي شهبة والرافعي الكبير والبسيط والوسيط والوجيز ، وفتاوى القفال <sup>(٢)</sup> وفتاوى القاضي حسين <sup>(٣)</sup> ، وفتاوى ابن الصلاح ، وفتاوى الغزالي وغير ذلك .

وكننت أنبه الشيخ على كل عبارة نقلها مع إسقاط شيء منها وأطلعته على اثنتي عشرة مسألة ذكر أنها من زيادة الروض على الروضة ، والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها وألحقها الشيخ بشرحه ، وأطلعته على مواضع كثيرة ذكر أنها من أبحاث الزركشي وغيره في الخادم ، والحال أنها من أقوال الأصحاب فأصلحها في الشرح ، وقرأت شروح ألفية ابن مالك كابن المصنف والأعمى والبصير وابن أم قاسم والمكودي ، وابن عقيل <sup>(٤)</sup> والأشموني <sup>(٥)</sup> مراراً على الشيخ شهاب الدين الحسامي <sup>(٦)</sup> وغيره .

---

(١) شرح الروض في الفقه أربعة أجزاء .

(٢) أبو بكر عبد الله ابن أحمد القفال الشافعي توفي ٤١٧ هـ وهو ابن ٩٠ سنة ودفن بسجستان

(٣) القاضي أبو علي الحسين بن محمد المروزي الفقيه الشافعي صاحب التعليقة في الفقه توفي سنة ٤٦٢ هـ بمروذ وصنف في الفروع والاصول .

(٤) شهاب الدين الحسامي : الفقيه الصوفي النحوي ، أخذ طريق التصوف عن الشيخ علي المرصفي مات رضي الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة .

(٥) ابن عقيل ٦٩٨ - ٧٦٩ هـ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل القرشي الهاشمي الهمداني

الأصل من أئمة النجاة قال ابن حيان : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل ، شرح الفية ابن مالك والجامع النفيس في الفقه وتيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد ، توفي في القاهرة رحمه الله .

(٦) الاشموني : هو أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى الاشموني أصلاً ، ولد بقناطر السباع وتوطن القاهرة ، مكباً على العلم ، أخذ عن الجلال المحلي والكافيجي والتقي الحصني وغيرهم ، ومن أشهر مؤلفاته النحوية شرحه على الالفية المسمى « منهج المسالك الى ألفية ابن مالك » .

وقرأت عليه شرح التوضيح للشيخ خالد ، وكتاب المغني وحواشيه وغير ذلك ، وقرأت شرح ألفية العراقي مراراً فقرأت شرحها للمؤلف على الشيخ شهاب الدين الرملي ، وشرحها للسخاوي على الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري ثم اختصرته ، وقرأت شرحها للجلال السيوطي وشرحها للشيخ زكريا عليه مرة واحدة ، وكذلك علوم الحديث لابن الصلاح ومختصر النووي ، وقرأت شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين المحلي وحاشيته لابن أبي الشريف على الشيخ نور الدين المحلي <sup>(١)</sup> وكنت أقرأ الحاشية والشرح عليه على ظهر قلبي إذا نسيت الكراس في البيت والشيخ نور الدين ماسك الحاشية ، وكان يتعجب من سرعة حفظي لذلك وحسن مطالعتي ، وقرأت العضد وحواشيه على الشيخ عبد الحق السباطي <sup>(٢)</sup> ، وقرأت المطول ومختصره على الشيخ العلامة ملا علي العجمي <sup>(٣)</sup> بباب القرافة وحواشيه ، وقرأت شرح الشاطبية للسخاوي <sup>(٤)</sup> ولابن الفاصح وغيرهما على الشيخ نور الدين الجارحي <sup>(٥)</sup> وغيره وقرأت <sup>(٦)</sup> في كتب التفسير ومواردها تفسير الإمام البغوي على شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الشيشيني الحنبلي <sup>(٧)</sup> ، وقرأت الكشاف وحواشيه

---

(١) نور الدين المحلي الشافعي رضي الله تعالى عنه ، كان مشهور في مصر بحل مشكلات العبارات في الاصول والفقه رفض توليه القضاء للسلطان الغوري راجع الطبقات الصغرى للإمام الشعراني ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) عبد الحق السباطي الشافعي : انتهت اليه الرياسة في الفقه (والاصول وغيرهما من العلوم ، مات رضي الله عنه بمكة المشرفة ودفن باب المعلا سنة ٩٣٠ هـ .

(٣) ملا علي العجمي كان إماما في الفقه والتفسير والمعقولات والتصوف ، مات رضي الله عنه في محل اقامته خارج القرافة بمصر

(٤) نور الدين الجارحي المحدث الفقيه النحوي كان قليل الضحك مهيب المنظر كثير الصمت قليل المخالطة للناس وكان مذهب الإمام الشافعي نصب عينيه « راجع الطبقات الصغرى للشعراني ص ٦٧ .

(٥) السخاوي : ٥٥٨ - ٦٤٣ هـ .

أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي عالم بالفقه والاصول واللغة والتفسير وله نظم أصله من سخا بمصر وسكن دمشق فتوفي فيها من كتبه جمال القراء وكمال الاقراء « وهداية المرتاب » (٦) ب من كتب

(٧) شهاب الدين الشيشيني الحنبلي : كان اماما في التفسير والمذهب ترك ذرية طاهرة رضي الله عنه مات سنة =

وتفسير البيضاوي<sup>(١)</sup> وحاشيته للشيخ جلال الدين السيوطي علي شيخ الإسلام زكريا مرة واحدة ، وكنت أطلع على ذلك تفسير ابن زهرة وتفسير ابن عادل ، وتفسير الكواشي ، وتفسير الواحدي الثلاثة وتفسير الشيخ عبد العزيز الديريني الثلاثة ، وتفسير الثعلبي<sup>(٢)</sup> وتفسير الجلال السيوطي المسمى بالدر المنثور وغير ذلك ، ونشأ من قراءتي الحاشية التي وضعها شيخ الإسلام المذكور على تفسير البيضاوي وقرأت شرح البخاري للشيخ شهاب الدين القسطلاني<sup>(٣)</sup> على مؤلفه المذكور وكنت أطلع عليه تفسير القرآن العظيم لأجل ما في البخاري من الآيات لأعرف مقالات المفسرين فيها وأطلع عليه أيضا شرح البخاري للحافظ ابن حجر وشرحه للكرمانبي وشرحه للعيني وشرحه للبرماوي وغير ذلك .

وقرأت عليه شرح مسلم للإمام النووي وشرحه للقاضي عياض<sup>(٤)</sup> والقطعة التي شرحها الشيخ شهاب الدين المذكور على مسلم وقرأت كتاب الأحوذني على شرح الترمذي لأبي بكر العربي المالكي<sup>(٥)</sup> ، وكذلك قرأت عليه كتاب الشفا للقاضي

---

= تسع عشرة وتسعمائة هجرية . طبقات صغرى ص ٤٨ .

(١) البيضاوي : هو قاضي القضاة ناصر الدين ابو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد علي البيضاوي الشافعي وهو من بلاس فارس ولي قضاء شيراز وتوفي بمدينة تبريز . قال السبكي والاسنوي سنة ٦٩١ هـ ومن أهم مصنفاته كتاب المنهاج وشرحه في اصول الفقه ، وكتاب الطوابع في اصول الدين ، وانوار التنزيل في التفسير .

(٢) الثعلبي ، هو أبو اسحق أحمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر كان حافظاً واعظاً له من المؤلفات كتاب العرائس في قصص الانبياء وكان كثير الحديث كثير الشيوخ وقد توفي رحمه الله سنة ٤٢٧ هـ .

(٣) شهاب الدين القسطلاني : كان من أزهذ الناس وأحسنهم وجهاً طويلاً القامة يقرأ القرآن باربعة عشر رواية مات ٩٢٠ هـ ودفن بالمدرسة العينية قريباً من الجامع الأزهر .

(٤) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي القاضي ، كان إمام وقته في الحديث وعلومه من مؤلفاته « شرح كتاب مسلم » في كتاب سماه الاكمال ومنها مشارق الانوار في غريب الحديث ولد بمدينة سبته سنة ٤٧٦ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاندلسي الحافظ ولد ٤٦٨ هـ وتوفي عام ٥٧٣ هـ بالعدوة =

عياض ، وكتاب المواهب اللدنية في المنح المحمدية ، وغير ذلك .

القسم الثالث : فيما طالعه لنفسه. وكنت أراجع الأشياخ في مشكلاته بعد قراءتي على الأشياخ جميع الكتب المتقدمة كلها طالعت شرح الروض نحو خمسة عشر مرة وطالعت كتاب الأم للإمام الشافعي رضي الله عنه ثلاث مرات ، وكنت أطلع عليه استدراكات الأصحاب وتقييداتهم عليه في شروحهم وتعليقهم وطالعت مختصر المزني وشرحه الذي وضعه عليه شيخ الإسلام زكريا كذا كذا مرة ، وطالعت مسند الإمام الشافعي رضي الله عنه مرات ، والحاوي مرة واحدة ، وطالعت كتاب المحلي لابن حزم في الخلاف العالي وهو ثلاثين مجلدا ، وكتاب الملل والنحل <sup>(١)</sup> له ، وكتاب المعلي مختصر المجلي للشيخ محي الدين بن العربي ، وطالعت الحاوي للماوردي <sup>(٢)</sup> وهو عشر مجلدات ، وكذلك الأحكام السلطانية <sup>(٣)</sup> مرة واحدة وطالعت فروع ابن الحداد وكتاب الشامل لابن الصباغ وكتاب العدة لابن محمد الجويني ، وكتاب المحيط والفروق له مرة واحدة ، وطالعت كتاب الرافعي الكبير والصغير مرة واحدة ، وطالعت شرح المذهب للنووي والقطعة للسبكي عليه نحو خمسين مرة ، وطالعت شرح مسلم للنووي خمس مرات وطالعت المهمات والتعقيبات عليها مرتين وطالعت الخادم مرتين ونصفا ، وطالعت القون للأزرعي والتوسط والفتح له مرة واحدة وطالعت كتاب العمدة لابن الملتن والعجالة وشرح التنبيه له مرة واحدة ، وطالعت تفسير الجلالين نحو ثلاثين مرة ، وشرح المنهاج للجلال المحلي <sup>(٤)</sup> نحو عشر مرات ،

---

== ودفن بمدينة فاس وولد بأشبيلية وله من المصنفات « كتاب عارضة الأحوذى » في شرح الترمذي وغيره من الكتب رحمه الله .

(١) المقصود به كتاب الفصل في الملك والاهواء والنحل : أما الملل والنحل فهو للشهرستاني .  
(٢) أبو الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب الشافعي ، كان من وجوه الفقهاء الشافعية وكبارهم أخذ الفقه عن أبي القاسم الضيمري بالبصري من كتبه تفسير القرآن الكريم « والنكت » « والعيون » و « أدب الدنيا والدين » توفي سنة ٤٥٠ هـ ودفن في مقبرة باب حرب بغداد وعمره ٨٦ سنة .

(٣) ب له .

(٤) جلال الدين المحلي : محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي ولد في مصر سنة ٥٩١ هـ عرض عليه ==

وطالعت فتح الباري على البخاري مرة وشرح العين مرة ، وشرح الكرماني ثلاث مرات ، وشرح البرماوي مرتين ، والتنقيح للزركشي ثلاث مرات ، وطالعت شرح القسطلاني ثلاث مرات وشرح مسلم للقاضي عياض مرة وللفارس مرة ، وطالعت تفسير البغوي <sup>(١)</sup> ثلاث مرات والخازن <sup>(٢)</sup> خمس مرات وابن عادل مرة ، والكواش ثلاث مرات ، وتفسير ابن زهرة المكّي مرة واحدة وتفسير الجلال السيوطي المأثور نحو ثلاث مرات ، وطالعت الكشف بحواشيه نحو حاشية الطيبي وحاشية الفتازاني وحاشية ابن المنير عليه ثلاث مرات ، وعرفت جميع المواضع التي وافق عليها أهل الاعتزال وجمعتها في جزء ، وطالعت على الكشف أيضا البحرلابي حيان وأعراب السمين وأعراب السفاقس وطالعت تفسير البيضاوي مع حاشية الشيخ زكريا عليه ثلاث مرات وطالعت تفسير ابن النقيب المقدس وهو مائة مجلد ، وطالعت تفاسير الواحدي الثلاثة وتفسير عبد العزيز الديريني الثلاثة كلّاً منها مرات وطالعت من كتب الحديث ما لا أحصي له عدداً في هذا الوقت من المسانيد والأجزاء كموطأ الإمام مالك ، ومسنّد الإمام أحمد، ومسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة، وكتاب البخاري وكتاب مسلم ، وكتاب أبي داود <sup>(٣)</sup>، وكتاب الترمذي <sup>(٤)</sup>، وكتاب

---

القضاء فلم يقبله ووليّ تدريس الفقه بالمؤيديه وكان يتكسب بالتجارة من مؤلفاته شرح جمع الجوامع في الاصول وشرح المنهاج فقه الشافعية توفي ٨٦٤ هـ.

(١) البغوي : أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء والبغوي الفقيه الشافعي تفقه على القاضي حسين وسمع الحديث منه توفي رحمه الله سنة ٥١٠ هـ بمرووز وقد جاوز الثمانين من مؤلفاته « معالم التنزيل في التفسير » .

(٢) الخازن هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الشافعي المعروف بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السمساطية بدمشق ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ وتوفي سنة ٧٤١ هـ وأما تفسيره المذكور فهو « لباب التأويل في معاني التنزيل » هذا التفسير اختصره من معالم التنزيل للبغوي وضم الى ذلك ما نقله وحفظه من تفاسير من تقدم عليه .

(٣) الإمام ابو داود ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ ابن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمر الازدي السجستاني صاحب السنن ، ألف كتابه وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه وأقام بالبصرة .

(٤) الترمذي هو الإمام الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى ابن الضحاك السلمي الترمذي

النسائي<sup>(١)</sup> وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان ومسند الإمام سعيد بن عبد الله الأزدي، ومسند عبد الله بن حميد، والغيلانيات ومسند الفردوس الكبير، وطالعت معاجم الطبراني الثلاثة، وطالعت من الجوامع للأصول كتاب ابن الأثير، وجامع الشيخ جلال الدين السيوطي الثلاثة، وكتاب السنن الكبرى للبيهقي ثم اختصرتها.

وقد قال ابن الصلاح ما ثم كتاب في السنة أجمع للأدلة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي، وكأنه لم يترك في سائر أقطار الأرض حديثاً إلا وقد وضعه في كتابه انتهى..

وهو من أعظم أصولي التي استمدت<sup>(٢)</sup> منها من<sup>(٣)</sup> الجمع بين الأحاديث في هذه الميزان كما سبق في الفضول.

وطالعت من كتب اللغة صحاح الجوهري وكتاب النهاية لابن الأثير<sup>(٤)</sup> وكتاب القاموس، وكتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي ثلاث مرات، وطالعت من كتب أصول الفقه والدين نحو سبعين مؤلفاً وأحطت علماً بما عليه أهل السنة والجماعة، وبما عليه المعتزلة والقدرية وأهل الشطح من غلاة المتصوفة المتفعلين في الطريق.

وطالعت من فتاوى المتقدمين والمتأخرين ما لا أحصي له عدداً لفتاوى القفال، وفتاوى القاضي حسين، وفتاوى الماوردي، وفتاوى الغزالي، وفتاوى ابن

---

== أحد الائمة المحدثين الأعلام ولد سنة تسع ومائتين وتوفي سنة ٢٧٩ هـ كان كثير الترحال ويمدها ألف وصف وبقي ضريراً سنين رحمه الله.

(١) النسائي الإمام الحافظ شيخ الاسلام كما وصفه الذهبي في تذكروته ابو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني القاضي صاحب السنن وغيرها من الكتب القيمة ولد « بنساء » سنة ٢١٥ هـ وجاء الى مصر ودفن بين الصفا والمروة بمكة عام ٣٠٣ هـ رضي الله عنه.

(٢) ب استمدت منها

(٣) ب منها في الجمع

(٤) ابن الاثير : ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ عز الدين ابو الحسن : علي ابن محمد بن محمد عبد الكريم مؤرخ نسابه ، ولد في احدى قرى الموصل ، وتوفي بها ، من تصانيفه الكامل ، واسد الغابة في معرفة الصحابة ، وتاريخ الموصل ، رحمه الله .

الحداد ، وفتاوى ابن الصلاح ، وفتاوى ابن عبد السلام ، وفتاوى السبكي ، وفتاوى البلقيني ، وكل من هاتين الأخيرتين مجلدات .

وطالعت فتاوى شيخنا الفقيه زكريا وشيخنا الشيخ شهاب الدين وغير ذلك ، كفتاوى النووي الصغير والكبرى ، وفتاوى ابن الفركاح وفتاوى ابن أبي شريف ، وغير ذلك ثم جمعتها كلها في مجلد. لإسقاط المتداخل منها ، وطالعت من كتب القواعد ، قواعد ابن عبد السلام الكبرى والصغرى ، وقواعد ابن السبكي وقواعد الزركشي ثم اختصرتها أعني الأخيرة ، وطالعت من كتب السير كثيراً كسيرة ابن هشام <sup>(١)</sup> وسيرة الكلاعي <sup>(٢)</sup> ، وسيرة ابن سيد الناس <sup>(٣)</sup> ، وسيرة الشيخ محمد الشامي ، وهي أجمع كتاب في السيرة ، وطالعت كتاب المعجزات والخصائص للجلال السيوطي ثم اختصرته ، وطالعت من كتب التصوف ما لا أحصي له عدداً كالقوت لأبي طالب المكي <sup>(٤)</sup> ، والرعاية للحارث المحاسبي ورسالة القشيري <sup>(٥)</sup> ، والإحياء للغزالي ، وعوارف المعارف للسهروردي <sup>(٦)</sup> ورسالة النور لسيد أحمد

---

(١) ابن هشام ت ٢١٣ هـ ابن ايوب الحميري المعافري مؤرخ كان عالماً بالانساب واللغة وأخبار العرب ولد ونشأ في البصرة وتوفي بمصر أشهر كتبه « السيرة النبوية » المعروفة بسيرة ابن هشام .

(٢) الكلاعي : سليمان بن موسى ابن حسان الكلاعي محدث الاندلس وبلغها في عصره من أهل بلنسية كان فرداً في الانشاء وله كتب عديدة منها الاكتفاء في المغازي النبوية وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين ولد سنة ٥٦٥ هـ وتوفي شهيداً ٦٣٤ هـ .

(٣) ابن سيد الناس محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري أبو الفتح فتح الدين مؤرخ عالم بالادب من حفاظ الحديث له شعر رقيق أصله من اشبيلية ومولده ووفاته في القاهرة ٦٧١ - ٨٣٤ هـ من كتبه عيون الاثر في فنون المغازي والشئائل والسير وشرح الترمذي « وبشرى اللبيب في ذكرى الحبيب رحمه الله .

(٤) ابوطالب محمد بن علي بن عطية ، الحارثي ، الواعظ ، المكي صاحب كتاب قوت القلوب سكن مكة وذهب الى بغداد وتوفي بها سنة ٣٨٦ هـ ودفن بمقبرة المالكية .

(٥) القشيري : الإمام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي ٣٨٦ هـ - ٤٦٥ هـ ولد في استوا من مؤلفاته الرسالة « القشيرية » ولطائف الاشارات وكتاب الفتوى .

(٦) السهروردي : شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي كان فقيهاً شافعيًا ، تخرج عليه كثير من الصوفية في المجاهدة ولد سنة ٥٣٩ هـ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ ببغداد من مؤلفاته « عوارف المعارف » .

الزاهدي ، وهي مجلدان وكتاب منح المنة لسيدى محمد الغمري وهو ست مجلدات ، وكتاب الفتوحات المكية وهي عشر مجلدات ثم اختصرتها وطالعت كتاب الملل والنحل لابن حزم كذا كذا مرة ، وعرفت جميع العقائد الصحيحة والفاصلة ، ثم ترقى المهمة الى مطالعة كتب بقية المذاهب الأربعة فطالعت من كتب المالكية التي عليها العمل كتاب المرونة الكبرى ، ثم اختصرتها ثم طالعت الصغرى ، وكتاب ابن عرفة <sup>(١)</sup> وابن رشد ، وكتاب شرح رسالة ابن ابي زيد للتتائي ، وللشيخ جلال الدين بن قاسم ، وطالعت شرح المختصر لبهراون للتتائي وغيره ، وابن الحاجب ، وكنت أراجع في مشكلاتها ابن قاسم والشيخ شمس الدين اللقاني <sup>(٢)</sup> وآخاه الشيخ ناصر الدين <sup>(٣)</sup> ، وأحطت علما بما عليه الفتوى في مذهبه وما انفرد به الإمام مالك عن بقية الأئمة من مسائل الاستنباط ، وطالعت من كتب الحنفية شرح القدوري وشرح مجمع البحرين ، وشرح الكنز وفتاوى قاضي خان ومنظمة النسفي ، وشرح الهداية وتخرير أحاديثها للحافظ الزيلعي ، وكنت أراجع في مشكلاتها الشيخ نور الدين الطرابلسي <sup>(٤)</sup> والشيخ شهاب الدين الشامي ، والشيخ شمس الدين الغزي ، وغيرهم وطالعت من كتب الحنابلة شرح الخرقى وابن لة وغيرهما من الكتب وكنت أراجع في مشكلاتها شيخ الإسلام الشيشيني الحنبلي وشيخ الإسلام شهاب الدين الفتوحى وغيرهما .

كل هذه المطالعة كانت بيني وبين الله تعالى : وبارك الله تعالى في وقتي فهذا ما

(١) ابن عرفة محمد بن محمد بن عرفة إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره مولده ووفاته فيها تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠ هـ وقد لخطابته سنة ٧٧٢ هـ وللفتوى سنة ٧٧٣ من أجل كتبه المختصر الكبير في فقه المالكية والحدود في التعاريف الفقهية . رحمه الله ولد سنة ٧١٦ هـ وتوفي سنة ٨٠٣ هـ . ١٣١٦ - ١٤٠٠ م .

(٢) شمس الدين اللقاني المالكي : كان حافظاً لنقول المذاهب كأنها نصب عينيه وكان يواجه الأكابر والأصاغر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [ راجع الطبقات الصغرى للشعراني ]

(٣) الشيخ الإمام العلامة المجمع على جلالته في الورع الزاهد الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله عنه ، كان من أعظم الناس اعتقاداً في طائفة القوم توفي سنة ٩٥٨ هـ رحمه الله .

(٤) الشيخ نور الدين الطرابلسي : شيخ الإسلام مجمع على صلاحه وعلمه ، كان لا يأكل من معلوم قط .



استحضرته في هذا الوقت من الكتب التي طالعتها ، ومن شك في مطالعتي لها من الأقران فليأتني بأي كتاب شاء من هذه الكتب ويقرؤه عليّ ، وأنا أحله له بغير مطالعة ، فإن الله تعالى على كل شيء قدير .

وقد أخبرني سيدي علي المرصفي <sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختمة ، وستين ألف ختمة ، هذا كلامه لي رضي الله عنه .

وذكر الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : أن محمد بن جرير الطبري <sup>(٢)</sup> حاسبه الحبار قبل موته على ألف رطل حبر وثمانية أرطال انتهى .

وقد كنت أطلع الجزء الكامل من شرح المذهب أو المهمات واكتب زوائده على درس في الروضة في ليلة واحدة ، وكان غالب أقراني يظن أنني تركت الاشتغال بالعلم لكوني كنت لا أحضر دروس أسيانهم ويقولون لو أن فلانا دائم على الاشتغال بالعلم لكان من أعظم المفتين في مصر الآن وكنت أحضر دروسهم <sup>(٣)</sup> .

فطالع يا أخي مثل ما طالعت من هذه الكتب إن أردت الإحاطة بأقوال العلماء كلها والحمد لله رب العالمين .

---

(١) علي بن خليل المرصفي المصري ثم المدني الشافعي نور الدين أبو الحسن ، كان من الائمة الراسخين في العلم والعمل من مؤلفاته المقنع والمورد لمن يشرب ويكرج ومنهج السالك الى أشرف المسالك »

كشف غوامض المنقول ، توفي رحمه الله سنة ٩٣٠ هـ ودفن بزاويته بمصر .

(٢) الطبري : هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام الجليل المجتهد المطلق وهو من أهل أمل طبرستان ولد بها سنة ٢٢٤ هـ ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثني عشرة

سنة وطوف في الاقاليم فسمع بمصر والشام والعراق ، ثم القى عصاه واستقر ببغداد وبقي الى أن مات ٣١٠ هـ .

(٣) ب دروسهم في بعض الاوقات فلا أبحث ولا أتكلم ولا أستشكل مسألة من المسائل لكوني أعرف المنقول فيها .

## فصل

ولنشرع في الجمع بين الأحاديث الشريفة وتنزيلها على مرتبتي الشريعة المطهرة من تخفيف وتشديد عملاً بقول الإمام الشافعي وغيره «إن أعمال الحديثين بحملهما على حالين أولى من إلغاء أحدهما فاقول وبالله التوفيق : من الأحاديث التي اختلفت العلماء رضي الله تعالى عنهم في معناها حديث البيهقي مرفوعاً .

«خلق الله تعالى الماء طهوراً لا ينجسه شيء» .

وحديث البيهقي أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه : انه سمع رسول الله ﷺ يقول : « في التبيذ ثمرة طيبة وماء طهور » ثم توضأ به ﷺ وصلى .

مع حديث ابن حبان وغيره : «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على طعمه ولونه وريحه» .

مع حديث البيهقي مرفوعاً : «الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين حتى يجد الماء فإذا وجدته فليلمسه<sup>(١)</sup> جلده فإنه خير» فالحديثان الأولان مخففان والحديثان الآخران مشددان فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ، فليس لمن قدر على الماء الخالص أو المتغير يسيراً ولو بطرح تمر أو زبيب فيه أن يتيمم بالتراب ، فالمراد بالتبيذ التي قال الإمام أبو حنيفة بصحة الوضوء به تبعاً للشارع ما لم يخرج الى حد الفقاع كما أن المراد به ما لم يسكر بإجماع لقوله في حديث عبد الله بن مسعود : «ثمرة طيبة

---

(١) ب فليلمسه جلده .

وماء طهور». فافهم ومن ذلك قوله ﷺ في حديث مسلم وغيره في الشاة الميتة «هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به.. ؟» مع قوله ﷺ في حديث البيهقي : عن عبد الله بن الحكم<sup>(١)</sup> أنه قال : كتب إلينا رسول الله ﷺ قبل موته بشهر أو أربعين يوماً : «لا تنتفع<sup>(٢)</sup> من الميتة بأهاب ولا عصب». فالحديث الأول فيه التخفيف على من احتاج لمثل ذلك الجلد بقرينة أن الشاة كانت ليمونة وهي من الفقراء كما في بعض طرق الحديث . وكانوا تصدقوا بها عليها . والحديث الثاني محمول على من لم يحتاج<sup>(٣)</sup> لمثل ذلك من الأغنياء وأصحاب الرفاهية ، فرجع الحديثان إلى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث البيهقي : «ادفنوا الأظفار والدم والشعر فإنه ميتة» .

مع حديث البيهقي أيضاً مرفوعاً: «لا بأس بمسك الميتة إذا دبغ ولا بأس بشعرها وصوفها وقرونها إذا غسل بالماء» .

الحديث الأول لنجاسة الشعر الذي على الجلد المدبوغ ، وفي الحديث الثاني أنه متنجس يظهر بغسله بالماء وبه قال الحسن واحتج له بحديث مسلم في ذبائح البربر والمجوس من قوله ﷺ في جلد ذبائحهم : «دباغه طهوره»<sup>(٤)</sup> .

فشمل الشعر الذي على الجلد ، فيحمل الحديث الأول على أهل الرفاهية الذين لا يحتاجون الى مثل ذلك . ويحمل الثاني على المحتاجين إلى مثله من ذوي الحاجة نظير ما تقدم في شعر الميتة . فرجع الحديثان في شعر الميتة إلى مرتبتي الميزان في

(١) عبد الله بن الحكم بن أبي زياد الكوفي روى عنه ابن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري وروى عن ابن عيينة ووكيع مات بالكوفة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) ب لا تنتفعوا من الميتة

(٣) ب الى مثل ذلك

(٤) رواه الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنه ، وعنه برواية «دباغ جلود الميتة طهورها» عن زيد بن ثابت ورمز له جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير بالحسن .

التخفيف والتشديد ، ومن ذلك قوله ﷺ في منع الادهان بما في عظم العلاج كما رواه مسلم وغيره عن ابن عباس قال : ( نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع ) .  
مع حديث البيهقي عن ثوبان <sup>(١)</sup> قال : أمرني رسول الله ﷺ أن اشتري لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج ومع حديث البيهقي عن أنس كان رسول الله ﷺ « يمتشط بالعاج » .

ففي الحديث الأول منع استعمال عظم الفيل ، وفي الحديث الثاني وما معه جواز استعماله ، فيحمل الأول على الذين يجدون غيره ، أو على استعمال فيما فيه رطوبة .  
ويحمل الثاني : على أهل الحاجة إليه أو استعماله في الشيء الجاف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد .

ومن ذلك حديث المسور : أن رسول الله ﷺ أتى بمزادة من مزادات المشركين فأسقى أصحابه منها .  
<sup>(٢)</sup>

وحديث البيهقي عن جابر <sup>(٣)</sup> : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ : فنصيب من كل أنية المشركين وأسقيتهم ونستمتع بها فلا يعاب علينا .

مع حديث البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن الشرب من أواني النصراني ، وفي رواية للشيخين أن أبا ثعلبة قال يا رسول الله : أنا بأرض أهل الكتاب أفأكل في آنيتهم . . . ؟ فقال ﷺ : « إن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها واكلوا فيها » .

---

(١) ثوبان : أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري . كان أوحده وقتة علما وورعا وأدبا وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله عنه كان أبوه نوبياً وقيل من أهل أخيهيم مولى .  
لقريش توفي سنة ٢٤٨ هـ رضي الله عنه بمصر .

(٢) جابر بن عبد الله السلمي شهد بيعة العقبة روى عنه بنوه محمد وعبد الرحمن وعقيل وابن المنكدر وأبو الزبير مات سنة ٧٨ هـ وغزا تسع عشرة غزوة

(٣) ب فنصيب من أنية المشركين .

ففي السق الأول التخفيف ، وفي حديث عائشة التشديد فقط ، وفي حديث أبي ثعلبة التشديد من وجه والتخفيف من وجه ، فالتشديد في حق من وجد غير أنيتهم والتخفيف في حق من لم يجد غيرها كما ترى فرجع الأمير الى مرتبتي الميزان .  
لكن في حديث أبي داود ما يدل على أن الأمر وقع حيث علم بنجاسة أنيتهم فليتأمل .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى عليه » مع حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله تعالى » اهـ .

والمراد بقوله : كما أمر الله تعالى « يعني في القرآن » وليس فيما أمر الله تعالى التسمية على الوضوء . ففي الحديث الأول التشديد بنفي الصحة أو الكمال وفي الثاني التخفيف فرجع الحديث الى مرتبتي الميزان كما سيأتي بسطه في الجمع بين أقوال المجتهدين .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث البيهقي « من توضأ فليتمضمض وليستشق » مع حديث مسلم مرفوعاً : « عشر من الفطرة » وعد منها المضمضة والاستنشاق . فالحديث الأول مشدد لما فيه من صيغة الأمر والحديث الثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث ابن عباس (١) الذي رواه البيهقي : أن ابن عباس كان إذا توضأ قبض قبضة من ماء ثم نفض يده فمسح بها رأسه وأذنيه ثم يقول : هكذا كان رسول الله ﷺ يتوضأ ، مع حديثه أيضاً بإسناد صحيح عن عبد الله بن زيد أن

---

(١) عبد الله بن عباس : ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عم الرسول ﷺ وامه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حذب الهلالية ولد والنبي وأهل بيته بالشعب بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ولازم النبي في صغره وتوفي رسول الله ﷺ وله من العمر ثلاثة عشر سنة فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم وكانت سنة ثمان وستين على الأرجح وله من العمر ٧٠ سنة مات بالطائف ودفن بها . رحمه الله .

رسول الله ﷺ كان يأخذ لاذنيه ماء خلاف الماء الذي أخذه لرأسه ، وكان ابن عمر إذا توضأ يعيد أصبعيه في الماء ليمسح بهما أذنيه .

فالحديث الأول فيه تخفيف والحديث الثاني - وفعل ابن عمر - فيهما تشديد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن المنذر : أنه مرَّ على رسول الله ﷺ فسلم عليه ومو يتوضأ فلم يرد عليه ﷺ السلام فأخذه ما قرب وما بعد ، فلما فرغ ﷺ من وضوئه قال : « إنه لم يمنعني أن أرد عليك إلا أني كرهت أن أذكر اسم الله تعالى إلا على طهارة » .

مع حديث مسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه .

فالحديث الأول مشدد والثاني مخفف فيحمل الأول على أهل الكمال في الأدب والثاني على من دونهم فرجع الأمر فيهما إلى مرتبتي الميزان ، ومن ذلك حديث البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ بال قائماً .

مع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ كان يبول وهو جالس وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا تبل قائماً » . فما بال عمر قائماً بعد حتى مات .

فالأول فيه تخفيف فعله ﷺ لبيان الجواز والحديثان الآخران فيهما تشديد بالنظر لحال أهل كمال الأدب والحياء وحال غيرهم فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين مرفوعاً « من استجمر فليوتر » .

وحديث البيهقي « إذا استجمر أحدكم فليستجمر ثلاثاً » مع حديثه أيضاً « من استجمر فليوتر . فمن فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج » .

فالحديثان الأولان فيهما تشديد والحديث الثالث فيه تخفيف فرجعت الأحاديث الى مرتبتي الميزان ، ومن حمل الوترية في الحديث الثالث على ما يكون من الوتر بعد

الثلاث فهو راجع الى مرتبة التشديد وكذلك رواية أنه ﷺ رد الروثة وقال :  
«أنتني بحجر» هو تشديد يد بالنسبة لمن لم يثبت هذه الزيادة .

ومن ذلك الاستنجاء بالتراب لم يثبت فيه شيء عن رسول الله ﷺ وإنما جاء عن  
الصحابة والتابعين فبعضهم منعه فشدد وبعضهم جوزه فخفف .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره مرفوعاً : «العينان وكاء السه فمن نام  
فليتوضأ» مع حديث البيهقي عن حذيفة ابن اليمان<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ احتضنه  
من خلفه وهو جالس يخفق رأسه ، فقال يا رسول الله وجب علي وضوء . . ؟  
قال : «لا حتى تضع جنبك» .

فالأول عام في نقض وضوء النائم ولو جالساً متمكناً ، والثاني فيه عدم نقض  
وضوء من نام جالساً وعليه فيحمل الأول على حال الأكابر من أهل الدين والورع ،  
ويحمل الثاني على حال غيرهم فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان تخفيفاً وتشديداً .

ومن ذلك تفسيره ﷺ قوله تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> بغير الجماع بقوله  
لما عز<sup>(٣)</sup> : لعلك قبلت أو لمست . مع حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقبل  
بعض نسائه ثم يخرج للصلاة ولم يتوضأ .

فالحديث الأول يشير الى نقض الوضوء باللمس والتقيل والثاني صريح في عدم  
النقض ، فيحمل النقض على حال من لم يملك إربه وعدم النقض على من ملك إربه  
فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان على قياس ما قاله العلماء في نظيره من قبلة الصائم

---

(١) حذيفة بن اليمان حصل بن جابر العبسي ثم الاشعري حليفهم ، صاحب السر ، منعه وأباه شهود بدر  
استحلاف المشركين لهم ، توفي سنة ٣٦ هـ اعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما يكون الى يوم القيامة  
من الفتن والحوادث ، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ، وله مائة حديث .

(٢) سورة النساء آية رقم ٤٣ .

(٣) ماعز بن مالك : الأسلمي معدود في المدنيين وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً بإسلام قومه ، وهو الذي  
اعترف على نفسه بالزنا ثانياً منبياً وكان محصناً فرجم ، روى عنه ابنه عبد الله بن ماعز حديثاً واحداً .

وكذلك الحكم في الملموس .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث البيهقي وغيره مرفوعاً « إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ » وفي رواية « فلا يصلي حتى يتوضأ » وفي رواية له « من مس فرجه فلا يصلي حتى يتوضأ » وفي رواية للبيهقي ( أيما امرأة مست فرجها فلتتوضأ ) . مع حديث طلق بن عدى أن رسول الله ﷺ قال له حين سأله عن مس ذكره : « هل هو إلا بضعة منك » فالحديث الأول بطرقه مشدد محمول على حال الأكابر وحديث طلق مخفف محمول على حال غيرهم بدليل كون طلق كان راعياً لإبل قوم ، وقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا أبالي مسست ذكري أم أذني فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره : أن رسول الله ﷺ احتجم فصلى ولم يتوضأ مع حديث البيهقي مرفوعاً « إذا قاء أحدكم في صلاته أو قلنس<sup>(١)</sup> أو رعف فليتوضأ ثم لين على ما مضى من صلاته ما لم يتكلم » .

فالأول مخفف والثاني مشدد ، وكذلك القول في حديث القهقهة في الصلاة الذي رواه البيهقي من أن أعمى وقع في حفرة والنبي ﷺ في الصلاة فضحك طوائف من الصحابة فأمر النبي ﷺ من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة مع قول فقهاء المدينة وغيرهم من الصحابة أنه يعيد الصلاة دون الوضوء وهو راجع الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه في حديث مسلم : أن رسول الله ﷺ صلى الصلوات يوم فتح مكة بوضوء واحد ، وفي رواية للبيهقي أنه صلى خمس صلوات بوضوء واحد مع حديث البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ عند كل صلاة وكان أحدنا يكفيه الوضوء ما لم يحدث .

فالحديثان الأولان فيهما التخفيف والحديث الثالث فيه التشديد لمن تبعه ﷺ

---

(١) القلس بوزن الفلس القذف وبابه ضرب وقال الخليل القلس ما خرج من الخلق ملء الفم أو دونه وليس بقيء فإن عاد فهو القيء .



على مثل ذلك فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما : ( من ترك المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة أعاد الصلاة ) . مع قول الحسن : لا يعيد فالأثر الأول مشدد و ثاني مخفف .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ كان يغتسل هو وعائشة من اناء واحد من الجنابة قالت : فكان يبدأ قبلي ، وفي رواية تختلف أيدينا فيه مع حدث البيهقي - وقال : رجاله ثقات - أن رسول الله ﷺ نهى أن تغتسل المرأة بفضل طهور الرجل أو يغتسل الرجل بفضل طهور المرأة .

فالحديث الأول يعطي التخفيف والحديث الثاني يعطي التشديد ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ، وكذلك قول عبد الله بن سرجس <sup>(١)</sup> رضي الله عنه تتوضأ المرأة وتغتسل من فضل غسل الرجل وطهوره ولا عكس فهو يرجع الى التشديد والتخفيف .

ومن ذلك حديث مسلم أن رسول الله ﷺ كان يغتسل للجنابة قبل أن ينام وتارة يتوضأ ثم ينام ، مع حديث البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينام وهو جنب ولا يمس ماء فيحتمل أنه لا يمس ماء أصلاً ويحتمل أنه لا يمس ماء للغسل فالحديث الأول مشدد والثاني مخفف .

ومن ذلك حديث البيهقي عن عمار بن ياسر <sup>(٢)</sup> قال : أمرني رسول الله ﷺ في التيمم بمسح الوجه والكفين ، وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين سأله عن التيمم بعد أن كان تمك في التراب : إنما <sup>(٣)</sup> يكفيك هكذا ثم ضرب بيديه

(١) عبد الله بن سرجس : المزني ويقال له : المخزومي أظنه حليفاً لهم بصري : روى عنه عاصم الاحول وقتادة ، قال عاصم : عبد الله بن سرجس رأى النبي ﷺ ولم يكن له صحبة وقال ابو عمر لا يختلفون في ذكره في الصحابة ويقولون له صحبه .

(٢) عمار بن ياسر العنسي ، أحد السابقين البدرين ، قتل بصفين عن ثلاث وتسعين سنة سنة ٣٧ هـ وفي الحديث : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار .

(٣) ب إنما كان يكفيك هكذا .

الأرض ثم نفخ فيهما ثم مسح وجهه وكفيه ثم لم يجاوز الكوع . مع حديث البيهقي أيضا أنه مسح يديه الى المرفقين ، فالحديث الأول مخفف والثاني مشدد وهو أولى إذ القياس أن يكون البذل من الشيء على صورته فرجع الأمر إلى التشديد والتخفيف .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ أرسل جماعته من الصحابة في طلب قلادة لعائشة كانت فقدتها فادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي ﷺ وشكوا ذلك إليه لم ينكر عليهم ﷺ مع حديث البيهقي وغيره «لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور» . فكما أنه ﷺ لم ينكر عليهم حين صلوا لحرمة الوقت فكذلك غيرهم إذا عدم الماء والتراب ، فالحديث الأول مخفف في أمر الطهارة مشدد في أمر الصلاة ، والحديث الثاني مشدد في أمر الطهارة ولكل منهما وجه فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ قال : «لا يؤم المتيمم المتوضئين» وكره ذلك علي وابن عمر أيضا مع صلاة ابن عباس بجماعة من الصحابة وهو متيمم . وبه قال سعيد بن جبير<sup>(١)</sup> والحسن وعطاء والزهري . وما معه فيه تشديد والآثار بعده فيها التخفيف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث أبي داود في المراسيل أن رسول الله ﷺ اغتسل فرأى لمة<sup>(٢)</sup> على منكبه لم يصبها الماء فأخذ خصلة من شعر رأسه فعصرها على منكبه ثم مسح بيديه على ذلك المكان ، وحديث البيهقي أن رسول الله ﷺ مسح رأسه بفضل ماء كان في يده ، مع حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يأخذ لكل عضو ماء جديداً فالأول فيه تخفيف والثاني فيه تشديد ويحتمل أن الماء الذي

---

(١) سعيد بن جبير : الوالي مولاهم أبو محمد أحد الاعلام قتله الحجاج الثقفي لأنه خرج مع ابن الأشعث عام ٩٥ هـ .

(٢) ب فرأى لمة وهو أصبح أي قطعة من جسمه أما « لمة » الرجل تربه وشكله وفي الحديث « ليتزوج الرجل لمة » .

عصره ﷺ من شعره كان من ماء الغسلة الثانية أو الثالثة فرجعت المرتبتان بهذا الاحتمال الى واحدة .

ومن ذلك حديث مسلم مرفوعاً: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب»، وبه كانت عائشة وابن عباس وأبو هريرة<sup>(١)</sup> يفتنون الناس مع حديث البيهقي فاغسلوه ثلاثاً أو خمساً أو سبعمائة أو سبعاً فأول مشدد والثاني مخفف ، فيحمل الأول على القادر على السبع ويحمل الثاني على العاجز عنها .

ومن ذلك حديث مالك وغيره مرفوعاً : أن الهرة ليست بنجس وقول عائشة رضي الله عنها : رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ بفضله مع قول أبي هريرة رضي الله عنه : «يغسل الإناء من الهر كما يغسل من الكلب» . وفي رواية عنه : إذا ولغ الهر في الإناء غسل مرة أو مرتين بعد أن يهراق . فالحديث الأول فيه التخفيف ومقابله من قول أبي هريرة رضي الله فيه التشديد إن كان أبو هريرة رأى في ذلك شيئاً عن النبي ﷺ . فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً: «ما أكل لحمه فلا بأس بسوره»، وفي رواية له أيضاً لا بأس ببول ما أكل لحمه مع الأحاديث التي تعطي النجاسة في سائر أحوال الحيوانات فأول مخفف والأحاديث مقابله مشدد فرجع الأمر في ذلك إلى مرتبتي الميزان.

ومن ذلك حديث: «الماء طهور لا ينجسه شيء»<sup>(٢)</sup> . وفي رواية «الماء طهور كله لا ينجسه شيء» رواه البيهقي وغيره، ثم قال : وهو مخصوص بالإجماع لأن ما تغير من النجاسة فهو نجس قليلاً كان أو كثيراً فرجع الحديث قبل الإجماع والإجماع إلى مرتبتي الميزان .

---

(١) أبو هريرة : الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليمني واختلف في اسمه وأرجحها عبد الرحمن بن صخر وقيل ابن غنم كان مقدمه واسلامه في أول سنة سبع عام خير

مات سنة ٥٩ هـ وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله .

(٢) رواه الإمام البيهقي ورواه الإمام الطبراني في الأوسط .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ جعل لمسح الخف ثلاثة أيام. ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم ، الحديث بجميع طرقه مع حديث البيهقي رضي الله عنه عن خزيمة <sup>(١)</sup> قال : جعل لنا رسول الله ﷺ ثلاثاً ولو استزدته لزدني يعني المسح على الخفين وفي رواية له : وإيم الله لو مضى السائل في مسأله لجعلها خمساً . وفي رواية للبيهقي عن أبي ابن عمارة <sup>(٢)</sup> رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أمسح على الخفين . . ؟ قال : نعم .

فقلت يوماً : قال : ويومين .  
فقلت ويومين قال وثلاثة .

قلت : يا رسول الله وثلاثة قال : « نعم ما بدا لك » .  
وفي رواية قال : نعم وما شئت ، وفي رواية قال نعم : حتى عد سبعة ثم قال : ﷺ : « نعم وما بدالك » .

فحديث مسلم وغيره فيه تشديد وحديث البيهقي بجميع طرقه فيه تخفيف ويصح حمل الأول على حال الأكابر ، والثاني على حال غيرهم وبالعكس من حيث قوة حياة الأبدان وضعفها بفعل الطاعات أو المعاصي ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن معمر رضي الله عنه : ( إذا تخرق الخف وخرج منه الماء من مواضع الوضوء فلا تمسح عليه ) ، مع قول الثوري أمسح على الخفين وما تعلقا بالقدم وإن تخرقاً ، وقال كذلك كانت خفاف المهاجرين والانصار مخرقة مشققة ،

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الخطمي نسبة الى بني خطمة بطن من الانصار وخزيمة شهد أحد وصفين له ٣٨ حديثاً

(٢) أبي ابن عمارة له صحبة وله حديث في المسح على الخفين وروى عنه عباد بن أنس وأيوب بن قطن « الكشف للإمام الذهبي » تحقيق عزت علي عطية - موسى محمد علي

فقول معمر فيه تشديد وقول الثوري <sup>(١)</sup> فيه تخفيف ولم أجد في ذلك شيئاً عن رسول الله ﷺ إلا ما ورد في خبر المحرم الذي لم يجد النعلين ووجد الخفين من أمره ﷺ المحرم أنه يقطعها أسفل من الكعبين فإن في ذلك دلالة على أن الخف إذا لم يغط جميع القدم فليس هو بخف يجوز المسح عليه فرجع الأمر في ذلك الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»، وحديث البخاري «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل» مع حديث البيهقي مرفوعاً: «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت وتحزى عن الفريضة ومن اغتسل فالتغسل أفضل». فالأول فيه التشديد والثاني فيه التخفيف، وحمل بعضهم الأول على من كانت رائحته تؤذي الناس، والثاني على من ليس له رائحة كريهة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان.

قال بعضهم : وإنما خص ﷺ وجوب الغسل بالمحتلم لأنه هو الذي يظهر منه الصنآن الذي يؤذي الناس أو يضعف جسده بارتكاب المعاصي ، ومن شأن الغسل أن يزيل القدر وينعش البدن ، فلذلك أمر به المحتلم .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره في الحائض : (اصنعوا كل شيء إلا الجماع) . مع حديث عائشة أنه ﷺ كان لا يباشر الحائض إلا من وراء الثوب أو الازار . رواه البيهقي فالأول فيه التخفيف والثاني فيه التشديد ، وحمل بعض العلماء الأول على من يملك إدره ، والثاني على من لم يملك إدره ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك قول ابن عمر : وغيره في المستحاضة : إنها تغتسل من الظهر إلى الظهر وفي رواية عن عائشة رضي الله تغتسل عن كل يوم غسلًا واحداً مع قول علي وابن عباس رضي الله عنهما : تتوضأ المستحاضة عند كل صلاة، وكانت أم حبيبة بنت جحش <sup>(٢)</sup> تغتسل

---

(١) راجع ترجمة الإمام سفيان الثوري

(٢) أم حبيبة بن جحش بنت رثاب الأسدي أخت زينب بنت جحش وأخت حمه وأكثرهم يسقطون الماء فيقولون : أم حبيب ، كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ، وأهل السير يقولون : إن المستحاضة حمه .

عند كل صلاة من قبل نفسها لا بأمر رسول الله ﷺ فهم بين مخفف ومشدد فرجع الأمر  
إلى مرتبتي الميزان .

## فصل

في أمثلة مرتبتي الميزان من الأخبار والآثار من كتاب الصلاة الى الزكاة فمن ذلك حديث البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في إمامة جبريل بالنبي ﷺ : أن جبريل صلى برسول الله ﷺ العشاء حين غاب الشفق وأنه صلى به في المرة الثانية حين مضى ثلث الليل الأول وقال : الوقت ما بين هذين - يعني ما بين مغيب الشفق الى ثلث الليل الأول مع حديث ابن عباس أيضاً : وقت العشاء الى الفجر فالحديث الأول فيه تشديد لإيهامه خروج الوقت بمضي الثلث الأول من الليل ، وفي الثاني التخفيف لتأخره الى طلوع الفجر فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

وكذلك القول في أحاديث إمامة جبريل بالنبي ﷺ في صلاة العصر والصبح وقوله فيها الوقت ما بين هذين مع قوله عليه السلام في العصر وقت العصر ما لم تغرب الشمس ومع قوله في الصبح ما لم تطلع الشمس فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قوله : ﷺ « لا يؤذن إلا متوضئ » وقيل إنه من قول أبي هريرة مع حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه ، ومع قول إبراهيم النخعي <sup>(١)</sup> : كانوا لا يرون بأساً أن يؤذن الرجل على غير طهر ، وفي رواية وضوء فالحديث الأول مشدد ، والثاني وما معه مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ قال : « من أذن فهو

---

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ، كان عجباً في الورع والخير متوقفاً للشهرة رأساً في العلم مات سنة ٩٦ هـ وهو ابن تسع وأربعين وقيل ثمان وخمسين سنة .

يقيم» ، وفي رواية إنما يقيم من أذن مع حديثه أيضاً في قصة سبب مشروعية الأذان أن عبد الله بن زيد (١) قال : يا رسول الله أرى الرؤيا - يعني في كيفية الأذان ويؤذن بلال (٢) فقال رسول الله ﷺ : « فأقم أنت » . ففي الحديث الأول تشديد وفي الثاني تخفيف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره : أن رسول الله ﷺ جمع بين الأذان والإقامة لكل صلاة ليلة المزدلفة مع حديث مسلم أيضا : أنه صلاهما بأذان واحد وإقامتين ومع حديث أبي داود أنه ﷺ : صلى المغرب والعشاء بإقامة واحدة لكل صلاة ولم يناد في الأولى ، وفي رواية ولم يناد في واحدة منهما قال البيهقي : وهي أصح الروايات عن ابن عمر فالحديث الأول وما وافقه فيه التشديد وما قبله (٣) فيه التخفيف ، فرجع الأمر في ذلك إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تؤذن للنساء وتقيم مع رواية أنها كانت تصلي بغير إقامة ، فالرواية الأولى مشددة والأخرى مخففة فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً . وقيل إنه من قول ابن عمر : أنه يؤذن للصبح في السفر دون غيرها من الصلوات ، فإنه يقيم لها فقط مع ما صح من الأحاديث في الأذان في السفر للجماعة والمنفرد ، فالحديث الأول أو الأثر مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر في ذلك (٤) إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين : أمر بلال أنه يشفع الأذان ويوتر الإقامة مع

---

(١) عبد الله بن زيد بن تغلب بن عبد ربه الانصاري الذي أرى الأذان ، روى عنه ابنه وابن المسيب أيضا توفي سنة ٣٢ هـ

(٢) بلال بن رباح وامه حمالة مولاة بني جمح ، كان ممن سبق إلى الإسلام وكان مؤذن الرسول ﷺ له أربعة وأربعون حديثا توفي بدمشق في سنة ٢٠ هـ .

(٣) ب ومقابلة فيه

(٤) ب فرجع الأمر فيه



حديث البيهقي : أن رسول الله ﷺ قال لأبي مخذرة <sup>(١)</sup> حين علمه الأذان والإقامة : «الأذان والإقامة مثنى مثنى» وبعضهم حمل قوله مثنى على قوله : قد قامت الصلاة فقط فالأول فيه تخفيف في صفة الإقامة والثاني فيه تشديد وأما قول البعض المذكور ففيه تشديد في لفظ قد قامت الصلاة فقط فرجع الأمر فيه أيضا إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره : أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه بالتكبير ثم وضع يده اليمنى على يساره <sup>(٢)</sup> على صدره ، مع قول علي رضي الله عنه أن السنة وضع الكف على الكف تحت السرة ، فالأول مشدد من حيث كون مراعاتهما وهما تحت الصدر أشد <sup>(٣)</sup> من مراعاتهما تحت السرة: بدليل أن اليد تثقل وتنزل ، ويحتمل أن يكون علي رضي الله عنه رأى أيدي الصحابة تحت السرة حين ثقلت فظن أنهم وضعوها تحت السرة ابتداء والحال أنهم وضعوها تحت الصدر أولاً ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث الشيخين للمسيء صلواته وهو خلاد بن رافع <sup>(٤)</sup> الزرقى : «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن» مع حديث البيهقي وغيره عن أبي هريرة قال أمرني رسول الله ﷺ : أن أنادي : «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» . فما زاد فالأول مخفف والثاني مشدد وما ثم نسخ متفق عليه لأحد الحديثين فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره مرفوعاً : «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن فصاعداً» . مع رواية أقرأ بأم القرآن . أي فقط فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ، ومن ذلك حديث الشيخين عن أنس رضي الله عنه قال : صليت

---

(١) أبو مخذرة الجمحي المكي المؤذن أوس وقيل : سمرة صحابي توفي سنة ٥٩ هـ .

(٢) ب على يساره

(٣) ب اشد من

(٤) خلاد بن رافع : بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الانصاري الزرقى ، شهد بدرأ مع أخيه رفاعه بن رافع الزرقى ، يقولون : انه له رواية والله اعلم . « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » .

خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون الحمد لله رب العالمين لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لا في أول قراءة ولا في آخرها ، وفي رواية للشيخين عن أنس أيضاً : فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لابن حبان <sup>(١)</sup> والنسائي فلم أسمع أحداً منهم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم ، وغير ذلك من الأحاديث مع حديث البخاري وغيره عن أنس أنه قال : كانت قراءة رسول الله ﷺ مدأ <sup>(٢)</sup> يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم وبه قال ابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن عمر ، وروى ذلك أيضاً عن عمر وعن علي وابن الزبير <sup>(٣)</sup> رضي الله عنهم ، فالحديث الأول بجميع طرقه مخفف والحديث الثاني بجميع طرقه مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم والبيهقي : أن رسول الله ﷺ كان إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى يكون حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، وفي رواية للبخاري : كان يرفع يديه عند الإحرام وعند الرفع من الركوع ، وفي رواية لمالك وإذا كبر للركوع مع حديث البيهقي عن البراء بن عازب <sup>(٤)</sup> قال : رأيت رسول الله ﷺ : إذا افتتح الصلاة يرفع يديه ثم لا يعود ، ومع قول ابن مسعود لما صلى بالناس . لاصلين بكم صلاة رسول الله ﷺ فرفع مرة واحدة ومعلوم أن ذلك في حكم المرفوع ، فالحديث الأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

(١) أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصوفي المصري المحدث المؤرخ وهو حفيد يونس بن عبد الله الأعلى صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه توفي سنة ٣٤٧ هـ  
(٢) ب مدأ ثم يقرأ

(٣) عبد الله بن الزبير ١ - ٧٣ هـ بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي فارس قریش وأول مولود في المدينة بعد الهجرة ببيع له بالخلافة سنة ٦٤ عقيب موت يزيد ابن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخرسان والعراق ، سيروا اليه الحجاج الثقفي في أيام عبد الله بن مروان فانقل الى مكة وانتهت بمقتله مدة خلافته التي استمرت ٩ سنين له في الصحيحين ٣٣ حديثاً .

(٤) راجع ترجمة البراء بن عازب ص ٣٠٣ .

ومن ذلك حديث البخاري أن رسول الله ﷺ كان إذا قال : «سمع الله لمن حمده» قال : «اللهم ربنا لك الحمد» ، وقوله كان عبارة عن دوام ذلك وبه قال علي وابن سيرين <sup>(١)</sup> وعطاء وأبو بردة <sup>(٢)</sup> مع حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد» . وفي رواية للبيهقي إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده فليقل من خلفه ربنا لك الحمد مع ما أخذ به الشافعي حيث استحَب للمؤمنين الجمع بين الذكرين فالأول مشدذ والثاني مخفف بالنظر لمشاهد المصلين فمن رأى الإمام واسطة بينه وبين الله تعالى في الأخبار عن كونه تعالى قبل حمد المؤمنين قال : ربنا ولك الحمد على ذلك ، ومن حجب عن هذا المشهد قال : سمع الله لمن حمده تفاؤلاً بقبول حمده ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره : كان رسول الله ﷺ إذا سجد تقع ركبتاه قبل يديه وإذا رفع رفع يديه قبل ركبتيه وفي رواية لأبي داود : فإذا نهض على ركبتيه واعتمد على فخذه مع حديث أبي داود والبيهقي : أن رسول الله ﷺ قال : «إذا سجد أحدكم فلا يترك كما يترك البعير وليضع يديه ثم ركبتيه» ، فالحديث الأول مشدد والثاني مخفف باعتداده على يديه إذا قام من السجود ، فرجع الحديثان الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ : أمر بوضع الكفين في السجود يعني مكشوفتين ، وفي <sup>(٣)</sup> حديثه أيضاً : شكونا الى رسول الله ﷺ حر الرمضاء في جباهنا واكفنا فلم يكفنا <sup>(٤)</sup> مع حديث البيهقي عن بعض الصحابة أنه كان يسجد على الفرو الطويل الكامل للمشقة في إخراج يديه ، وكان النخعي يقول : كان الصحابة

---

(١) أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه وكان من سبي ميسان ويقال من سبي عين التمر وكان أبوه يعمل قدور النحاس وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وروى محمد المذكور عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين ولد لستين بقتنا من خلافة عثمان وتوفي سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري .

(٢) أبو بردة : هو بريد بن عبد الله من كبار الصحابة مات عام الجماعة .

(٣) ب وحديثه أيضاً

(٤) ب فلم يشكنا

يصلون في بشانفهم وبرانسهم وطياسهم ما يخرجون أيديهم ، وروى البيهقي أنه ﷺ صلى وعليه كساء ملتف به يضع يديه عليه يقبه برد الحصباء وفي رواية له يتقي بالكساء برد الأرض بيده ورجله ، فالحديثان الأولان مشددان ومقابلهما مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري وغيره في صفة قيام النبي ﷺ عن الجلوس عن مالك بن الحويرث <sup>(١)</sup> أنه كان يصلي للناس صلاة رسول الله ﷺ . فكان إذا رفع رأسه من السجدة الثانية جلس ثم اعتمد على الأرض مع حديث البيهقي عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا رفع رأسه يرجع من سجدة من الصلاة على صدور قدميه ويقول : إنما كان ﷺ يقوم معتمداً على يديه من أجل ضعف كان به ، فالحديث الأول مخفف والثاني مشدد فرجع الحديثان الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في الصلاة وضع ذراعه اليمنى على ركبته ورفع أصبعه السبابة قد أحناها شيئاً وهو يدعو لا يحركها ، مع حديثه أيضاً عن وائل بن <sup>(٢)</sup> حجر أنه رأى رسول الله ﷺ رفع إصبعه يحركها يدعو بها ومع حديثه أيضاً مرفوعاً تحريك الأصبع في الصلاة مذكرة للشيطان ، فالأول مخفف والثاني مشدد وسيأتي توجيههما في الجمع بين أقوال الأئمة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين عن عبد الله بن مسعود قال : علمني رسول الله ﷺ التشهد كفى بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن التحيات لله إلى آخره ، مع حديث عمرو بن العاصي أن صح أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قعد الإمام آخر

(١) مالك بن الحويرث : ابن أشيم الليثي يختلفون في نسبته الى ليث ولم يختلفوا أنه ليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة يكنى أبا سليمان ويقال مالك بن الحارث ، سكن البصرة ومات بها سنة أربع وتسعين ، روى عنه أبو قلابة وأبو عطية وسلمة الجرس .

(٢) وائل بن حجر أبو هنيده الكندي صحابي ، ذكره ابن سعد في من نزل الكوفة من الصحابة ، وقال ابن حبان في الصحابة : كان بقية أولاد الملوك بحضر موت وبشر به النبي ﷺ قبل قدمه وأقطعه أرضاً وكان موته في ولاية معاوية بن أبي سفيان .

ركعة من صلاته ثم أحدث قبل أن يتشهد فقد تمت صلاته » ، وفي رواية فأحدث قبل أن يسلم فقد جازت صلاته ، فالأول مشدد والثاني مخفف فيحمل الثاني على حال أصحاب الضرورات والأول على غيرهم كما هو الغالب على الناس فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم عن أبي موسى الأشعري <sup>(١)</sup> قال : كان أول ما يتكلم به رسول الله ﷺ إذا جلس للتشهد التحيات لله الى آخر الحديث <sup>(٢)</sup> مع حديث البيهقي عن جابر وعن عمر في إحدى الروايتين عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد بسم الله وبالله التحيات لله إلى آخره فالأول مخفف بترك التسمية والثاني مشدد بذكرها فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

وقال البخاري : حديث جابر خطأ فعلى ذلك يرجع الأمر إلى مرتبة واحدة كالحديث الذي ورد فرداً .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره السابق مرفوعاً : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » مع حديث الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه والبيهقي مرفوعاً من صلى خلف إمام فإن قراءة الإمام له قراءة .

قلت : وهذا محمول على حال الأكابر الذين يجتمعون بقلوبهم على حضرة الله تعالى إذا سمعوا قراءة إمامهم ، كما أن من يقرأ القرآن بعد قراءة إمامه كما سيأتي محمول على حال من لم يجتمع بقلبه على حضرة ربه بقراءة إمامه وبالأول قال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وجماعة من الصحابة والتابعين .

وفي حديث البيهقي مرفوعاً : «إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم» قالوا:

---

(١) أبو موسى الأشعري : أبو بردة عامر بن عبد الله الأشعري : كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ قدم عليه من اليمن في الأشعرين فأسلموا وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة وكانت وفاته سنة ١٠٣ هـ وقال ابن سعد مات وهو والشعبي في سنة واحدة رحمه الله .

(٢) ب إلى آخره

أجل يا رسول الله قال : « لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » . وفي رواية « لا تقرأوا بشيء إذا جهرتم إلا بأمر القرآن » . اهـ .

وقال عطاء كانوا يرون أن على المأموم القراءة فيما يسر فيه الإمام دون ما يجهر فيه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ، وسيأتي في توجيه الأقوال أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى كان يكتفي عن القراءة بذكر اسم الله تعالى في الصلاة ويقرأ قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (١) .

فإن (٢) ذلك محمول على من يحصل له جمعية القلب إذا ذكر اسم ربه .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره عن أنس أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو على قوم ثم تركه إلا في الصبح فلم يزل يقنت فيه حتى فارق الدنيا . وفي رواية للبخاري أن رسول الله ﷺ قنت في الركعة الأخيرة من الصبح بعدما قال « سمع الله لمن حمده » مع حديث البيهقي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما قنت رسول الله ﷺ في شيء من صلاته . وعن أبي غنيد (٣) قال : صليت خلف عبد الله بن عمر صلاة الصبح فلم يقنت فقلت له : لا أراك تقنت فقال : ما أحفظه عن أحد من أصحابنا . فالأول مشدد والثاني مخفف عند من لا يقول بالنسخ فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري مرفوعاً : « الفخذ عورة » . مع حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ حسر الإزار عن فخذه . الأول مشدد والثاني مخفف ويصح أن يكون الأول تشريعاً لأهل المروآت والثاني لأحد أئمة فرجع الأمر فيه الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ سأل عن الصلاة في الثوب الواحد فقال : « أو لكلكم ثوبان » . . ؟ . مع حديث مسلم مرفوعاً : « لا يصلين أحدكم في الثوب الواحد » . فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى

(١) سورة الأعلى آية رقم ١٥

(٢) راجع ترجمة أبي غنيد

(٣) ب وإن ذلك محمول

مرتبتى الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يجد في الصلاة شيئاً، فقال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً» مع حديث البيهقي مرفوعاً : «إذا قاء أحدكم في صلاته أو قلس فليتنصرف فليتوضأ ثم ليبن على ما مضى ما لم يتكلم» .

فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتى الميزان .

والقلس : هو غلبة القيء فمعنى الحديث إذا استقاء أحدكم أو غلبه . فهو نظير حديث من ذرعه القيء فلا بأس وإن اختلف حكم الصيام مع الصلاة .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره : أن جابراً أدرك رسول الله ﷺ وهو يصلي فسلم عليه فأشار ﷺ بيده الى الأرض يرد عليه . مع حديث البيهقي وغيره : «إن المصلي يرد بعد السلام» . فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتى الميزان .

ويصح حمل الأول على أكابر الدنيا من الملوك والأمراء والثاني على غيرهم من الأصاغر ممن لا يتأثر بعدم رد السلام عليه .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره مرفوعاً : « يقطع صلاة الرجل إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرجل المرأة والحمار والكلب الأسود» . مع حديث مسلم وغيره أيضاً عن عائشة (١) قالت كان رسول الله ﷺ : يصلي صلاته من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنابة . ومع حديث البخاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي والحجارة ترتع بين يديه والكلب يمر بين يديه لم يزجره . ومع قول عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يقطع صلاة المسلم شيء .

---

(١) عائشة : بنت الصديق الأكبر خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ . وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس هاجر بعائشة أبوها وتزوجها نبي الله قبل مهاجرة بعد وفاة خديجة وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً ودخل بها في شوال سنة اثنتين وهي ابنة تسع ، توفي رسول الله في بيتها وتوفيت سنة ٥٠ هـ ودفنت بالبقيع . رحمها الله .

فالأول مشدد والثاني مخفف عند من لا يقول بالنسخ فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ومن ذلك حديث الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أن رسول الله ﷺ قال لرجل صلى في بيته ثم جاء إلى المسجد : « إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت في بيتك » .

ونظائره من الأحاديث الأمرة بإعادة الصلاة في جماعة مع حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصلوا صلاة في يوم مرتين » وفي رواية « لا صلاة مكتوبة في يوم مرتين » . حتى كان ابن عمر إذا جاء والناس في صلاة مكتوبة يجلس ولا يصلي معهم ، ويحتمل أن يكون المراد لا تصلوا صلاة مكتوبة فرادى مرتين أو لا تصلوها مرتين خوفاً أن يأتي من بعدكم فيعتقد أنها فرض عليكم أو لا تصلوها مرتين على اعتقاد أنها فرض عليكم ثانياً فالحديث الذي يأمر بالإعادة في الجماعة مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن الحسن أنه كان يقول : من نسي القنوت في الصبح أو في الوتر سجد للسهو قياساً على من قام من ركعتين فلم يجلس ، مع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بالناس فلم يقنت . قال البيهقي : ولم ينقل عنه أحد من الصحابة أن ترك القنوت فسجد للسهو لأجله أبداً ، فالأثر الأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن عمران بن حصين <sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ تشهد بعد سجدة السهو ثم سلم ، مع حديث البيهقي أيضاً أنه ﷺ سلم ولم يتشهد ، ومع رواية أيضاً أنه ﷺ تشهد قبل السجدة ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

وسياتي توجيه القولين في الجمع بين أقوال الأئمة إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن

(١) راجع ترجمة عمران بن حصين ص ٢٠١ .



لم يذكر اسم الله عليه، ولا صلاة لمن لم يصل على نبي الله ﷺ . وقول الشعبي :  
من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته أو قال : لا تجزيه صلاته مع قول  
أبي مسعود البدري (١) : لو صليت صلاة لا أصلي فيها على محمد وآل محمد  
لرأيت أن صلاتي لا تتم .

فإن الحديث الأول وما معه يشير الى الوجوب والشرطية وقول أبي مسعود يسير  
الى الصحة مع النقص فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً «مفتاح الصلاة الطهور وإحرامها  
التكبير وإحلالها التسليم» . أي قول المصلي السلام عليكم مع قول الإمام أبي  
حنيفة رضي الله عنه : المراد بالتسليم التشهد ، وهو قول عبد الله بن مسعود (٢)  
رضي الله عنه ، حتى أنه لو أحدث قبل التسليم صحت صلاته فالحديث الأول  
على التفسير الأول مشدد والأثران بعده مخففان فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الإمام مالك والشافعي رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه أنه صلى بالناس صلاة المغرب فلم يقرأ شيئاً حتى سلم منها ، فلم سلم  
قيل له : إنك لم تقرأ شيئاً فقال: كنت أجهز . إبلأ إلى بلاد (٣) الشام فجعلت أنزلها  
منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعثتها وأقتابها وأحلاسها وأحماها قال النخعي : فأعاد  
عمر وأعادوا . مع رواية البيهقي عن عمر رضي الله عنه أنه قال حين أعلموه بأنه لم

---

(١) أبو مسعود البدري : لم يشهد بداراً على الصحيح وإنما نزل ماء بيدر فشهر بذلك وكان ممن شهد بيعة  
العقبة وكان شاباً من أقران جابر في السن ، روى أحاديث كثيرة وهو معدود في علماء الصحابة نزل  
الكوفة ومات قبل سنة ٤٠ هـ بالمدينة في خلافة معاوية رحمه الله

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل يصل نسبه الى مضر ويكنى بأبي عبد الرحمن الهزلي وأمه أم عبد بنت  
عبدود من هزيل ، أول من جهر بالقرآن بمكة هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وصلى الى القبلتين وشهد  
بداراً وأحدأ والخندق وبيعة الرضوان أجهز على أبي جهل يوم بدر شهد له الرسول بالجنة ، ولي بيت المال  
بالكوفة لعمر وعثمان وقدم المدينة ومات بها سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع ليلاً وكان عمره بضعا وستين سنة .

(٣) ب إبلأ الى الشام

يقرأ في المغرب شيئاً ؛ فكيف كان الركوع والسجود . . ؟ قالوا : حسنا قال : فلا بأس إذا .

ومع رواية البيهقي عن علي رضي الله عنه أن رجلاً قال له : إني صليت فلم أقرأ قال : أتممت الركوع والسجود قال : نعم قال : تمت صلاتك .

فالأثر الأول مشدد والأثران الآخران مخففان فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .  
وسياتي توجيه ذلك في الجمع بين أقوال الأئمة إن شاء الله تعالى وأنه يحتمل أن يكون المراد بالقراءة قراءة السورة بعد الفاتحة جمعاً بين الأحاديث والاعادة كانت باجتهاد منه .

ومن ذلك حديث الشيخين في باب إمامة الجنب أن رسول الله ﷺ أحرم بالصلاة ثم ذكر أنه جنب فانصرف فتطهر ثم جاء ورأسه تقطرماء فصل بهم أي ولم يأمرهم بالإعادة للإحرام . مع رواية البيهقي أن رسول الله ﷺ صلى بالناس وهو جنب فأعاد وأعادوا . وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وروى البيهقي أن عمر رضي الله عنه صلى بالقوم الصبح وهو جنب فأعاد ولم يأمرهم بالإعادة ، وروى مثل ذلك عن رسول الله ﷺ ، لكن في الحديث الأصغر . فالحديث الأول مخفف إن صح أنهم كانوا دخلوا في الإحرام والثاني مشدد مع أثر علي ومع إعادة رسول الله ﷺ وعمر دون القوم فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قول المسور بن مخرمة <sup>(١)</sup> كما رواه البيهقي أن من وجد في ثوبه أو نعله خبثاً وهو في الصلاة ألقاه عنه واستأنف الصلاة مع قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه يبني على ما مضى فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : «إذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر أفيهما خبث . . ؟ فإن وجد فيهما خبثاً فليمسحهما بالأرض ثم ليصل فيهما» .

---

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أمية الزهري صحابي صغير مات سنة ٦٤ هـ

وحديث البيهقي عن أم سلمة <sup>(١)</sup> رضي الله عنها أنها سألت عن المرأة تطيل ذيلها وتمشي في المكان القذر . . ؟ فقالت أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : « يظهره ما بعده » . وفي رواية <sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قلنا يا رسول الله إنا نريد المسجد فنطأ الطريق النجسة فقال النبي ﷺ : « الطرق يظهر بعضها بعضاً » .

وفي حديث البيهقي مرفوعاً : « إذا وطئ أحدكم بنعليه في الأذى فإن التراب له طهور » انتهى . مع ما أخذ به الإمام الشافعي وغيره مما يعطي وجوب غسل الثوب أو النعل إذا تنجس من القذر في الأرض فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد رأيتني أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ فركاً . وفي رواية <sup>(٣)</sup> فأحته عنه . وفي رواية أخرى للبيهقي : لقد رأيتني وأنا أمسحه - يعني المني - من ثوب رسول الله ﷺ ، وإذا جف حنته . مع رواية البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أصاب ثوبه المني غسل ما أصاب منه ثوبه ثم خرج إلى الصلاة وأنا أنظر إلى أثر البقع في ثوبه ذلك في موضع الغسل . فالأول مخفف والثاني مشدد سواء كان الغسل لنجاسة المني أو للنظافة فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره أن أعرابيا بال في المسجد فأمر النبي ﷺ أن

---

(١) أم سلمة : هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بنت عم خالد بن الوليد وبنت عم أبي جهل بن هشام . من المهاجرات الأول كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الله الأسد المخزومي الرجل الصالح ، دخل بها النبي سنة أربع من الهجرة وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين عمرت حتى بلغها مقتل الحسين ، عاشت نحو تسعين سنة توفيت سنة ٦١ هـ رضي الله عنها

(٢) ب وفي رواية له عن

(٣) ب وفي رواية له فأحته عنه

يصب عليه ذنوب من ماء . مع قول أبي قلابة <sup>(١)</sup> من كبار التابعين ومع قول الإمام أبي حنيفة زكاة الأرض ييسها . فالحديث الأول مشدد والأثر مخفف ولولا أن أبا حنيفة وأبا قلابة رأيا في ذلك شيئا عن رسول الله ﷺ ما قالاه وصرح بعضهم برفعه فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الحاكم وقال : إنه على شرط الشيخين مرفوعاً «من سمع النداء من جيران المسجد وهو صحيح من غير عذر فلم يجب فلا صلاة له» . وكان علي رضي الله عنه يقول : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد . فقليل له : من جار المسجد . ؟ فقال : من أسمعته المنادي .

قال البيهقي : وقد روى ذلك مرفوعاً مع ما ورد من تقريره ﷺ بعض الصحابة على صلاته وحده في بيته ولم يأمره بالإعادة ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك أثر عمر بن عبد العزيز في نهيه من لا يعرف أبوه أن يؤم بالناس مع قول الشعبي والنخعي والزهري : أنه يؤم ، فالأثر الأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قول ابن عباس فيما رواه البيهقي : لا يؤم الغلام حتى يحتلم مع حديثه عن عمرو بن سلمة <sup>(٢)</sup> أنه كان يؤم قومه في الفرائض والجنائز في المساجد وكان ابن سبع أو ست سنين ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي خلف الصف

---

(١) أبو قلابة الجرمي واسمه عبد الله بن زيد وكان ثقة كثير الحديث ومن أئمة التابعين روى عن عمر وابي هريرة وعائشة ومعوية وسمرة في سنن النسائي ، وعن ثابت بن الضحاك ومالك بن الحويرث وذلك في الصحاح وروى عنه قتاده ويحيى بن أبي كثير وأيوب وخلق ، هرب من القضاء فسكن داريا وتوفي سنة ١٠٤ و قيل : ١٠٧ هـ

(٢) عمرو بن سلمة الجرمي أم قومه زمن النبي ﷺ ، ولم يصح له سماع ولا رواية عن النبي ﷺ .

وحده فأمره أن يعيد الصلاة .

مع حديث البخاري ان أبا بكر دخل المسجد والنبي ﷺ راکع فرکع دون الصف فقال له النبي ﷺ « زادك الله حرصاً ولا تعد » ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث حذيفة نهى رسول الله ﷺ أن يقوم الإمام فوق ويبقى الناس خلفه ، وفي رواية له مرفوعاً : « لا يصلي الإمام على شيء أعلى مما عليه أصحابه » . مع ما رواه البيهقي عن صالح مولى التوأمة <sup>(١)</sup> قال : كنت أصلي أنا وأبو هريرة فوق ظهر المسجد نصلي بصلاة الإمام وذلك في المكتوبة ، فالأول مشدد والثاني مخفف ، ويصح حمل الأول على من فعل ذلك تكبراً والثاني على غير ذلك فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ جمع باربعين رجلاً وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين . وحديث البيهقي مرفوعاً : « ليس على ما دون الخمسين جمعة » . مع حديث البيهقي عن أم عبد الله الدوسية قالت : قال رسول الله ﷺ : « الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع . ونحو ذلك من الآثار . فالأول وما معه مخفف من حيث عدم الوجوب ، والثاني <sup>(٢)</sup> ومعه مشدد من حيث الوجوب فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الترمذي والبيهقي وغيرهما أن رسول الله ﷺ : كبر في الصلاة في عيد الفطر والأضحى سبعا في الأولى ومحساً في الثانية سوى تكبيرة

---

(١) صالح بن نيهان مولى التوأمة روى عن عائشة وأبي هريرة وعنه السفينان قال أبو حاتم : ليس بقوي

وقال أحمد صالح الحديث وقال ابن معين حجة قبل أن يختلطتوفي سنة ١٢٥ هـ

(٢) ب وما معه مشدد

الصلاة . مع حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الأضحى والفطر أربعاً تكبيره على الجنائز ، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : التكبير في العيدين خمس في الأولى وأربع في الثانية ، فالحديث الأول مشدد والثاني مخفف في العدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره : أن رسول الله ﷺ صلى الكسوف في كل ركعة أربع ركوعات . وفي رواية خمس ركوعات ، وفي رواية ثلاث ركوعات . مع حديث البخاري أنه ﷺ صلى لكسوف الشمس يوم مات ابنه إبراهيم ركعتين في كل ركعة ركوع واحد .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد أن رسول الله ﷺ صلى للكسوف ركعتين في كل ركعة ركوعان فالأول بجميع طرقه مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه كان لا يصلي للزلازل إذا وقعت ولا غيرها من الآيات كالظلمة أو موت أحد ما رواه الإمام الشافعي وغيره : أن علياً رضي الله عنه صلى للزلازل ست ركعات في أربع سجعات وخمس ركعات وسجدين في ركعة وركعة وسجدين في ركعة ، وثبت مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً ، كما ثبت عنه أنه خر ساجداً لما بلغه أن امرأة من أزواج النبي ﷺ ماتت ، فقليل له في ذلك فقال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم آية فاسجدوا »<sup>(١)</sup> ، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ ، وكان ذلك قبل طلوع الشمس ، فأثر عمر رضي الله عنه فحفف وأثر علي وما معه مشدد ويصح حمل الثاني على من تؤثر فيه الآيات ويعظم عنده الخوف من الله فيكون السجود كالماء الذي يصب على النار يخفف حرها ، والأول على من لم يكن عنده كل ذلك الخوف ، فرجع الأمر

---

(١) رواه الإمام أبو داود والإمام الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه ورمز له الإمام السيوطي في جامعه الصغير بالضعف .

الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره مرفوعاً : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

زاد في رواية البيهقي : « فمن تركها فقد كفر » . مع ما ورد في الأحاديث بعدم كفره ، الكفر الذي يخرج به عن الإسلام ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر فيه الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري وغيره : أن رسول الله ﷺ دفن شهداء أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ، ولم يغسلوا مع حديث البيهقي وغيره : أن رسول الله ﷺ صلى على شهداء أحد . فإن كان الحديث الأول هو الثابت كان مخففاً وإن كان الحديث الثاني هو الثابت كان مشدداً ، وإن كان الحديثان ثابتين حملت الصلاة على أنها <sup>(١)</sup> جماعة ماتوا بعد انقضاء الحرب ، أو على الدعاء فقط فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . فالتشديد هو صلاة الجنازة المعتادة والتخفيف هو الدعاء فقط .

ومن ذلك حديث الشيخين مرفوعاً : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم أو توضع » ، زاد في رواية البيهقي : وإن لم يكن أحدكم ماشياً معها .

وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام لها . فقيل : إنها جنازة يهودي فقال : أليست نفساً . ؟ وفي رواية للبيهقي : إنما قمت للملك وغير ذلك من الأحاديث الآمرة بالقيام مع حديث الشافعي ومالك ومسلم أن رسول الله ﷺ كان يقوم للجنازة ثم ترك القيام فلم يكن يقوم لها إذا رآها . فإن لم يثبت أن هذا ناسخ للأول فهو مخفف والأول مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ صلى على النجاشي <sup>(٢)</sup> وكبر أربعاً .

---

(١) ب على أنها على جماعة

(٢) أسلم النجاشي وإن كان قد أخفى إيمانه عن قومه وروى البخاري عن جابر قال قال رسول الله حين مات =

وروى البيهقي أن النبي ﷺ مر على قبر فكبر أربعاً وغير ذلك . من الأحاديث .

مع حديث مسلم وغيره أن النبي ﷺ كبر خمساً في صلاته على بعض أصحابه ، وصلى علي رضي الله عنه على سهل بن حنيف <sup>(١)</sup> فكبر عليه ستاً ، ثم التفت الى الناس وقال : إنه من أهل بدر ، وفي رواية للبيهقي أن علياً صلى على أبي قتادة <sup>(٢)</sup> فكبر عليه سبعا وكان بدرياً . قال العلماء وأكثر الصحابة على أن التكبير أربع ، فإن لم يثبت نسخ ما زاد على الأربع ، فالأول مخفف والباقي مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره عن عقبة بن عامر <sup>(٣)</sup> قال : ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا فذكر منها وحين تضيق الشمس للغروب حتى تغرب ، مع حديث مسلم وغيره أيضاً من دفنه ﷺ كثيراً من أصحابه ليلاً وتقريره لهم على ذلك ومع ما نقل عن عقبة أنه قيل له : أتدفن بالليل ؟ . فقال : قد دفن أبو بكر بالليل .

فالأول مخفف والثاني مشدد لمن يخشى المشقة بالليل فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ : صلى على جنازة فسلم تسليمه واحدة مع حديثه أيضاً عن عبد الله بن أبي أوفى <sup>(٤)</sup> أنه ﷺ صلى على جنازة فسلم

---

= النجاشي « مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحابه » وروى هذا من غير واحد من الصحابة . راجع البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧ .

- (١) سهل بن حنيف الأوسي بدري جليل روى عنه ابن أبي ليلى وأبو وائل مات سنة ٣٨ وكبر عليه ستاً  
(٢) أبو قتادة الانصاري فارس النبي ﷺ : الحارث ابن ربيع وقيل النعمان أو عمرو روى عنه ابن المسيب وابنه عبد الله في وفاته خلاف وقيل مات سنة ٥٤ هـ  
(٣) عقبة بن عامر الجهني صحابي كبير أمير شريف فصيح مقرئ فرض شاعر روى عنه علي بن رباح وأبو عشانة مات بمصر سنة ٥٨ هـ قال الواقدي ودفن بالمقطم  
(٤) عبد الله بن أبي أوفى الاسلمي له صحبة كآبيه روى عنه عمرو بن قره واسماعيل بن أبي خالد توفي



عن يمينه ويساره كالصلاة ذات الركوع والسجود ، فالأول مخفف والثاني مشدد ، وكذلك القول في حديث البيهقي عن أبي إمامة بن سهل <sup>(١)</sup> أنه كان إذا صلى على جنازة سلم تسليماً خفيفاً مع حديثه حديثه أيضاً أن ابن عمر كان إذا صلى على جنازة يسمع من يليه ، فرجع الأمر الى تخفيف وتشديد كما في الميزان .

ويصح حمل الجهر على الأقوياء من الناس ، وعدم الجهر على من أثر فيه الحزن على ذلك الميت ، وعمته الخشية والخوف فلم يستطع الجهر كما كان عليه السلف الصالح ، حتى ربما كان أحدهم إذا صلى على جنازة لا يقدر على المشي فيرجعون به في النعش .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره مرفوعاً عن عائشة أن رسول الله ﷺ صلى على سهل بن بيضاء <sup>(٢)</sup> في المسجد ، فلما أنكر بعض الناس ذلك قالت : ما أسرع ما نسي الناس .

وروى البيهقي أن أبا بكر وعمر صلى عليهما في المسجد مع حديث التوأمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له » .

قال صالح : فكانت الجنازة توضع في المسجد فرأيت أبا هريرة إذا لم يجد موضعاً إلا في المسجد انصرف ولم يصل عليه .

فالحديث الأول وما معه مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان إن

---

بالكوفة سنة ٨٦ هـ وهو آخر الصحابة موتاً بالكوفة وفي البخاري في باب الجهاد ما يدل على أنه شهد الخندق .

(١) أبو إمامة بن سهل بن وهب الانصاري من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس سمى رسول الله ﷺ باسم جده ، توفي سنة مائة وهو ابن نيف وتسعين سنة روى الليث بن سعد عن يونس عن ابن شهاب قال أخبرني أبو إمامة بن سهل وكان ممن أدرك النبي قال أبو عمر : يعد في كبار التابعين .

(٢) سهل بن بيضاء : من المهاجرين يكنى أبا موسى هاجر الهجرة إلى الحبشة في رواية ابن اسحاق والواقدي شهد بدرًا وهو ابن أربع وثلاثين سنة وشهد أحد ومات بعد رجوع الرسول ﷺ من تبوك ، بالمدينة سنة تسع ولم يعقب رحمه الله .

لم يثبت نسخ لأحد الحكمين ، وسيأتي توجيه ذلك في الجمع بين أقوال المذاهب .  
ومن ذلك حديث مسلم مرفوعاً : « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » قالوا وما  
الوجوب يا رسول الله . . ؟

قال : « إذا مات » .

مع حديث البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ نعى جعفر (١) وزيد بن  
حارثة (٢) وعبد الله بن رواحة (٣) وعيناه تذرفان ومع خبر مسلم وغيره : أن رسول  
الله ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله .

ومع حديث البيهقي أن عمر انتهر نساء يبكين مع الجنازة فقال له رسول الله  
ﷺ : « دعهن يا عمر فإن العين باكية دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد  
قريب » .

ومع الحديث الثابت عنه « أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن  
القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم » ، فالحديث الأول مشدد  
بإباحة البكاء الى الموت فقط والثاني مخفف بإباحة البكاء قبل الموت وبعده ، فرجع  
الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره عن أم عطية (٤) قالت نهينا عن اتباع الجنائز ولم  
يعزم علينا ، مع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ رأى نسوة جلوساً ينتظرن الجنازة

---

(١) جعفر بن ابي طالب : السيد الشهيد الكبير الشأن علم المجاهدين أبو عبد الله ابن عم رسول الله هاجر  
المهجرين وهاجر من الحبشة الى المدينة فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها فأقام بالمدينة ثم كان قائداً  
في غزوة مؤتة استشهد فيها بناحية الكرك . رحمه الله .

(٢) زيد بن حارثة الكلبي ، مولى رسول الله ﷺ من السابقين الأولين روى عنه ابنه وابن عباس والبراء  
واستشهد يوم مؤتة سنة ٨ هـ .

(٣) عبد الله بن رواحة الأنصاري الأمير بدري نقيب استشهد بمؤتة روى عنه أنس بن مالك وابن عباس  
ومناقبه مستوفاة في تاريخ دمشق .

(٤) نسيبة بنت كعب أم عطية الأنصارية صحابية جليلة روى عنها محمد وحفصة ابنا سيرين وعبد الملك بن  
عمير .

فقال : أتحمّلن فيمن يحمل . . ؟ قلنا : لا

قال : فتدلين فيمن يدلي قلن لا

قال : فتغسلن فيمن يغسل قلن : لا

قال : «فارجعن مأزورات غير مأجورات» .

ومع حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ رأى فاطمة <sup>(١)</sup> راجعة من تعزية لأهل ميت فقات لها : « والسدي نفسي بيده لو بلغت معهم الكداء يعني « القبور » ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك » .

فقول أم عطية ولم يعزم علينا فيه تخفيف وقوله : فيه مأزورات غير مأجورات <sup>(٢)</sup> وما بعده فيه التشديد في النهي فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) سيدة نساء العالمين في زمانها ، البضعة النبوية بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ ، مولدها قبل البعثة بقليل وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب من سنة اثنين بعد وقعة بدر ودخل بها بعد وقعة أحد فولدت له الحسن والحسين ومحسنا وأم كلثوم وزينب وروت عن أبيها وروى عنها ابنها الحسين وعائشة وأم سلمة وأنس بن مالك وغيرهم ، توفيت بعد النبي بخمسة أشهر وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة

(٢) رواه ابن ماجه عن علي ، وأبو يعلى عن أنس ، وفيه الاتباع إذ قياسه موزوران بالواو لانه من الوزر وهو الإثم لا من الأزر بالفتح وهو القوة لكنه همز اتباعاً للمأجورات على حد قوله تعالى: ﴿اللّٰهُ يبدىء الخلق ثم يعيده﴾ . على قراءة يبدىء بضم أوله .

## فصل

في أمثلة مرتبتي الميزان من الزكاة الى الصوم .

فمن ذلك ما رواه البيهقي عن ابن عمر قال : ليس في مال العبد ولا المكاتب زكاة حتى يعتق ، مع قوله أيضا حين سأل هل في مال المملوك زكاة . . ؟

فقال : في مال كل مسلم زكاة في مائتين خمسة فما زاد فبالحساب أي في مائتي درهم فضة ، فالأول مخفف والثاني مشدد ، ويصح حمل الاول على من كان عبداً لأهل الشح والبخل والثاني من حيث عمومته للعبد على من كان عبداً لأهل الكرم والسخاء ، من حيث أن الزكاة متعلقة بعين ذلك المال لا بالملكف ، مع أن الرقيق عبد الله كما أن سيده عبد الله وكما أن سيد العبد مستخلف في مال الله فكذلك العبد مستخلف في مال سيده الأصغر فرجع الامر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث أبي داود والبيهقي وغيرهما في الصدقات عن معاذ<sup>(١)</sup> بن جبل أن رسول الله ﷺ : لما بعثه إلى اليمن قال : « خذ الحب من الحب والشاة من الغنم ، والبعير من الإبل ، والبقرة من البقر » مع حديث البيهقي عن طاووس<sup>(٢)</sup>

---

(١) معاذ بن جبل الخزرجي ، من نجباء الصحابة روى عنه عبد الرحمن بن غنم ومسروق وكثير بن مرة ، قال انس : جمع معاذ القرآن في حياة الرسول ﷺ وقال ابن مسعود : كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام ، كان أمة قانتا لله حنيفا توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ بالاردن عن ثمان وثلاثين سنة .

(٢) طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليمني ، من أبناء الفرس ، وقيل اسمه ذكوان قال : ابن معين لانه كان طاووس القرآن روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا مثله قط ، مات بمكة سنة ١٠٦ هـ .

قال : قال معاذ بن جبل اتوني بخميص أو ليس آخذه منكم مكان الصدقة ، وفي رواية مكان الجزية ، فإنه أهون عليكم ، وخير للمهاجرين بالمدينة فالاول مشدد لتنصيبه على أخذ الواجب من عين كل جنس ولنقله في بعض الاحاديث إلى بدل معين في الحيوانات والثاني مخفف لأخذه عن الجنس غير الجنس من المتقومات فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان إن لم يثبت نسخ لإحدى الروايتين أو تصحيح لرواية الجزية مكان الصدقة ، ورواية البيهقي أيضاً أن رسول الله ﷺ مر على ناقة مسنة في إبل الصدقة فغضب وقال : « قاتل الله صاحب هذه الناقة » .

فقال : يا رسول الله إني ارتجعتها ببعيرين من حواشي الصدقة .

قال : « فنعنم إذن » .

وفي رواية أنه رأى في إبل الصدقة ناقة كوما فسأل عنها فقال المصدق : ( إني أخذتها بإبل فسكت ) .

ففيه جواز أخذ القيمة في الزكوات .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ قال : « ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة » .

وفي رواية للبيهقي وغيره مرفوعاً : « ليس في الخيل والرقيق زكاة إلا زكاة الفطر في الرقيق » .

مع حديث مسلم وغيره مرفوعاً : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها » . إلى أن قيل : يا رسول الله فالخيل قال : « الخيل ثلاثة هي لرجل وزر ولرجل أجر ولرجل ستر ، فأما الذي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله تعالى في ظهورها ولا رقابها » . وفي رواية لا ينسى حق الله تعالى في ظهورها ويطونها في عسرها ويسرها ، ومع حديث البيهقي مرفوعاً « في الخيل السائمة في كل فرس دينار » .

ومع رواية البيهقي عن عمر بن الخطاب أنه ضرب على كل فرس ديناراً

ديناراً ، فالأول وما معه مخفف بالعفو عنها ، والثاني وما معه مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الشريعة .

ومن ذلك حديث البيهقي عن أبي موسى <sup>(١)</sup> ومعاذ أن النبي ﷺ قال لهما لما بعثهما الى اليمن : « لا تأخذا في الصدقة إلا من هذه الاصناف الأربعة : الشعير ، والحنطة ، والزبيب والتمر . » مع حديث الشافعي ومالك عن أبي شهاب الزهري في الزيتون العشر يأخذ من عصر زيتة <sup>(٢)</sup> يوم يعصره فيما سقت السماء والأنهار أو كان بعلا العشر ، وفيما سقى برشاء الناضح نصف العشر ، وبه قال عمر بن الخطاب : إذا بلغ حبه خمسة أو سق فيعصر ويؤخذ عشر زيتة ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « العسل في كل عشرة زقاق زق » وفي رواية <sup>(٣)</sup> أن رجلاً قال يا رسول الله : إن لي نحلاً قال : « أد العشر » قال : يا رسول الله احم لي جبله فحماء له .

مع ما رواه الشافعي ومالك أن رجلاً جاء الى عمر بن عبد العزيز فقال : هل عليّ في العسل صدقة . . ؟

قال : لا ليس في الخيل ولا في العسل صدقة ، وبه قال علي ومعاذ والحسن فالأول مشدد والثاني وما معه مخفف إن لم يثبت نسخه .

ومن ذلك رواية البيهقي عن عمر رضي الله عنه ليس في الخضروات صدقة ، وروايته عن علي ( ليس في الخضر والبقول صدقة ) وبه قال عطاء ، وقال : ليس في شيء من الخضروات صدقة والفواكه كلها صدقة أي فيها صدقة .

---

(١) راجع ترجمة أبو موسى الأشعري ص ٢٨١ .

(٢) ب من عصر زيتونه

(٣) ب وفي رواية له

مع حديث مسلم <sup>(١)</sup> وغيره فيما سقت السماء والعيون أو كان عشرياً أي يسقى من السحاب العشر ، فعم كل نبات ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك رواية الشافعي ومالك والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( ليس في الحلى زكاة ) مع رواية البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب الى أبي موسى الأشعري : أن مر من قبلك من نساء المسلمين أن يصدقن حليهن .

قال عبد الله بن مسعود : إذا بلغ ذلك مائتي درهم ، فالاول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ويصح حمل الاول على حلي المرأة الفقيرة عرفاً والثاني على أهل الثروة والغنى .

ومن ذلك رواية البيهقي عن ابن عمر وغيره أنهم كانوا يقولون : ( من اسلف مالاً فعليه زكاته في كل عام إذا كان في يد ثقة ) .

وفي رواية عن ابن عمر وعثمان : ما كان من دين في يد ثقة فهو بمنزلة ما في أيديكم وما كان من دين مظنون فلا زكاة فيه حتى يقبضه ، مع قول عطاء وغيره : ( ليس عليك في دين لك زكاة وإن كان في يد مليء ) وبه قال عمر وعائشة وعكرمة فالاول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري <sup>(٢)</sup> وغيره عن ابن عمر فرض رسول الله ﷺ صدقة

---

(١) الإمام مسلم ٢٠٤ - ٢٦١ هـ - ٨٢٠ - ٨٧٥ م مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسن حافظ من أئمة المحدثين ، ولد بنيسابور ورحل الى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وتوفي بظاهر نيسابور ، من أشهر كتبه صحيح مسلم والمسند الكبير ، والطبقات ، وأوهام المحدثين .

(٢) محمد بن اسماعيل البخاري ١٩٤ - ٢٥٦ هـ - ٨١٠ - ٨٧٠ م ابن ابراهيم بن المغيرة البخاري - جبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الصحيح المعروف باسمه ولد في بخارى وقام برحلة نحو خراسان والعراق ومصر والشام وسمع من ١٠٠٠ شيخ أقام في بخارى فرموه بالتهمة فأخرج الى خرتنك من قرى سمرقند فمات بها رحمه الله .

رمضان) صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير) وفي رواية صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب ، مع حديث البيهقي وأبي داود إن صح أو صاعاً من دقيق .

فالاول مشدد من حيث تعين إخراج الحب ، والثاني مخفف كما ترى فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ : « إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة فلها أجرها وله مثله » وفي رواية وللخازن مثل ذلك « بما اكتسب ولها بما انفق لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً » .

مع رواية البيهقي عن أبي هريرة أنه سأل عن المرأة تصدق من بيت زوجها .. ؟ قال : لا إلا من قوتها والاجر بينهما ولا يحل لها أن تصدق من مال زوجها إلا بإذنه وغير ذلك من الآثار فالاول مخفف على المرأة ، والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ويصح حمل الاول على زوجة الرجل الكريم الراضي بذلك وحمل الثاني على زوجة البخيل ، ومن ذلك حديث مسلم وغيره لا تسألوا الناس شيئاً فمن سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جراً فليستقل منه أو ليكثر مع حديث البيهقي وغيره عن الفراس<sup>(١)</sup> رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ أسأل يا رسول الله قال : « لا ولئن كنت سائلاً ولا بد فأسأل الصالحين » .

وفي رواية « المسائل كدوح » وفي رواية ( غموش في وجه صاحبها يوم القيامة ) فمن شاء أبقي على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل الرجل في أمر لا يجد منه بدا أو ذا سلطان ، ومع حديث البيهقي أيضاً : ( ما المعطي بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً ) فالاول فيه تشديد ومقابله فيه تخفيف كما ترى ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) فراس بن يحيى الحمداني الكوفي روى عن الشعبي وأبي صالح وروى عنه شعبة وأبو عوانة مات سنة



## فصل

في أمثلة مرتبتي الميزان من الصيام الى الحج .

فمن ذلك ما روى مسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يأتينا فيقول : « هل عندكم من غذاء .. ؟ » .

فأقول : لا ، فيقول : « إني صائم » وفي رواية فيقول : « إذاً أصوم » مع رواية الشافعي والبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه أنه كان إذا بدا له الصوم بعد ما زالت الشمس صام ومع قول ابن مسعود : ( وأحدكم بالخيار ما لم يأكل أو يشرب ) .

فالأول مشدد باشتراط النية قبل الزوال ، والثاني مخفف بجعل النية قبل الزوال وبعده الى قرب الغروب ، ودليل من أوجب تبين النية في صوم النفل قوله ﷺ : « من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له » <sup>(١)</sup> فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن عائشة أنها سألت عن صوم اليوم الذي يشك فيه ، فقالت : ( لأن أصوم يوماً من شعبان أحب إلى من أن أفطر يوماً من رمضان ) .

مع حديث البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا مضى النصف من شعبان فأمسكوا عن الصيام حتى يدخل رمضان » وفي رواية : « إذا انتصف شعبان فلا

---

(١) رواه الدارقطني في السنن والبيهقي في السنن عن عائشة رضي الله عنها .

تصوموا» وفي رواية للبيهقي عن أبي هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ أن يعجل شهر رمضان بصوم يوم أو يومين إلا رجلاً كان يصوم صياماً فيأتي على صيامه ومع قول أبي هريرة من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ فالاول مخفف في الصيام من شعبان والثاني مشدد في منع صيامه .

وسياتي توجيه مذهب الأئمة الأربعة في الجمع بين أقوالهم فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين عن عائشة قالت : ( كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من رمضان من جماع غير احتلام فيدركه الفجر فيغتسل ويصوم ) مع قول أبي هريرة رضي الله عنه في رواية البيهقي من صام جنباً أفطر ذلك اليوم ، فإن لم يثبت نسخ قول أبي هريرة رجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث أبي داود والبيهقي مرفوعاً : «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض» مع رواية البيهقي عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر، ومع روايته أيضاً مرفوعاً : «لا يفطر من قاء ولا من احتلم»، فالروايات<sup>(١)</sup> بين مخفف ومشدد ومفصل فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان كما ترى .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً ، «ليس من البر الصيام في السفر» مع حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ صام في السفر والحر الشديد ومع رواية مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن .

وكان أنس بن مالك<sup>(٢)</sup> يقول للسائل : إن أفطرت فرخصة الله وإن صمت فهو

(١) ب فالروايات ما بين

(٢) أنس بن مالك : الصحابي ، خادم الرسول ﷺ عشر سنين شهد بدرأ وله الف ومائتا حديث جاوز المائة وكان موته بالبصرة سنة ٩٣ هـ

أفضل « فالأول مخفف والثاني مشدد ولو في أحد شقي حديث التفصيل فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن حسين بن الحارث الجدلي<sup>(١)</sup> قال : سمعت خطيب مكة يقول : ( عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية فإن لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما ) ثم قال : ( إن فيكم من هو أعلم بالله ورسوله مني وشهد هذا - يعني الأمر من رسول الله ﷺ وأوماً بيده الى رجل ) قال البيهقي هو ابن عمر .

مع حديث البيهقي أن عمر بن الخطاب والبراء بن عازب<sup>(٢)</sup> قبلوا شهادة رجل واحد في هلال رمضان وأمر الناس بصيامه ، فالأول مشدد من حيث اشتراط العدد في الشهود مخفف من حيث الصوم ، والثاني بالعكس فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين عن عائشة مرفوعاً : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » مع رواية البيهقي عن عائشة وابن عباس : « لا يصم أحد عن أحد » وفي رواية عن عائشة « لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم » فالأول مخفف بالصوم والثاني مشدد بالإطعام ، ويصح أن يكون الأمر بالعكس في حق أهل الرفاهية والغنى ، فإن الإطعام عندهم أهون من الصوم فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك رواية البيهقي عن عائشة وأبي عبيدة بن الجراح أنها كانا يقولان ( من كان عليه قضاء رمضان فإن شاء قضاها مفرقاً وإن شاء متتابعاً ) مع حديث البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً : « من كان عليه صوم من رمضان فليسرده ولا يفطر » وبذلك قال علي وابن عمر ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) الحسين بن الحارث الجدلي : نسبة الى جديلة موضع في طريق البصرة روى عن ابن عمرو والنعمان بن بشير وروى عنه يحيى بن أبي زائدة وأبو مالك الأشجعي .

(٢) البراء بن عازب أبو عمارة نزل الكوفة له ثلاثمائة حديث وخمسة أحاديث روى عنه علي بن ثابت وأبو إسحاق، شهد أحد ومات بعد السبعين .

ومن ذلك رواية البيهقي عن عمر بن عبيد الله بن أبي رافع أن رسول الله ﷺ كان يكتحل بالإثمد وهو صائم ، وكان يقول : « عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » مع حديث البخاري في تاريخه والبيهقي عن أبي النعمان الأنصاري<sup>(١)</sup> قال : حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال له : « لا تكتحل بالنهار وأنت صائم اكتحل ليلاً الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » فالأول مخفف من حيث الاكتحال في الصوم والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري أن رسول الله ﷺ احتجم وهو صائم مع حديثه أيضاً مرفوعاً : « أفطر الحاجم والمحجوم » فالأول مخفف والثاني مشدد إن لم يثبت نسخه وسيأتي توجيه ذلك في الجمع بين أقوال أئمة المذاهب فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره عن عائشة أنها قربت إلى رسول الله ﷺ حيساً<sup>(٢)</sup> فأكل منه وقال : « قد كنت أصبحت صائماً » مع حديث عائشة أنها قالت : ( أهدي إلينا حيس وقد أصبحت صائمة ) فقال ﷺ : « قريبه واقضي يوماً مكانه » فإن ثبت أمره لها بالقضاء كان الأول مخففاً والثاني مشدداً فيحتمل الندب لا الوجوب وعكسه ، وعليه فيرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك رواية البيهقي عن عائشة وابن عباس وغيرهما : « لا اعتكاف إلا بصوم » مع حديث البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً : « ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه » فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

---

(١) أبو النعمان الأنصاري : روى عن ابن أبي وقاص وروى عنه علي بن عبد الأعلى ذكره ابن حبان في الثقات .

(٢) الحيس : الخلط ومنه سمى الحيس وهو تمر يخلط بسمن وأقط .

## فصل

في أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب الحج الى كتاب البيع .

فمن ذلك حديث مسلم وغيره في حديث الإسلام أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال : يا محمد ما الإسلام قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان .. » الحديث .

وحديث البيهقي عن رجل من بني عامر قال : يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال : « احجج عن أبيك واعتمر » وكان عبد الله ابن عون<sup>(١)</sup> يقرأ ... « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ »<sup>(٢)</sup> فهي واجبة كالحج انتهى مع حديث البيهقي مرفوعاً « الحج جهاد والعمرة تطوع » وحديثه عن جابر قال : قلت يا رسول الله : العمرة واجبة وفريضتها كفريضة الحج .. ؟ قال : « لا وأن تعتمر خير لك » .

وكان الشعبي يقرأ « واتموا الحج والعمرة لله » أي برفع العمرة ويقول هي

---

(١) عبد الله بن عون أبو عون المزني أحد الأعلام مولى عبد الله بن معقل روى عن أبي وائل وإبراهيم ومجاهد وعنه شعبة والقطان ومسلم، قال هشام بن حسان لم تر عيناى مثله، وقال قره : كنا نعجب من ورع ابن سيرين فأنساناه ابن عون وقال الأوزاعي : إذا مات ابن عون وسفيان استوى الناس، توفي رحمه الله سنة ١٥١ هـ.

(٢) سورة البقرة آية ١٩٦

تطوع ، فالأول مشدد في العمرة والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر<sup>(١)</sup> : أنها كانت تلبس المعصفرات المشبعات وهي محرمة ليس فيها زعفران . ورواية البيهقي أن عائشة كانت تلبس الثياب الموردة بالعصفر الخفيف وهي محرمة مع رواية أبي داود وغيره : أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ بثوب مشبع بعصفر فقالت : يا رسول الله إنني أريد الحج فأحرم في هذا ؟

فقال : « لك غيره » .

قالت : لا .

قال : « فأحرمي فيه » .

فالاول مخفف والثاني مشدد في أحد شقي التفصيل فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم مرفوعاً : « أيما صبي حج فقد قضت عنه حجته ما دام صغيراً فإذا بلغ فعليه حجة أخرى » مع قول بعض الصحابة (إن كان قاله عن توقيف أنه لا يلزمه حجة أخرى بعد البلوغ فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان) .

---

(١) أسماء بنت الصديق وأم ابن الزبير من المهاجرات ، روى عنها ابنها عروة وعبد الله وحفيدها عباد ، عمرت نحو المائة وعاشت بعد صلب ولدها عشر ليال ماتت بمكة سنة ٧٣ هـ رحمه الله .

## فصل

في أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب البيع الى الجراح .

فمن ذلك حديث مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الغرر وعن بيع الحصاد ، مع رواية البيهقي أن رسول الله ﷺ قال : « من اشترى شيئاً لم يره فهو بالخيار إذا رآه ، إن شاء أخذه ، وإن شاء تركه » .

وكان ابن سيرين يقول : إن كان على ما وصفه له فقد لزمه ، فالأول مشدد من حديث شموله لما لم يره ، والثاني إن صح الحديث فيه ، مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين مرفوعاً : « المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار » وفي رواية لمسلم : « ما لم يتفرقا أو يكون بيعهما على خيار » مع قول عمر رضي الله عنه : ( البيع صفقة أو خيار ) فالأول مخفف لأن فيه التخيير بعد العقد وقبل التفرق وأثر عمر رضي الله عنه مشدد إن صح لأنه لم يجعل لهما بعد الصفقة خياراً فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ : نهى عن بيع الغرر مع رواية البيهقي أن رسول الله ﷺ أجاز بيع القمح في سنبله إذا ابيض فالأول مشدد في عدم صحة كل ما فيه غرر والثاني مخفف إن صح ويكون خاصاً استخرج من عام ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك رواية البيهقي والإمام الشافعي عن سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup> أنه باع حائطاً له فأصابته مشتره جائحة فأخذ الثمن منه مع حديث الشيخين : أن رسول الله ﷺ قال : « أرأيت إذا منع الله التمر فيما يأخذ أحدكم مال أخيه » ومع حديث البيهقي عن جابر أن النبي ﷺ قال : « إن بعث من أخيك تمرأ فأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً بما تأخذ مال أخيك بغير حق . . ؟ »

ومع حديث مسلم أن رسول الله ﷺ : أمر بوضع الجوائح فالأول مشدد إن كان سعد بلغه فيه شيء عن النبي ﷺ والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ : نهى عن بيع وشرط مع حديث البخاري أن رسول الله ﷺ ابتاع جملاً فاستثنى عليه صاحبه حملانه إلى أهله فلما قدم الرجل إلى أهله : أتى النبي ﷺ فنقد ثمنه ثم انصرف فبعض طرق حديث البخاري يدل على أن ذلك كان شرطاً في البيع وبعضها يدل على أن ذلك كان تفضلاً وتكرماً ومعروفاً بعد البيع من رسول الله ﷺ . فإن حملنا الحديث الأول على أن ذلك الشرط كان في صلب العقد كان مخففاً وإلا فهو مشدد ورجع الأمر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ : نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن مع حديث البيهقي نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب صيد وفي رواية إلا كلباً ضارياً فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن السنور وفي رواية عن ثمن الهر مع قول عطاء إن كان بلغه في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ لا بأس بثمن السنور فالأول مشدد والثاني مخفف سواء حملنا الأول على التحريم أو كراهة التنزيه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) سعد بن أبي وقاص ، مالك بن أبيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري فارس الإسلام ، وأحد العشرة ، روى عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة ، أسلم سابع سبعة ومناقبه حجة توفي سنة ٥٥ هـ .



ومن ذلك رواية البيهقي عن ابن عباس وغيره أنه كره بيع المصحف وإن يجعل للتجارة مع روايته عن الحسن والشعبي أنها كانا لا يريان بذلك بأساً فالأول مشدد تعظيماً لله (١) تعالى والثاني مخفف طلباً للوصول الى الانتفاع به بتلاوة أو غيرها من القربات فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك حديث ابي داود والبيهقي أن رجلاً جاء الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله سعر لنا فقال : « إن الله تعالى يخفض ويرفع وإني لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس لأحد عندي مظلمة » .

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى هو المسعر القابض الباسط الرازق » مع رواية مالك والشافعي عن عمر رضي الله عنه أنه سعر فالأول مخفف والثاني مشدد إن لم يكن عمر فعل ذلك من قبل نفسه فقد جاء من طريق أنه رجع عن التسعير وقال : إنما قصدت بذلك الخير للمسلمين ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : « لا يغلق الرهن بالرهن من صاحبه الذي رهنه . له غنمه وعليه غرمه » ومعنى لا يئمن أي لا يمنع صاحب الرهن من مبايعة المرتهن أي إن لم أوفك إلى كذا وكذا فهو لك ، والمراد بغنمه زيادته وبغرمه هلاكه أو نقصه مع حديثه أيضاً مرفوعاً : « الرهن بما فيه » أي فإذا رهن شخص فرساً مثلاً فنفق في يده فذهب حق المرتهن فالأول مشدد في الضمان والثاني مخفف لعدم الضمان فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ : باع حراً أفلس في دين كان عليه مع حديث مسلم : أن رسول الله ﷺ قال في رجل أصيب في ثمار ابتاعها فكثر دينه : « تصدقوا عليه » فتصدقوا عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله ﷺ : « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » فالأول مشدد لولا معارضة الإجماع له والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) ب تعظيماً لكلام الله تعالى

ومن ذلك حديث الشيخين عن ابن عمر قال : عرضني رسول الله ﷺ في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني فلما كان يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة أجازني مع حديث رواه محمد بن القاسم <sup>(١)</sup> مرفوعاً : «رفع القلم عن ثلاث عن الغلام حتى يحتلم فإن لم يحتلم فحتى يكون ابن ثمان عشرة سنة» .

فالاول مشدد والثاني مخفف إن صح الحديث فقد قيل أنه موضوع فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : «لا يجوز للمرأة عطية في مالها إذا ملك زوجها عصمتها» وفي رواية إذا ملك الرجل المرأة لم تجز عطيتها إلا بإذنه، وفي رواية لأبي داود والحاكم مرفوعاً : «لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها» مع الإجماع على جواز تصرف المرأة في مالها بغير إذن زوجها .

فالاول مشدد إن صح والإجماع مخفف فرجع الأمر بتقدير صحة الحديث الاول - الى مرتبة التشديد والإجماع الى مرتبة التخفيف .

ومن ذلك حديث الشيخين مرفوعاً : «مطل الغنى ظلم وإذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبّع» مع رواية البيهقي عن عثمان بن عفان أنه قال : ( ليس على مال امرء مسلم .تواء ) يعني حوالة بتقدير صحة ذلك عن عثمان فإن الإمام الشافعي قال : قد احتج محمد بن الحسن <sup>(٢)</sup> بأن عثمان قال في الحوالة أو الكفالة يرجع صاحبها لاتواء على مال امرء مسلم فبتقدير ثبوت هذا عن عثمان فلا حجة فيه ، لأنه لا يدري أقال ذلك في الحوالة أو الكفالة ؟ فإن صح ما ذكر عن عثمان رجع الأمر الى مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد .

---

(١) محمد بن القاسم الأسدي عن ثور والأوزاعي ومالك بن مغول ، وعنه ابن معين وأحمد بن يونس

الصبي ، ضعفه وكذبه أحمد والدارقطني توفي سنة ٢٠٧ هـ رحمه الله

(٢) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي ، أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها

حرسنا وقدم أبوه من الشام الى العراق حضر مجلس أبي حنيفة وتوفقه على أبي يوسف من كتبه « الجامع

الكبير » والجامع الصغير ولد سنة ١٣٥ هـ وتوفي سنة ١٨٩ هـ رحمه الله .

فحديث الشيخين لا يرى الرجوع على المحيل ومقابلته يرى الرجوع على المحيل  
ومن ذلك حديث الحاكم والبيهقي مرفوعاً : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه »  
وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان بن أمية (١) أدرعاً فقال :  
أغصباً يا محمد . . ؟

فقال : « لا بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك ».

فلما أراد ردها إليه فقد منها درع فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « إن شئت  
غرمناها لك » فقال : يا رسول الله إن في قلبي اليوم من الإيمان ما لم يكن يوم أعرتك  
أهـ .

وكان ابن عباس يضمن العارية وكذلك أبو هريرة كان يغرم من استعار بعيراً  
فعطب عنده وغير ذلك من الآثار مع أثر البيهقي عن شريح القاضي (٢) أنه كان يقول :  
ليس على المستعير غير المغل ضمان فالأول مشدد في الضمان والثاني مخفف فيه فرجع  
الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري عن جابر قال : قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل  
ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة لأحد مع حديث البخاري  
وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « الجار أحق بسقبه » قال الاصمعي (٣) : والسقب  
اللزيق ومع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ قال : « جار الدار أحق بالدار من  
غيره » .

---

(١) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أحد أشراف الطلقاء ، شهد اليرموك أميراً عنه أخذ بنوه وسعيد بن  
المسيب ، توفي سنة ٤١ هـ

(٢) أبو أمية شريح بن الحارث القاضي ، كان من كبار التابعين وأدرك الجاهلية واستقضاءه عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه على الكوفة فاقام قاضياً خساً وسبعين سنة توفي سنة ٨٧ هـ وهو ابن مائة سنة . رحمه الله

(٣) الاصمعي أبو سعيد عبد الملك ابن قريب الاصمعي الباهلي : كان صاحب لغة ونحو وإماماً في الاخبار  
والنوادير سمع شعبه بن الحجاج والحماديين وسعر بن كدام وغيرهم ولد الاصمعي سنة ١٢٣ هـ وتوفي  
٢١٧ هـ بالبصرة وقيل بمرور رحمه الله

فالأول مشدد والثاني مخفف بجعل الشفعة للجار ، وسيأتي توجهه في الجمع بين أقوال العلماء ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وقال : ( إنه منكر لا شفعة ليهودي ولا نصراني ) مع ما رواه البيهقي عن إياس بن معاوية <sup>(١)</sup> أنه قضى بالشفعة لزمن . فالأول مشدد إن صح الحديث عن النبي ﷺ ومقابله مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : وقال : ( إنه منكر - لا شفعة لغائب ولا صغير ولا شريك على شريك إذا سبقه بالشراء ) مع روايته أيضاً عن جابر مرفوعاً : وقال إنه منكر: الصبي على شفעתه حتى يدرك فإذا أدرك فإن شاء أخذ وإن شاء ترك .

فالأول مشدد والثاني مخفف بالنسبة الى الصبي إن صح ذلك عن رسول الله ﷺ فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث مسلم مرفوعاً : «الشفعة في كل شرك ربعة أو حائط لا يصلح أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن باع فهو أحق به حتى يؤذنه» مع ما رواه البيهقي موصولاً : «الشريك شفيح والشفعة في كل شيء» ومع روايته مرفوعاً أيضاً : «الشفعة في العبيد وفي كل شيء» فالأول مشدد في أنه لا شفعة في الحيوان ، والثاني مخفف إن صح الخبر بأن الشفعة في الحيوان وفي كل شيء . فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك ما رواه البيهقي عن شريح أنه قال : ( الشفعة شفعة <sup>(٢)</sup> على قدر الأنصاء ) مع ما رواه عن الفقهاء الذين انتهى <sup>(٣)</sup> إلى قولهم في المدينة أنهم كانوا يقولون في الرجل له شركاء في دار فيسلم اليه الشركاء الشفعة إلا رجلاً واحداً أراد أن يأخذ بقدر حقه من الشفعة فقالوا : ليس له ذلك إما أن يأخذها جميعاً وأما أن يتركها جميعاً فالأول مخفف والثاني مشدد بإلزامه أن يأخذ الكل أو

(١) إياس بن معاوية ابو وائلة قاضي البصرة ، مزي علامة ، مات بواسط سنة اثنتين وعشرين ومائة ومن

كلمه : كل ديانته أسست على غير ورع فهي هباء :

(٢) ب الشفعة على قدر الأنصاء

(٣) ب الذين ينتهي الى قولهم .

يترك الكل فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .  
ومن ذلك ما رواه الشافعي رحمه الله تعالى عن شريح القاضي : أنه كان يضمن  
الاجراء وضمن قصاراً احترق بيته .

فقال : تضمنني وقد احترق بيتي . . ؟

فقال : شريح : أرأيت لو احترق بيته هل كنت تترك له أجرك - أي المال الذي  
عليه لك من جهة معاملة أو غيرها . . ؟ وما رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه :  
أنه كان يضمن القصار والصباغ ويقول : لا يصلح للناس إلا ذلك ، مع رواية  
البيهقي عن علي من وجه آخر وعن عطاء أنها كانا لا يضمنان صانعاً ولا أجيراً ،  
فالاول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه<sup>(١)</sup> عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بعث الى امرأة من  
اليمن في تهمة يدعوها الى محلة ففرغت فألقت ما في بطنها فأفتى بعض الصحابة : أنه  
لا ضمان على عمر وقالوا له : إنما أنت مؤدب مع ما أفتاه به علي بن ابي طالب رضي  
الله عنه من الضمان ، فالأول مخفف والثاني مشدد بتضمنين الإمام في الحدود والمعلم في  
التأديب فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

وفصل بعضهم في ذلك بين أن يكون للتأديب بقدر ما حدث له الشريعة أو مع  
زيادة على ذلك فعليه في الزائد الضمان دون الأصلي لأن ذلك حد ثابت في الشريعة لا  
ضمان فيه .

ومن ذلك حديث البخاري مرفوعاً : « أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله تعالى »  
مع حديث البيهقي عن عبادة بن الصامت<sup>(٢)</sup> : علمت رجلاً القرآن فأهدى إليّ قوساً  
فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « إن كنت تحب أن تتطوق بطوق من نار  
فاقبلها » .

---

(١) ب ما رواه البيهقي

(٢) عبادة بن الصامت أبو الوليد الخزرجي من بني عمرو بن عوف بدري نقيب عنه أبو ادريس وجير بن  
نقير وهو أحد من جمع القرآن وكان طويلاً جسيماً جليلاً مات بالرملة ٣٤ هـ وله اثنان وسبعون عاماً .

وفي رواية : أنه ﷺ قال : « له جمة تقلدتها بين كتفيك » أو قال : « تعلقتها » .

فالاول مخفف والثاني مشدد ويصح حمل الاول على من به خصاصة والثاني على أصحاب الثروة وعدم الحاجة الى مثل ذلك تغليبا للعبادة على الأجر الدنيوي ولما فيه من خرم المروءة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي : أن رسول الله ﷺ نهى عن كسب الحجام والقصاب والصائغ مع روايته أيضا أن رسول الله ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجرته ، ولو علمه خبيثا لم يعطه ، فالأول مشدد والثاني مخفف بجعل النهي للتنزيه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ : نهى عن قطع السدر وقال : « من قطع سدره صوب الله رأسه في النار » مع ما رواه البيهقي عن عروة وغيره أنهم كانوا يقطعون السدر في زمان رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم ومع حديث البيهقي وغيره في الميت : « اغسلوه بماء وسدر » ولو كان قطع السدر منهيا عنه لذاته لم يأمرنا ﷺ بغسل الميت به ، فالأول مشدد - إن صح - والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : « لا ضرر ولا ضرار »<sup>(١)</sup> مع حديث البيهقي أيضاً « من سأل جاره أن يغرر خشبة في جداره فلا يمنعه » ، فالأول مخفف والثاني مشدد يدل على إجبار الجار على تمكين جاره من وضع خشبة في جداره مع أنه مشترك ، الدلالة على أن قواعد الشريعة تشهد بأن كل مسلم أحق بماله فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) ورواه أيضاً مالك والشافعي عنه عن يحيى المازني مرسلًا وأحمد وعبد الرزاق وابن ماجه والطبراني عن ابن عباس ، وفي سنده جابر الجعفي ، وأخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني عنه ، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة وجابر وعائشة وغيرهم .

قال الإمام الشافعي : وأحسب أن قضاء عمر رضي الله عنه في امرأة المفقود من بعض هذه الوجوه التي يمنع فيه الضرر بالمرأة إذا كان الضرر عليها أبين من صبرها الى بيان موته كما قضى به الإمام علي بن ابي طالب وقال : إنها امرأة ابتليت فلتصبر لا تنكح حتى يأتيها يقين موت زوجها ، فرجع الأمر في هذه المسألة كذلك الى تخفيف بالتزويج وتشديد بالصبر الى تبين موته كما في مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث اللقطة الذي رواه البيهقي من أن رسول الله ﷺ قضى بأنها تعرف سنة ، مع حديثه أيضا أنها تعرف وقتاً واحداً ثم يأكلها أو ينتفع بها ، فالأول مشدد والثاني مخفف إن لم يصح وجود الإضرار للواجد ، واستدلوا للثاني بأن علياً رضي الله عنه وجد ديناراً فأتى به فاطمة فعرضت ذلك على رسول الله ﷺ فقال : « هو رزق ساقه الله إليكم » فاشتري به علي لحماً ودقيقاً وطبخوا وأكلوا فإن هذا يدل على أن علياً أنفق الدينار قبل التعريف في الوقت أو أنه عرفه في ذلك الوقت فقط ورأى ذلك كافياً في التعريف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي مرفوعاً : من توريث ذوي الأرحام مع حديثه كالحاكم من عدم توريثهم فالأول مخفف على ذوي الأرحام مشدد على بقية الورثة والثاني عكسه ، ولكل من الحديثين قصة طويلة تركنا ذكرها اختصاراً فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر « إني أحب لك ما أحب لنفسي لا تلين مال يتيم » .

مع حديثه كالبخاري « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين »<sup>(١)</sup> وأشار بالسبابة والتي تليها ، فالأول مشدد يشير الى أن الاول بالضعيف ترك الولاية على مال اليتيم ، والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) رواه مع الإمام البخاري والإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن الإمام أبي بكر رضي الله عنه من أنه لا ضمان على وديع مع ما رواه عن عمر رضي الله عنه : أنه ضمن الوديع فالأول مخفف والثاني مشدد - إن ثبت أنه ضمنه من غير تفريط - فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين مرفوعاً : «صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» مع حديث البيهقي مرفوعاً : - إن صح رفعه - «تصدقوا على أهل الأديان» فالأول مشدد بصرفها إلى المسلمين فقط ، والثاني مخفف إن لم يحمل على صدقة التطوع ، فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي وغيره مرفوعاً وموقوفاً : «لا نكاح إلى بولي»<sup>(١)</sup> مع ما رواه البيهقي أيضاً مرفوعاً وموقوفاً «الأيمن أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها» الحديث وفي رواية الثيب بدل الأيمن فالأول مشدد والثاني مخفف لأنه ﷺ شارك بين الأيمن والولي ثم قدمها بقوله أحق وقد صح العقد منه فوجب أن يصح منها فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : «لعن الله المحلل والمحلل له»<sup>(٢)</sup> « وسأل ابن عمر عن تحليل المرأة لزوجها فقال : ( ذاك السفاح ) مع ما عليه الجمهور من الصحة إذا لم يشترط ذلك في صلب العقد ، فإذا رسول الله ﷺ لما ساء محملاً دل على صحة النكاح ، لأن المحلل هو المثبت للحل فلو كان فاسداً لما ساء محملاً فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان تخفيفاً وتشديداً ويصح حمل الأول على ذوي المروءة من العلماء والأكابر والثاني على غيرهم كأحاد العوام .

ومن ذلك حديث مسلم وغيره : «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» .

مع حديث البيهقي : «فر من المجذوم فرارك من الأسد» .

---

(١) رواه مع البيهقي : الإمام أحمد عن عمران بن حصين مرفوعاً ، ورواه أحمد أيضاً وأصحاب السنن عن أبي موسى رفعه ، وصححه الترمذي وابن حبان بلفظ «لا نكاح إلا بولي» ، وابن عمر عن عمران بن حصين وعائشة لا نكاح إلا بولي ، والسلطان ولي من لا ولي له .

(٢) رواه مع الإمام البيهقي والإمام أحمد والنسائي والترمذي وصححه عن ابن مسعود مرفوعاً .



فالأول مشدد والثاني مخفف ، ويصح حمل الثاني على ضعفه الحال في الإيمان واليقين والأول على من كان كاملاً في ذلك . فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين عن جابر قال : ( كنا نعزل والقرآن ينزل ) زاد البيهقي : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلما ينهنا عنه ما رواه البيهقي عن عمرو وعلي وغيرها من النهي عنه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان تخفيف وتشديد .

وكذلك القول في رواية البيهقي المفضلة بين الحرية والامة وهو أنه ﷺ نهى عن العزل عن الحرية إلا بإذنها بخلاف الأمة وهو يرجع الى تخفيف وتشديد .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ قضى في رجل تزوج امرأة فمات ولم يدخل بها ولم يفرض لها بأن لها الصداق كاملاً وعليها العدة ولها الميراث مع حديثه أيضاً عن ابن عمر أنه قضى ألا صداق لها فالأول مشدد بجعل الصداق على الزوج والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ منع علياً أن يدخل على فاطمة حين تزوجها إلا بعد أن يعطيها شيئاً - أي من صداقها - وأنه أعطاها درعه الحطمية قبل دخوله بها، وكان ابن عباس يقول: إذا نكح الرجل امرأة فسمى لها صداقاً فأراد أن يدخل عليها فليسق إليها رداء أو خاتماً إن كان معه - مع حديث البيهقي أن رجلاً تزوج امرأة على عهد رسول الله ﷺ فجهزها ﷺ إليه من قبل أن ينقدها شيئاً وفي رواية أنه كان معسراً فلما أيسر ساق إليها شيئاً فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه الإمام مالك والإمام الشافعي أن الإمام عمر بن الخطاب قضى في المرأة بتزوجها الرجل أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق مع قول ابن عباس : أن عليه نصف الصداق ، وليس لها أكثر من ذلك أي لأنه لا يثبت أنه مسها وقضى بذلك شريح ، لكنه حلف الزوج بالله أنه لم يقربها وقال لها : نصف الصداق فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري : أن رسول الله ﷺ : نهى عن النهي وفي رواية للبيهقي نهى عن نهى الغلمان مع حديث البيهقي أنه ﷺ تزوج بعض نسائه فنثر عليه التمر ثم قال بخفض صوت : « من شاء فليتهب » فالأول مشدد والثاني مخفف - إن صح الخبر - فرجس الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن علي : كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه وكان سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> وسليمان<sup>(٢)</sup> بن يسار يقولان : إذا طلق السكران جاز طلاقه ، وإن قتل مسلماً قتل به ، مع رواية البيهقي عن عثمان بن عفان أنه قال : ( ليس للمجنون ولا للسكران طلاق ) فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البخاري وغيره أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ( ورث من طلقت في مرض الموت طلاقاً مبتوتاً ) مع ما رواه البيهقي عن ابن الزبير أنه أفتى بعدم إرثها فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ، ومن ذلك ما رواه الشافعي والبيهقي عن علي رضي الله عنه أنه قال : امرأة المفقود لا تتزوج فإذا قدم وقد تزوجت فهي امرأته إن شاء طلق وإن شاء أمسك مع ما رواه مالك والشافعي والبيهقي عن عمر بن الخطاب أنه قال : أيما امرأة فقدت زوجها لم تدر أين يموت فإنها تنتظر أربع سنين ثم تنتظر أربعة أشهر وعشراً ثم تحل ، وبه قضى عثمان بن عفان بعد عمر ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه مالك والشافعي ومسلم عن عائشة : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات محرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات محرمن ، مع ما رواه البيهقي عن علي وابن الزبير وابن مسعود وابن عمر أنهم كانوا يقولون : يحرم من الرضاع قليله وكثيره فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن. الإمام أبو محمد المخزومي أحد الاعلام وسيد التابعين عن عمر وعثمان وسعد وعنه الزهري وقتادة ويحيى بن سعيد ثقة حجة عاش تسعا وسبعين سنة مات سنة ٩٤ هـ .

(٢) سليمان بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين عن مولاته وأبي هريرة وعنه يحيى بن سعيد وربيعه الرأي وصالح بن كيسان وكان من فقهاء المدينة قال الحسن بن محمد بن الحنفية : هو عندنا أفهم من سعيد بن المسيب وقال أبو زرعة ثقة مأمون عابد فاضل يقال مات سنة ١٠٧ هـ .

## فصل

في بيان أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب الجراح الى آخر أبواب الفقه .

فمن ذلك حديث البيهقي وغيره مرفوعاً : « لا يقتل مسلم بكافر » وفي رواية ( بمشرك ) مع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ قتل مسلماً بمعاهد وقال : « أنا أكرم من وفي بدمته » إن صح الحديث - والآثار عن الصحابة في ذلك فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : « من قتل عبده قتلناه ومن جدهه جددناه ومن خصاه خصيناه » مع حديثه أيضاً مرفوعاً : « لا يقاد مملوك من مالكة ولا ولد من والده » وكان أبو بكر وعمر يقولان : ( لا تقبل المسلم بعبده ) ولكن يضرب ويطال حبسه ويحرم سهمه - إن صح الحديث - والآثار فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قضى في امرأة ضربت فطرحت جنينها بغرة عبد أو أمة ، مع حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ قضى في الجنين بغرة عبد أو أمة أو فرس أو بغل ، ومع حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قضى في جنين المرأة بمائة شاة وفي رواية بمائة وعشرين شاة فالأول والثالث بروايته مشددان من حيث الحصر ، وقد تكون الشياه أعلى قيمة من العبد أو الأمة والثاني إن صح مخفف من حيث التخيير فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه الشيخين والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه

قال : ( اقتلوا كل ساحر وساحرة ) ، مع ما نقله ابن عمر عن عثمان رضي الله عنه أنه عاب على من قتل الساحر فالأول مشدد والثاني مخفف ، ويؤيده قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » <sup>(١)</sup> فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره مرفوعاً : « من بدل دينه فاقتلوه » يعني في الحال مع حديثه عن علي رضي الله عنه أنه يستتاب ثلاث مرات فإن لم يتب قتل ، ومع حديث مالك والشافعي والبيهقي عن عمر أنه قال : ( يحبس ثلاثة أيام ثم يستتاب ) فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري والبيهقي في حديث طويل : يؤخذ منه أنه لا حد إلا في قذف صريح بين مع ما رواه البيهقي وغيره عن عمر أنه كان يضرب الحد في التعريض ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي أن رجلاً قال : يا رسول الله ما ترى في حريسة الخيل . . ؟ قال : « هي ومثلها والنكال » قال : يا رسول الله فكيف ترى في الثمر المعلق . . ؟ قال : « هو ومثلها والنكال » مع حديث الشافعي أن رسول الله ﷺ قضى في ناقة البراء بن عازب أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وما أفسدت المواشي بالليل فهو ضامن على أهلها .

قال الشافعي : وإنما يضمنون ذلك بالقيمة لا بقيمتين ولا يقبل قول المدعي في مقدار القيمة لقول النبي ﷺ : « البينة على من ادعى واليمين على المدعى عليه » <sup>(١)</sup>

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة زاد : « فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم من ماله ونفسه الا بحقه » وفي لفظ عند الشيخين وإبي داود والترمذي : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » قال الحافظ السيوطي في جامعه الصغير وهو متواتر .

فالأول يقتضي تضعيف الغرامة والثاني يقتضي عدم تضعيفها وأن عقوبة السارق إنما هي في الابدان لا في الأموال فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ومن ذلك حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «ليس على المختلس ولا على المنتهب ولا على الخائن قطع» مع روايته أن رسول الله ﷺ قطع المخزومية التي كانت تستعير الحلي والمتاع على السنة الناس ثم تجرده ، فالأول مخفف والثاني مشدد - إن ثبت المخزومية - قطعت بسبب الخيانة - إذ قد يكون أنها إنما قطعت بسبب السرقة في وقت آخر فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي وغيره مرفوعاً: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره» وفي رواية: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» مع حديث البيهقي مرفوعاً: «اشربوا ولا تسكروا» فالأول مشدد والثاني مخفف - إن صح بأن غلة التحريم - عند من فال بذلك إنما هي الإسكار فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما أرسل يزيد بن أبي سفيان<sup>(١)</sup> أميراً على الغزاه أنه قال له: ( ستجد أقواماً زعموا أنهم حبسوا نفوسهم في الصوامع لله تعالى فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا نفوسهم له ) وفي رواية: ( فاتركهم وما حبسوا له أنفسهم ) مع ما رواه البيهقي أيضاً عنه أن الصحابة قتلوا شيخاً قد طعن في السن لا يستطيع قتالاً ثم أخبروا بذلك رسول الله ﷺ فلم ينكره ، فالأول مخفف على الرهبان والثاني مشدد عليهم فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

---

(١) قال النووي حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين وأخرجه الدارقطني بلفظ البينة على المدعي واليمين على من أنكر إلا في القسامة وفيه ضعف مع أنه مرسل وفي رواية له المدعي عليه أولى باليمين إلا أن تقوم بينه ، وقال النجم رواه ابن ماجه عن ابن عمر وكذا ابن عساكر عنه بلفظ واليمين على المدعي عليه بدل واليمين على من أنكر . كشف الخفاء ج ١ ص ٣٤٣ .

(٢) يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي الأمير ، من الطلقاء حسن اسلامه عنه عياض الاشرعي وجناده بن أبي أمية ، مات على نيابة دمشق سنة ٢٠ هـ .

## فصل

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عمر أنه كان يقول : ( أيام التضحية يوم العيد ويومان بعده ) مع ما قاله ابن عباس التضحية ثلاثة أيام بعد يوم العيد ، ومع ما رواه البيهقي مرفوعاً : «الضحايا إلى آخر الشهر لمن أراد أن يأتي ذلك» ، فالأثر الأول مشدد ومقابله مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك حديث البيهقي مرفوعاً : «يذبح عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة ، لا يضركم ذكراناً كن أم إناثاً» مع حديثه أيضاً : أن رسول الله ﷺ علق عن الحسن<sup>(١)</sup> كبشاً وعن الحسين<sup>(٢)</sup> كبشاً فالأول مشدد في عقيقة الغلام والثاني مخفف فيه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي وغيره ( ان رسول الله ﷺ أكل من لحم الأرنب ) مع حديث البيهقي أنه ﷺ قال في الأرنب « لا آكلها ولا أحرمها » فالأول مخفف والثاني فيه نوع تشديد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

وكذلك الحكم فيما ورد في الضبع والشعلب والقنفذ والخيل والجلالة<sup>(٣)</sup> كله يرجع الى مرتبتي الميزان .

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب ، السيد ، أبو محمد الهاشمي سبط رسول الله ﷺ عنه ابنه الحسن وأبو الخوراء ربيعة وعكرمه وكان أشبه الناس وجها برسول ﷺ مات سنة ٥٠ هـ .

(٢) الحسين الشهيد عن جده رسول الله ﷺ وأبيه وعمر وعنه أولاده علي وزيد وسكينة وفاطمة وكرز التميمي وعكرمة قال : ابن سعد ولد في شعبان سنة أربع ومات سنة ٦١ يوم عاشوراء رضي الله عنه .

(٣) والجلالة البقرة التي تتبع النجاسات وفي الحديث نهى عن لحم الجلالة «

ومن ذلك ما رواه البيهقي وغيره ( ان الضب أكل على مائدة رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ينظر إليهم وهم يأكلون ) مع حديث البيهقي أنه ﷺ : نهى عن أكل الضب ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين أيضاً أن رسول الله ﷺ نهى عن كسب الحجام وفي رواية نهى عن ثمن الدم مع حديث الشيخين أيضاً أن رسول الله ﷺ احتجم وأمر للحجام بصاعين من طعام فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البخاري وغيره : أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة الحجام أو شربة عسل أو لدعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي » مع حديث البيهقي أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة واكتوى ابن عمر من اللوثة وكوى ابنه فالأول كالمشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ سأل عن فأرة وقعت في سمن فقال : « ألقوها وما حو لها وكلوها باقيها » فقيل يا رسول الله : أفرأيت إن كان السمن مائعا . . ؟

فقال : « انتفعوا به ولا تأكلوه » ، مع حديث البخاري والحاكم مرفوعاً « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير » .

فقيل يا رسول الله : أفرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال : « لا هو حرام » .

فالأول مخفف والثاني مشدد ويصح حمل الاول على أهل الخصاصة والثاني على أهل الرفاهية والثروة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ نهى عن الحلف بغير الله وقال :  
« لا تحلفوا بآبائكم » مع حديث الحاكم وغيره ( أن رسول الله قال في رجل بايعه  
على الصلاة وغيرها «أفلح وأبيه إن صدق» فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر  
الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن عمر بن الخطاب أنه كان يقبل شهادة القاذف إذا  
تاب مع ما رواه أيضاً عن القاضي شريح وغيره أنهم كانوا يقولون لا تجوز شهادة  
القاذف ابداً وتوبته فيما بينه وبين ربه فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى  
مرتبتي الميزان .

ومن ذلك ما رواه البيهقي عن مجاهد أنه لا تجوز شهادة العبيد لقوله تعالى :  
﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ ﴾ (١) .

مع ما رواه عن أنس وابن سيرين وشريح وغيرهم أن شهادة العبيد جائزة  
وقالوا : ( كلكم عبيد وإماء ) فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي  
الميزان .

وكذلك الحكم في شهادة الصبيان فقد منعها ابن عباس وجوزها ابن الزبير فيما  
بينهم من الجراح .

ومن ذلك حديث الشيخين أن رسول الله ﷺ كان لا يحلف مع البيئة ويقول  
للخصم « شاهدك أو يمينه » مع ما رواه الشافعي والبيهقي أن علياً رضي الله عنه  
كان يرى الحلف مع البيئة وبه قال شريح وغيره ، فالأول مخفف والثاني مشدد لا سيما  
إن قامت البيئة على ميت أو غائب أو طفل أو مجنون فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين وغيرهما مرفوعاً : «إنما الولاء لمن أعتق » قال  
الحسن : فمن وجد لقيطاً منبوذاً فالتقطه لم يثبت له عليه ولاء وميراثه للمسلمين

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ .



وعليهم جريرته ، وليس للملتقط شيء إلا الأجر مع حديث البيهقي عن عمر بن الخطاب أنه قضى لسعيد بن المسيب في التقاطه مبنوذاً بأنه حر ولسعيد ولاؤه وعلى عمر ارضاعه ، فالأول مشدد والثاني مخفف - إن صح - فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث الشيخين : أن رجلاً من الأنصار اعتق مملوكاً عن دبر لم يكن له مال غيره فباعه رسول الله ﷺ لكونه كان محتاجاً مع ما رواه الحاكم مرفوعاً : « المدبر لا يباع ولا يوهب » ، فالأول مخفف بأن ماله يبيعه متى شاء والثاني إن صح رفعه فإنه لا يباع ولا يوهب فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك حديث البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : بعنا أمهات الأولاد في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ، فلما كان زمن عمر نهانا عن ذلك فانتبهنا ، فالأول مخفف والثاني مشدد ووافقه على ذلك جمهور الصحابة فكان كالإجماع منهم على تحريم<sup>(١)</sup> أمهات الأولاد ، وقالوا : إنهم يعتقن بموت السيد والله تعالى أعلم .

وليكن ذلك آخر ما أراه الله تعالى من الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التناقض عن بعض العلماء مما يشهد لمرتبتي الميزان من التخفيف والتشديد وبقيّة الاحاديث مجمع على الأخذ بها بين الأمة فليس فيها إلا مرتبة واحدة لعدم حصول مشقة فيها على أحد من المكلفين فافهم والحمد لله رب العالمين . واعلم يا أخي أنني ما تركت الجمع بين آيات القرآن التي أخذ بها الأئمة واختلفوا في معانيها جهلاً وإنما ذلك لخفاء مدارك المجتهدين فيها بخلاف أحاديث الشريعة فإنها جاءت مبينة لما أجمل في القرآن ، وأيضاً فإن قسم التشديد في القرآن الذي يؤخذ به العارفون نفوسهم لا يكاد يعرفه أحد من علماء الزمان فضلاً عن غيرهم ، وقد وضعت في ذلك كتاباً سمّيته « بالجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون »<sup>(٢)</sup> ذكرت فيه نحو ثلاثة آلاف علم

(١) ب تحريم بيع أمهات الاولاد .

(٢) توجد أربع نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت أرقام ٧٨٤ ، ( ١ ، ٢٠ ، ٩٢ ) مجاميع .

وكتبت عليه مشايخ الاسلام على وجه الايمان والتسليم لاهل الله عز وجل ، ومن جملة من كتب عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي ، [ وبعد فقد اطلعت على هذا الكتاب العزيز المنال الغريب المثال فرأيت مشحوناً بالجواهر والمعارف الربانية ، وعلمت أنه مفحم للأكباد يضيق نطاق النطق عن وصفه ، ويكل الفكر عن إدراك كنهه وكشفه ] انتهى .

وأخفيت في طيه مواضع استنباطه من الآيات غيرة على علوم أهل الله تعالى أن تذاع بين المحجوبين ، وقد أخذته الشيخ شهاب الدين بن الشيخ عبد الحق عالم العصر فمكث عنده شهراً وهو ينظر في علومه فعجز عن معرفة مواضع استخراج علم واحد منها ، فقال لي : وضعت هذا الكتاب في هذا الزمان لأي شيء . . ؟

فقلت : وضعته نصرة لأهل الله عز وجل لكون غالب الناس ينسبهم الى الجهل بالكتاب والسنة ، فقال لي : أنا أقول في نفسي : إنني عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير علم واحد منه من القرآن ، ولا فهمت مما فيه شيئا ، ومع ذلك فلا أقدر على رده من كل وجه ، لأن صولة الكلام فيه ليست بصولة مبطل ، ولا عامي انتهى .

وقد استخرج أخي أفضل الدين من سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علماً ، وقال : هذه علوم أمهات علوم القرآن العظيم ، ثم ردها كلها الى البسمة ثم الى الباء ثم الى النقطة التي تحت الباء .

وكان رضي الله عنه يقول لا يكمل الرجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن حتى يصير يستخرج جميع أحكامه وجميع مذاهب المجتهدين فيها من أي حرف شاء من حروف الهجاء انتهى .

ويؤيده في ذلك قول الامام علي رضي الله عنه : لو شئت لأوقرت لكم ثنائين بغيراً من علوم النقطة التي تحت الباء .

فهذا كان سبب عدم جمعي بين آيات القرآن التي اختلف المجتهدون في معانيها

بين مخفف ومشدد فخفت من ذكر مرتبة التشديد التي في القرآن فتح باب الإنكار على العلماء بالله تعالى وبأحكامه وأنا ما وضعت هذه الميزان بحمد الله تعالى إلا سداً لباب الإنكار على الأئمة فاعلم ذلك وإنما ذكرت الأحاديث الضعيفة عند بعض المقلدين احتياطاً لهم ليعملوا بها ، وقد تكون صحيحة في نفس الأمر ، وأقابل الحديث الصحيح في بعض المواضع بالضعيف الذي أخذ به مجتهد آخر ، كل ذلك أدبا مع أئمة المذاهب رضي الله عنهم .

على أن من نظر بعين الإنصاف علم بالقرائن أن ذلك الحديث الضعيف الذي أخذ به المجتهد لولا صح عنده ما استدل به وكفانا صحة الحديث استدلال مجتهد به لمذهبه .

ومن أمعن النظر في هذه الميزان لم يجد دليلاً ولا قولاً من أدلة المجتهدين وأقوالهم يخرج عن إحدى مرتبتي الشريعة أبداً ولكل من المرتبتين رجال في حال مباشرتهم الأعمال فمن قوي منهم طولب بالعمل بالتشديد ، ومن ضعف منهم خوطب بالعمل بالرخصة لا غير ، كما مر إيضاحه في الفصول الأولى والحمد لله رب العالمين . انتهى .

الجمع بين الأحاديث : ولنشرع في الجمع بين أقوال الأئمة المجتهدين وبيان كيفية ردها الى مرتبتي الميزان من تخفيف وتشديد مصدرين لمسائل الاجماع والاتفاق في كل باب من كتاب الطهارة الى آخر أبواب الفقه وبيان تأييد الشريعة بتوجيه أهل الحقيقة وعكسه غالباً وبيان أن الأئمة المجتهدين كانوا علماء بالحقيقة كما هم علماء بالشريعة فإنهم كلهم ما بنوا قواعد مذاهبهم الا على الحقيقة والشريعة معا ، بل أخبرني بعض أهل الكشف أنهم أئمة للجن أيضاً وإن لكل مذهب طلبة من الجن يتقيدون به لا يبرحون عنه كالإنس ، ثم اعلم أن هذا الأمر الذي التزمته في هذا الكتاب لا أعلم أحداً بحمد الله سبقي الى التزامه من أول ابواب الفقه الى آخرها ابداً كما مر بيانه ، وأواخر الفصول السابقة .

وتقدم هناك ان الحقيقة لا تخالف الشريعة أبداً عند أهل الكشف لأن الشريعة

الحقيقية : هي الحكم بالأمر على ما هي عليه في نفسها ، وهذا هو علم الحقيقة بعينه ، فلا تخالف شريعة حقيقه ولا عكسه ، وإنما هما متلازمان كملازمة الظل للشاخص حال وجود نور الشمس وإنما يظهر تخالفهما فيما إذ حكم الحاكم ببينة زور في نفس الأمر وظن الحاكم صدق البينة لا غير .

فلو أن البينة كانت صادقة في باطن الأمر كظاهره لنفذ الحكم باطناً وظاهراً أي في الدنيا والآخرة .

فعلم أن قول الإمام أبي حنيفة أن حكم الحاكم ينفذ ظاهراً وباطناً محمول عند المحققين على ما إذا حكم ببينة عادلة إذ ذلك من باب حسن الظن بالله عز وجل . وأنه قد ينتصر لنواب شرعه الشريف يوم القيامة فيعفو عن شهود الزور وعن الحاكم بذلك ويمشي حكمه في الآخرة كما مشاه في الدنيا إذا بذل وسعه في النظر في البينة ، وأما قول بعضهم أن حكم الحاكم ينفذ في الدنيا والآخرة ولو علم أن البينة زور فقد تأباه قواعد الشريعة وإن كان الله تعالى فعالاً لما يريد إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق .

## كتاب الطهارة

أجمع الأئمة الأربعة على وجوب الطهارة بالماء للصلاة مع التمكن من استعماله فيها حساً وشرعاً ، كما أجمعوا على وجوب التيمم عند حصول فقدته كذلك ، وعلى أن ماء الورد والخلاف لا يطهر من الحدث وعلى أن المتغير بطول المكث طهور ، وعلى أن السواك مأمور به ، هذه مسائل الإجماع في هذا الباب .

وأما ما اختلفت الأئمة الأربعة وغيرهم فيه فكثير ، ومن ذلك قول فقهاء الأمصار كلهم : إن ماء البحار كلها عذبا وأجأها بمنزلة واحدة في الطهارة والتطهير مع ما حكى أن قوماً منعوا الوضوء بماء البحر وقوماً أجازوه للضرورة ، وقوماً أجازوا التيمم مع وجوده . فالأول مخفف وما بعده مشدد ، فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول إطلاق الماء في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ أَلْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ومعلوم أن الطهارة ما شرعت بالأصالة إلا لإنعاش بدن العبد من الضعف الحاصل بالمعاصي أو أكل الشهوات والوقوع في الغفلات فيقوم العبد بعد الطهارة إلى مناجاة ربه ببدن حيّ فيناجيه ببدنه كله أو يفعل ما شرط الشارع له الطهارة .

ووجه الثاني : أن صاحبه لم يبلغه حديث : «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» <sup>(٢)</sup> مع

---

(١) سورة الانبياء آية رقم ٣٠ .

(٢) رواه مالك والشافعي وأحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة قال سأل سائل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفترضاً =

كون البحر المالح عقيماً لا ينبت شيئاً من الزرع وما لا ينبت الزرع لا روحانية فيه ظاهرة حتى ينعش البدن ومع حديث «تحت البحر نار والنار مظهر غضبي»<sup>(١)</sup> فلا ينبغي للعبد أن يتضمخ بما قارب محل الغضب ثم يقوم يناجي ربه فهو قريب في المعنى من مياه قوم لوط التي نهى الشارع عن الوضوء منها ومن هنا قدم بعضهم التيمم عليه كما مر ، ولما في التراب من الروحانية إذ هو عكارة الماء تلبس سيأتي بسطه في باب التيمم إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك اتفاق العلماء على أنه لا تصح الطهارة إلا بالماء مع قول ابن أبي ليلى والأصم بجواز الطهارة بسائر أنواع المياه حتى المعتصرة من الأشجار ونحوها ، فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول انصراف الذهن إلى أن المراد بالماء في نحو قوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

هو الماء المطلق ووجه الثاني : كون تلك المياه أصلها من الماء سواء في ذلك ماء الأشجار والبقول والأزهار فإن أصله من الماء الذي تشربته العروق من الأرض لكنه ضعيف الروحانية جداً فلا يكاد ينعش الأعضاء ولا يحييها بخلاف الماء المطلق وذلك منع جمهور العلماء من التطهر به .

ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : لا تزال النجاسة إلا بالماء مع قول أبي حنيفة : أن النجاسة تزال بكل مائع غير الادهان ، فالأول مشدد والثاني مخفف .

ووجه الأول : أن الطهارة إنما شرعت لإحياء البدن أو الثوب فالبدن أصل والثوب بحكم التبعية ومعلوم أن المائع ضعيف الروحانية لا يكاد يحيي البدن ولا يزكي

---

== بماء البحر . . ؟ فقال رسول الله ﷺ : «هو الطهور ماؤه» ، فلذكره وأخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر رضي الله عنه .

(١) رواه ابن شبة وأبو عبيد عن ابن عمرو ، وقال ان تحت البحر ناراً ثم ماء ثم نار ، زاد أبو عبيد حتى عد سبعة ابحر وغيره وسبع نيران .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ١١ .

الثوب فإن القوة التي كانت فيه قد تشربتها العروق وخرج بها الاقسام<sup>(١)</sup> والاوراق والازهار والثمار ووجه الثاني كون المائع المعتصر من الأشجار مثلاً فيه روحانية ما على كل حال وايضا فإن حكم النجاسة أخف من الحدث بدليل ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا أصاب ثوبها دم حيض بصقت عليه ثم فكرته بعود حتى تزول عينه وبدليل صحة صلاة المستجمر بالحجر ولو بقي هناك أثر النجاسة ، بخلاف الطهارة عن الحدث لو بقي على البدن لمعة كالذرة لم يصبها الماء لم تصح طهارته إلا بغسلها فافهم .

ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : بعدم كراهية استعمال الماء المشمس في الطهارة مع الأصح من مذهب الشافعي من كراهية استعماله ، فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول : عدم صحة دليل فيه فلو أنه كان يضر الأمة لبينه لهم رسول الله ﷺ ولو في حديث واحد ، والأثر في ذلك عن عمر رضي الله عنه ضعيف جداً فبقي الأمر فيه على الإباحة .

ووجه الثاني الأخذ بالأحوط في الجملة ومن ذلك الماء المسخن بالنار وهو غير مكروه بالاتفاق مع قول مجاهد بكراهته ، ومع قول أحمد بكراهة المسخن بالنجاسة فالأول مخفف والثاني مشدد والثالث مفصل فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول عدم وجود نص من الشارع فيه ، ووجه الثاني أن النار مظهر غضبي لا يعذب الله بها إلا العصاة فلا ينبغي لعبد أن يتضمخ بما تأثر بها لا سيما أن سخن بالنجاسة فافهم .

ومن ذلك الماء المستعمل في فرض الطهارة وهو طاهر غير مطهر على المشهور من مذهب الإمام أبي حنيفة وعلى الأصح من مذهب الإمام الشافعي وأحمد بشرطه وفي

---

(١) ب الأغصان .

الرواية الأخرى عن أبي حنيفة أنه نجس وهو قول أبي يوسف مع قول الإمام مالك هو مطهر فالأول مشدد وقول مالك مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه من منع الطهارة بالماء المستعمل في فرض الطهارة كون الخطايا خرت فيه كما ورد في الصحيح فهو مستقدر شرعاً عند كل من كمل مقام إيمانه أو كان صاحب كشف فلا يناسب كل من كمل في مقام الإيمان أن يتطهر به كما لا يناسب أحداً أن يتضمخ بالبصاق أو المخاط أو الصنآن ويقوم يناجي ربه والعفو تابع للمشقة فما لا مشقة فيه لا ينبغي العفو كما قالوا في دم البراغيت إذا عم الثوب كله أو عم البدن غبار السرجين أو دخان النجاسة أو أكثر أنه لا يعفى عنه ووجه من قال : تصح الطهارة بالماء المستعمل في فرض الطهارة كون القدر الذي حصل في الماء من خروار الخطايا أمراً غير محسوس لغالب الناس ولا يطالب كل عبد إلا بما شهد ، فمن منع الطهارة به للمؤمن فهو تشديد ، ومن جوزها به له فهو تخفيف ، فالأول خاص بأهل الكشف من العلماء والصالحين ، والثاني خاص بعامة المسلمين ، ووجه من قال : إن المستعمل المذكور نجس سواء كانت نجاسة مغلظة أو مخففة الأخذ بالاحتياط للمتوضيء مثلاً ، فإنه لو كشف له لرأى ماء الميضأة التي تكرر الطهارة منها للعوام كالماء الذي ألقى فيه ميتة كلاب أو غيرها من الحيوانات حتى صارت رائحته منتنة فرضي الله عن الإمام أبي حنيفة ورحم أصحابه من حيث قسموا النجاسة إلى مغلظة ومخففة ، لأن المعاصي لا تخرج عن كونها كبائر وصغائر . فمثال غسالة الكبائر مثال ميتة الكلاب أو بولها ومثال غسالة الصغائر مثال ميتة غير الكلاب من سائر الحيوانات المأكولة أو غير المأكولة .

فوجه كون الغسالة المذكورة كالنجاسة المغلظة الأخذ بالاحتياط الكامل للمتوضيء به مثلاً لاحتمال أن يكون ذلك غسالة كبيرة من الكبائر .

وجه كون الغسالة المذكورة كالنجاسة المتوسطة إحسان الظن به بعض الإحسان وأنه لم يرتكب كبيرة ، وإنما ارتكب صغيرة .

وجه من قال : إنه تجوز الطهارة به مع الكراهة إحسان الظن بذلك المتوضيء أكثر من ذلك الاحسان ، وأنه لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة وإنما وقع في مكروه أو



## خلاف الاولى .

فمثال الاول مية البعوض ، ومثال خلاف الاولى مية البراغيت أو الصببان ، ومثال ذلك لا يؤثر في الماء تغيراً يظهر لنا في العادة وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : اعلم<sup>(١)</sup> أن الطهارة ما شرعت بالاصالة الا لتزيد أعضاء العبد نظافة وحسناً وتقديساً ظاهراً وباطناً ، والماء الذي خرجت فيه الخطايا حساً وكشفاً أو تقديراً وإيماناً لا يزيد الاعضاء إلا تقديراً<sup>(٢)</sup> وقبحاً تبعاً لقبح تلك الخطايا التي خرت في الماء فلو كشف للعبد لرأى الماء الذي يتطهر منه الناس في المطاهر في غاية القذارة والنتن فكانت نفسه لا تطيب باستعماله كما لا تطيب باستعمال الماء القليل الذي مات فيه كلب أو هرة أو فارة أو نحو ذلك كالبعوض والصببان على اختلاف تلك الخطايا التي خرت من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الاولى .

فقلت له : فإذا كان الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف من أهل الكشف حيث قالوا : بنجاسة الماء المستعمل . . فقال : نعم كان أبو حنيفة وصاحبه من أعظم أهل الكشف ، فكان إذا رأى الماء الذي يتوضأ منه الناس يعرف أعيان تلك الخطايا التي خرت في الماء ويميز غسالة الكبائر عن الصغائر ، والصغائر عن المكروهات ، والمكروهات عن خلاف الاولى كالأمور المجسدة رجساً على حد سواء .

قال : وقد بلغنا أنه دخل مطهرة جامع الكوفة فرأى شاباً يتوضأ فنظر في الماء المتقاطر منه فقال يا ولدي : تب عن عقوق الوالدين . فقال : تبت الى الله عن ذلك .

ورأى غسالة شخص آخر فقال له يا أخي : تب من الزنا ، فقال : تبت من ذلك .

ورأى غسالة شخص آخر فقال له يا أخي : تب من شرب الخمر وسماع آلات

---

(١) ب اعلم يا أخي

(٢) ب إلا تقديراً .

اللهو فقال : ثبت منها فكانت هذه الأمور كالمحسوسة عنده على حد سواء من حيث العلم بها .

ثم بلغنا أنه سأل الله تعالى أن يجبه عن هذا الكشف لما فيه من الاطلاع على سوات الناس فأجابه الله إلى ذلك .

فعلم أن الإمام حال كشفه كان قوله في الماء المستعمل تابعا لما يراه قد خر من الخطايا من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الاولى ، لا أنه كان يعم القول بالنجاسة كل ماء خر من المتطهرين على حد سواء . كما قد يتوهمه بعض مقلديه ، فأين غسالة الزنا واللواط وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأكل الرشا والديانة والسعاية ونحو ذلك من غسالة النظر الى الأجنبية أو القبلة لها أو مواعدها على الفاحشة أو الوقوع في الغيبة . . ؟

وأي غسالة هذه المذكورات الاخيرة من غسالة استعمال المكروه كالاستنجاء باليمين من غير عذر وتقديم غسل اليد اليسرى على اليمنى . . ؟ وكذلك الحكم في غسالة خلاف الاولى كتوسيع الاكمام بغير حاجة وتكبير العمامة والتبسط بالمأكل والمشرب وبناء الدور ونحو ذلك لحصول الغفلة في حين من الأحيان عن شيء من أمور الآخرة انتهى .

فقلت له : هذا حكم أهل الكشف وأهل الإيمان الكامل فما حكم الضعفاء في ذلك . . ؟

فقال : هم مع ما يقوم عندهم من شهود تلك الذنوب التي خرت في الماء ولا أرى الاحتياط الا أولى لهم فيجتنب أحدهم الغسالة لتلك الأعضاء كأنها غسالة كبائر أو صغائر من غير إساءة ظن بمن هي غسالته وذلك بأن يعامل ذلك الماء معاملة ماء من أتى الكبائر أو الصغائر من غير أن يعتقد وقوعه في ذلك .

وسمعتة مرة أخرى يقول : الاولى لكل مقلد أن يجتنب غسالة الماء المستعمل كأنه نجاسة مغلفة أخذاً بالاحتياط وإن نزل عن هذه الرتبة جعلها كالنجاسة المتوسطة

كبول البهائم لاحتمال ارتكاب صاحبها شيئاً من الصغائر كما هو الغالب ، وإن نزل عن هذا المقام جعلها كالنجاسة المخففة لاحتمال<sup>(١)</sup> أن ذلك المتطهر إنما ارتكب مكروها من المكروهات دون الكبائر والصغائر ، وإن نزل عن ذلك اجتنبه في الاستعمال كما يجتنب استعمال ماء البطيخ وماء البقل ونحوهما مما هو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره لاحتمال أن يكون المتطهر ارتكب خلاف الأولى فقط ، ومثل ذلك لا يلحق بالنجاسة المخففة فضلاً عما فوقها انتهى .

وسمعت مرة أخرى يقول : كان الإمام أبو حنيفة من أهل الكشف فكان تارة يرى غسالة الكبيرة في الماء فيحكم باجتهاده أو كشفه بأنها كالنجاسة المغلظة ، وتارة يرى غسالة الصغيرة في الماء فيقول انها كالنجاسة المتوسطة لان الصغائر متوسطة بين الكبائر والمكروهات فهي مرتبة بين النجاسة المغلظة والمخففة تبعاً لأصلها ، فليست أقواله الثلاثة إن صححت عنه في غسالة واحدة كما توهمه بعض مقلديه ، وإنما ذلك في غسالات متعددة انتهى .

فعلم أن الائمة الأربعة ما بين مخفف ومشدد في الماء المستعمل احتياطاً<sup>(٢)</sup> وما بين متوسط فيه وما بين مخفف كذلك ويؤيده ما ذكرناه من التقسيم حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : حسبك من صفية هكذا تعني قصيرة ، فقال يا عائشة : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » أو كما قال ﷺ : « أي لو قدرت جسماً وطرحته في البحر المحيط لغيرت طعمه أو لونه أو ريحه أو كليهما وأنتنته »<sup>(٣)</sup> فإذا كان مثل هذه الكلمة تغير البحر المحيط كل هذا التغير العظيم فكيف بالذنوب العظام إذا خرت من اميع المتوضئين في مطهرة المسجد مثلاً فرحم الله تعالى مقلدي الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه حيث منعوا الطهارة من ماء المطاهر التي لم تستبحر لما يخر فيها من خطايا المتوضئين وأمروا أتباعهم بالوضوء من

(١) ب حملاً على أن ذلك المتطهر .

(٢) ب احتياطاً وتورعاً

(٣) رواه ابو داود والترمذي والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن صحيح الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٧٦١ .

الأنهار أو الآبار أو البرك الكبيرة أو من الحياض المغطاة التي لا يعود فيها ماء المتطهرين فإن هذا الماء أنعش لأعضاء الطهارة لنظافته وكثرة حياته لا سيما أعضاء أمثالنا التي كادت أن تموت من كثرة المخالفات فهيئات أن ينعشها الماء الذي لم يستعمل فضلاً عن المستعمل ولو كثيراً عرفاً فنعم والله ما فعل أصحاب هذا الإمام رضي الله عنه وعنهم فإنه أولى بكل حال لأنه إن كان هناك ضعف للجسد أو فتور حيوي وقوي وانتعش وإن لم يكن هناك ضعف ازداد الجسد حسناً ووضاءة .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى مع كونه كان شافعيّاً لا يتوضأ من مطاهر المساجد في أكثر أوقاته ويقول : إن ماء هذه المطاهر لا ينعش جسد أمثالنا لتقذيرها بالخطايا التي خرت فيها ، وتارة كان يتوضأ منها ويقول : الذي أعطاه الكشف أن هؤلاء المتوضئين لم يقعوا في ذنب فتتبرك بأثار ماء طهارتهم كما كان الصحابة يفعلون مع بعضهم بعضاً في المطاهر وبذلك قال مالك وتارة كان يكشف له عما خرفي ذلك الماء من الذنوب فيجتنبه على علم وبيان وكان يميز بين غسلات الذنوب ويعرف غسلات الحرام من المكروه من خلاف الأولى ودخلت معه مرة ميضأة المدرسة الأزهرية فأراد أن يستنحي من المغطس فنظر فيه ورجع فقلت له لم لا تتطهر . . ؟ فقال : رأيت فيه غسلات ذنوب كبير غيرته في هذا الوقت وكنت أنا قد رأيت الشخص الذي دخل فيه قبل الشيخ وخرج فتبعته وأخبرته الخبر فقال : صدق الشيخ قد وقعت في زنا ثم جاء الى الشيخ وتاب .

هذا أمر شاهده من الشيخ : فإن قيل هذا حكم من تطهر من أهل الذنوب فما حكم من لم يقع منه ذنب قبل ذلك الوضوء . . ؟

فالجواب : الأولى أن ينزل مثل هذا منزلة ما هو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره -لضعف روحانيته بإزالته المانع الذي كان يمنع من الصلاة مثلاً وكما قالوا في ماء طهارة الصبي .

فإن قيل : فلأي شيء شدد الإمام أبو حنيفة في ماء الطهارة من الحدث وخفف

في ماء إزالة النجاسة وقال : إنها تزال بكل مائع مزيل . . ؟

فالجواب : أن باب الحدث أضيق وباب النجاسة أوسع بدليل ما ورد في النعل الذي يصيبه نجاسة من أنه يطهره انسحاقه بالتراب إذا حكه فيه أو مشى به عليه ، وفي رواية يطهره ما بعده يعني من الأرض إذا زالت العين بذلك .

فإن قلت : فما وجه من قال : إن النار تطهر النجاسة إذا أحرقت بها . . ؟

فالجواب : وجه القياس على تطهير العصاة من الموحدين بالنار ثم يدخلون الجنة بعد ذلك ، فكما أنها تطهر العصاة من الذنوب المعنوية كذلك تطهر النجاسة المحسوسة فافهم .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : من شك في أن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أولى بالاتباع من مذهب غيره في الامتناع من التطهر من مياضة المساجد فليتوضأ من ماء الآبار والأنهار والمياه التي لم تستعمل وينتظر انتعاش أعضائه فإنه يجدها قد انتعشت بذلك أكثر من الماء الذي يختلف فيه أيدي الناس ، ومن هنا ينقذ لك يا أخي سر الأمر بالطهارة بالماء وثم بالتراب عند فقد أو العجز عن استعماله وذلك أنه إنما شرع لنا الطهارة به لإحيائه أعضاءنا التي ماتت من المعاصي أو الغفلات كما مر قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (١) .

ولم يطلع بعضهم على هذه العلة فقال : إن تخصيص استعمال الماء في الطهارة تعبدية لا يعقل معناه اهـ .

والحق أن علته معقولة مشهودة وهي «انتعاش البدن والأعضاء وإحيائها بعد فتورها أو موتها فافهم .

فإن قلت : فهل الخلاف في الماء المستعمل يجري في التراب المستعمل . . ؟ وهل تحر خطايا المتيمم بالتراب في التراب كما ورد في الماء . . ؟

---

(١) الانبياء آية رقم ٣٠.

فالجواب لم نر شيئاً نعتمد عليه في ذلك ولعله لضعف روحانية التراب فمن وجد في كلامهم أنهم أجروا ذلك في التراب المستعمل فليحقه بهذا الموضع من كتابي هذا فهكذا فلتعرف منازع المجتهدين والحمد لله رب العالمين . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بامتناع الطهارة بالماء المتغير كثيراً بطاهر كزعفران ونحوه مع قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه بجواز الطهارة به إن لم يطبخ أو يغلب على أجزائه فالأول مشدد في شأن الماء والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ، ووجه الأول ضعف روحانية الماء المذكور عن إحياء الأعضاء أو إنعاشها ، فمن تطهر به فكأنه لم يتطهر ووجه الثاني النظر إلى قوة روحانية الماء من حيث هو إلا أن يخرج عن طبع الماء بطبخ شيء من الطاهرات فيه أو كثرة التغير جداً بحيث يغلب على أجزائه ويؤيد الأول حديث الماء ظهور لا ينجسه شيء إلا ما غلب على طعمه أو لونه أو ريحه .

وقد أخذ أهل الكشف بإطلاق الحديث وقالوا : لا يحتاج إلى حمل المطلق على المقيد لأن الماء في ذاته لا يدخله شيء غيره ، فإذا صب على الماء غيره فبينهما برزخ مانع من دخول أحدهما في الآخر ، ولولا ذلك ما كانا شيئين ، ولكن لما كان يلزم من اغترافنا الماء الطاهر أن نغترف معه شيئاً من ذلك المخلوط به امتنعنا من استعماله وأطلقنا عليه اسم النجس مثلاً بشرطه توسعاً كما أن أهل الكشف يطلقون عليه اسم الطاهر كذلك توسعاً وفي الحقيقة لا اختلاف بين أهل الكشف وغيرهم إلا من حيث العلة ، فأهل الكشف يقولون : علة منع استعماله اغترافنا ذلك النجس معه لا تنجسه في ذاته وغير أهل الكشف يقولون : العلة في ذلك تنجسه فافهم .

ومن ذلك اتفاق الأئمة على أن تغير الماء بطول المكث لا يضر في الطهارة مع قول محمد بن سيرين بمنع الطهارة به فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول عدم حدوث شيء في الماء يحال عليه الضعف لروحانيته ووجه الثاني وجود التغير من حيث هو كالطعام المنتن بطول المكث فإنه قدر شرعاً وعرفاً فلا

ينبغي التطهر به كما لا ينبغي أكل الطعام المنتن وكل شيء لا تحبه أهل الطباع السليمة فافهم .

ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : إن الشمس والنار لا يؤثران في النجاسة تطهيراً مع قول الإمام أبي حنيفة : إن النار والشمس يطهران بعض أشياء في بعض الاحوال فإذا جف جلد الميتة عنده طهر بلا دغ وإذا تنجست الأرض فجفت في الشمس طهر موضعها وجازت الصلاة عليها لا التيمم منها إذ لا يلزم من كون الشيء طاهراً في نفسه أن يكون مطهراً لغيره فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول أن الأصل في الطهارة أن تكون بالماء في الحدث والخبث ووجه الثاني أن المراد زوال ذلك القدر في رأي العين فلا فرق عنده بين إزالته بالماء وبين إزالته بطول الزمان وغير ذلك بدليل قوله ﷺ في ذيل الثوب الطويل للمرأة إذا أصابته نجاسة «يطهره ما بعده» يعني من التراب الذي يمر به ويمسه . فافهم . ومن ذلك نجاسة الماء الراكد القليل أي دون القلتين إذا وقعت فيه نجاسة ولو لم يتغير عند الإمام أبي حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه مع قول مالك وأحمد في الرواية الأخرى : إنه طاهر ما لم يتغير، فإن تغير فنجس، وإن بلغ قلتين فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

وكذلك الخلاف في الجاري فإنه كالراكد عند الإمام أبي حنيفة وأحمد وهو الجديد من مذهب الشافعي .

وقال مالك : لا ينجس الجاري إلا بالتغير قليلاً كان أو كثيراً ، واختاره جماعة من أصحاب الشافعي كالبعثي وإمام الحرمين والغزالي فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان .

ووجه المشدد في هذه المسألة والتي قبلها وجود نجاسة في الجملة فتنزه عنها ولو لم تظهر لنا أدبا مع الله تعالى أن نقوم بين يديه متطهرين بماء دنس إذ الباطن عندنا ظاهر عنده تعالى ، فمن شدد راعى ما عنده تعالى ومن خفف راعى ما عند العباد فافهم .

ومن ذلك قول الأئمة الأربعة : إن استعمال أواني الذهب والفضة حتى في غير الأكل والشرب حرام على الرجال والنساء إلا في قول للشافعي مع قول داود : إنما يحرم الأكل والشرب خاصة ، فالاول مشدد والثاني مخفف واقف على حد ما ورد . فرجع الامر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الاول كمال الشفقة على دين الأمة والأخذ لها بالاحوط فيه إذ الخيلاء في الوضوء منها مثلاً كالخيلاء في الأكل والشرب ، ولا ينبغي لمن يتطهر أن يكون متكبراً معجباً بنفسه إذ الطهور مفتاح الصلاة التي هي حضرة الله عز وجل الخاصة ، وقد أجمع أهل الكشف على أنه لا يصح دخول حضرة الله لمن كان فيه شيء من الكبر بل يطرد من القرب منها كما طرد ابليس فافهم . وأما استعمالها في غير الوضوء فبالأولى لأنه إذا ترك استعمالها في مواطن الطاعات من الاحتياط ففي غيرها من باب أولى فافهم .

ومن ذلك المضيب بالفضة ضبة كبيرة حرام عند الأئمة الثلاثة بتفصيل عند الشافعي مع قول ابي حنيفة : لا يحرم المضيب بالفضة مطلقاً فالاول مشدد والثاني مخفف ، ووجه الاول كمال الشفقة على دين الامة كما مر وذلك أن من استعمل الإناء المضيب بالفضة أو الذهب يصدق عليه أنه استعمل إناء كان بعض أجزائه من الفضة ، والورع التباعد عن الإناء المضيب كالتباعد عن الإناء الكامل من الفضة ، ووجه الثاني العفو عن مثل ذلك ، ومن ذلك السواك قد اتفق الأئمة الأربعة على استحبابه وقال داود : هو واجب وزاد إسحاق بن راهويه ان من تركه عامداً بطلت صلاته ، لا سيما أن تأذي بتركه المجلس ، فالاول مخفف والثاني مشدد ويدل لها مع قوله ﷺ . « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (١) .

---

(١) رواه البخاري واللفظه ، ومسلم الا أنه قال : عند كل صلاة ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال : مع الوضوء عند كل صلاة ورواه احمد وابن خزيمة في صحيحه وعندهما لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » رواه الطبراني بإسناد حسن وعن عائشة رضي الله عنها أن



أي أمر إيجاب فان فيه رائحة كون الأمر للوجوب ، ولكنه ترك ذلك رحمة بالامة فكأنه ﷺ أشار بقوله لولا أن أشق إلى أنه واجب على من لا مشقة عليه فيه وعلى ذلك فمن لم يجد فيه مشقة وجب عليه ومن وجد فيه مشقة لا يجب عليه فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الثاني مراعاة كمال التعظيم والادب في مناجاة الله عز وجل وهو خاص بالأكابر من العلماء والصالحين الذين لا يشق عليهم ذلك في جنب ما يشهدونه من عظمة الله تعالى وما يستحقه مقام خدمته بل ربما شق عليهم تركه ووجه الاول مراعاة حال مقام المحجوبين عن مثل ذلك المشهد من العوام الجاهلين بما يستحقه مقام خدمته تعالى ومناجاته فإن إيجاب السواك عليهم ربما يشق عليهم لجهلهم المذكور فإن أحدهم لا يكاد تتجلى لقلبه تلك العظمة التي تتجلى للعلماء والصالحين وهذا من باب قولهم ( حسنات الأبرار سيئات المقربين ) فافهم . ومن ذلك عدم كراهة السواك للصائم بعد الزوال عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في إحدى روايتيه لا يكره . وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى يكره فالأول يخفف والثاني مشدد . فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الأول مع ملاحظة ما تقدم مراعاة المسلم لدفع الضرر عن جلسيه حتى لا يتأذى أحد برائحة فمه ، ومعلوم أن كل ما يؤذي المجلس ينبغي تقديم إزالته على حصول الفضائل وأيضا فإن الصائم بعد الزوال ينبغي له التأهب للقاء ربه الى حين يجلس للأكل على مائدته مشاهداً له وهذا هو اللقاء الأصغر بالنظافة وحسن الرائحة كما ورد في حديث : «لصائم فرحتان»<sup>(١)</sup> وإن كان الحق تعالى لا يوصف

---

= النبي ﷺ قال « السواك مطهرة للقم مرضاة للرب » رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما .

(١) هو بعض حديث رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ : «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنه بمشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله» قال الله عز وجل «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي» للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلاف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك» ، ورواه الترمذي عن أبي

بالتأذي بذلك حقيقة إذ هو الخالق لذلك ولكن قد يتبع الشرع العرف في كثير من المسائل وقد ورد في عدة أحاديث الإشارة الى التجوز في إطلاق صفة التأذي عليه سبحانه وتعالى كما أشار اليه حديث البخاري : ( لا أحد أصبر على أذى من الله ) .

ونحو حديث : «من آذى لي ولياً فقد آذاني»<sup>(١)</sup> .

واعتقادنا أن المراد من نسبة نحو هذه الصفات الى الله سبحانه وتعالى إنما هو غاياتها كما هو مقرر في محله<sup>(٢)</sup> من أبواب الفقه فافهم . ووجه الثاني الترغيب في الصوم وكون مثل تلك الرائحة محمودة الأثر في طريق العبادة كما كان النبي ﷺ يترك الصلاة على بعض الشهداء ترغيباً للجبان في الجهاد .

فيقول : « إذا كانت الشهادة توصل صاحبها الى مقام لا يحتاج إلى أحد يدعو له بالمغفرة والرحمة فلا ينبغي له تركه فتتحرك داعيته للجهاد ويزول عنه الجبن » .  
فاعلم ذلك والله تعالى أعلم .

---

<sup>١</sup> = هريرة بلفظ «للمصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقي ربه» .

(١) رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة بلفظ «من عاذني لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» .

(٢) ب في محاله .

## باب النجاسة

أجمع الأئمة على نجاسة الخمر إلا ما حكى عن داود أنه قال بطهارتها مع تحريمها وكذلك اتفقوا على أن الخمرة إذا تخللت بنفسها طهرت وأجمعوا على أن ميتة الجراد والسمك طاهرة وعلى أن الجنب أو الحائض أو المشرك إذا غمس يده في ماء قليل فالماء باق على طهارته . واتفقوا على أن الرطوبة التي تخرج من المعدة نجسة إلا ما حكى عن أبي حنيفة هذا ما تذكرته من مسائل الإجماع والاتفاق .

وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الأئمة الأربعة : إن الخمر نجسة مع قول داود بطهارتها مع تحريمها كما مر فالأول مشدد وأبلغ في الزجر والثاني مخفف من جهة عدم وجوب التطهر منها لأنه لا يلزم من تحريمها نجاسة عينها كاليسر والأنصاب والأزلام وإنما هي نجسة من حيث صفتها ومن هذا الباب قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان وإن كان الثاني ضعيفا جدا فافهم .

ومن ذلك قول الإمام الشافعي وأحمد وأبي حنيفة بنجاسة الكلب مع قول الإمام مالك بطهارته فالأول مشدد في نجاسته وفي الطهارة من ولوغه سبعا لنجاسته إلا عند أبي حنيفة فإنه يقول : الغسل منه مرة إن زالت العين بها وإلا فلا بد من غسله حتى يغلب على الظن إزالتها ولو بعشرين مرة وأكثر كسائر النجاسات لا سبعا . وقال مالك : هو طاهر ويغسل من ولوغه سبعا لنجاسته بل ذلك تعبدى لا يعقل وكذلك

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٨

القول فيما إذا أدخل الكلب عضواً من أعضائه في الإناء فإنه كالولوغ خلافاً للمالك فإنه خص الغسل سبعاً بالولوغ فقط فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه من قال بنجاسة عينه وصفته معا عدم صحة انفكاك الصفة عن الذات . ووجه من قال بطهارة<sup>(١)</sup> أن الأصل في الأشياء الطهارة وإنما النجاسة عارضة فإنها صادرة<sup>(٢)</sup> من تكوين الله تعالى القدوس الطاهر ومن الأدب قولنا بطهارة عينها ثم إن رأينا آثارها يضر استعمالها في بدن أو دين اجتنابها . وقد أجمع أهل الكشف على أن الأكل والشرب من سؤر الكلب يورث القساوة في القلب حتى لا يصير العبد يحسن إلى موعظة ولا فعل شيء من الخيرات وقد جرب ذلك شخص من أصحابنا المالكية فشرب من لبن شرب من كلب فمكث تسعة أشهر وهو مقبوض القلب عن كل خير حتى كاد أن يهلك والشيء الذي يحصل منه ما ذكر يجب اجتنابه ويموز إطلاق النجاسة عليه سواء اردنا الذات مع الصفة أو الصفة فقط كما أطلق الله تعالى اسم الرجس على المشركين من حيث صفتهم التي هي الكفر فإذا أسلم أحدهم طهر فلو كانت النجاسة لعينة لكان لا يطهر بالإسلام . وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : ليس لنا دليل على نجاسة ذات الكلب إلا ما نهى عنه الشارع من بيعه أو أكل ثمنه . وأما من جهة صفته فهو نجس من حيث أن سؤره يمتلئ القلب فيجب اجتنابه كما يمتنع سم الأفاعي من حيث ضررها في البدن مع القول بطهارة ذاتها بل هو أولى بالاجتناب لأنه يضر في الدين قال ولا بدع في تسمية الكلب نجساً من حيث أثره وطاهراً من حيث عينه كما سمي الله تعالى المشركين نجساً والميسر والأزلام رجساً مع إجماع العلماء الأربعة على طهارة جسم المشرك وكذلك آلة القمار والأنصاب والأزلام . قال : ولما كان سؤر الكلب يورث في القلب الذي عليه مدار الجسد موتاً أو ضعفاً يمنع من قبول المواعظ التي تدخله الجنة بالغ الشارع ﷺ في الغسل من أثره سبعاً إحداها بتراب دفعاً لذلك الأثر بالكلية فإنه جمع فيه بين الماء والتراب اللذين إذا اجتماعا أنبتا الزرع فعلم أن أمر الشارع بالغسل من أثر ولوغه سبعاً لا ينافي القول

(١) ب طهارة ذاته

(٢) ب صادرة عن

بطهارة جسمه كالشعبان مع سمه كما مرّ فلذلك بالغ الشارع من الأمر بالغسل منه سبعا إحداها بتراب مبالغه في الشفقة على ديننا والرحمة بنا وكذلك لا ينافي القول بنجاسة صفة القول بطهارة جسمه لعدم انفصال الصفة المذكورة من الذات اهـ . فكما اطلق الإمام الشافعي ومن وافقه نجاسة الكلب ذاتاً وصفة توسعاً كذلك للمالك ومن وافقه إطلاق الطهارة على الكلب ذاتاً وصفة توسعاً وتغليظاً لعدم انفكاك الصفة عن موصوفها وعكسه كما مرّ . وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : التحقيق أن الكلب طاهر العين نجس الصفة وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى أيضاً يقول : لا اعتراض على من قال : إن وجوب الغسل من الكلب أو استحبابه علة لا تعقل لحفائها على غالب الناس لأنه ما اطلع عليها فيما علمنا إلا بعض أهل الكشف فقط . وقد ألزم بعضهم من قال : إن الغسل من الكلب تعبدى لا يعقل بأن ذلك يؤدي إلى أن الشارع خاطب الأمة بما لا يفهمون له معنى وذلك يكاد أن يقرب من صفة العبث الذي ينزه عنه منصب الشارع وقد أمره الله أن يبين للناس ما نزل إليهم أي ما أمروا به بأن يبلغه إليهم وذلك لا يكون إلا بأن يبلغ إليهم اللفظ والمعنى تبليغاً شافياً بحيث ينجلي لهم أمره فلا يلتبس عليهم منه شيء وقال له ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾<sup>(١)</sup> وهو معصوم من عدم البيان مطلقاً اهـ . قلت وقد يرد هذا الإلزام بأن مثل ذلك قد يكون جاء امتحاناً لإيمان بعض الناس بالمعنى المقصود في التفاسير هل يبادرون إلى امتثال الأمر بفعل ذلك الشيء ولو لم يتعقلوا علة أم يتخلفون عن المبادرة حتى يعلموا حكمة ذلك . وقد قال أهل الكشف : إن العمل إذا لم يعلل بشيء كان أقوى في مقام الإيمان وأعظم أجراً منه إذا علل لأنه ربما يكون معظم الباعث للمكلف حينئذ على العمل حكمة تلك العلة من ثواب وغيره لا محض امتثال أمر الله تعالى ورسوله وذلك نقص عن مقام الكمال والله أعلم .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يقدر القائل بطهارة الكلب على رد النص الوارد في الغسل من ولوغه بل يرى العمل به . وإنما وقع

(١) سورة المائدة آية رقم ٦٧ .

الاختلاف بين العلماء فإنما ذلك اختلاف في العلة أو في التسبيح وعدمه فأما الاختلاف في العلة والعدد فذلك لا يقدم في الدين القائل بطهارة الكلب قائل بالغسل منه كما ورد وأما التسبيح فنحن ولو جعلنا الأمر فيه للاستحباب فقد ينهض به الاجتهاد إلى الوجوب كما عليه القائلون بنجاسة فاعلم ذلك فإنه نفيس . وقد ألفنا في ذلك مؤلفاً وذكرنا على ما يرد على ذلك من لطيف الأسئلة والجواب عنها وحاصل ذلك أن أهل الكشف متفقون مع أهل النقل على الحكم بنجاسة الكلب والغسل منه وإنما اختلفوا في العلة فقط ومعلوم أن الاختلاف في العلة لا يقدح في الأحكام فعلته الأصلية عند أهل الكشف نجاسة صفته من حيث إنها تميم القلب كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وعلة عند غير أهل الكشف إما نجاسة عينه وصفته معاً أو علة لا تعقل عند من قال بطهارتهما معاً والغسل منه تعبدية ولا يخفى ما في هذا إذ الأمر بالغسل منه سبباً يقتضي نجاسته ولا بد وإلا كان كلام الشارع كالعبث فلا بد من القول بنجاسته إما ذاتاً وإما صفة<sup>(١)</sup> . ومن ذلك قول الإمام الشافعي وأبي حنيفة بنجاسة الخنزير وأنه يغسل منه سبباً عند الشافعي ومرة عند الإمام أبي حنيفة نظير ما تقدم في الكلب مع قول الإمام مالك رحمه الله تعالى بطهارته حياً فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . وقد اختار الإمام النووي طهارته من حيث الدليل فقال في شرح المذهب الراجح من حيث الدليل أنه يكفي في بول الخنزير غسلة واحدة بلا تراب وبهذا قال أكثر العلماء وهو المختار لأن الأصل عدم وجوب الغسل منه كالكلب حتى يرد في الشرع إلحاقه بالكلب اهـ . ووجه من إلحاقه بالكلب في وجوب الغسل منه كونه أخبث جسماً ولحمياً من الكلب فقياسه على الكلب واضح . ووجه من قال بطهارته عدم ورود نص في الغسل منه سبع مرات كالكلب وأما تحريم لحمه فلا يلحقه بالكلب في النجاسة فقد حرم الله الميتة والخمر ولم يأمرنا الشارع بالغسل منها سبباً إحداهن بتراب فافهم . ومن ذلك عدم وجوب العدد في غسل سائر النجاسات عند أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في إحدى روايته مع الرواية

(١) ب انتهى

الأخرى عنه إنه يجب العدد في سائر النجاسات غير الأرض وفي رواية عنه إنه يجب غسل الإناء سبع مرات وفي رواية أخرى ثلاثاً وفي رواية أخرى إسقاط العدد فيما عدا الكلب والخنزير فالأول مخفف ومقابله مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . فالأول خاص بعوام الناس الذين لا يراعون الورع ولا الاحتياط والثاني خاص بأكابر الناس كالعلماء والصالحين نظير ما ورد في النقض بمس الفرج وعدم النقض به كما سيأتي بسطه في بابيه إن شاء الله تعالى . ومن ذلك قول الإمام الشافعي : ان جلود الميتة كلها تطهر بالدباغ إلا جلد الكلب والخنزير وما تولد منها أو من أحدهما وهو إحدى الروايتين عن أحمد . وأظهرا الروايتين عن مالك مع قول الإمام أبي حنيفة : إن الجلود كلها تطهر بالدباغ إلا جلد الخنزير ومع قول الزهري إنه ينتفع بجلود الميتة كلها من غير دباغ فالأول مشدد من حيث اشتراط الدبغ وكثرة المستثنيات والثاني فيه تخفيف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول زيادة التنزه عن استعمال ما سماه الشرع نجساً أدباً مع الله تعالى أن يجالس العبد وهو ملاصق لشيء نجس شرعاً ووجه الثاني القائل بأن جلد الخنزير لا يظهر بالدباغ المبالغة في التنزه عنه وكونه يستحب قتله مطلقاً بخلاف الكلب فإن فيه تفصيلاً فكان أخف حكماً من الخنزير من هذا الوجه ووجه الثالث القائل بجواز الانتفاع بجلود الميتة من غير دباغ حمل أحاديث الدباغ على الاستحباب دون الوجوب فالأول خاص بالأكابر من العلماء والثاني خاص بمن هو دونهم في التنزه والثالث خاص بأهل الضرورات كما يدل له بعض الآثار فأفهم . ومن ذلك قول الشافعي وأحمد : إن الذكاة لا تعمل شيئاً فيما لا يؤكل مع قول أبي حنيفة ومالك إنها تعمل إلا في الخنزير . وإذا ذكى عندهما سبع أو كلب طهر جلده، ولحمه ولكن أكله حرام عند أبي حنيفة ومكرهه عند مالك فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول أن ما لا يؤكل لحمه خبيث فلا تؤثر فيه الذكاة طهارة ولا طيباً بل حكم ذبحه حكم موته حتف أنفه قال تعالى في مدح نبينا محمد ﷺ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (١) .

(١) سورة الاعراف آية رقم ١٥٧ .

ووجه الثاني أنه لا يلزم من طهارته حله فقد يحرم الشيء الطاهر لضرورة في بدن أو عقل ولحم ما لا يؤكل وإن قيل بطهارته يضر في البدن كما جرب ومن شك فليجرب لو لم يكن إلا أنه يورث أكله البلادة حتى لا يكاد يفهم ظواهر الأمور فضلاً عن بواطنها . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة بالعفو عن مقدار الدرهم من الدم في الثوب والبدن قول الشافعي في الحديد إنه لا يعفى عنه ومع قوله في القديم إنه يعفى عما دون الكف فالأول والثالث مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول الإمام الشافعي بنجاسة شعر الميتة غير الأدمي وصوفها ووبرها مع قول أبي حنيفة وأحمد بطهارة الشعر والصوف والوبر . زاد أبو حنيفة فقال : بطهارة القرن والسن والعظم والريش إذ لا روح فيه ومع قول مالك بطهارة الشعر والصوف والوبر مطلقاً سواء كان يؤكل لحمه كالنعم أو لا يؤكل كالكلب والحمار ومع قول الأوزاعي : إن الشعر ونحوه نجس يطهر بالغسل فالأول مشدد والثاني وما بعده مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه الأول عموم قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ (١) .

ووجه الثاني أن سياق الآية فيما يؤكل لا فيما زاد على الأكل من وجوه الاستعمال وهذه الأشياء لا تؤكل عادة فتستعمل في غير الأكل كاللبس والافتراش ولو بلا غسل عند غير الأوزاعي على أن التحقيق في الشعر والريش ونحوهما إن لها في حال حياة الحيوان وجهاً إلى الحياة من حيث إنها تنمو ووجهها إلى الموت من حيث إن الإنسان أو غيره لا يتأثر إذا قطعت فافهم . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة ومالك بجواز الخرز بشعر الخنزير مع قول الشافعي بمنع ذلك وقول أحمد بكراهته ومع قول الخرقى بالليف أحب إليّ فالأول مخفف والثاني مشدد والثالث والرابع فيها راحة تشديد إن لم يرد أحمد بالكراهة المنع فيؤاخذ به الأكابر من أهل الورع ويسامح<sup>(٢)</sup> الأصاغر فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول البناء على القول بطهارته ووجه الثاني البناء على القول

(١) سورة المائدة آية رقم ٣

(٢) ب ويسامح به الأصاغر



بنجاسته ووجه الثالث والرابع الأخذ بالاحتياط فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ومن ذلك قول الإمام مالك وأحمد الشافعي من أرجح قوليه بطهارة آدمي إذا مات مع قول الإمام أبي حنيفة والمرجوح من قول الشافعي بأنه ينجس لكنه يظهر بالغسل فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول شرف ذات آدمي روحاً وجسماً ووجه الثاني شرف روحه فقط فإذا خرجت من الجسد تنجس لأنه ما كان طاهراً إلا بstriation الروح فيه لكونه مركباً لها وهي من أمر الله وأمر الله طاهر مقدس بالإجماع فكذا ما جاروه فافهم . وأكثر من ذلك لا يقال . فإن قال قائل : كيف قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه بنجاسة آدمي مع حديث «أن المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتاً» (١) . ؟

فالجواب يحتمل أن هذا الحديث لم يبلغه أو بلغه ولم يصح عنده . ومن ذلك قول الأئمة الأربعة بطهارة سؤر البغل والحمار وأنه مطهر على توقف لأبي حنيفة في كونه مطهراً ومع قول الثوري والأوزاعي : إن ما لا يؤكل لحمه سؤره نجس فالأول مخفف ومقابله مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول كون علة منع الطهارة بسؤر البغل والحمار لا يطلع عليها إلا أكابر العلماء بالله فمخفف الأمر فيه على العوام بخلاف الأكابر وبذلك حصل توجيه الثاني فافهم . ومن ذلك قول الشافعي : بنجاسة البول والروث سلقاً مع قول الإمام مالك وأحمد بطهارتهما من مأكول اللحم ومع قول النخعي : جميع أبوال الحيوانات الطاهرة طاهرة ومع قول الإمام أبي حنيفة : ذرق (٢) الطير المأكول اللحم كالحمم والعصافير طاهر وما عداه نجس فالأول مشدد ومقابله مخفف ولو بالنظر لأحد شقي التفصيل فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول كون البهائم من شأنها أن تأكل مع الغفلة عن الله تعالى فلا تكاد تذكر ربها وما لم يذكر اسم

(١) رواه أصحاب الكتب الستة عن أبي هريرة ، لكن لفظ البخاري في كتاب الغسل بزيادة سبحانه الله في أوله مع بيان سبب الحديث ، ورواه أيضاً أحمد ومسلم وغيره عن حذيفة والنسائي عن ابن مسعود والبراني عن أبي موسى .

(٢) ذرق الطائر ذرق وبابه ضرب ونصر

الله عليه فهو قدر شرعاً كما هو مقرر في الشريعة وهو خاص بأكابر العلماء والصالحين الذين يتدنسون بمخالطة الغافلين عن الله لما هم عليه من شدة الطهارة والتقديس بخلاف الأصاغر الذين تغلب عليهم الغفلة فإنهم لا يتأثرون بفضلات أهل الغفلة لعدم تقديس ذواتهم وبذلك حصل توجيه الثاني . وقد جاءت الشريعة على مرتبة الخواص ومرتبة العوام والعلماء تبع للشريعة . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة ومالك بنجاسة المني من الآدمي ومع قول الشافعي وأحمد : إنه طاهر . زاد الشافعي وكذا مني كل حيوان طاهر وأما حكم التنزه عنه فيجب غسله عند مالك وطباً وبأساً . وعند أبي حنيفة يغسل وطباً ويفرك يابساً كما ورد . فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول كونه يخرج مع الغفلة عند الله تعالى غالباً فلا يكاد الشخص يذكر أنه بين يدي الله أبداً بل تعم جسده الغفلة تبعاً لعموم اللذة . ومعلوم أن اللذة النفسانية تميمت كل محل مرت عليه ومن هنا أمر الشارع<sup>(١)</sup> بالغسل من خروج المني لكل البدن إنعاشاً للبدن الذي فتر وضعف من شدة الحجاب عن الله تعالى كما سيأتي بسطه في باب الغسل إن شاء الله تعالى وكل ما حجب عن الله تعالى فهو رجس عند الأكابر بخلاف الأصاغر فكلام أبي حنيفة ومالك خاص بالأكابر من العلماء والصالحين وكلام الإمام الشافعي وأحمد خاص بعوام المسلمين فلذلك غسله النبي ﷺ تارة وتركه أخرى تشريعاً للأكابر والأصاغر فافهم . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة في البثر التي يتوضأ منها إذا خرجت منها فارة ميتة إنها إن كانت منتفخة أعاد صلاة ثلاثة أيام وإن لم تكن منتفخة أعاد صلاة يوم وليلة مع قول الشافعي وأحمد إن كان الماء يسيراً أعاد من الصلاة ما يغلب على ظنه أنه توضأ منه بعد موتها وإن كان كثيراً ولم يتغير لم يعد شيئاً وإن تغير أعاد من وقت التغير وقال مالك : إن كان معيناً ولم يتغير أحد أوصافه فلا إعادة وإن كان غير معين ففيه روايتان فالأول مشدد والثاني وما بعده مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان فيقال في توجيه ذلك : إن التشديد خاص بالأكابر والتخفيف خاص بالأصاغر بالنظر لمقامها من الطهارة والتقديس . ومن ذلك

---

(١) ب أمرنا الشارع

قول الإمام الشافعي إذا اشتبه طاهر ونجس اجتهد وتطهر بما ظن طهارته من الأواني  
مع قول الإمام أبي حنيفة : إنه لا يجوز الاجتهاد إلا إذا كان عدد آنية الطاهر أكثر ومع  
قول أحمد : إنه لا يتحرى بل يريق الجميع أو يخلطها ويقيم . فالأول مخفف والثاني  
وما بعده مشدد فرجع الأمر إلى مرتبة الميزان وهو محمول على حالين فالأول خاص  
بالعوام والثاني وما بعث خاص بالأكابر لشدة تورعهم وعفافهم والله سبحانه وتعالى  
أعلم .

## باب أسباب الحدث

أجمعوا على نقض الوضوء بالخارج المعتاد من السبيلين وهو البول والغائط  
واتفقوا على أنه من مس ذكره أو دبره بعضو من أعضائه غير يده لا ينتقض واتفقوا على  
أن نوم المضطجع والمتكى بشرطه ينقض الوضوء وعلى أن القهقهة في الصلاة تبطلها  
دون الوضوء خلافاً لأبي حنيفة كما سيأتي وعلى أن أكل الطعام المطبوخ بالنار وأكل  
الخبر لا ينقض الوضوء وعلى أن من تيقن الطهارة وشك في الحدث فهو باق على طهارته  
إلا ما حكى عن بعض أصحاب مالك وكذلك اتفقوا على أنه لا يجوز للمحدث مس  
المصحف ولا حمله إلا ما حكى عن داود وغيره من الجواز هذا ما وجدته من مسائل  
الإجماع والاتفاق . وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الأئمة الثلاثة إنه لا ينقض  
الخارج النادر كالودود والحصاة والريح من القبل مع قول أبي حنيفة بنقض الريح  
الخارج من القبل وهو الراجح من مذهب الإمام الشافعي فإنه قال : بالنقض بالثلاثة  
فالأول مخفف والثاني فيه تشديد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ووجه الأول أن الدود  
حلته الحياة والحصاة من الأكل ليس من الطبيعة المتولدة من الطعام والناقض حقيقة إنما  
هو ما نشأ من الطعام ومن نقض بالحصاة فإنما هو من حيث ما كان عليها من الطبيعة كما  
هو الغالب لا لذاتها كما سيأتي بسطه في أوائل خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى . ووجه  
قد قال بنقض الريح الخارج من القبل ندرته حتى إنه ربما لا يقع للعبد في عمره مرة  
واحدة فافهم . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : إن المنى ناقض للطهارة مع الأصح من  
مذهب الإمام الشافعي أنه لا ينقض الطهارة وإن أوجب الغسل فالأول مشدد والثاني  
مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه الأول . ان لذة خروج المنى شديدة لا

تعادها لذة نفسانية. ومن لازم ذلك شدة الغفلة والغيبة عن الله تعالى فهو أولى بالنقض من خروج البول والغائط من حيث اللذة لا من حيث عينه ووجه الثاني كون ذلك خاصاً بالكابر الأولياء الذين يعدون الغفلة عن الله تعالى حدثاً تجب منه التوبة والطهارة فالأول خاص بالأكابر والثاني خاص بالعوام فاعلم ذلك وتأمل فيه تعرف أنه لا فائدة في القول بعدم نقض الطهارة بالمنى إلا كونه منشأ الأدمي لا غير فإن من خرج منه المنى ممنوع من الصلاة ونحوها أشد من منع المحدث الحدث الأصغر فافهم . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة لا ينقض الوضوء مس الفرج مطلقاً على أي وجه كان مع قول الشافعي . والقول الأرجح من مذهب أحمد بانتقاض الوضوء بيطن الكف وزاد أحمد نقض الطهارة بلمس الذكر بظهر الكف أيضاً ومع قول مالك : إن مسه بشهوة انتقض وإلا فلا فالأول مخفف والثاني مشدد والثالث فيه تشديد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان فالأول خاص بعوام الناس ومقابله خاص بالأكابر وذلك لأن الناقض حقيقة هو كل ما تولد من الأكل وأما النقض بالفرج فإنما هو لمجاورة الفرج للخارج بل ورد أنه ﷺ كان ينضح سراويله لمجاورتها لمجاور الخارج مبالغة في التنزه وليقتدي به خواص أمته دون عوامهم كما أشار إليه حديث «هل هو إلا بضعة منك»<sup>(١)</sup>.

وقال للأكابر: «من مس فرجه فليتوضأ»<sup>(٢)</sup> كما أوضحنا ذلك في كتاب «أسرار الشريعة» وفي خاتمة هذا الكتاب فراجع . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما قال ﷺ لطلق بن عدي حين سأله عن مس الفرج هل هو إلا بضعة منك لينبهه على ما أجمع عليه أهل الكشف من أن الناقض حقيقة إنما هو ما كان متولداً من الطعام والشراب وخرج من الفرج لأمس ذات الفرج وكان طلق بن عدي هذا راعي لبلى لقوم فخفف الشارع عليه رحمة به بخلاف الأكابر من العلماء والصالحين يؤمر أحدهم بالوضوء من مس الذكر مشاكلة لمقامهم في التورع والتنزه عن مس المجاور للمخارج بخلاف الفلاحين والتراسين ونحوهم فإن مقامهم لا يقتضي هذا

(١) راجع تخريج الحديث ص ٢٣٥ .

(٢) راجع هذا الحديث الآخر ص ٢٣٥ .

التنزه العظيم فرجع الأمر في ذلك إلى مرتبتي الميزان . فإن قال الشافعي إن حديث هل هو إلا بضعة منك منسوخ قلنا السادة الحنيفية لا يقولون بنسخه بل هو محكم عندهم فلا بد له من وجه يحمل عليه وقد صح حمله على آحاد العوام ذو العلماء والصالحين فينبغي لكل متدين من الحنفية أن يتوضأ من مس الفرج خروجاً من خلاف الأئمة ولا ينبغي له أن يمس فرجه ويصلي بلا تجديد طهارة ( فإن قال قائل ) إنكم قلتم إن علة النقص بمس الفرج إنما هو لكونه مجاوراً للخارج لا لذاته فلم لم توجبوا الوضوء بمس نفس الخارج فالجواب إنما لم يلزمنا الشارع بالوضوء من مس الخارج لأنه لا لذة في مسه بخلاف خروجه فإن العبد يجد لذة وراحة بخروجه تكاد تعم البدن فلذلك كان فيه الوضوء كاملاً بخلاف مس الخارج الملوث فافهم . وأما وجه من نتقض الطهارة بلمس الذكر بظهر الكف أو باليد إلى المرفق فهو الاحتياط لكون اليد تطلق على ذلك كما في حديث :

«إذا أفضى أحدكم يده إلى فرجه وليس بينهما ستر ولا حجاب فليتوضأ»<sup>(١)</sup> . وسمعت مرة أخرى يقول : ليس لنا ناقض للطهارة إلا وهو متولد من الأكل حتى القهقهة عند من يقول بأنها تنقض الطهارة إذا وقعت في الصلاة . لأنه لولا شبع ما قهقهه فإن الجيعان لا يكاد يتبسم فضلاً عن القهقهة انتهى . وأما مس حلقة الدبر فقال أبو حنيفة ومالك : ( لا ينقض الوضوء ) وقال الشافعي في أرجح قوليه وأحمد ينقض أخذاً برواية من مس فرجه فشمل القبل والدبر فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ومن ذلك قول الشافعي : وأحمد بنقض طهارة من مس فرج غيره صغيراً كان الممسوس أو كبيراً حياً كان أو ميتاً مع قول مالك : إنه لا ينقض مس فرج الصغير . ومع قول أبي حنيفة : إنه لا ينقض مطلقاً فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول إطلاق نقض الطهارة بمس الإنسان فرج نفسه فقيس عليه من فرج غيره بجامع

(١) رواه مالك وابن حبان عن بسر بن صفوان ورواه ابن حبان عنها بلفظ «إذا مس أحدكم فرجه فليتوضأ»، والمرأة مثل ذلك، ورواه ابن ماجه عن جابر بلفظ «إذا مس أحدكم ذكره فعليه الوضوء»، ورواه سعيد بن منصور عن يسره بلفظ «إذا مس أحدكم ذكره فلا يصل حتى يتوضأ» .

علة القبح في ذلك فما نقض طهارة العبد من نفسه كذلك ينقضها من غيره أخذاً بالاحتياط ويؤخذ من ذلك توجيه قول الإمام أبي حنيفة والشافعي وأحمد بعدم نقض طهارة المسوس مع قول مالك بنقضها فإن الأول مخفف والثاني مشدد وإن الأول خاص بالأصاغر والثاني خاص بالأكابر من المتورعين وقد أجمع أهل الكشف على أنه ليس لنا ناقض إلا وفعله سوء أدب أو فيه رائحة من سوء الأدب مع الله تعالى ومن هنا ورد الاستغفار عند الخروج من الخلاء فلا يقع العبد في ناقض إلا وهو غائب عن مشاهدة ربه عز وجل ولا يكاد يحضر مع الله عز وجل في حال خروج الحدث أو وقوعه أبداً وذلك أي عدم الحضور حدث عند الأكابر يتطهرون منه إحياءً لبدنهم الذي مات بإدبارهم عن شهود كونه في حضرة ربه فافهم . وهذا من باب قولهم ( حسنات الأبرار سيئات المقربين ) (١) . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة بعدم نقض الطهارة بلمس الأمرد الجميل مع قول الإمام مالك بإيجاب الوضوء بلمسة وحكى ذلك أيضاً عن الإمام أحمد وغيره فالأول مخفف والثاني مشدد ووجه الأول عدم ورود شيء من الشارع في ذلك فلو كان ذلك ناقضاً لورد لنا حكمه ولو من حديث واحد . ووجه الثاني كون الأحكام دائرة مع العلل غالباً فكما كانت العلة في النقض بلمس المرأة الشهوة للآمس أو الملموس أولهما عادة احتاط الإمام مالك للأمة وقال بنقض الأمرد الذي يشتهي تقيله مثلاً لأنه رضي الله عنه بمن أمنهم الشارع على شريعته من بعده فكل أمر حدث بعد موت الشارع من مستحسن أو مستقبح عرفاً فللمجتهد أن يلحقه بما يشاكلة في الشريعة فالنقض بالأمرد خاص بأراذل الناس وعدم النقض خاص بأشرف الناس الذين لا

(١) هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته ، وهو من كبار الصوفية مات في سنة مائتين وثمانين ، وعده بعضهم حديثاً وليس كذلك وقال النجم رواه ابن عساكر أيضاً عن أبي سعيد الخراز من قوله وحكى عن ذي النون انتهى وعزاه الزركشي في لقطته للجنيدي ، وقال شيخ الإسلام في شرحها الفرق بين الأبرار والمقربين أن المقربين هم الذين أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم واستعملوا في القيام بحقوق مولاها عبودية وطلباً لرضاه ، وأن الأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وإرادتهم وقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات اليقين ليجزوا على مجاهدتهم برفع الدرجات انتهى . كشف الخفاج ١

يشتبهون إلا ما أباحه الله تعالى لهم فإن تنزه الأكابر عند مس الأمرد فهو كمال في التنزيه . وقد يقال : إن عدم النقض بمس الأمرد خاص برعاع الناس والقول بالنقض خاص بأكابر العلماء والصالحين مشاكلة لمقامهم في التباعد عن كل ما لم يأذن به الله تعالى . ومن ذلك قول الإمام الشافعي بأن لمس البالغ المرأة من غير حائل ينقض بكل حال إلا إن كانت المرأة محرماً للامس مع قول مالك وأحمد إنه إن كان ذلك بشهوة نقض وإلا فلا ومع قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى : إن ذلك ينقض بشرط انتشار الذكر بذلك فينقض باللمس والانتشار معاً ومع قول محمد بن الحسن إنه لا ينقض وإن انتشر ذكره ومع قول عطاء : إن لمس أجنبية لا تحل له انتقض وإن لمس زوجته وأتمته لم ينتقض . فالأول مشدد ومقابله مخفف على التفصيل المذكور فيه فرجع الأمر إلي إلى مرتبتي الميزان فالأول مخفف بالأكابر الذين يقيمون محل الشهوة . إذا فقدت مقام وجودها . ومقابله دأثر مع وجود الشهوة بشرطها المذكور فمن العلماء المشدد والمتوسط والمخفف . وأما الملموس فمذهب مالك والراجح من قول الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد أنه كاللامس في النقض فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان في هذه المسألة والتي قبلها ووجه من قال ينقض لمس الأجنبية النظر للنقض بالأنوثة من حيث هي فكأنها حدث ووجه من قال : إنها لا تنقض الأخذ بقول عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقبل بعض نسائه ثم يقوم إلى الصلاة ولا يحدث وضوءاً وهذا خاص بمن ملك أربه . وكان الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه يقول : وجه من منع النقض بلمس المرأة النظر إلى كمالها من حيث المعنى القائم بها المشار إليه بقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (١) .

وهو سر لا يطلع عليه إلا من أطلعه الله تعالى على محل صدور العالم وعرف تلك القوة التي في حفصة وعائشة حتى جعل الله تعالى نفسه وأولى العزم من الملائكة والبشر

(١) سورة التحريم آية رقم ٦



في مقابلتهما وهو سر لا يجوز كشفه للمحجوبين وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : نقض الطهارة بلمس النساء خاص باحد الناس ممن لا يطلعه الله تعالى على كمال النساء من حيث أنهن محل إنتاج العالم والإنتاج بيت الكمال نظير قولهم : إن الخبر المتعدي أفضل من القاصر . وأما عدم النقض بلمسهن فخاص بأهل الكمال الذين يعرفون مراتب الوجود كشفاً و يقيناً لا الذين يشهدون النقص في النساء ويرون الذكورة أكمل من الأنوثة انتهى . وسمعت أيضاً يقول : لو لم يكن من كمال المرأة قوتها إلا كونها تستدعي بالحال أكابر ملوك الدنيا إلى صورة السجود عليها حالة الوقاع لكان في ذلك كفاية في بيان قوتها انتهى . وسمعت أيضاً يقول الأولى القول بنقض العجائز والمحارم والصغيرة لأن العلة في النقض بها قد لا تكون هي الشهوة وإنما ذلك لخصوص وصف في الأنثى فيقف المتورع عن القول بأنهن ينقضن حتى يأتي له نص يخرجهن عن النقض وقد أطلق الله تعالى اسم النساء في قصة فرعون بقوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

على الأطفال فإنه كان لا يذبح الأنثى القريبة العهد بالولادة فكما أطلق الله اسم النساء على المرأة الكبيرة في قوله تعالى ﴿ أَوْ لَا مَسْتُمْ النِّسَاءُ ﴾ <sup>(٢)</sup> من غير تقييد بالبالغة فكذلك أطلق على البنت ساعة ولادتها على حد سواء . وهو مذهب داود رحمه الله فمن الأئمة من دار مع حصول الشهوة ومنهم من راعى محل الشهوة وإن لم تحصل شهوة . وأما وجه من قال : المراد بلمس النساء في الآية هو الجماع لا اللمس باليد فهو لكون اللمس أمراً خفيفاً لا يغيب الإنسان بلذته عند ربه غالباً بخلاف الجماع فإن صاحبه لا يكاد يحضر له قلب مع ربه بل يغيب عن مراقبته وشهوده بالكلية وذلك حدث عند الأكابر من الأولياء باتفاق . ولما كانت اللذة تسري في بدن المجامع كله لا تتحيز بمحل دون آخر أمر المكلف بتعميم البدن في الغسل لينعش بالماء ما مات من بدنه بسريران تلك اللذة فيه فإنها عمت جسده كله إذ المني وإن كان فرعاً من الدم

(١) سورة القصص آية رقم ٤

(٢) سورة النساء آية رقم ٤٣

فهو فرع أقوى من أصله وإن كان البول والغائط والدم أقدر منه في ظاهر الأمر إذ العلة فيه سريان شهوته المغيبة له عند شهود الحق تعالى لا قدارة اللون والرائحة مثلاً ومما يؤيد من قال : إن المراد باللمس في آية ﴿ أَوْلَا مَسْتَمُ السَّنَاءِ ﴾<sup>(١)</sup> الجماع . قوله تعالى ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾<sup>(٢)</sup> فإن المراد باللمس هنا الجماع وقد يكون من قال بذلك إنما قال به لكونه نظراً في لغة العرب فرأى أن اللمس والمس واحد لكن ذلك ينبغي أن يكون خاصاً برعاع الناس خلاف الأكابر فإن مس مقامهم أن يتنزهوا عن لمس النساء ولو بلا شهوة حتى عن لمس الشعر والظفر والسن كما يتنزهون عن الصلاة إذا أكلوا لحم الجذور إلا بعد طهارة تباعداً عنها لكونها محلاً لركوب الشياطين على ظهرها كما ورد لا لكونها لحماً إذ اللحم كله من سائر الحيوان في ذلك واحد فافهم ذلك فإنه نفيس . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : إن لمن نام في صلاته على حالة من أحوال المصلين لا ينتقض وضوؤه وإن طال نومه وإنه إن وقع انتقض مع قول مالك ينتقض في حال الركوع والسجود وإن طال دون القيام والقعود ومع قول الشافعي إنه إن نام ممكناً مقعده لم ينتقض ولو طال النوم وإلا انتقض ومع قول أحمد في أصح الروايات عنه : إنه إن طال نوم القائم والقاعد والراكع والساجد فعليه الوضوء وإلا فلا فالأول مخفف ومقابله مفصل فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول أن النائم في الصلاة قريب من المستيقظ لتعلق قلبه بحضرة الله تعالى وقلة استغراق قلبه في أمور الدنيا وكذلك القول في نوم الممكن مقعده لعدم استغراق قلبه في النوم بخلاف نوم غير الممكن مقعده من الأرض ولذلك قال أشياخ الطريق : من أراد خفة نومه فليضع تحت رأسه مخدة عالية وينم على شقه الأيمن فإن نومه يكون خفيفاً جداً . وأما وجه من قال من العلماء : إن النوم ينقض ولو من ممكن مقعده إن صح عنه ذلك فهو لكونه أي النوم أمراً برز خياله وجه أي اليقظة ووجه إلى الموت بدليل ما ورد في الحديث :

(١) سورة النساء آية رقم ٤٣

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٣٧

## « النوم أخو الموت » (١) .

فكان القول بنقض الطهارة به من باب الأخذ بالاحتياط . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول وجه من نقض الطهارة بخروج الدم الجاري أو بالقهقهة أو بنوم الممكن مقعده أو بمس الإبط الذي فيه صنان أو بمس الأبرص أو الأجذم أو الكافر أو الصليب أو غير ذلك مما وردت فيه الأخبار والآثار وتولد من الأكل والشرب الأخذ بالاحتياط ولأنها لا تقع إلا والقلب غافل عن مراقبة الله عز وجل فلو صحت مراقبة العبد لربه لنزه نفسه عن مس كل قدر حسي أو معنوي تعظيماً لحضرة ربه فلما كانت هذه الأمور من لازم صاحبها الغفلة عن الله تعالى نقض بعض العلماء الطهارة بها قال وجميع النواقض متولدة من الأكل وليس لنا ناقض من غير الأكل أبداً فإن من لا يأكل لا ينام ولا يجري له دم ولا يضحك في الصلاة ولا يتقيأ حتى يملأ فمه ولا يخرج من إبطه صنان ولا يحصل له برص ولا جذام ولا يعصي ربه بمعصية ما فضلا عن الكفر والشرك بل هو كالملائكة . وأما من قال بنقض مس الكافر فلا أنه محل لسخط الله تعالى فاحتاط المؤمن لنفسه بالتطهر من مسه فراراً من موضع السخط والغضب فهو نظير ما تقدم من الوضوء من أكل لحم الجزور (٢) لما ورد أن ظهورها مأوى الشياطين لا من حيث ذات اللحم وكما ورد النهي عن الوضوء من المياه المغضوب عليها كمياء قوم لوط وكما ورد من النهي عن الجلوس على جلود النمار والسباع من حيث أنها تورث القساوة في القلب كما سيأتي بيانه في باب اللباس وكذلك لولا الأكل والشرب ما اشتبهنا لمس النساء ولا جماعهن ولا خرج منا مني ولا جنّ أحدنا

(١) رواه البزار والطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن جابر قال قيل : يا رسول الله أينما أهل الجنة ؟ قال : « لا ، النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا يموتون ، ولا ينامون » لكن لفظ البيهقي عن جابر كما في الجامع الكبير النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة .

(٢) الجزور من الأبل يقع على الذكور والأنثى وهي تؤنث والجمع « الجزر » وجزر السباع اللحم الذي تأكله يقال تركوهم جزراً إذا قتلوهم وجزر الجزور إذا نحرها والمجزر موضع جزورها وفي الحديث عن عمه رضي الله عنه ( إياكم وهذه المجازر ) فإن لها ضراوة كضراوة الخمر وإنما نهاهم عن المداومة على شراء اللحمان واكلها وأن لها عادة كعادة الخمر في افساد المال والإسراف فيه مختار الصحاح مادة جزر .

ولا أغمى عليه ولا تكلمنا بغيبة ولا نغيمة ولا اتخذ أحد من الكفار صليبا يعبده فإن هذه الأمور لا تقع إلا بعد الحجاب بالأكل وأصل ذلك أكلة السيد آدم من الشجرة فإنها لما كانت بيانا لصورة ما يقع فيه بنوه من بعده من حجابهم بالأكل عن الله تعالى أمروا بالتنزه بالغسل أو الوضوء من كل ما تولد من الأكل للملازمة الحجاب والغفلة به عن الله عز وجل ولذلك ابطال العلماء الصلاة بالأكل فيها لامتناع صحة كمال مناجاة العبد لربه في صلاته حال الأكل فتمنعه لذة الأكل عن شهود وكمال الإقبال على مناجاة ربه لامتناع اجتماع لذتين معاً في آن واحد ومراعاة الأدب معه كما سيأتي بسط ذلك في الخاتمة إن شاء الله تعالى ومن ذلك الوضوء مما مست النار كالطبخ والخبز فاتفق الأربعة على عدم النقض به وقال ابن عمرو وأبو هريرة وزيد بن ثابت<sup>(١)</sup> يجب الوضوء من أكله فالأول مخفف والثاني مشدد ووجه الثاني أن النار مظهر غضبي يعذب الله تعالى بها من شاء من العصاة فلا يناسب من أكل مما مسته أن يقف بين يدي الله تعالى إلا بعد التطهر منه طهارة كاملة ووجه الأول خفاء هذا الوجه على غالب الناس فلذلك كان الوضوء منه خاصاً بالأكابر الذين يعرفون وجه ذلك بخلاف الأصاغر فلا يؤمرون بالوضوء منه وكان ذلك آخر الأمر من رسول الله ﷺ توسعة على الأمة فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان فافهم . ومن ذلك قول الأئمة الأربعة : إن من تيقن الطهارة وشك في الحديث أنه يعمل باليقين إلا أن ظاهر مذهب الإمام مالك أنه يني على الحدث ويتوضأ . وقال الحسن : إن كان شكه في الحدث حال الصلاة بنى على يقينه في صلاته وإن كان خارج الصلاة أخذ بمقتضى الشك وهو الحدث فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان فاللائق بالأكابر الأخذ باليقين دون الشك ولو على اصطلاح الفقهاء فإن الله تعالى ذم الذين يتبعون الظن إلا أن عجزوا عن اليقين بطريق من الطرق فاعلم ذلك ومن ذلك قول الأئمة الأربعة : بتحريم مس المصحف على المحدث مع قول داود وغيره بالجواز وكذلك قول الأئمة الأربعة : يجوز

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان البخاري ، كاتب الوحي وقدوة الفرضيين عنه ابنه وابن المسيب وعروة ، توفي سنة ٤٥ هـ ، وقيل سنة ٤٨ هـ .

للمحدث حمله بغلاف أو علاقة إلا عند الشافعي كما يجوز عنده حمله في أمتعة وتفسير ودنانير وقلب ورقة بعود فالأول مشدد وقول داود وغيره مخفف والأول في مسألة الحمل بغلاف وعلاقة مخفف ومقابله مشدد فرجع الأمر في المسألتين إلى مرتبتي الميزان .  
ووجه الأول في المس المبالغة في التعظيم وعملا بظاهر قوله تعالى :

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) .

والوجه الثاني فيه ، أن كلام الله تعالى ليس هو حالاً في الكتابة التي في الورق وإنما هو مجلى لها كخيال النجوم على وجه الماء وكصورة الرائي المرتسمة في المرآة فلا هي عين الرائي ولا هي غيره وهنا أسرار لا تحملها العبارة . ووجه الأول في حمل المصحف بعلاقة عدم مس المصحف لأنه إنما مس العلاقة فصورته صورة من قلب ورق المصحف بعود لأن صورته صورة المعظم على كل حال ووجه الثاني المبالغة في التعظيم ولأنه يعد حاملاً للمصحف بالعلاقة فلكل من المذاهب وجه ولا يخفى أن الورع يتنوع بتنوع المقامات في الأكابر والأصاغر فاعلم ذلك . ومن ذلك قول مالك والشافعي وأحمد في أشهر الروايات عنه بتحريم استقبال القبلة واستدبارها في الصحراء وقول أبي حنيفة : يحرم الاستقبال والاستدبار في الصحراء وفي البنيان مع قول داود بجواز الاستقبال والاستدبار فيهما جميعاً فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول أن من جعل جهة وقوفه بين يدي الله تعالى في صلاته هي جهة بوله وغائطه فقد أساء الأدب فلذلك غاير الشارع بين الجهتين بقوله شرعوا أو غربوا وذلك خاص بالأكابر الذين بالغوا في تعظيم جناب الله عز وجل . ووجه الثاني خفاء مثل ذلك على غالب الناس فهو خاص بالأصاغر فلا يكاد أحد منهم يلحظ ما لحظه الأكابر من التعظيم لكل مقام رجال فاعلم ذلك . ومن ذلك قول مالك والشافعي وأحمد إن الاستنجاء واجب لكن عند مالك وأبي حنيفة أنه إن صلى من غير استنجاء صحت صلاته . وقال أبو حنيفة هو سنة وهي رواية عن مالك فالأول مشدد

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٧٩

والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول المبالغة في وجوب التنزه وهو خاص بالأكابر ووجه الثاني كثرة تكرار خروج النجاسة من هذين المحلين فمخفف فيهما بالاستحباب ومن هنا قال أبو حنيفة : بوجوب غسل النجاسة في غير محل الاستنجاء إذا كانت مقدار الدرهم البخلي لأن ذلك هو مقدار النجاسة التي تكون على محل الاستنجاء عادة . ومن ذلك قول الشافعي وأحمد بوجوب الاستنجاء بثلاثة أحجار وإن حصل الإنقاء بدونها مع قول مالك وأبي حنيفة بجواز الحجر الواحد إذا حصل به الإنقاء فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان ووجه الأول العمل بأمر الشارع مع زيادة التنزه ووجه الثاني حمل الثلاثة في الحديث على الغالب وإلا فإذا حصل الإنقاء بمسحة واحدة فلا معنى لثانية وثالثة لعدم شيء يسمح هناك مع ما في ذلك من رائحة التعظيم للوترية لشرفها بحبة الله تعالى لها كما ورد من قوله ﷺ :

« إن الله وتر يحب الوتر » <sup>(١)</sup> .

ولكن لما كان دون الثلاثة أحجار لا يكفي في العادة قدم الشارع إزالة النجاسة على مراعاة ما هو أدب في العرف مع أن مقام الوترية لا يكاد يخطر على قلب المستنحي لغلبة الغفلة على العبد حال الاستنجاء فافهم . ومن ذلك قول الشافعي وأحمد لا يجزئ الاستنجاء بعظم ولا روث مع قول أبي حنيفة ومالك : إنه يجزئ بهما لكن مع الكراهة بهما فالأول مشدد والثاني مخفف ووجه الأول نهي الشارع عن الاستنجاء بهما والنهي يقتضي الفساد ووجه الثاني أن النهي عن الاستنجاء بهما نهي تنزيه فالأول خاص بالأكابر والثاني خاص بالأصاغر لأن علة كون العظم طعام إخواننا الجن يخفي على كثير من الناس وإما علة الروث فلأن المراد بالحجر التخفيف والله تعالى أعلم .

(١) رواه أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه بزيادة « فإذا استجمرت فأوتر »

## باب الوضوء

اتفق الأئمة على أنه لو نوى بقلبه من غير لفظ أجزأه الوضوء بخلاف عكسه وعلى أن غسل الكفين قبل الطهارة مستحب غير واجب إلا ما حكى عن أحمد وعلي أن تحليل اللحية الكثية في الوضوء سنة وعلى أن المرفقين يدخلان في اليدين في الوضوء خلافاً لزفر وأجمعوا على أنه لا يجوز مسح الأذنين عوضاً عن مسح الرأس وعلى أن من توضأ فله أن يصلي بوضوئه ما شاء ما لم ينتقص خلافاً للنخعي في قوله : لا يصلح بوضوء واحد أكثر من خمس صلوات . : وقال عبيد بن عمير<sup>(١)</sup> : لا يصلي بوضوء واحد غير فريضة واحدة وينتقل ما شاء واحتج بالآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا... ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية .

هذا ما وجدته من مسائل الاجماع والاتفاق . وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول كافة العلماء : إنه لا تصح طهارة الابنية فتجب النية في الطهارة عن الحدث الأكبر والأصغر مع قول الإمام أبي حنيفة : لا يفتقر الوضوء والغسل الى النية بخلاف التيمم لا بد فيه من النية فالأول مشدد والثاني فيه تخفيف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه دليل الأول حديث « إنما الأعمال بالنيات » <sup>(٣)</sup> .

---

(١) عبيد بن عمير الليثي قاضي مكة ، عن عمر وأبي وعائشة وعنه ابنه عبد الله وابن أبي مليكة ، وعمر بن دينار ، ذكر ثابت البناني أنه قص على عهد عمر وهذا بعيد مات سنة ٦٨ هـ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٦ .

(٣) متفق عليه عن عمر لكن رواه ابن حبان بدون إنما وورد بالفاظ مختلفة منها العمل بالنية ، ومنها لا عمل إلا بالنية ، وهو فرد باعتبار أوله ، إذ لم يصح إلا عن عمر ، مشهور باعتبار آخره . كشف الخفا ج ١

ووجه الثاني اندراج فروع الاسلام كلها في نية الإسلام كما قال به ابن عباس وأبو سليمان الداراني فقالا لا يحتاج شيء من فروع الاسلام الى نية بعد أن اختار صاحبه الدخول فيه أي في الاسلام ووجه استثناء الإمام أبي حنيفة التيمم كون التراب ضعيف الروحانية فلا يكاد ينعش البدن من الضعف الذي حصل فيه من المعاصي أو الغفلات فلذلك احتاج الى تقويته بالنية كما سيأتي بيانه في بابه إن شاء الله تعالى بخلاف الماء فإنه قوي الروحانية فيحيي كل محل نزل عليه ولو بلا قصد قاصد . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : حقيقة النية عزم المكلف على الفعل مع المقارنة غالباً ومن قال : إنه يتصور من المكلف فعل العبادة بلا نية فما حقق النظر لأنك لو قلت للحنفي وهو يتطهر ماذا تصنع لقال لك أتطهر . وأما من لا يعرف ما يصنع فليس هو بمكلف أصلاً قال ولعل شبهة من نقل عن الإمام أبي حنيفة عدم فرضية النية كونه لا يعرف اصطلاحه فان الغرض عنده ما صرح القرآن بالأمر به أو ما لحق به من السنة المتواترة والإجماع وغير الفرض ما جاء في السنة الغير المتواترة الأمر به ثم إنه ينقسم الى ما هو واجب والى ما هو مندوب كالختان والاستنجاء وقص الأظفار فإنه ثبت بالسنة ففي السنة ما هو واجب وفيها ما هو مندوب فلا يلزم من نفي الإمام أبي حنيفة فرضية النية نفي وجوبها ونظير ذلك اصطلاح السلف على التعبير عن الحرام بلفظ الكراهة فإذا قيل وكره سفيان الوضوء باللبن مثلاً فمرادهم المنع وعدم الصحة فافهم . واعرف مصطلح الأئمة قبل الاعتراض عليهم فإنهم أهل أدب مع الله تعالى فغايروا بين لفظ ما جاء في القرآن وبين لفظ ما جاء في السنة وإن كانت السنة ترجع الى القرآن لأنه ﷺ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١﴾ ونظير ذلك تخصيصهم الدعاء للأنبياء بلفظ الصلاة دون الرحمة وإن كانت الصلاة من الله رحمة تميزاً للأنبياء عن الأولياء في الولي رحمه الله أو رضي عنه ولا يقال فيه ﷺ إلا بحكم التبعية للأنبياء كما هو مقرر في كتب الفقه وغيرها . وسمعت رضي الله عنه يقول : كان الإمام أبو حنيفة من أكثر الأئمة أدباً مع الله تعالى ولذلك لم يجعل النية

(١) سورة النجم آية رقم ٣ و ٤



فرضاً وسمى الوتر واجباً لكونها ثبتاً بالسنة لا بالكتاب فقصد بذلك تمييز ما فرضه الله وتمييز ما أوجبه رسول الله ﷺ فليس الخلف لفظياً كما قاله بعضهم بل معنوياً أيضاً فإن ما فرضه الله أشد مما فرضه رسول الله ﷺ من ذات نفسه حين خيره الله تعالى أن يوجب ما شاء أو لا يوجب وأطال في ذلك ثم قال : فاللائق بكل متدين ألا يعمل عملاً إلا بنية سواء كان ذلك من الوسائل أم من المقاصد من حيث أنها مأمور بها شرعاً ولولم يقل أمامنا بوجوبها فإنها سنة على كل حال ونهض بها إلى الوجوب اجتهد المجتهد . فإن قلت فما وجه من أوجب نية رفع الحدث الأصغر مع الأكبر إذا اجتمع الحدثان على المكلف . فالجواب وجهه أن الأصل في كل حدث إفراده بنية فقد لا يكون الشارع يرى اندراج الأصغر في الأكبر لحكمة تخفى على غالب الناس وقد بسطنا الكلام على ما يرد على مذاهب العلماء في النية منطوقاً ومفهوماً في كتاب «الأجوبة عن الأئمة»<sup>(١)</sup> فراجع . ومن ذلك قول الأئمة : إن النطق بالنية كمال في العبادة مع قول مالك : إنه يكره النطق بها فالاول كالشدد والثاني مخفف فرجع الامر إلى مرتبتي الميزان .

وجه الاول مراعاة حال غالب الناس من عدم وصولهم في الهبة والتعظيم إلى حد يمنعهم من النطق أو ثقله عليهم إذا أقبلوا على فعل مأمور به وجه الثاني مراعاة حال الأكابر الذين استحكمت فيهم عظمة الله تعالى حتى منعتهم من القدرة على النطق بالنية بين يديه إلا أن أمرهم بذلك ولم يصح لنا في ذلك أمر بالنطق بها وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : إني أقدر على النطق بنية الطهارة ولا أقدر على النطق بنية الصلاة من حيث أن الطهارة مفتاح طريق الصلاة فهي بعيدة عن مقام المناجاة لله تعالى عادة وفرق بين الوسائل والمقاصد فاعلم ذلك فإنه نفيس وسيأتي في بيان حكمة الجهر في أولتي المغرب والعشاء أن من خصائص الحق جل وعلا أن العبد يزداد هبة وتعظيماً كلما أطال الوقوف بين يديه بخلاف ملوك الدنيا ولذلك كان الإسرار مستحبا في غير الركعتين الأولىين من الفرائض الجهرية والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن ذلك

(١) هذا الكتاب مطبوع وتوجد ثلاث نسخ منه بدار الكتب المصرية تحمل رقم ٢٥ ، ١٩٣٥ ، ١٤٥ م ، وتوجد نسخة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٨٠١ حليم ٣٣٤٣٥ .

قول الأئمة الثلاثة : وإحدى الروایتين عن أحمد : إن التسمية في الوضوء مستحبة مع قول داود وأحمد إنها واجبة لا يصح الوضوء إلا بها سواء في ذلك العمد والسهو ومع قول اسحاق إن نسيها أجزأته طهارته وإلا فلا فالأول مخفف والثاني مشدد والأول محمول على حال أهل الغرب من شهود حضرة الله عز وجل والثاني على غيرهم فلذلك كان ذكر الله تعالى مستحباً لا واجباً . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : كل من لم يذكر اسم الله تعالى فهو قريب من الميتة في الحكم من حيث عدم طهارته بقرينة ظاهر قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾<sup>(١)</sup> يعني ولو أنهر ذبحها الدم الفاسد الذي يضر البدن في أكله فما جعل ذبيحة المشرك رجساً إلا عدم ذكر اسم الله عليها بخلاف ذبائح أهل الكتاب فإن الشريعة أباحتها انتهى أي فإن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذبح على اسم الأصنام فظاهرها يشهد لما قاله الشيخ كما يشهد له أيضاً حديث « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »<sup>(٢)</sup> فإن ظاهره عند بعضهم نفي الصحة وإن حمله بعضهم على الكمال كما مر . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة في غسل اليدين قبل الطهارة مستحب مع قول أحمد : إن ذلك واجب لكن من نوم الليل دون النهار ومع قول بعض أهل الظاهر بالوجوب مطلقاً بعداً لا لنجاسة فإن أدخل يده في الإناء قبل غسلها لم يفسد الماء إلا عند الحسن البصري فالأول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة باستحباب المضمضة والاستنشاق في الوضوء مع قول الإمام أحمد في أشهر الروایتين بوجوبها في الحدث الأكبر والأصغر فالأول مخفف والثاني مشدد إما لظاهر حديث « تمضمضوا واستنشقوا »<sup>(٣)</sup> عند من

(١) سورة الانعام آية رقم ١٢١ .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن ماجه وأبو داود والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه ابن ماجه عن سعيد بن زيد .

(٣) رواه البيهقي عن علي رضي الله عنه أنه وصف وضوء النبي ﷺ فمضمض ثلاثاً مع الاستنشاق بماء واحد . ورواه الترمذي في كتاب الطهارة باب المضمضة والاستنشاق .

صححه فإن الأمر للوجوب حتى يصرفه صارف وإما إن أصله مستحب ونهض به الى الوجوب اجتهد المجتهد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه الاستحباب أن الفم والأنف باطنهما من جنس الباطن والطهارة ما شرعت بالأصالة إلا على الظاهر من البدن فالتعرض لهما إنما هو على سبيل الاستحباب ووجوب كون<sup>(١)</sup> الفم محل اللسان والطعام فكم وقع اللسان في إثم وكم نزل منه الى الجوف حرام أو شبهات ؟ وقد صرح في الحديث بأن اللسان أكثر الأعضاء مخالفة بقوله ﷺ لمعاذ :

« وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »<sup>(٢)</sup> .

فيجب على هذا القول على العبد إذا تطهر أن يغسل فمه غسلًا جيدًا بالماء مع التحلل فمن وقع هو في عرضه من سائر الناس والاكتثار من الاستغفار كما هو مقرر في كتب الشريعة . وأما وجه وجوب الاستنشاق فهو كون الأنف محل مبيت الشيطان كما ورد ومحل ظهور الكبرياء والأنفة عن الحق والعمل به ولا يكاد يسلم أحد من هذا الكبر إلا أن صار يرى نفسه دون المسلمين أجمعين كما بسطنا الكلام عليه أول عهود المشايخ فراجع . وكان سيدي الشيخ ابراهيم الدسوقي يقول : كلمة الغيبة أشد من النجاسة من خروج الريح ومن أكل البعر وكان يقول : لا ينبغي لقارئ القرآن أن يقرأه الا بلسان طاهر من الغيبة والنميمة وأكل الحرام والشبهات فقد أجمع أهل الله تعالى على أن من أكل حراماً أو وقع في غيبة فقد تنجس نجاسة تمنعه من دخول حضرة الله سواء في الصلاة وغيرها قالوا ومراد الشارع لأتمه ألا يقوم أحد منهم يناجي ربه في الصلاة الا على طهارة ظاهرة وباطنة من سائر الذنوب وقالوا مثال من يتكلم بالقبیح ثم يقرأ القرآن مثال من رمى مصحفاً في قاذورة ولا شك في كفره . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : إنما سن رسول الله ﷺ المضمضة والاستنشاق وقدمهما على غسل الوجه بإذن من ربه عز وجل لثلا يغفل الناس عنهما لكونهما لا يعدان من الوجه إلا بعد إمعان النظر الى باطنهما فلا يقال : كان ينبغي تأخيرهما عما شرعه الله عز وجل

(١) ب ووجه الوجوب كون (٢) سبق تخريج هذا الحديث في ص ٢٢٤ .

(٣) هو كتاب البحر المورود في الموائيق والمهود مخطوط وقد سبق الكلام عليه .

من غسل الوجه لأن الشارع معصوم من الوقوع في سوء الأدب وقد قدمنا إنه إنما سنهما بإذن من ربه عز وجل كما أخر مسح الأذنين كذلك بإذن من ربه انتهى . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة إن البياض الذي بين شعر الأذن واللحية من الوجه مع قول مالك وأبي يوسف : إنه ليس من الوجه فلا يجب غسله مع الوجه في الوضوء فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ووجه الأول حصول المواجهة به في حضرة الله تعالى عند خطابه ووجه الثاني عدم وقوع المواجهة به فإن الشرع قد تبع العرف في ذلك عند القائل به وإلا فكل جزء من بدن العبد ظاهراً وباطناً ظاهر للحق تعالى كما أشار اليه فرض الحق تعالى ليلة الإسراء الغسل لجميع البدن عند كل صلاة ثم خفف الله ذلك بالوضوء ورضي منهم به في الصلاة مع الاستنجاء ثم لما كان القلب محلاً لنظر الحق تعالى من العبد أمر الله تعالى العبد بالتوبة فوراً مسارعة للتطهير من النجاسة المعنوية لأن الماء لا يصل الى القلب فافهم . ومن ذلك قول الأئمة الأربعة بأن المرفقين يدخلان في وجوب غسل اليدين مع قول الإمام داود والإمام زفر رحمهما الله تعالى أنهما لا يدخلان فالأول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الاول أنها محل الارتفاق وتكمل الحركة بهما في فعل المخالفات ووجه الثاني كونها مجموع شيئين إبرة الذراع ورأس العظمين فلم يتمحضاً للذراعين فخفف فيهما . ومن ذلك قول الإمام مالك وأحمد في أظهر الروايات عنه بوجوب مسح جميع الرأس في الوضوء مع قول أبي حنيفة والشافعي بوجوب البعض فقط مع اختلافهما في قدره فالشافعي يقول : يجب ما ينطلق عليه اسم المسح وأبو حنيفة يقول البعض هو ربع الرأس ويكون ذلك بثلاثة من أصابعه حتى لو مسح رأسه بإصبعين لا يكفي وقال الشافعي : لا يتعين المسح باليد فالأول مشدد والثاني فيه بعض تشديد والثالث فيه تخفيف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه الأول الأخذ بالاحتياط فيمسح جميع محل الرياسة التي عند المتوضئ ليخرج عن الكبر الذي في ضمناها . ويمكن من دخول حضرة الله تعالى في الصلاة فإن من كان عنده مثقال ذرة من كبر لا يمكن من دخول الجنة يوم القيامة كما ورد إذ هي الحضرة الخاصة

وكذلك القول في حضرة الصلاة ووجه من يقول بمسح البعض فقط أن العبد لا يمكنه الخروج عن الرياسة بالكلية لأنه لا بد أن يأمر غيره أو ينهاه وذلك رياسة ووجه من يقول بوجوب مسح ربيع الرأس فقط الرحمة بالعوام فإن غالبهم يغلب عليه الرياسة والكبر لحجابه عن مقام عبوديته فلا يكاد يرى نفسه تحت حكم غيره الا قهراً فلذلك سُمح أحدهم ببقاء ثلاثة أرباع رياسته واكتفى بربع عبوديته . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : إن المسح على العمامة لا يجزىء مع قول احمد بأنه يجزىء لكن بشرط أن يكون تحت الحنك منها شيء رواية واحدة وإن كانت مدورة لا ثؤابة لها يعني اللثام لم يجز المسح عليها وعنه في مسح المرأة على قناعها المستدير تحت حلقها رواية وهل يشترط أن يكون لبس العمامة على طهر روايتان : فالاول مشدد والثاني مخفف بالشرط الذي ذكره ووجه الاول إن الرياسة حقيقة في نفس الرأس لا فيما عليها من عمامة أو قلنسوة فوجب مباشرتها بالمسح دفعاً للرياسة والكبر ووجه الثاني النظر الى كون الرياسة حقيقة إنما هي في القلب . والرأس بدل عنه لاحتمال أن يكون اسمه مشتقاً من الرياسة وهو معنى من المعاني فلا فرق في الإشارة اليه بالمسح بين أن يكون ذلك بحائل أو بلا حائل ومن هنا خفف الأئمة الثلاثة باستحباب مسحه مرة واحدة فقط وشدد الشافعي باستحباب مسحه ثلاثاً ووجه الاول إنه محمول على حال الاكابر الذين لم يظهر عليهم كبر والثاني خاص بالأصاغر الذين يظهر عليهم الكبر فيمسحون رأسهم ثلاث مرات مبالغة في إزالة الكبر الذي عندهم ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : إن الأذنين من الرأس يستحب مسحهما معه مع قول الشافعي أنها عضوان مستقلان يسحان بماء جديد بعد مسح الرأس . وقال الزهري : هما من الوجه فيغسلان ظاهراً وباطناً مع الوجه . وقال الشعبي وجماعة : ما أقبل منهما فمن الوجه يغسل نعه وما أدبر منهما فمن الرأس يمسح معه فالأول مخفف وقول الشافعي مشدد وكذا ما بعده ووجه الأول كون الأذنين لا يتصور فيهما عصيان حقيقة وإنما هي طريقتان الى وصول الكلام الحرام منهما الى القلب فلذلك خفف فيهما بالمسح لكون الكلام الحرام يمر عليهما ويمسحاً مساً ووجه الثاني كونها كانا سبباً لوصول سوء

الظن بالناس من كثرة ما يسمعان ذلك ويوصلانه إلى القلب فهما كـ «مَنْ سَنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها»<sup>(١)</sup> فلذلك وجب غسلها إزالة لذلك الوزر في الظاهر وأوجبنا على العبد التوبة من سوء الظن في الباطن من هنا يعرف توجيه قول الإمام أبي حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنهما أنها يمسخان مرة واحدة . وقول الإمام الشافعي أنها يمسخان ثلاثا وهو الرواية الأخرى عن أحمد . ومن ذلك قول مالك والشافعي إنَّ مسح صفحة العنق بالماء ليس سنة مع قول أبي حنيفة وأحمد وبعض الشافعية بأنه مستحب فالأول مخفف ومقابل له مشدد ووجه الأول عدم ثبوت حديث فيه فكان بدعة . ووجه الثاني ما رواه الديلمي . مسح العنق أمان من الغل مع ما جرب من زوال الغم والهم إذا مسح العنق فلا بد لذلك من حكمة . وإذا ضعف العقل<sup>(٢)</sup> عملنا بالتجربة . ومن ذلك اتفاق الأئمة على أن غسل القدمين في الطهارة مع القدرة فرض إذا لم يكن لابسا للخف مع ما حكى عن أحمد والاوزاعي والثوري وابن جرير من جواز مسح جميع القدمين . وإن الإنسان عندهم مخير بين الغسل وبين المسح فالأول مشدد ومعه ثبوت الفعل من رسول الله ﷺ والثاني مخفف ومعه ظاهر القرآن في قراءة الجرح فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان . ووجه الأول مؤاخذه العبد بالمشي بهما في غير طاعة الله عز وجل وكونهما حاملين للجسم كله ومُمدِّين له بالقوة على المشي فإذا ضعفوا بالمخالفة أو الغفلة سرى ذلك فيما حملاه كما يسري منهما القوة إلى ما فوقهما إذا عسلا فإنهما كعروق الشجر التي تشرب الماء وتمد الأغصان بالأوراق والثمار فتعين فيهما الغسل دون المسح ووجه الثاني

(١) رواه مسلم عن جرير قال في فتح الباري : وهو محمول على من لم يتب من ذلك الذنب انتهى : وعزاه النجم لمسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير بلفظ «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء» ، ورواه ابن ماجه عن أبي جحيفة نحوه ، وعزاه النووي في رياض الصالحين لمسلم في آخر حديث عن جرير بلفظ «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» . انتهى .

(٢) ب النقل عملنا بالتجربة .

كونها لا يكثر منها العصيان بخلاف ما حملاه من الأعضاء فاكتفى صاحب هذا القول بمسحهما مع قوله بأن الغسل أفضل ولا بد وقد كان ابن عباس يقول : فرض الرجلين المسح لا الغسل فاعلم ذلك . ومن ذلك قول بعضهم بكراهة النقص عن الثلاث في غسلات الوضوء ومسحاته مع قول بعضهم بعدم الكراهة لثبوت الاقتصار على مرة وعلى مرتين من رسول الله ﷺ فالاول مشدد والثاني مخفف فرجع الامر الى مرتبتي الميزان . ويضح حل الاول على حال العوام الذين يقعون في المعاصي والغفلات وحمل الثاني على اكابر العلماء الذين لا يقعون في معصية فإن هؤلاء حياة أبدانهم يكفيهم الغسل أو المسح مرة واحدة أو مرتين ويصح أن يكون الامر بالعكس فيكفي العاصي المرة الواحدة أو الاثنتان لأنه هو الذي يليق به الرخصة بخلاف الأكابر والى ذلك أشار ﷺ بقوله بعد أن توضأ ثلاثاً ثلاثاً : « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » (١) انتهى .

وذلك لأنهم أكابر الحضرة الإلهية فيطالبون بمزيد نظافة وحياة كل عضو بخلاف العامة فاعلم ذلك . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة ومالك في إحدى روايته بعدم وجوب الترتيب في الوضوء مع قول الشافعي وأحمد بوجوبه فالاول مخفف والثاني مشدد ووجه الأول : فهم أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى من القرآن . أن المقصود غسل هذه الأعضاء ومسح بعضها وكما طهارتها قبل فعل ما يتوقف على الطهارة سواء تقدم بعضها على بعض كالرجلين على غسل الوجه أو تأخر عنه كالوضوء منكوساً . وقد كان الإمام علي بن أبي طالب يقول : لا أبالي بأي أعضاء الوضوء

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه ولفظه : عن معاوية بن مرة عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ دعا بماء فتوضأ مرة فقال : « هذا وظيفة الوضوء » أو قال : « وضوء من لم يتوضأ لم يقبل الله له صلاة » . ثم توضأ مرتين ثم قال : « هذا وضوء من توضأ اعطاه الله كفلين من الأجر » ثم توضأ ثلاثاً فقال « هذا وضوئي ووضوء المرسلين من قبلي » وقال عنه ابن ماجه : في الزائد : في اسناده زيد هو العمي ضعيف وكذا الراوي عنه ، ورواه الإمام احمد في مسنده عن ابي اسرائيل عن زيد العمي عن نافع عن ابن عمر ، انظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٤٦ باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين ، وثلاثاً . طبعة دار الكتب .

بدأت وبتقدير عدم وجوبه فأصله سنة بالاجماع ونهض به الى الوجوب اجتهاد الائمة  
القائلين به . ووجه الثاني أن الوضوء الخالي عن الترتيب لم يرد لنا فيه شيء عن رسول  
الله ﷺ فيخاف أن يكون داخلا في عموم قوله ﷺ :

« كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌ » <sup>(١)</sup> أي غير مقبول . لكن لما استند الى  
الاجتهاد كان مقبولا من حيث إن الشارع قرر حكم المجتهد وإنما لم يرد لنا حديث في  
تقديم أحد الخدين أو الأذنين على الآخر لأن حكمة تقديم اليمنى من اليدين والرجلين  
إنما هو لكون اليمنى أقوى من اليسار عادة وأسرع الى المعصية من اليسار فلذلك ندب  
الشارع الى تقديمها مسارعة لطهارتها كما كانت أسرع لفعل المخالفات ولا هكذا  
الخدان والأذنان فإنه لا يتصور فيهما ما ذكرته في اليدين فلذلك كانا يطهران دفعة  
واحدة والله أعلم . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة بأن الموالاة سنة وهو أصح  
القولين عند الشافعية مع قول مالك وأحمد في أشهر الروايتين إنها واجبة فالاول مخفف  
والثاني مشدد فرجع الامر الى مرتبتي الميزان ووجه الاول أن الاصل في أبدان المتطهرين  
عدم عصيانها لربها وعدم طول غفلتها عنه ومن كان كذلك فأعضاؤه حية لا يؤثر فيها  
جفاف كل عضو قبل غسل ما بعده سواء قلنا بوجوب الترتيب أم لا . ووجه من قال  
بوجوب الموالاة كون الغالب على المتطهرين ضعف أبدانهم من كثرة المعاصي أو  
الغفلات أو أكل الشهوات وإذا لم يكن موالاة جفت الاعضاء كلها قبل القيام الى  
الصلاة مثلا . وإذا جفت فكأنها لم تغسل ولم تكتسب بالماء انتعاشاً ولا حياة تقف بها  
بين يدي ربها فخاطبت ربها بلا كمال حضور ولا إقبال على مناجاته هذا حكم غالب  
الابدان . أما أبدان العلماء العاملين وغيرهم من الصالحين فلا يحتاجون الى تشديد في  
أمر الموالاة لحياة أبدانهم بالماء ولو طال الفصل بين غسل أعضائهم فيحمل قول من قال  
بوجوب الموالاة على طهارة عوام الناس ويحمل قول من قال بالاستعجاب على طهارة  
علمائهم وصالحهم . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : نعم قول من  
قال بوجوب الموالاة في هذا الزمان فإن من لم يوجبها يؤدي قوله الى جواز طول الفصل

---

(١) راجع تفريغ هذا الحديث ص ١٤٢ .



جداً وزيادة البطء في زمن الطهارة وفوات أول الوقت كأن يغسل وجهه في الوضوء للظهر بعد صلاة الصبح ثم يغسل يديه رينح النهار ثم يمسخ رأسه بعد زوال الشمس ثم يغسل رجله قبيل العصر مع وقوع ذلك المتوضىء مثلاً في الغيبة النسيمة والاستهزاء والسخرية والضحك والغفلة وغير ذلك من المعاصي والمكروهات أو خلاف الأولى إن كان ممن يؤاخذ به كما يؤاخذ بأكل الشهوات فمثل هذا الوضوء إن كان صحيحاً في ظاهر الشرع من حيث إنه يصدق عليه أنه وضوء كامل فهو قليل النفع لعدم حصول حياة الاعضاء به بعد موتها أو ضعفها أو فتورها . ففات بذلك حكمة الأمر بالموالة في الوضوء وجوباً أو استحباباً وهي إنعاش البدن وحياته قبل الوقوف بين يدي الله تعالى للمناجاة ثم لو قدر عدم وقوع ذلك المتوضىء الذي لم يوال في معصية أو غفلة في الزمن المتخلل بين غسل الأعضاء فالبدن ناشف كالأعضاء التي عمتها الغفلة والسهو والملل والسامة فلم يصير لها داعية إلى كمال الإقبال على الله تعالى حال مناجاته وبالجمله فالموالة من أصلها سنة ونهض بها الى الوجوب الاجتهاد فهي مطلوبة بكل حال والله أعلم . ومن ذلك اتفاق الأئمة الأربعة على أن من توضأ فله أن يصلي بوضوئه ما شاء من الفرائض ما لم ينتقض وضوؤه مع قول النخعي أنه لا يصلي بوضوء واحد أكثر من خمس صلوات ومع قول عبيد بن عمير يجب الوضوء لكل صلاة واحتج بالآية فالاول مخفف والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ووجه الاول الاجماع من أهل الشريعة والحقيقة على ذلك . ووجه قول النخعي ما ثبت أنه ﷺ جمع بين خمس صلوات يوم الاحزاب فلا يزداد على ذلك . ووجه قول عبيد بن عمير العمل بظاهر القرآن وهو خاص بمن يقع في الذنوب كثيراً والاول خاص بمن لا يقع في ذنب والثاني متوسط بين الاول والثالث والله تعالى أعلم .

## باب الغسل

أجمع الاثمة على أنه يحرم على الجنب حمل المصحف ومسحه وعلى وجوب تعميم البدن بالغسل وأنه لا يكفي في الجنابة مسح الرأس بالماء قياساً على الخف أي فكما أنه يجب نزعه في الجنابة وغسل الرجلين ولا يكتفي فيه بالمسح فكذلك الرأس في الجنابة بجامع كون كل منهما ممسوحاً ولم أجد لذلك دليلاً صريحاً هذا ما وجدته من مسائل الإجماع . وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك اتفاق الاثمة الأربعة على وجوب الغسل من التقاء الختاتين وإن لم يحصل إنزال مع قول داود وجماعة من الصحابة بأن الغسل لا يجب لا بالإنزال إن لم يثبت نسخ ذلك ولا فرق بين فرج آدمي والبهيمة عند مالك والشافعي وأحمد . وقال ابو حنيفة : لا يجب الغسل في وطء البهيمة الا بالإنزال فالاول مشدد والثاني مخفف في مسألتي جماع آدمي والبهيمة فرجع الامر الى مرتبتي الميزان . ووجه الاول في المسألتين حصول اللذة التي يغيب معها العبد عن مشاهدة حضرة ربه عادة مع ثبوت الدليل فيه . ووجه الثاني فيهما عدم كمال اللذة إذ لا تكمل الا بالإنزال فالاول خاص بالأكابر الذين يبالغون في التنزيه . والثاني خاص بالأصاغر الذين لا يقدرّون على المشي على ما عليه الأكابر . ويصح أن يكون الامر بالعكس من جهة غلبة الشهوة وضعفها فلا يجب الغسل على الأكابر الا بالإنزال لأن الجماع من غير إنزال لا يؤثر فيهم غيبة عن ربهم لما هم عليه من القوة كما يؤيده قول عائشة :

( وأيكم يملك إربه كما كان ﷺ يملك إربه ) في قصة تقبيل نسائه وهو صائم أو هو متوضئ ثم يقوم الى الصلاة ، فاعلم ذلك . ومن ذلك قول الإمام الشافعي : إن

الغسل يجب بخروج المني وإن لم يقارن اللذة مع قول أبي حنيفة ومالك : إنه لا يجب الغسل الا مع مقارنة اللذة لخروج المني بشرطه فالاول مشدد والثاني مخفف والقول فيه كالقول في الجماع مع الإنزال أو بلا إنزال فلا نعيده . ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة وأحمد : لو خرج منه مني بعد الغسل من الجنابة فإن كان بعد البول فلا غسل والا . وجب الغسل مع قول الشافعي بوجوب الغسل مطلقا . ومع قوله مالك : لا يجب الغسل مطلقاً فالاول فيه تشديد والثاني مشدد بالكلية والثالث مخفف بالكلية فرجع الامر الى مرتبتي الميزان ومن ذلك قول الشافعي : يجب الغسل بخروج المني وإن لم يتدفق مع قول الأئمة الثلاثة بعدم وجوب الغسل إذا لم يتدفق . فالاول مشدد ومقابلته مخفف فرجع الامر الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول الأئمة الثلاثة : إنه لا يجب الغسل الا بانفصال المني من رأس الذكر مثلاً مع قول الإمام أحمد بوجوب الغسل إذا أحس بانتقال المني من الظهر الى الإحليل وإن لم يخرج فالاول مخفف خاص بعوام المسلمين والثاني مشدد خاص بالأكابر . ومن ذلك قول مالك وأحمد بوجوب الغسل على الكافر إذا أسلم مع قول أبي حنيفة والشافعي باستحباب ذلك فالاول مشدد والثاني مخفف . ووجه الثاني ان الله تعالى أطلق الحياة على من أسلم بقوله :

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾<sup>(١)</sup>

وصار<sup>(٢)</sup> جسمه حيا بعد موت فلا يجب عليه غسل إنما ذلك على وجه الاستحباب وزيادة التنزه ويؤيد ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَمُوتُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ووجه الاول كمال المبالغة في الحياة فالاسلام أحيا الباطن والماء يحیی الظاهر

(١) سورة الانعام آية رقم ١٢٢

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٨

ب ومن صار جسمه حيا بعد موت

فرجع الامر في ذلك الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول مالك بوجوب إمرار اليد على البدن في غسل الجنابة مع قول الاثمة الثلاثة بأن ذلك مستحب . فالاول مشدد والثاني مخفف ووجه الاول المبالغة في إنعاش البدن من الضعف الحاصل له من سريان لذة خروج المني والجماع ووجه الثاني الاكتفاء بمرور الماء على سطح البدن فإنه يحیی بالطبع كل ما مر عليه من البدن فاللائق بقليل الالتذاذ بالجماع أو بخروج المني الاستحباب واللائق بمن غاب باللذة عن إحساسه الوجوب والله أعلم ومن ذلك قول الاثمة الثلاثة : إنه لا بأس بالوضوء والغسل من فضل ماء الجنب والحائض مع قول أحمد : إنه لا يجوز للرجل أن يتوضأ من فضل وضوء المرأة إذا لم يكن يشاهدها . ووافق محمد بن الحسن على أنه يجوز للمرأة الوضوء من فضل الرجل والمرأة فالاول مخفف والثاني فيه تشديد فرجع الامر الى مرتبتي الميزان . ووجه الاول ثبوت الأدلة فيه ووجه الثاني ما في ماء طهارة المرأة من شدة القذارة عادة ولذلك قيد أحمد ذلك بما إذا لم يكن يشاهدها فيحملها على أنها لم تكن نظيفة حال تطهرها ليس على بدنها قدر بخلاف ما إذا كان يشاهدها حال غسلها فإنه يعمل بعلمه من طهارة أو امتناع فعلم أن اللائق بالأكابر الثاني واللائق بالعوام الأول ونظير ذلك اتفاق الأئمة على أن المرأة إذا اجنبت ثم حاضت كفها غسل واحد مع قول أهل الظاهر : إنه يجب عليها غسلان . ومن ذلك اختلاف أصحاب الشافعي في وجوب الغسل من الولادة بلا بلل مع قول بعضهم بعدم وجوبه فالاول مشدد والثاني مخفف ووجه الاول المبالغة في التنزه من خروج المني ولو صار ولداً ووجه الثاني أن الغسل المذكور ما شرع إلا للقدر الحاصل بالولادة عادة فإذا لم يكن قدر فلا يجب الغسل مع ما فيها ايضاً من شدة الوجع حال الطلق فإن ذلك يفني اللذة المضنية للبدن بالكلية لعدم حصول غفلة عن الله تعالى حال الطلق بل تصير كل شعرة منها متوجهة الى الله حاضرة معه وذلك ربما يقوم مقام الماء في حياة البدن فاعلم ذلك فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين بتحريم قراءة القرآن على الجنب والحائض ولو آية أو آيتين<sup>(١)</sup> ومع قول

(١) ب مع قول الإمام أبي حنيفة بجواز قراءة بعض آية ، ومع قول مالك بجواز قراءة آية أو آيتين .

داود يجوز للجنب قراءة القرآن كله كيف شاء فالاول مشدد والثاني فيه بعض تشديد  
والثالث مخفف بالكلية فرجع الامر الى مرتبتي الميزان ووجه الاول قول رسول الله ﷺ :

« لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن »<sup>(١)</sup> .

فنكر شيئاً فشمل بعض الآية كحرف مع تأييد ذلك بما قاله أهل الحقيقة مع  
أن<sup>(٢)</sup> القرآن الكريم كلام الله تعالى وهو أي الكلام من صفات الحق تعالى الطاهر  
المقدس فلا يناسبه أن يبرز من محل موصوف بالقذارة معنى أو حساً سواء قليلة وكثيرة  
وأيضاً فإن القرآن مشتق من القرء وهو الجمع لكونه يجمع القلب على الله تعالى فطلب  
الشارع من المؤمن ألا يقرأ شيئاً يدعو بالخاصية الى الحضور مع الله إلا على أكمل حال  
في الطهارة بخلاف الجنب والحائض فعلم أن للجنب وغيره أن يقرأ الفرقان من  
الأحكام والاذكار لأنه لا يجمع القلب على الله تعالى وعليه يحمل قول داود من حيث إن  
الفرقان قرآن وعكسه عند الأكابر بخلاف المحجوبين فافهم وأما من جهة الفاظ القرآن  
فالتحقيق أن وجه قول داود : إن القرآن له وجهان وجه الى حضرة صفات الله تعالى  
وهو القائم بالذات ووجه الى الخلق وهو المكتوب في المصحف والمنطوق به في اللسان  
والمحفوظ في القلوب فكلام داود يتمشى على أحد الوجهين ولا يخفي الورع وطلب  
شدة التنظيم من كل مكلف وإن لم يكن القرآن حالاً في اللسان واللفظ حقيقة وأكثر  
من ذلك لا يقال والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهم ورمز له الإمام  
السيوطي في الجامع الصغير بالصحة .

(٢) ب من ان القرآن .

## باب التيمم

أجمع الأئمة على أن التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله جائز . وأجمعوا على وجوب التيمم للجنب كالمحدث وعلى أن المسافر إذا كان معه ماء وخشي العطش فله أن يحبسه ليشربه ويتيمم وعلى أن المحدث إذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه ولزمه استعمال الماء وعلى أنه إذا رأى الماء بعد فراغه من الصلاة التي تسقط بالتيمم ولا تجب إعادتها وإن كان الوقت باقيا وعلى أن التيمم لا يرفع الحدث خلافا للداود وعلى أن من خاف التلف من استعمال الماء جاز له تركه وأن يتيمم بلا خلاف هذا ما وجدته من مسائل الاجماع والاتفاق .

وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الإمام الشافعي وأحمد : إن الصعيد في الآية هو التراب فلا يجوز التيمم الا بتراب طاهر أو برمل فيه غبار مع قول ابي حنيفة ومالك : الصعيد هو نفس الأرض فيجوز التيمم بجميع أجزاء الأرض ولو بحجر لا تراب عليه ورمل لا غبار فيه وزاد مالك فقال : إنه يجوز التيمم بما اتصل بالأرض كالنبات فالاول مشدد والثاني مخفف فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ووجه الاول قرب التراب من الماء في الروحانية لأن التراب هو ما يحصل من عكارة الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حي فهو أقرب شيء الى الماء بخلاف الحجر فان أصله الزبد الصاعد على وجه الماء فلم يتخلص للمائية ولا للترابية فكان ضعيف الروحانية على كل حال بخلاف التراب . وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما لم يقل الشافعي وغيره بصحة التيمم بالحجر مع وجود التراب لبعد الحجر عن طبع الماء وضعف روحانيته فلا يكاد يحيي العضو المسحوق به ولو سحق لا سيما أعضاء أمثالنا

التي ماتت من كثرة المعاصي والغفلات وأكل الشهوات . وسمعتة مرة أخرى يقول : نعم ما فعل الشافعي من تخصيص التيمم بالتراب لما فيه من قوة الروحانية بعد فقد الماء لا سيما أعضاء من كثر من الوقوع في الخطايا من أمثالنا فعلم أن وجوب استعمال التراب خاص بالأصاغر وجوب استعمال الحجر خاص بالكابر الذين لا يعصون ربهم لكن إن يتمموا بالتراب ازدادوا روحانية وانتعاشاً . وسمعتة مرة أخرى يقول : وجه من قال يصح التيمم بالحجر مع وجود التراب كونه رأى أن أصل الحجر من الماء كما ورد في الصحيح أن رجلاً قال يا رسول الله : جئت أسألك عن كل شيء فقال له رسول الله ﷺ : « كل شيء خلق من الماء » (١) . انتهى فجميع ما على وجه الأرض من طبقاتها أصله من الماء فالطين ما أزيد منه والحجر ما تموج منه حين خلق الله الجبال ولذلك كان الحجر يقطر ماء إذا أوقد عليه في النار فلولا أن أصله من الماء ما قطر ماء . لكن لا ينبغي للمتورع التيمم بالحجر الا بعد فقد التراب لأنه مرتبة ضعيفة بالنظر للتراب وقد قال الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٢) .

« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » (٣)

فمن فقد التراب كان له أن يتيمم بالحجر ويمسح بيديه وجهه تشبيهاً بالماسحين بالتراب وقد قال تعالى :

﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ (٤)

فظاهر الآية أنه لا بد في صحة التيمم من انفصال جسم من الشيء المضروب

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورواه الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه ورمز له الإمام السيوطي في جامعه الصغير بالصحة .

(٢) سورة التغابن آية رقم ١٦

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص ٦٨ .

(٤) سورة النساء آية رقم ٤٣

عليه في اليد وأنه لا يكفي انفصال روحانية من ذلك . وإن كانت شيئاً لطيفاً ونظيراً ما نحن فيه قول علماثنا في باب الحج : إن من لا شعر برأسه يستحب إمرار موسى عليه تشبيهاً بالخالقين فكذلك الأمر هنا فمن فقد التراب المعهود ضرب على الحجر تشبيهاً بالضاربين التراب . ومن ذلك قول مالك والشافعي بوجوب طلب الماء قبل التيمم وأنه شرط في صحته وهو أصح الروايتين عن أحمد مع قول أبي حنيفة وأحمد في الرواية الأخرى بعدم اشتراط الطلب لصحة التيمم فالاول مشدد والثاني مخفف . ووجه الاول قوله تعالى :

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ولا يقال فلان لم يجد ماءً الا بعد أن طلبه فلم يجده . ووجه الثاني : اطلاق قوله تعالى فلم تجدوا أي لم تجدوا ماءً عند إرادتك الطهارة فشمم الفقد مع السكوت وعدم الطلب من الجيران ونحوهم فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان . ومن ذلك قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد : إن مسح اليدين بالتراب الى المرافق كالغسل في الوضوء مع قول مالك وأحمد : إن المسح الى المرافق مستحب فقط والى الكوعين جائز ومع قول الزهري : إن المسح يكون الى الأباط . فالاول <sup>(٢)</sup> مشدد والثاني فيه تخفيف . ووجه الاول : إن الاصل في البدل أن يكون على صورة المبدل ما أمكن ولو من بعض الوجوه . ووجه الثالث ضعف التراب عن روحانية الماء فلذلك عم صاحب هذا القول العضو كله بالمسح الى الإبطين ووجه الثاني ثبوت الحديث في المسح الى الكوعين تارة والى المرفقين تارة وكلاهما خاص بالأكابر الذين تقل معاصي أيديهم بخلاف من يكثر معاصي يديه فإن الضعف ينتشر من الكفين الى المرفقين الى الإبطين فلذلك كان المسح مطلوب الى هذين المحلين فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

وسألت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى عن مسح الرأس بالماء في الوضوء

ولما ترك في التيمم . . ؟

(٢) ب فالاول والثالث مشدد

(١) النساء آية رقم ٤٣



فقال : إنما أمرنا الشارع بمسح الرأس في الوضوء تفأؤلاً بإزالة الرياسة المانعة من دخول حضرة الله تعالى في الصلاة والتميم لما وضع التراب على محاسن وجهه فكأنه خرج من الكبر ، فلم يحتاج الى مسح رأسه بالتراب وكفى بوضع التراب على وجهه ذلاً وانكساراً .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : إنما جوز العلماء الطهارة بالماء قبل دخول الوقت دون التيمم لأن الماء لقوة روحانيته يستمر انتعاش الاعضاء به حتى يدخل وقت الصلاة التي بين يديها بخلاف التراب فإن روحانيته ضعيفة لا تنعش الأعضاء الى الصلاة الآتية ، فلذلك اشترط العلماء في صحة التيمم دخول الوقت لأنه هو الذي يخاطب بالصلاة فيه كما اشار اليه قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . . . ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآية . .

فإن الأمر بالتيمم داخل في حيز الأمر بالطهارة بالماء على حد سواء لكن خرجت الطهارة بالماء بدليل وبقي التيمم على الأصل من أنه لا يتطهر لصلاته الا عند دخول وقتها .

ومن ذلك قول الإمام الشافعي : إن التيمم إذا وجد الماء بعد دخوله في الصلاة - إنها إن كانت تسقط بالتيمم مضي فيها ولم تبطل وإن كانت لا تسقط بالتيمم فالأفضل قطعها ليتوضأ مع قول الإمام مالك : إنه يمضي فيها ولا يقطعها وهي صحيحة .

ومع قول الإمام أبي حنيفة : يبطل تيممه ويلزمه الخروج من الصلاة ومع قول أحمد : أنها تبطل مطلقاً .

فمن الأئمة المذهب لمراعاة أمر الطهارة ومنهم المذهب لمراعاة أمر الصلاة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦

ووجه من قال : يمضي في صلاته استعظام حضرة الله تعالى أن يفارقها العبد حيث دخلها بطهارة صحيحة في الجملة ، ووجه من قال بقطعها ويتوضىء استعظام حضرة الله تعالى أيضاً أن يقف العبد فيها بطهارة ضعيفة لا تنعش أعضائه ولا يحصل بها كمال الإقبال على مناجاة الله عز وجل .

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : وجه من قال إن من وجد الماء في أثناء الصلاة لا يقطعها بل يتمها استحياءه أن يفارق حضرة الله تعالى لفضيلة الوضوء ، لأن مناجاة الله تعالى أهم ، ولأن الصلاة من المقاصد فلا تقطع بالوسائل ، مع استغنائه عنها بوسيلة أخرى .

ووجه من قال : تقطع الصلاة إذا اتسع الوقت ويتوضأ ثم ينشأ صلاة أخرى غلبة عظمة الله تعالى على قلبه فاستحيا منه أن يقف بين يديه يناجيه بطهارة ضعيفة لا تنعش روحانيتها أعضائه ، فرأى أن ذرة من مناجاة الله تعالى مع حياة البدن أفضل من أمثال الجبال من مناجاته مع موت البدن أو ضعفه أو فتوره .

وفي الحديث : « لا يستجيب الله تعالى دعاء من قلب غافل » .

وفي رواية من قلب لاه ، ولا شك أن حكم ضعيف الأعضاء كالغافل أو اللاهي أو الساهي من حيث ضعف توجهه الى الله تعالى انتهى .

ومن ذلك قول الإمام مالك والشافعي وأحمد : إنه لا يجوز الجمع بين فرضين بتيمم واحد سواء في ذلك الحاضر والفائت ، وبه قال جماعة من أكابر الصحابة والتابعين .

وقال أبو حنيفة : التيمم كالوضوء بالماء يصلي به من الحدث الى الحدث أو وجود الماء وبه قال الثوري والحسن ، فالاول مشدد والثاني مخفف فرجع الامر الى مرتبة الميزان .

ووجه من قال : لا يجمع بالتيمم بين فرضين الوقوف على حد ما نقل عن

الشارع ﷺ ، فلم يبلغنا عنه ﷺ أنه جمع بتيمم واحد بين فرضين أبدا كما نقل الينا ذلك في الجمع بين فرائض بوضوء واحد يوم الأحزاب .

والاصل وجوب الطهارة لكل فريضة لظاهر قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> . الآية .

فيقاس به التيمم أي فيكون الأصل فيه وجوب الطهارة لكل فريضة ولضعف روحانيته ايضا عن روحانية الماء لا سيما إن تيمم أول الوقت وآخر الصلاة إلى آخر الوقت فإن أعضائه تضعف بالكلية حتى كأنه لم يتطهر .

وأما وجه من قال : يجمع بالتيمم ما شاء من الفرائض فهو لكونه بدلاً عن لطهارة بالماء فله أن يفعل به ما يفعل بالوضوء أو الغسل كما له أن يتيمم قبل دخول الوقت كم قال به أبو حنيفة على أصل قاعدة البدلية وإن لم يلحق البدل بالمبدل منه في كل الأمور ، فإن أعضاء التيمم ناقصة عن أعضاء الوضوء وروحانية التراب تضعف عن روحانية الماء .

وذكر بعض المحققين أن التيمم عبادة مستقلة وليس هو ببدل عن الوضوء والغسل أمرنا الله تعالى به عند المرض أو فقد الماء سفراً أو حضراً .

وقال مالك والشافعي وأحمد : لا يجوز التيمم قبل دخول الوقت وأجمعوا على أنه إذا رأى الماء بعد الفراغ من الصلاة بالتيمم لا إعادة عليه ، وإن كان الوقت باقيا كما مر أول الباب .

ومن ذلك قول ربيعة ومحمد بن الحسن : إنه لا يجوز للمتيمم أن يؤم بالمتوضئين مع اتفاق الأئمة على جواز ذلك ، فالأول مشدد والثاني مخفف ووجه الأول أن اللاتق بالامام أن يكون أكمل الناس طهارة لأنه واسطة بين الله تعالى وبين عباده ، وأقرب إلى

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦

حضرة ربه منهم من حيث الخطاب ، ووجه الثاني كون التيمم طهارة على كل حال ،  
وحيثما جازت صلاته بها منفرداً جازت بها صلاته إماماً .

ومن ذلك اتفاق الأئمة الثلاثة على أنه لا يجوز التيمم لصلاة العيدين والجنائز في  
الحضر وإن خيف فواتها مع قول أبي حنيفة بجواز ذلك فالاول مشدد في الطهارة  
مخفف في أمر الصلاة ، والثاني بالعكس ولكل منهما وجه فرجع الأمر الى مرتبتي  
الميزان .

ومن ذلك قول الإمام الشافعي : من تعذر عليه الماء في الحضر وخاف فوت  
الوقت فإن كان الماء بعيداً عنه أو في بئر ولو استسقى منه خرج الوقت إنه يتيمم  
ويصلي ، ثم إذا وجد الماء أعاد مع قول مالك إنه يصلي بالتيمم ولا يعيد . ومع قول  
أبي حنيفة إنه يصبر إلا أن يقدر على الماء فالاول مشدد والثاني فيه تشديد والثالث  
مخفف في أمر الصلاة مشدد في أمر الطهارة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الاول الأخذ بالاحتياط في الطهارة المقدور عليها وفي الصلاة ، ووجه  
الثاني الاحتياط في الصلاة ، ووجه الثالث الاحتياط لكمال الأدب مع الله تعالى  
فاستحيا من الله تعالى أن يقف بين يديه في تلك الصلاة بطهارة ضعيفة لا تحمي  
أعضاء الحياة التي بها يصبح له كمال الإقبال على مناجاة ربه ، وقد ضبط الإمام  
البيهقي غلوة التي يطلب التيمم الماء منها بما بين ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة ذراع  
انتهى .

ومن ذلك قول الإمام الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين أنه يجب على المكلف  
استعمال ما وجد من الماء القليل الذي لا يكفيه ويتيمم عن باقي الأعضاء مع قول باقي  
الأئمة أنه لا يجب عليه استعماله بل يتركه ويتيمم فالاول مشدد ويؤيده حديث إذا  
أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم .

والثاني فيه تخفيف بعدم استعمال الماء القليل مع التيمم ووجه أن الطهارة المبعضة  
لم يبلغنا فعلها عن الشارع ﷺ وصاحب هذا القول يقول في قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ

تَجِدُوا مَاءً ﴿١﴾ أي يكفيكم لتلك الطهارة فتيمموا ومقابلته يقول : قد استطعنا طهارة بعض الأعضاء بالماء فوجب تكميلها بالتيمم فرجع الامر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قول الإمام الشافعي من كان بعضه من أعضائه جرح أو كسر أو قروح وألصق عليه جبيرة وخاف من نزعها التلف إنه يمسح على الجبيرة ويتيمم ، مع قول أبي حنيفة ومالك إنه إن كان بعض جسده صحيحاً وبعضه جريحاً ولكن الأكثر هو الصحيح غسله وسقط حكم الجريح ويستحب مسحه بالماء ، وإن كان الصحيح هو الأقل تيمم وسقط غسل العضو الصحيح . وقال أحمد يغسل الصحيح ويتيمم عن الجريح من غير مسح للجبيرة ، فالاول مشدد والثاني مخفف بالتفصيل فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الاول الاخذ بالاحتياط بزيادة وجوب مسح الجبيرة لما تأخذه من الصحيح غالباً للاستسماك ، ووجه الثاني أنه إذا كان الاكثر الجريح أو القريح فالحكم له لأن شدة الالم حينئذ أرجح في طهارة العضو من غسله بالماء ، فان الأمراض كفارات للخطايا محصاة للدنوب ولم يذكر الله تعالى في القرآن إلا التيمم فقط ولم يذكر الطهارة المبعضة في العبادة الواحدة بالماء والتراب معا .

ومن ذلك قول الإمام مالك وأحمد من حبس المصر فلم يقدر على الماء تيمم وصلى ولا إعادة عليه ، مع قول جماعة من أصحاب أبي حنيفة وهو إحدى الروايتين عنه أنه لا يصلي حتى يخرج من الحبس أو يجد الماء ، ومع قول الشافعي إنه يصلي ويعيد وهو الرواية الأخرى عن أبي حنيفة فالاول مخفف والثاني مشدد في أمر الطهارة مخفف في أمر الصلاة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ووجه الاول انه فعل ما كلفه بحسب الوقت فلا يلزمه إعادة ووجه الثاني أن ذلك عذر نادر مع قول المحققين إن بذل المكلف الوسع بحيث لا يبقى لنفسه بقية راحة عسر جداً فكان من الاحتياط الصلاة لحرمة الوقت ثم يعيد ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة وأحمد إن من نسي الماء في رحله حتى تيمم وصلى ثم وجده أنه لا إعادة

(١) سورة المائدة آية رقم ٦

عليه ، مع قول الشافعي بوجوب الإعادة ومع قول مالك باستحبائها فالأول مخفف والثاني فيه تشديد ، ووجه الأول أنه أدى وظيفة الوقت بوقوفه بين يدي الله بطهارة صحيحة في الجملة ووجه الثاني الأخذ بالاحتياط والوقوف بين يدي الله بطهارة كاملة فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان .

ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة إن فاقد الطهورين لا يصلي حتى يجد الماء أو التراب ، مع قول الشافعي في أرجح القولين إنه يصلي ويعيد إذا وجد أحدهما وهو إحدى الروايتين عن مالك وأحمد والرواية الأخرى عن مالك لا يصلي بحسب حاله ولا يعيد والأخرى عن أحمد يصلي ولا يعيد ، فالأول فيه تشديد من جهة الطهارة وتخفيف من جهة الصلاة ، والثاني فيه تشديد من جهة الصلاة وتخفيف من جهة الطهارة ، فرجع الأمر الى مرتبتي الميزان ووجه قول أبي حنيفة إن الشارع شرط الطهارة للصلاة وسكت عن الأمر بها إذا لم يجد المكلف ماء ولا ترابا مع استعظام حضرة الحق تعالى أن يقف العبد فيها بتلك الذنوب التي كانت تخرم مع الماء فهو كمن تلطخ بدنه وثيابه عذرة ثم نادى مناد يا عبيد الملك قد أذن لكم الملك في حضور الموكب بين يديه فإن جميع المتطهرين يعذرون مثل هذا الشخص في عدم الوقوف بين يدي الملك ويفهمون عنه أنه لم يترك الحضور استهانة بجنانب الملك وإنما ذلك من شدة التعظيم لحضرته ، وأن وجه من قال يصلي لحرمة الوقت فهو لأن الله تعالى لم يكلفنا إلا بما قدرنا عليه . والقاعدة الشرعية أن الميسور لا يسقط بالمعسور .

وقد قدرنا على الصلاة دون الطهارة فوجب علينا الصلاة وفي الحديث :  
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .

مع اشتراط الوقت للصلاة أيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة النساء آية رقم ( ١٠٣ )

فإن ظاهر الآية اشتراط فعلها في الوقت وأنها تقضي وبه قال بعض المالكية ويؤيده ما ورد في حديث: «من فاتته يوم من رمضان لم يقضه الأبد»<sup>(١)</sup> وأما وجه من أوجب الاعادة على فاقد الطهورين فلأن ذلك عذر نادر وربما لا يقع للعبد مرة واحدة في عمره ، فاحتاط العلماء لدين أتباعهم بالإعادة لعدم وجود مشقة في ذلك ، ومعلوم أن إسقاط الإعادة عن العبد في كل عبادة فعلها مع الخلل إنما سببه المشقة بدليل قولهم بعدم الإعادة في العذر النادر إذا وقع ودام ، وقد ورد في السنة ما يؤيد وجوب الإعادة للصلاة الناقصة وهو حديث : «أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة من عمله الصلاة وأنها إن كملت كمل له سائر أعماله ، وإن نقصت نقص سائر أعماله»<sup>(٢)</sup>.

وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : لو صح للعبد بذل الوسع كاملاً في تحصيل ما كلف به ماساغ للعلماء أن يأمره بالإعادة ولكن لما علموا من العبد أنه لا بد أن يبقى لنفسه بقية من الراحة أمره بالإعادة ، ومن هنا قال بعض المحققين إن العمل بقوله تعالى : ﴿ أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أهو من العمل بقوله تعالى : ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
قال لأن من شأن النفس الكسل والميل الى الراحة فلا تكاد تبذل وسعها في

(١) رواه الترمذي بلفظ : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصه ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه» ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي من رواية أبو المطوس وذكره البخاري تعليقا غير مجزوم .

(٢) رواه النسائي عن ابن مسعود ، وشطره الأخير عند الشيخين وأحمد وابن ماجه بزيادة يوم القيامة ، ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن تميم الداري بلفظ «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته» الخ ، ورواه الطبراني بسند جيد عن عبد بن قرط بلفظ «أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، ينظر الله في صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله» وله أيضاً عن أنس بلفظ «أول ما يحاسب به العبد ينظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت خاب وخسر» .

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٠٢

(٤) سورة التغابن آية رقم ١٦

مرضاة ربها كاملاً بخلاف : اتقوا الله حق تقاته فإنه مقام يصل العبد إليه بايمانه بأنه  
لولا أن الله تعالى وقاه فعل ما فيه سخط الله تعالى ما قدر أن يتقي ذلك انتهى .

ويصح حمل قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ على قوله : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بأن يحمل ما استطعتم على بذل الوسع بحيث لا يقبل الزيادة وعليه  
الجمهور.

ومن ذلك قول الإمام أحمد : إن من كان متطهراً وعلى بدنه نجاسة ولم يجد ما  
يزيلها به أن يتيمم عنها كالحديث ويصلي ولا يعيد مع قول الأئمة الثلاثة أنه يتيمم مع  
النجاسة ، ومع قول أبي حنيفة أنه لا يصلي حتى يجد ما يزيلها به ومع قول الشافعي  
أنه يصلي ويعيد ، فالأول مخفف في أمر النجاسة والثاني مشدد فرجع الأمر الى مرتبتي  
الميزان .

ومن ذلك قول الإمام أبي حنيفة في المشهور عنه وهو الأصح من قولي الشافعي  
أنه لا بد من ضربتين في التيمم الأولى للوجه والثانية لليدين مع المرفقين ، مع قول  
مالك وأحمد تجزئ ضربة واحدة للوجه والكفين بأن يكون بطون الأصابع لمسح الوجه  
وبطون الراحتين للكف فالأول مشدد مؤيد بالحديث والثاني مخفف فرجع الأمر الى  
مرتبتي الميزان وتوجيههما لا يذكر الا مشافهة لغموضه فروض نفسك يا أخي بأكل  
الحلال والإخلاص في الأعمال وأنت تصير تفهم أسرار الشريعة والله أعلم .



فهارس الجزء الأول

- ١ - فهرس الآيات القرآنية
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية
- ٣ - فهرس الأعلام
- ٤ - ثبت بالمراجع
- ٥ - فهرس الموضوعات



## فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة رقمها (٢)	
١٣٦	﴿... لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾ ١٥٠
١٤٣	﴿... إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ﴾ ١٣٧-٥٤
١٨٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ ٧
١٨٤	﴿... فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ...﴾ ١٥٩-١١٦
١٨٥	﴿... يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ ١٣٦-١٠٢-٥٤
١٩٦	﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾ ٣٠٥
١٩٧	﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾ ٧
٢١٣	﴿... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٧٧
٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ، قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
	وَالْأَقْرَبِينَ...﴾ ١٢٠
٢١٦	﴿... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
	شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧٣
٢٢١	﴿وَلَا تَنْكَحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ...﴾ ٧
٢٣٧	﴿وَأِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ...﴾ ٣٥٨
٢٦٥	﴿... فَإِنْ لَمْ يُصِْبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ...﴾ ٧١
٢٧٥	﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ ٧

رقم الآية	الصفحة
٢٨٢	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تذايتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمىٰ فاكتبوه . . . واستشهدوا شهيدينٍ من رجالكم . . .﴾ ٦ - ٣٢٤
٢٨٦	﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . .﴾ ٥٤ - ٦٣ - ٩٨ ١٣٦
	سورة آل عمران رقمها (٣)
٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . .﴾ ٩
٧٩	﴿ . . . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ ٥
١٠٢	﴿ . . . اتقوا الله حق تقاته . . .﴾ ٣٨٧ - ٣٨٨
١٠٤	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٣٧
١١٠	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . .﴾ ٣٧
١٣٣ - ١٣٥	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٦
١٤٠	﴿ . . . وتلك الأيام نداولها بين الناس . . .﴾ ١١
١٦٧	﴿ . . . يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ ٦٥
	سورة النساء رقمها (٤)
١٢	﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهنَّ وَلَدٌ . . .﴾ ٨
٢٨	﴿يريدُ الله أن يخفف عنكم . . .﴾ ١٠٢

رقم الآية	الصفحة
٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ٩٣
٤٣	﴿... أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ... فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا... فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ...﴾ ٢٦٧ - ٢٥٧ ٣٥٨ - ٣٧٩ ٣٨٠
٥٩	﴿... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ ١٦٦
٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ١٦٧
٨٣	﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ ١٥٣
١٠٣	﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ ٣٨٦ - ٧
١٠٥	﴿... لِيُتَحَكَّمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ...﴾ ٢٠٤
سورة المائدة رقمها (٥)	
٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ ٣٤٨
٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ... أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً...﴾ ٨٤ - ٣٦٣ ٣٨١ - ٣٨٣ ٣٨٥
٤١	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ...﴾ ٦٥
٤٤	﴿... يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ...﴾ ٥
٦٧	﴿... وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ ٣٤٥
٧٥	﴿... وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ...﴾ ١٨٧

١٠٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...﴾	٣٦
	سورة الأنعام رقمها (٦)	
٣٨	﴿... مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾	١١٥ - ٥٤ - ١٨٨ - ١٢٧
١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ...﴾	٣٦٦
١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾	٣٧٥
١٥٢	﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	١٤٥
١٦٣	﴿... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	٩
	سورة الأعراف رقمها (٧)	١
٣	﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾	٢١٠
١٥٦	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾	٧
١٥٧	﴿... وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾	٣٤٧
	سورة الأنفال رقمها (٨)	
١١	﴿... وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ...﴾	٣٣٠
٣٨	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾	٣٧٥
٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾	٧
٦١	﴿وَلِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٧
٦٧	﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ...﴾	١٤

## سورة التوبة رقمها (٩)

٢٨	﴿... إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ...﴾	٣٤٣
٤٣	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾	١٤
٥١	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا...﴾	٢٤

## سورة هود رقمها (١١)

١	﴿... كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	٦٩
---	---	----

## سورة الرعد رقمها (١٣)

٣١	﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾	٥١
----	--	----

## سورة الحجر رقمها (١٥)

٨٧	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ﴾	٥١
----	--	----

## سورة النحل رقمها (١٦)

٤٤	﴿... لِيُتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾	١٦٥
٦٠	﴿... وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى...﴾	٧٤
٩٦	﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...﴾	٤٢

## سورة الإسراء رقمها (١٧)

٢٣	﴿... وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ...﴾	١١٥
٣٦	﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	٢٢٤

## سورة الكهف رقمها (١٨)

٩	﴿... أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾	٥١
٦٥	﴿... آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾	٩٤

سورة مريم رقمها (١٩)		
١٨٧	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾	٥٦
سورة الأنبياء رقمها (٢١)		
١٠ - ٣٢٩ - ٣٣٧	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . . .﴾	٣٠
	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	١٠٥
١١		
١٤٠	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧
سورة الحج رقمها (٢٢)		
٥٤ - ٦١ - ١٣٦	﴿. . . وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . .﴾	٧٨
سورة النور رقمها (٢٤)		
٨٣	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ . . .﴾	٦١
سورة القصص رقمها (٢٨)		
٨٤ - ٣٥٧	﴿. . . يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ . . .﴾	٤
٧٤	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ . . .﴾	٦٨
٧٥	﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ . . .﴾	٧٣
سورة الروم رقمها (٣٠)		
٢٩٥	﴿اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . . .﴾	١١
	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾	٥٤
١١		



## سورة الأحزاب رقمها (٣٣)

- ٢١ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ ٧٠

## سورة ينس رقمها (٣٦)

- ٤٠ ﴿... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ١٠

## سورة ص رقمها (٣٨)

- ٨٦ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ٢٠٦

## سورة الزمر رقمها (٣٩)

- ٦ ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلْنَاكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصْرَفُونَ﴾ ١٠
- ٩ ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾ ١١٨
- ٢١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ١٠

## سورة غافر رقمها (٤٠)

- ٤ ﴿مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٢٠٦

## سورة فصلت رقمها (٤١)

- ٣٤ ﴿... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ٧١

سورة الشورى رقمها (٤٢)	
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾	١٣
٥٤ - ٦٤ -	
٦٥ - ٧٥ -	
١٣٦ - ٢٤٠ -	
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	١٩
٧٤	
سورة الأحقاف رقمها (٤٦)	
﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ...﴾	٩
٩٣	
سورة الحجرات رقمها (٤٩)	
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَنْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾	١٤
٧٠ - ٥٢	
سورة ق رقمها (٥٠)	
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨
٢٢٤	
﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ...﴾	٢٩
١٨٩	
سورة النجم رقمها (٥٣)	
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٤ - ٣
١٦٦ - ٦٩ -	
٣٦٤	
سورة الرحمن رقمها (٥٥)	
﴿... وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، إِلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾	٨ - ٧
٥١	
﴿... وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	٩
٥١	
سورة الواقعة رقمها (٥٦)	
﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩
٣٦١	

سورة الحديد رقمها (٥٧)	
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾	٣
١٨٤	
سورة الحشر رقمها (٥٩)	
﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾	٧
٢١٢ - ٦٦ - ٦٣	
﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ... وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ	٩
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	
١٢٠ - ٣٦	
سورة الجمعة رقمها (٦٢)	
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٤
٨٠	
﴿... إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ	٩
وَذُرُوا الْبَيْعَ...﴾	
٧	
سورة التغابن رقمها (٦٤)	
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦
- ٦٢ - ٥٤ - ٥٣	
- ١٣٦ - ٦٧ - ٦٣	
٣٨٨ - ٣٨٧ - ٣٧٩	
سورة الطلاق رقمها (٦٥)	
﴿... لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا...﴾	٧
٦٨	
سورة التحريم رقمها (٦٦)	
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾	١
٢٠٤	
﴿... وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ	٤
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً﴾	
٣٥٦	
سورة القيامة رقمها (٧٥)	
﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾	١٧
٥١	
﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَبَعَ قُرْآنَهُ﴾	١٨
٥١	

## سورة النازعات رقمها (٧٩)

- ٣٠ - ٣١ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ١٠  
 ٤٠ ﴿... وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ٣٦

## سورة المطففين رقمها (٨٣)

- ٩ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٩١

## سورة الأعلى رقمها (٨٧)

- ١٥ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ٢٨٢

## سورة البلد رقمها (٩٠)

- ١١ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ٧٩

## سورة التين رقمها (٩٥)

- ٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٧٣

## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

### - أ -

- اثنتي بحجر ..... ٢٦٧
- اثتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي وتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع ..... ١٦٧
- ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ..... ١٢٠
- ابدأ بنفسك ثم بمن يليك ..... ١٢٠
- اتركوني ما تركتكم ..... ١٥٤ - ٢٠١
- احجج عن أبيك واعتمر ..... ٣٠٥
- أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله تعالى ..... ٣١٣
- اختلاف أمتي رحمة للناس ..... ١٣٧ - ١٧٦ - ٧٥
- ادفنوا الأظفار والدم والشعر فإنه ميتة ..... ٢٦٣
- إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران ..... ١٤٢ - ١٧٦
- إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله ..... ٤٥
- إذا أصوم ..... ٣٠١
- إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة فلها أجرها وله مثله ..... ٣٠١
- إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته ..... ١٢٠
- إذا استجمر أحدكم فليستجمر ثلاثاً ..... ٢٦٦
- إذا أفضى أحدكم إلى ذكره ليس بينه وبينه شيء فليتوضأ ..... ١٠٨ - ٣٥٤
- إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ..... ٥٣ - ٦٨ - ١٣٧ - ١٥٤ - ١٨٨ - ٢٠٠ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- إذا انتصف شعبان فلا تصوموا ..... ٣٠١

- إذا أنعم الله على عبد نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته ..... ١٢٠
- إذا جثت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت في بيتك ..... ٢٨٤
- إذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ..... ٢٨٦
- إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم ..... ٢٩١
- إذا رأيتم آية فاسجدوا ..... ٢٩٠
- إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة أنفسكم ودعوا عنكم أمر العامة ..... ٣٥ - ٣٩
- إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير ..... ٢٧٩
- إذا قاء أحدكم في صلاته أو قلّس أو رَعَفَ فليتنصرف فليتوضأ ..... ٢٨٣ - ٢٦٨
- إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ..... ٢٧٩
- إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فلا يتركها حتى يزرعها ..... ٣٨
- إذا قعد الإمام آخر ركعة من صلاته ثم أحدث ..... ٢٨١
- إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ..... ٢٧٧
- إذا كانت الشهادة توصل صاحبها إلى مقام ..... ٣٤٢
- إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ ..... ١٠٨ - ٣٥٤
- إذا مضى النصف من شعبان فامسكوا عن الصيام ..... ٣٠١
- إذا هم أحدكم بالأمر ليركع ركعتين من غير الفريضة ..... ٧٨
- إذا وطئ أحدكم بنعليه في الأذى فإن التراب له طهور ..... ٢٨٧
- إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب ..... ٢٧١ - ٧٦
- أرى أن تجعلها في الأقربين ..... ١٢٠
- أرايت إذا منع الله الثمر فيما يأخذ أحدكم مال أخيه ..... ٣٠٨
- استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ..... ٢٤٣
- استعينوا على قيام الليل بالقيلوله ..... ٢٤٣
- اشربوا ولا تسكروا ..... ٣٢١
- أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم ..... ١٤٧
- أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ..... ١٤٧ - ١٧٥ - ١٧٦

- أطب مطعمك ..... ٧٠
- أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ..... ٩٤
- أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي ... ٩٤
- اغسلوه بماء وسدر ..... ٣١٤
- أفضل الإيمان كلمة حق عند سلطان جائر ..... ٣٩
- أفطر الحاجم والمحجوم ..... ٣٠٤
- أفلح وأبيه إن صدق ..... ٣٢٤
- الأئمة من قريش. أبرارها أمراء وفجارها أمراء ..... ١٨٠
- الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..... ١٢٣
- الأذان والإقامة مثني مثني ..... ٢٧٧
- ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة غارية يوم القيامة ..... ١٢١
- الأقربون أولى بالمعروف ..... ١٢٠
- الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها ..... ٣١٦
- الإيمان إحدى وسبعون شعبة أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها إمطة
- الأذى عن الطريق ..... ٣٩
- الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلغائه ورسله وتؤمن بالبعث ..... ٦١
- البيئة على المدعي ..... ٩١
- البيئة على من ادعى واليمين على المدعى عليه ..... ٣٢٠
- الجار أحق بسقبة ..... ٣١١
- الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة ..... ٢٨٩
- الحج جهاد والعمرة تطوع ..... ٣٠٥
- الخيل ثلاثة هي لرجل وزر لرجل أجر لرجل ستر ..... ٢٩٧
- الذئبة على العاقلة ..... ٢٠٠
- الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه ..... ١٣٧-٥٥
- الذهب والفضة والحريير والديباج هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة ..... ٢٤٦
- الرهن بما فيه ..... ٣٠٩

- السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ..... ٣٤١
- الشريك شفيح والشفعة في كل شيء ..... ٣١٢
- الشفعة في العبيد وفي كل شيء ..... ٣١٢
- الشفعة في كل شرك ربعة أو حائط ..... ٣١٢
- الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين حتى يجد الماء ..... ٢٦٢
- الضحايا إلى آخر الشهر لمن أراد أن يأتي ذلك ..... ٣٢٢
- الطرق يطهر بعضها بعضاً ..... ٢٨٧
- العسل في كل عشرة زقاق زق ..... ٢٩٨
- العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان ..... ٥٥ - ٦٠
- العينان وكاء السُّة فمن نام فليتوضأ ..... ٢٦٧
- الفخذ عورة ..... ٢٨٢
- القوها وما حولها وكلوا باقيها ..... ٣٢٣
- اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ..... ٨٠
- اللهم من ولي من أمور أمتي شيئاً فَرِّقْ بهم فارقي اللهم به ..... ١٥٣
- الماء طهور كله لا ينجسه شيء ..... ٢٦٢ - ٢٧١
- المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ..... ٣٠٧
- المدبر لا يباع ولا يوهب ..... ٣٢٥
- النوم أخو الموت ..... ٣٥٩
- أما الإسلام وأما الإيمان وأما الإحسان ..... ١٣٤
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ..... ٣٢٠
- أمسيك عليك بعض مالك فهو خير لك ..... ١٢٠
- أنا أكرم من وُفي بدمته ..... ٣١٩
- إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ..... ٧٢
- إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر ..... ٦٥
- إن أردت ألا توقف على الصراط طرفة عين ..... ٢٠٢
- فلا تحدث في دين الله شيئاً برأيك



- إن الله تعالى قد أعطى كل ذي حق حقه ..... ٦٣
- إن الله تعالى هو المسعر القابض الباسط الرازق ..... ٣٠٩
- إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها ..... ١٩
- إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته ..... ٦٢
- إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ..... ١١٧-١٠٢-١٠٠
- إن الله تعالى يخفض ويرفع ..... ٣٠٩
- إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها ..... ١١٣-٦١
- إن الله عز وجل قد افترض فرائض فلا تضيعوها ..... ٦١
- إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ..... ٢٩٤
- إن الله وتر يحب الوتر ..... ٣٦٢
- إن المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتاً ..... ٣٤٩
- إن المصلّي يرد بعد السلام ..... ٢٨٣
- أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ..... ٣١٥
- إن بعث من أخيك تمراً ..... ٣٠٨
- أن تشهد أن لا إله إلا الله ..... ٣٠٥
- انتفعوا به ولا تأكلوه ..... ٣٢٣
- إن شئت غرمنها لك ..... ٣١١
- إن شريعتي جاءت على ثلاث مائة وستين طريقة ..... ١٤٨
- إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة الحجام ..... ٣٢٣
- إن كنت تحب أن تتطوق بطوق من نار فاقبلها ..... ٣١٣
- إنما الأعمال بالنيات ..... ٣٦٣-١٣٩-٦٦
- إنما الولاء لمن أعتق ..... ٣٢٤
- إنما أنا رحمة مهداة ..... ٩
- إنما بعثتم ميسرين ..... ١١٦
- أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره ..... ٣٢١
- إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء ..... ٢٦٥

- إنه لم يمنعني أن أردّ عليك ..... ٢٦٦
- إن وجدتم غير آئيتهم فلا تأكلوا فيها ..... ٢٦٤
- إني أحب لك ما أحب لنفسي ..... ٣١٥
- إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم ..... ٢٨١
- إني صائم ..... ٣٠١
- أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ..... ٢٠٢
- أولكم ثويان ..... ٢٨٢
- أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة من عمله الصلاة ..... ٣٨٧
- أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ..... ٣٨٧
- أول ما يحاسب به العبد الصلاة ..... ٣٨٧
- أي ، لو قدرت جمساً ..... ٣٣٥
- أيما صبي حجّ فقد قضت عنه حجته ما دام صغيراً ..... ٣٠٦
- أيها الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا ..... ٦٨ - ٢٠٠
- ب -
- بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة ..... ٢٩١
- ت -
- تبسمك في وجه أخيك صدقة ..... ٧٠
- تحت البحر نار والنار مظهر غضبي ..... ٣٣٠
- تصدقوا على أهل الأديان ..... ٣١٦
- تصدقوا عليه ... خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك ..... ٣٠٩
- تمضمضوا واستنشقوا ..... ٣٦٦
- ج -
- جار الدار أحقّ بالدار من غيره ..... ٣١١
- خ -
- خذ الحب من الحب والشاة من الغنم ..... ٢٩٦

- خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك ..... ٣٠٩
- خلق الله تعالى الماء طهوراً لا ينجسه شيء ..... ٢٦٢
- خير دينكم أيسره ..... ٦١

## - د -

- دباغ جلود الميتة طهورها ..... ٢٦٣
- دباغه طهوره ..... ٢٦٣
- دع ما يريك إلى ما لا يريك ..... ١٤٥
- دعوني فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث ..... ١٦٧
- دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ..... ١٨٨
- دعهن يا عمر، فإن العين باكية دامعة ..... ٢٩٤

## - ذ -

- ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا
- منه ما استطعتم ..... ٣٨٦ - ٣٧٩ - ٢٠٠ - ١٥٤ - ١٣٧ - ٦٨ - ٥٣
- ذهب المفطرون اليوم بالأجر ..... ٩٩

## - ر -

- رأيت ربي قولاً واحداً ..... ١١٩
- رفع القلم عن ثلاث ..... ٣١٠

## - ز -

- زادك الله حرصاً ولا تعد ..... ٢٨٩

## - س -

- سيكون بعدي سلاطين الفتنة ..... ٤
- سيصدقون ويجاهدون ..... ١٣

## - ش -

شاهدك أو يمينه ..... ٣٢٤

## - ص -

صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتد على فقرائهم ..... ٣١٦

## - ع -

على السمع والطاعة في المنشط والمكره ..... ١٣٧

على اليد ما أخذت حتى تؤديه ..... ٣١١

عليكم بالأئمة فإنه يجلو البصر وينبت الشعر ..... ٣٠٤

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي ..... ٢٠٢

## - ف -

فلذا وجبت فلا تبكين باكية ..... ٢٩٤

فارجعن مأزورات غير مأجورات ..... ٢٩٥

فر من المجذوم فرارك من الأسد ..... ٣١٦

فنعم إذن ..... ٢٩٧

في الخيل السائمة في كل فرس دينار ..... ٢٩٧

في النبذ ثمرة طيبة وماء طهور ..... ٢٦٢

## - ق -

قاتل الله صاحب هذه الناقة ..... ٢٩٧

قد كنت أصبحت صائماً ..... ٣٠٤

قريبه واقضي يوماً مكانه ..... ٣٠٤

## - ك -

كفى بالموت واعظاً ..... ٧٠

كل امرئ مهياً لما خلق له ..... ٦٣

كل امرئ ميسر لما خلق له ..... ٦٣-٧٢

كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ..... ١٠٩

- كل شيء خلق من الماء ..... ٣٧٩
- كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة ..... ٣٤١
- كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ ..... ٣٧٢ - ٢٠٢ - ١٧٥ - ١٤٢
- كيف تصنع يامعاذ إن عرض عليك القضاء ..... ١٤

## - ل -

- لا اعتكاف إلا بصوم ..... ٣٠٤
- لا آكلها ولا أحرّمها ..... ٣٢٢
- لا بأس بمسك الميتة إذا دبغ ..... ٢٦٣
- لا، بل عارية مضمونة حتى تؤديها لك ..... ٣١١
- لا تأخذوا في الصدقة إلا من هذه الأصناف ..... ٢٩٨
- لا تبّل قائماً ..... ٢٦٦
- لا تحلفوا بآبائكم ..... ٣٢٤
- لا تصلوا صلاة في اليوم مرتين ..... ٢٨٤
- لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم ..... ٣٠٣
- لا تفعلوا إلا بأمر القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها ..... ٢٨٢
- لا تقرأوا بشيء إذا جرهتم إلا بأمر القرآن ..... ٢٨٢
- لا تقوم الساعة حتى يتغاير العلماء على صحبة الأمراء ..... ٣٢
- لا تكتحل بالنهار وأنت صائم ..... ٣٠٤
- لا تنتفع من الميتة بإهاب ولا عصب ..... ٢٦٣
- لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها ..... ٠٠
- لا، حتى تضع جنبك ..... ٢٦٧
- لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ..... ٢٨١ - ٢٧٧ - ١٣٩
- لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ..... ١٣٩
- لا صلاة لمن لا وضوء له ..... ٢٨٤
- لا صلاة لمن لم يقرأ بأمر القرآن فصاعداً ..... ٢٧٧ - ١٠٩

- لا صلاة مكتوبة في يوم مرتين ..... ٢٨٤
- لا ضرر ولا ضرار ..... ٣١٤
- لا عدوى ولا طيرة ..... ٣١٦
- لا نكاح إلا بولي ..... ٣١٦
- لا، هو حرام ..... ٣٢٣
- لا، وإن تعتمر خير لك ..... ٣٠٥
- لا ولئن كنت سائلاً ولا بد فاسأل الصالحين ..... ٣٠٠
- لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى عليه ..... ١٣٩ - ٢٦٥ - ٢٨٤ - ٣٦٦
- لا، ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ..... ٦٨ - ٢٠٠
- لا يؤذن إلا متوضئ ..... ٢٧٥
- لا يؤم المتيمم المتوضئين ..... ٢٧٠
- لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ..... ١٢٣
- لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها ..... ٣١٠
- لا يجوز للمرأة عطية في مالها إلا إذا ملك زوجها عصمتها ..... ٣١٠
- لا يحرم في الرضاعة المصاة ولا المصتان ..... ٢٠٠
- لا يستجيب الله تعالى دعاء من قلب غافل ..... ٣٨٢
- لا يصلي الإمام على شيء أعلى مما عليه أصحابه ..... ٢٨٩
- لا يصلين أحداكم في الثوب الواحد ..... ٢٨٢
- لا يغلق الرهن بالراهن ..... ٣٠٩
- لا يفطر من قاة ولا من احتلم ..... ٣٠٢
- لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور ..... ٢٧٠
- لا يقتل المسلم بكافر ..... ٣١٩
- لا يقرأ الجنب ولا المحائض شيئاً من القرآن ..... ٣٧٧
- لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً ..... ٢٨٣
- لعن الله المحلل والمحلل له ..... ٣١٦
- لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ..... ٣٣٥

- لك غيره فأحرمي فيه ..... ٣٠٦
- لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ..... ١٣
- للمصائم فرحتان ..... ٣٤١
- له جمرة تقلدتها بين كتفيك ..... ٣١٤
- لولا أن أشق على أمتي لأخبرتُ العشاء ..... ٢٠٠
- لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك ..... ٣٤٠ - ١٢١
- لو نزل بنا عذاب ما نجا منه إلا عمر ..... ١٤
- ليتزوج الرجل لمتة ..... ٢٧٠
- ليس على المختلس ولا على المنتهب ..... ٣٢١
- ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة ..... ٢٩٧
- ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه ..... ٣٠٤
- ليس على ما دون الخمسين جمعة ..... ٢٨٩
- ليس في الخيل والرقيق زكاة ..... ٢٩٧
- ليس من البر الصيام في السفر ..... ٣٠٢ - ٩٩
- ليس منا من لم يلعن الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ..... ١١٤ - ٥٣

## - م -

- ما أسكر كثيره فقليله حرام ..... ٣٢١
- ما أكل لحمه فلا بأس بسؤره ..... ٢٧١
- مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أضحمة ..... ٢٩٢
- ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ..... ١٨٨ - ١٨٧
- ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ..... ١٢٣
- ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ..... ٢٩٧
- ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ..... ١٢٠
- مثل القائم في حدود الله تعالى والواقع فيها ..... ٣٩
- مثل المؤمنين في توادهم وتعاتفهم وتراحمهم ..... ٤٠
- مثل الغني ظلم ..... ٣١٠

- ١- مفتاح الصلاة الطهور وإحرامها التكبير وإحلالها السلام ..... ٢٨٥
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ ..... ١٤٢
- من آذى لي ولياً فقد آذاني ..... ٣٤٢
- من أذن فهو يُقيم ..... ٢٧٦-٢٧٥
- من استجمر فليوتر ..... ٢٦٦
- من اشترى شيئاً لم يره فهو بالخيار ..... ٣٠٧
- من بدّل دينه فاقتلوه ..... ٣٢٠
- من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له ..... ١١٤
- من توضأ فليتمضمض وليستنشق ..... ٢٦٥
- من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ..... ٣٠٢
- من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..... ١١١
- من سأل جاره أن يغرّز خشبة ..... ٣١٤
- من سمع النداء من جيران المسجد ..... ٢٨٨
- من سنّ سنة حسنة فله أجرها ..... ٣٧٠-١١٨
- من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ..... ٣٧٠-١١٨
- من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له ..... ٢٩٣
- من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب ..... ٣٤٢
- من غشنا فليس منا ..... ١١٤-٥٣
- من فاته يوم من رمضان لم يقضه أبداً ..... ٣٨٧
- من قتل عبده قتلناه ..... ٣١٩
- من قطع سدره صوب الله رأسه من النار ..... ٣١٤
- من كان عليه صوم من رمضان فليسرده ولا يفطر ..... ٣٠٣
- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما ..... ٩٥
- من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له ..... ٣٠١
- من مات وعليه صيام صام عنه وليه ..... ٣٠٣
- من مسّ فرجه فلا يصلي حتى يتوضأ ..... ٣٥٣-٣٣٥-١٠٨



- مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به واجب ..... ١٧٥ - ١٧٦

- ن -

- نعم ما بدا لك ..... ٢٧٢

- ه -

- هذا وضوء من توضأه أعطاه الله كفلين من الأجر ..... ٣٧١

- هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ..... ٣٧١

- هذا وظيفة الوضوء ..... ٣٧١

- هَلَّا أخذتم إهابها فذبغتموه فانتفعتم به ..... ٢٦٣

- هل عندكم من غذاء ... إني صائم ..... ٣٠١

- هَلُمَّ إلى الغداء، إنَّ الله قد وضع عن المسافر الصيام ..... ٩٩

- هل هو إلا بضعة منك ..... ١٦٢ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٨٦ - ٣٥٣

- هو الطهور ماؤه الحل ميتته ..... ٣٢٩ - ٣٣٠

- هو رزق ساقه الله إليكم ..... ٣١٥

- هو ومثلها والنكال ..... ٣٢٠

- هي ومثلها والنكال ..... ٣٢٠

- و -

- والذي نفسي بيده لو بلغت منهم الكداء ..... ٢٩٥

- وضوء من لم يتوضأه لم يقبل الله له صلاة ..... ٣٧١

- وهل ترك لنا عقيل من دار ..... ٢١٢

- وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ..... ٢٢٤ - ٣٦٧

- ي -

- يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ..... ٢٠٠

- يذبح عن الغلام شاتان مكافئتان ..... ٣٢٢

- يَسْرُوا ولا تَعْسُرُوا ..... ١٣٧ - ٢٣٩

- يطهره ما بعده ..... ٢٨٧ - ٣٣٩

- يغسل الإناء من الهر كما يغسل من الكلب ..... ٢٧١

- يقطع صلاة الرجل ..... ٢٨٣



## فهرس الأعلام

- أ -

٢١٢	إبراهيم
٣٦٧ - ١٨٢	إبراهيم الدسوقي
١٨٣ - ٣٨ - ٣٥	إبراهيم المتبولي
	إبراهيم بن أدهم
١٢٤ - ٤٥	(أبو إسحاق)
١٧٢	إبراهيم بن خالد البغدادي
٢٤١	إبراهيم بن عكرمة المخزومي
	إبراهيم بن محمد
٢٩٠	(رسول الله ﷺ)
٢٥٩ - ٢٥٤	ابن أبي الشريف
٢٣٤	ابن أبي ذئب
٢٦٠ - ٢٢٣	ابن أبي زيد القيرواني
٣٣٠	ابن أبي ليلى
٢٥٨	ابن الأثير (عز الدين)
١٠٤	ابن الأقطع (شهاب الدين)
٢٦٠ - ١٧٤	ابن الحاجب
٢٥٩ - ٢٥٦	ابن الحداد
٢٢٩	ابن السبكي

١٧٩	ابن السمعاني
٢٥٦	ابن الصباغ
٢١٤ - ٢٣٤ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٨ - ٢٥٩	ابن الصلاح
٢٥٤	ابن الفاصح
٢٥٩	ابن الفرکاخ
١٠٤ - ١٥٨ - ١٦٩ - ٢١٠	ابن القاسم
٢٥١	ابن المقري
٢٥٢ - ٢٥٦	ابن الملقن
١٠٤	ابن المنذر (أبو بكر)
٢٥٧	ابن المنير
٢٥٧	ابن النقيب
٢٥٣	ابن أم قاسم
٢٦٠	ابن بطة
٢٩	ابن تيجية
٣٧٠	ابن جرير
١٠٣ - ١٠٦	ابن جماعة (عز الدين)
٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٧٨	ابن حبان
١١٦ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢٦٠ - ١٧٦	ابن حزم
١١ - ١٣ - ٢٥ - ٣٩ - ٨٨ - ١٣٢ - ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ - ٢١٢ - ٢١٧ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٥٧ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٤١ - ٣٤٣ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٦ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٨	ابن حنبل (الإمام أحمد):
٢٥٨	ابن خزيمة
١٧٣	ابن دقيق العيد
٢٦٠	ابن رشد

٢٥٥ - ٢٥٧	ابن زهرة
١٠٤	ابن سريح
٢٥٩	ابن سيد الناس
٢٠٣ - ٢٧٩ - ٣٠٧ - ٣٣٨	ابن سيرين (محمد)
٢٩	ابن شريك
٢٥٥ - ٢٥٧	ابن عاذل
٩٦ - ١٧٥ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٢٧٨ - ٢٨٠ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٩ - ٣١١ - ٣١٧ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٦٤ - ٣٧١	ابن عباس (عبدالله)
١٠٥ - ١٥٨ - ١٧٠	ابن عبد البر
١٧٢	ابن عبد الحكم
٢٥٩	ابن عبد السلام
٢٠٤	ابن عبد المطلب
٣٧ - ١٠١ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٨٨ - ٢٠٧ - ٢٢٩ - ٢٥٦	ابن عربي (محيي الدين)
٣٥٦	
٢٦٠	ابن عزيمة
٢٦٦ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٦ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٢٩٣ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٣ - ٣١٠ - ٣١٦ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٣	ابن عمر (عبدالله)
٣٦٠	ابن عمرو
٢٥٣	ابن عقيل
٢٣٣	ابن عيينة
١٧٢	ابن فارس
٢٥٢ - ٣٥٣	ابن قاضي شعبة (تقي الدين)
٢٥٢	ابن قاضي عجلون
٢٥٦	ابن محمد الجويني

٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٥ -	ابن مسعود (عبدالله)
٢٩٠ - ٢٩٩ - ٣٠١ - ٣١٨ .	
٢٦	ابن هبيرة
٢٥٩ - ٢٥١	ابن هشام
٢١٣	أبو إسحاق
١٨٣ - ١٨٢	أبو الحسن الشاذلي
٣٠٢	أبو الدرداء
١٨٢	أبو السعود بن أبي العشائر
١٨٣ - ١٨٢	أبو العباس المرسي
٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧	أبو الفضل (عياض)
	أبو المعالي (إمام)
١٧٩ - ٣٣٩	الحرمين
٣٠٤	أبو النعمان الأنصاري
٢٩٣	أبو أمامة بن سهل
٢٣٣	أبو أويس
٢٧٩	أبو بردة بن عبدالله
٢٢١	أبو بكر الأجري
١٣ - ١٤ - ١٥ - ١١٩ - ١٧٠ - ١٨٦ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٧٨ -	أبو بكر الصديق
٢٩٢ - ٢٩٣ - ٣١٦ - ٣١٩ - ٣٢١ - ٣٢٥ .	(رضي الله عنه)
٢٠٦	أبو بكر بن عياش
	أبو بكر محمد
٢٥٥	ابن العربي
٢٦٤ - ٢٦٥	أبو ثعلبة الخشني
١٧٢	أبو ثور الكلبي
١٧٢	أبو جعفر الترمذي
١٧٢	أبو جعفر الطحاوي
٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٢٩ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٤	أبو جعفر الشيزاماري

٢٦ - ١٧٧ - ٢٦٦ - ٢٤٣	أبو جعفر المنصور
٢٥٧	أبو حيان
١٧٣	أبو حبان (عبد الرحمن)
	أبو حنيفة (الإمام النعمان
	ابن ثابت):
١١ - ١٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٩ - ٥٤ - ٧٩ - ١٠٨ - ١١٤ -	
١٣٢ - ١٤٦ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٥ -	
١٧٨ - ١٨٠ - ١٩٩ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٥ - ٢١٦ -	
٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -	
٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٤ -	
٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ -	
٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٥٧ - ٢٦٢ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٥ - ٢٨٨ -	
٣٢٨ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ -	
٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٣ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ -	
٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ -	
٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٨ - ٣٧٠ - ٣٧١ -	
٣٧٢ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ -	
٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٨ .	
١٣ - ٣٦ - ٢٥٧ - ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧٦ - ٢٧٩ - ٢٩٦ -	أبو داود السجستاني
٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٦ - ٣٠٩ .	
٣١٥	أبو ذر الغفاري
١٢	أبو زرعة
٣٠٢	أبو سعيد الخدري
١٥	أبو سفيان بن حرب
٢٠٦	أبو سليمان الخطابي
٣٦٤	أبو سليمان الدراني
٤٧ - ٢٥٩	أبو طالب المكي
٢٠٦ - ٢١٢	أبو عاصم الهروي

٤٤	أبو عبدالله التونسي
٣٠٣	أبو عبيدة بن الجراح
١٧٣	أبو عمر
٢٩٢	أبو قتادة الأنصاري
٣٣	أبو لهب
٢٧٧	أبو محذورة
٢٨٢	أبو مخلد
١٨٢	أبو مدين المغربي
٢٨٥	أبو مسعود البصري
٢٥٥ - ٢٢٦	أبو مطيع البلخي
٢٨١ - ٢٩٨ - ٢٩٩	أبو موسى الأشعري
٢٤٣	أبو نعيم الأصفهاني
٢٠٢ - ٢٢٥ - ٢٧٠ - ٢٧٥ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٧ - ٢٨٩ -	أبو هريرة
٢٩٣ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣١١ - ٣٦٠ .	
١٦ - ٢٧ - ١٠٤ - ١٥٨ - ١٦٣ - ١٦٩ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -	أبو يوسف
٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٤١ - ٣٦٨ .	
٢٧٢	أبي بن عمارة
٢٠ - ٢١ - ٢٧	أحمد البدوي
٢٦٠	أحمد الزاهدي
١٨٠	أحمد الشيباني
٢٠٤	أحمد بن أبي إسحاق
٢٥	أحمد بن داود
٢٣٤	أحمد بن صالح
٣٦٠	آدم (عليه السلام)
٢١٢ - ٢٢١ - ٣٤٠ - ٣٦٦	إسحاق بن راهويه
٣٢٣	أسعد بن زرارة
٣٠٦	أسماء بنت أبي بكر
٢٣٥	إسماعيل بن إسحاق



١٥٨ - ١٠٤	أشهب
١٦٩	أصبغ (أبو عبدالله)
٣٤٥ - ٣٢٦ - ١٨٥	أفضل الدين الشعراني
٢٥٥	الأحوزي
٢٥٦ - ٢٥٢	الأذري
٢٥٨	الأزدي (سعيد بن عبدالله)
٢٣٢ - ٢٣١	الأسود بن يزيد
٢٥٣	الأشموني (أبو الحسن)
٣١١	الأصمعي (أبو سعيد)
٢٠٦	الأعمش
١٥	الأقرع بن حابس
٣٧٠ - ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٢١٨ - ١٨٠	الأوزاعي
٣٩ - ٨٣ - ٢٠٢ - ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٧٣ -	البخاري
٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٨٩ -	
٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٤ - ٢٩٩ - ٣٠٤ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٣ -	
٣١٥ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢٣ - ٣٤٢ -	
٢٧٨ - ٣٠٣ - ٣٢٠	البراء بن عازب
٢٥٥ - ٢٥٧	البرماوي
٣٣٩ - ٢٥٤	البغوي
٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣	البلخي (أبو علي)
١٢ - ٢٥٩	البلقيني
	البويطي (يوسف بن يحيى)
١٧٢	
٢٥٥ - ٢٥٧	البيضاوي (ناصر الدين)
	البيهقي (أحمد ابن الحسين)
١٦١ - ١٦٢ - ١٧٥ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ -	
٢١٧ - ٢٣٠ - ٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ -	

- ٢٧٥ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٧  
 - ٢٨٣ - ٢٨٢ - ٢٨١ - ٢٨٠ - ٢٧٩ - ٢٧٨ - ٢٧٧ - ٢٧٦  
 - ٢٩١ - ٢٩٠ - ٢٨٩ - ٢٨٨ - ٢٨٧ - ٢٨٦ - ٢٨٥ - ٢٨٤  
 - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠  
 - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨  
 - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦  
 - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤  
 . ٣٢٥ - ٣٨٤

٢٦٠	التتاني
٣٩ - ٢٠٢ - ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٨٩	الترمذي (أبو عيسى)
٢٥٧	الفتازاني
٢٥٥	الثعلبي (أبو إسحاق)
٢٥٦	الجلال المحلي
٢٥٨	الجوهري
١٠٢ - ١٠٥ - ١٥٨	الجويني (أبو محمد)
٢٣٤ - ٢٥٩	الحارث المحاسبي
٢٣٢	الحارث بن عبيد
٢٣١ - ٢٣٣	الحافظ الدمياطي
١٦١ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٦٠	الحافظ الزيلعي
٢٢١ - ٢٣٢	الحافظ المزني
٢٥٥	الحافظ بن حجر
٢١٣ - ٢٣٣ - ٢٨٨ - ٣١١ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥	الحاكم (أبو عبد الله)
٢٥	الحجاج بن يوسف
٢٠٩ - ٢١٢ - ٢٦٣ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٨٤ - ٢٩٨ - ٣٠٩	الحسن
٣٦٠ - ٣٨٢	

الحسن بن علي بن أبي طالب	٣٢٢
الحسن البصري (أبو سعيد)	٢٣١ - ٣٦٦
الحسين (القاضي أبو علي)	٢٥٣ - ٢٥٨
الحسين بن علي بن أبي طالب	٣٦ - ٣٢٢
الخازن (علاء الدين)	٢٥٧
الخرقي	٢٦٠ - ٣٤٨
الخضمر (عليه السلام)	١٢٤ - ١٥٠ - ١٥١
الخطابي	٢٠٣
الخطيب البغدادي	١٧٢
الخليفة الحاكم	١٢
الديلمي	٣٧٠
الربيع	١٦٨ - ١٦٩ - ٢١٣
الزركشي (بدر الدين)	١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٥٩ .
الزناتي (أبو علي)	١٧١
الزهري (أبو شهاب)	٢٧٠ - ٢٨٨ - ٢٩٨ - ٣٤٧ - ٣٦٩
السبكي (تقي الدين)	١٢ - ٢٥٢ - ٢٥٦ - ٢٥٩
السخاوي	٢٥٤
السهروردي (أبو حفص)	٢٥٩
السيف الأمدي	١٧٣
الشاذلي	٢٩ - ٤٧ - ١٣٢
الشافعي (الإمام محمد ابن إدريس)	١١ - ٢٥ - ٥٢ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٤٦ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٩ - ٢١٢ - ٢١٣ -

٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٧ - ٢٤٧ -  
 ٢٥٦ - ٢٦٢ - ٢٧٩ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٢٩٠ - ٢٩١ -  
 ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠١ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١٣ - ٣١٥ -  
 ٣١٧ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢٤ - ٣٣١ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ -  
 ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ -  
 ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٧١ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٨ -  
 ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ -  
 ٣٨٨ .

٢٦٠ الشبثيني الحنبلي

١٢ الشرمساخي

٢٠٥ - ٢٣٠ - ٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٠٩ - ٣٦٩ . الشعبي (أبو عمرو)

الشعراني (الإمام عبد

الوهاب بن أحمد)

١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ -  
 ٣١ - ٣٢ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ -  
 ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٧ - ٧٧ - ٨٠ - ٨٦ -  
 ٨٧ - ٩١ - ٩٥ - ٩٧ - ١١٦ - ١٢٦ .

٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٦ -  
 ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٩١ -  
 ٢٩٧ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣١٠ - ٣١١ -  
 ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ .

١٠٠ - ١٤٨ - ٢٥٨ الطبراني

١٠٥ - ١٦٨ - ٢٦١ الطبري (محمد بن جرير)

١٥٨ - ١٧٨ الطحاوي (محمد بن سلمة)

٢٥٧ الطيبي

٢٠٠ العباس

٢٥٥ العيني

١٩ - ٤٧ - ٨٩ - ١٧٩ - ٢٥٣ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٣٣٩ الغزالي (أبو حامد)

٢٥٧	الفارس
٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٩	الفخر الرازي
١٤ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٤	القرافي (أحمد بن إدريس)
٢٥٥ - ٢٥٧	القسطلاني (شهاب الدين)
٢٥٩	القشيري (أبو القاسم)
٢٥٥ - ٢٥٧	الكرماني
٢٥٥ - ٢٥٧	الكواشي
٢٥٩	الكلاعي (سليمان)
١٧٩	الكيا الهراس
١٥٤	الليث بن سعد
٢٥	المأمون
٢٥٦ - ٢٥٨	الماوردي
١٠٤ - ١٦٩ - ١٧٢ - ١٧٨ - ٢٥٦	المزني
٢٨٦	المسور بن مخزومة
٢٥٣	المكودي
٢٩١	النجاشي
٢٧٥ - ٢٧٩ - ٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٦٣ - ٣٧٣	النخعي
١٥٤ - ٢٧٨	النسائي (أبو عبد الرحمن)
١٥٨ - ١٧٤ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٣٤٦	النووي
٢٥٥	الواحدي
٢٢١	الوليد بن مسلم
٢٧٣	أم حبيبة
٢٨٧	أم سلمى
٢٨٩	أم عبد الله الدوسية
٢٩٤ - ٢٩٥	أم عطية
٢٥٤	أمين الدين
٤٥ - ٢٢٥ - ٢٦٤ - ٢٦٨ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢ - ٢٩٤ - ٣٠٢	أنس بن مالك

أياس بن معاوية ٣١٢

أيمن بن ثابت الحبشي ٢٣٢

- ب -

بلال بن رباح ٢٧٦

بهران ٢٦٠

- ت -

توفيق الطويل ٢١ - ٢٢ - ٤٠

- ث -

ثوبان (أبو الفيض) ٢٦٤

- ج -

جابر بن عبدالله الأنصاري ١٣ - ٢٨١ - ٢٨٣ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٧ - ٣٢٥ .

جبريل (عليه السلام) ٢١٠ - ٢٧٥

جعفر الصادق (بن

محمد الباقر) ٥٤ - ١١٤ - ٢٠٥ - ٢٢٥

جعفر بن أبي طالب ٢٩٤

جعفر بن سليمان الضبعي ٢٣٢

جلال الدين السيوطي ١٠٤ - ١٠٥ - ١٧٥ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ -

١٨٣ - ٢٥٥ - ٢٥٤ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٥٨ - ٢٦٠ -

جلال الدين المحلي ٢٥٢ - ٢٥٤

جلال الدين بن قاسم ٢٦٠

جمال الدين الجوزي ١٢

- ح -

حذيفة بن اليمان ٢٦٧ - ٢٨٩ - ٣٠١

٤٤ - ٤٣	حسن بك صنّجق
٣٠٣	حسين بن العارث الجدلي
٣٥٦	حفصة
٢٤٣ - ٢٢٥ - ٢٧	حماد بن سلّمة
٢٠٤	حمدان بن سهل

#### - خ -

٤٦	خابر بك (السلطان)
٢٥٤	الشيخ خالد
٢٣٣	خالد بن مخلد القطوانى
٣٦	خالد بن يزيد
٢٧٢	خزيمة بن ثابت
٢٧٧	خلاد بن رافع

#### - د -

٣٣	داود (عليه السلام)
٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٦ - ٣٦٨ - ٣٧٤	الإمام داود
٣٧٧ .	
١٤٦ - ٨٤	داود الظاهري

#### - ر -

٣٨٣	ربيعة
-----	-------

#### - ز -

١٥٨ - ٢٠٩ - ٣٦٨ .	زفر (أبو الهذيل)
١٤٧ - ١٦٦ - ١٧٧ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -	زكريا الأنصاري
٢٥٧ - ٢٥٩ .	(شيخ الإسلام)
٣٤	زياد بن أبي شعبان
٣٦٠	زيد بن ثابت

زيد بن حارثة ٢٩٤

- س -

سديد بن سعيد الحدثاني ٢٣٣

سعد بن أبي وقاص ٣٠٨

سعيد بن المسيب ٢٤ - ٢٩ - ٣١٨ - ٣٢٥

سعيد بن جبير ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٢٧٠

سعيد عبد الفتاح

عاشور ٢٠

سفيان الثوري (أبو عبد الله) ١١٤ - ١٣٧ - ١٨٠ - ٢٠٦ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٣٤ - ٢٤٠ -

٢٤٤ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٣٤٩ - ٣٦٤ - ٣٧٠ - ٣٨٢ .

سليم (السلطان) ٤١

سليمان بن عثمان (السلطان) ٢١

سليمان بن يسار ٣١٨

سمرة بن جندل ٢٢٥

سهل بن بيضاء ٢٩٣

سهل بن حنيف ٢٩٢

- ش -

شريح بن الحارث ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٢٤

شريك النخعي ٢٤٤

شعبة (ابن الحجاج

الحافظ) ٢٣٣

شمس الدين الجوهرة ٢٥٢

شمس الدين الغزي ٢٦٠

شمس الدين اللقاني ٢٦٠

شهاب الدين الأنجاني ١٢



شهاب الدين ابن	
الشيخ الحق	٣٢٦ - ٢٥٩
شهاب الدين الحسامي	٢٥٣
شهاب الدين الرملي	٢٥٤ - ٢٥٢
شهاب الدين الشابي	٢٦٠
شهاب الدين الشيشيني	
الحنبلي	٢٥٤
شهاب الدين الفتوحي	
الحنبلي	٢٦٠ - ٢١٧

- ص -

صالح بن نبهان	٢٩٣ - ٢٨٩
صلة بن أشيم	٢٤٤

- ط -

طاووس اليمان	٢٩٦ - ٣٣ - ٣٢ - ٢٩
طلحة بن مصرف	٢٤٠
طلق بن عدي	٣٥٣ - ٢٦٨
طوماي باي (السلطان)	٤٦

- ع -

عائشة (رضي الله عنها)	٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٨٣ - ٢٨٧ - ٢٩٣ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣١٨ - ٣٣٥ - ٣٥٦ - ٣٧٤ .
عامر بن قيس	٢٠٥
عبادة بن الصامت	٣١٣
عباس بن مرداس	١٥
عبد الحق السنباطي	٢٥٤

٢٦	عبد الرحمن بن علي
٢٠٥	عبد الرحمن بن مهدي
١٨٢	عبد الرحمن القناوي
١٢	عبد الرحمن اللمغاني
١٦	عبد الرحمن الناصر
١٠٣ - ١٥٨ - ٢٥٥ - ٢٥٧ .	عبد العزيز الديريفي
١٧١	عبد العزيز بن عمران
١٣٢	عبد القادر الجيلي (الجيلاني)
١٧	عبد القادر الشعراي
١٥٨ - ١٧٤ - ١٧٨ - ٢٥٣ - ٢٥٦	عبد الكريم الرافي
	عبد الكريم بن
٤٧	هوازن القشيري
٢٩٢	عبد الله بن أبي أوفى
٢٥٣ - ٢٥٨	عبد الله بن أحمد
٢٦٣	عبد الله بن الحكم
٢٧٨ - ٣١٨ - ٣٢٤	عبد الله بن الزبير
٢٤٢	عبد الله بن المبارك
٢٥٨	عبد الله بن حميد
٢٩٤	عبد الله بن رباح
٢٧٦ - ٢٨٨	عبد الله بن زيد
٢٦٥	عبد الله بن زيدان
٢٦٩	عبد الله بن سرج
٣٠٥	عبد الله بن عون
١٣	عبد الله بن فضالة
٣٦٣ - ٣٧٣	عبد الله بن عمير
	عثمان بن أبي
١٣	العاص

عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ٣٠ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٧٨ - ٢٨٣ - ٢٩٩ - ٣١٠ - ٣١٨ - ٣٢٠ .

عروة ٣١٤

عز الدين بن عبد السلام ٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٥

عطاء بن أبي رباح ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٧٠ - ٢٨٢ -

٢٩٨ - ٣٠٨ - ٣٥٦ .

عقبة بن عامر ٢٩٢

عكرمة (أبو عبد الله) ٦٨ - ٢٣١ - ٢٩٩

علقمة بن قيس ٢٣١ - ٢٣٢

علي الخواص ١٨ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٣٠ -

١٣٢ - ١٤١ - ١٤٤ - ١٥٠ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٦ -

١٧٩ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢١٩ -

٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٥٣ -

٣٥٧ - ٣٥٩ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٧٢ - ٣٧٨ -

٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٧ .

١٨

١٨٤ - ٢٦١

١٠٤

٢١ - ٢٨ - ٤٢

١٧ - ٣٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧٣ - ٢٧٧ -

٢٧٨ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٨ - ٣٠٣ -

٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٣٦٣ -

٣٧١ .

٢٦٩

٢٨٤ - ٢٠١

٩ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٧ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٢٥ -

٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٧٨ - ٢٨١ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٩٠ - ٢٩٣ -

٢٩٤ - ٢٩٧ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٩٠ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٧ -

٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٦ -

٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٤ - ٣٣١ .

علي الشوني

علي المرصفي

علي النبتقي الضرير

علي باشا الوزير

علي بن أبي طالب

(رضي الله عنه)

عمار بن ياسر

عمران بن حصين

عمر بن الخطاب

(رضي الله عنه)

٣٠٤ - ٢٩٨ - ٢٨٨ - ٢٠٦ - ٣٦ - ٣٢	عمر بن عبد العزيز
٢٨٠	عمرو بن العاص
٢٨٨	عمرو بن سلمى
٢٠٨	عمرو بن عبيد
١٥٦ - ٣٣	عيسى (عليه السلام)
١٥	عيينة بن حصن

#### - ف -

٢٦٤ - ٢٩٥ - ٣١٥ - ٣١٧ .	فاطمة (بنت رسول الله ﷺ)
٣٠٠	فراس بن يحيى الحمداني
٣٥٧ - ٨٤	فرعون

#### - ق -

٢٦٠	قاضي خان
١٢٥ - ٤٦	قانسوه الغوري
١٨٣	قايتباي الغوري

#### - ك -

١٨	كافور الأخشيدي
١٢٠	كعب بن مالك
٢٠٩	كمال الدين بن الهمام
	كمال الدين بن
١٧٣	يوسف الدمشقي

#### - ل -

٣٥٩ - ٣٣٠	لوط (عليه السلام)
-----------	-------------------

#### - م -

٢٠٤	مارية القبطية
-----	---------------

ماعز بن مالك

٢٦٧

الإمام مالك بن أنس

١١ - ٢٩ - ١٤٦ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٣ -  
١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٠ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٣ -  
٢١٦ - ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ -  
٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٧١ - ٢٧٨ - ٢٨٥ - ٢٩١ - ٢٩٨ - ٢٩٩ -  
٣٠٩ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٣٢ - ٣٣٩ - ٣٤١ - ٣٤٣ -  
٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ -  
٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٥ - ٣٦٨ - ٣٧٠ -  
٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ -  
٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٨ .

٢٨٠

مالك بن الحويرث

مجاهد المخزومي

١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٦ - ٢١٢ - ٢٣١ - ٣٢٤ - ٣٣١ .

محمد

١٦٩ - ٢٠٩

محمد رسول الله (ﷺ)

٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ٩ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٩ - ٢٥ - ٢٨ -  
٣١ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٥ - ٤٩ - ٥٢ - ٥٣ -  
٥٥ - ٥٩ - ٦١ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٨ - ٧٩ -  
٨٠ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ -  
٩٩ - ١٠٠ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١١١ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٦ -  
١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٨ -  
١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦ -  
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٠ - ١٧٥ - ١٧٦ -  
١٧٩ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٨ - ١٨٩ -  
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٠ -  
٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢٢٤ -  
٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٤٦ -  
٢٥٠ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ -  
٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ -

٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ -  
 ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ -  
 ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ -  
 ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ -  
 ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ -  
 ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ -  
 ٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٥٠ -  
 ٣٥٦ - ٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٧ - ٣٧٠ - ٣٧١ -  
 ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٣ .

٢٥٩

محمد الشامي

٢٦٠

محمد الغمري

٢١٢

محمد الكوفي

١٨٠ - ١٠٤ - ١٦٣ - ٣١٠ - ٣٥٦ - ٣٧٦ - ٣٨٣ .

محمد بن الحسن

١٧

محمد بن الحنفية

محمد بن الدهان

١٧٣

النحوي

محمد بن القاسم

٣١٠

الأسدي

٩٦

محمد بن المنذر

١٨٣

محمد بن زين

٩٣

محمد بن مالك

٢٠٦

مسروق

٨٣ - ٢٥٥ - ٢٥٧ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٨ -  
 ٢٦٩ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٨١ -  
 ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ -  
 ٢٩٧ - ٢٩٩ - ٣٠١ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ -  
 ٣٠٩ - ٣١٢ - ٣١٨ .

الإمام مسلم

١٤ - ٢٢٤ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٣٦٧	معاذ بن جبل
١٥ - ٣٤	معاوية
٢٧٢ - ٢٧٣	معمر
٥٤ - ٢٢٥	مقاتل بن حبان
١١٤	مقاتل بن سليمان
٢٣١	مكحول
٢٥٤	ملاً علي العجمي
١٥٠ - ١٥١ - ١٨٨ - ١٨٩	موسى (عليه السلام)
١٧٣	موفق

- ن -

٢٦٠ - ٣٢٦	ناصر اللقاني
	نجم الدين بن
١٧٣	خلف المقدسي
١٣	نصر بن عاصم
١٤٩	نوح (عليه السلام)
٢٥٤	نور الدين الجارحي
٢٦٠	نور الدين الطرابلسي
٢٥٤	نور الدين المحلي

- ه -

١٧٦	هارون الرشيد
٣٢ - ٣٣	هشام بن عبد الملك

- و -

٢٨٠	وائل بن حجر
٢٠٥ .	وكيع بن الجراح

- ي -

٣٣	يحيى (عليه السلام)
١٦	يحيى بن يحيى الليثي
٤٤ - ٤٥	يحيى بن يغان
٢٣١	يزيد بن أبي سفيان
٢٣٣	يونس بن إسحاق السبيعي



## ثبت المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - صحيح البخاري : طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٣ - صحيح مسلم بشرح النووي : تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة .
- ٤ - مسند الإمام أحمد : تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .
- ٥ - الترغيب والترهيب : للحافظ المنذري تعليق د . محمد خليل الهراس .
- ٦ - الجامع الصغير للإمام السيوطي : مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ٧ - دلائل النبوة للإمام البيهقي تحقيق السيد أحمد صقر : طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٨ - معرفة السنن والآثار للإمام البيهقي تحقيق السيد أحمد صقر : طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٩ - كشف الخفا : للمفسر المحدث الشيخ إسماعيل العجلوني .
- ١٠ - الطبقات الكبرى : للإمام الشعراني
- ١١ - الطبقات الكبرى : للإمام السبكي
- ١٢ - طبقات الصوفية للإمام السلمي : تحقيق نور الدين شريعة .
- ١٣ - الرسالة القشيرية : تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وزميله .
- ١٤ - الإمام الشافعي : للأستاذ عبد الحليم الجندي .
- ١٥ - حلية الأولياء لأبي نعيم : مكتبة الخانجي .
- ١٦ - وفيات الأعيان : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٧ - كتاب الأبرير : سيدي أحمد بن المبارك .

- ١٨ - لوائح الأنوار القدسية في بيان العهد المحمدية: سيدي عبد الوهاب الشعراني .
- ١٩ - الكاشف للإمام الذهبي: تحقيق عزت عليه عطية، والأستاذ موسى محمد علي .
- ٢٠ - كتاب الأعلام: للزركلي .
- ٢١ - كتاب الموطأ للإمام مالك: تحقيق المرحوم عبد الوهاب عبد اللطيف .
- ٢٢ - كتاب الأم للإمام الشافعي: طبع مصر ١٣٢٦ .
- ٢٣ - الجامع الكبير لمحمد بن الحسن: طبع مصر سنة ١٣٥٦ .
- ٢٤ - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: طبع مصر .
- ٢٥ - معجم الأدباء لياقوت: طبع مصر .
- ٢٦ - المقدمة لابن خلدون: طبع بولاق .
- ٢٧ - مختار الصحاح للإمام محمد ابن أبي بكر الرازي: المطبعة الأميرية بالقاهرة .
- ٢٨ - لطائف المنن والأخلاق للشعراني: طبع مصر .
- ٢٩ - القاموس المحيط: لمجد الدين الفيروزآبادي .

## فهرس الموضوعات

### - الجزء الأول -

البيان	الصفحة
مقدمة المحقق .....	٥
التعريف بالمؤلف .....	١٧
الإمام الشعراني والانتهايات .....	٢٠
الإمام الشعراني والولاية - تمهيد .....	٢٤
الإمام الشعراني والنصح للولاية .....	٣٥
اعتقاد الحكام في ولايته .....	٤١
آثار الشعراني ومؤلفاته .....	٤٧
آثار الشعراني ومؤلفاته .....	٤٧
كتاب الميزان .....	٥١
مقدمة المؤلف .....	٥٩
فصل: في أن حمل أقوال الأئمة المجتهدين على حالين يرفع الخلاف ...	٨١
فصل: في أن المرتبتين ليستا على التخيير مطلقاً .....	٨٢
فصل: هل يجب على المقلد العمل بالأرجح من القولين... ؟ .....	٨٦
فصل: إن أحداً لا يحتاج إلى ذوق في اعتقاده بأن أئمة المسلمين على	
هدى من ربهم .....	٨٨
فصل: إن طعن طاعن في هذه الميزان وقال إنها لا تكفي أحداً في إرشاده إلى	
طريق صحة اعتقاده .....	٩١
فصل: إياك أن تسمع بهذه الميزان فتبادر إلى الإنكار على صاحبها .....	٩٣

- فصل : ما وضعت هذه الميزان إلا بعد تكرار أسئلة الإخوان ..... ٩٥
- فصل : المراد بالعزيمة والرخصة ..... ٩٨
- فصل : أن كل من فعل الرخصة بشرطها والمفضل بشرطه فهو على هدى من ربه ..... ٩٩
- فصل : هل رأيت في كلام أحد من العلماء ما يؤيد هذه الميزان ..... ١٠١
- فصل : عن الحديث المخفف ..... ١٠٨
- فصل : هل تأتي مرتبة الميزان من جملة الأدلة الشرعية ..... ١١٣
- فصل : من لازم كل من لم يعمل بهذه الميزان التي ذكرناها ..... ١١٧
- فصل : ينبغي لكل مؤمن الإقبال على العمل بكل حديث ورد ..... ١١٩
- فصل : إن قال قائل : كيف الوصول إلى الاطلاع على عين الشريعة ..... ١٢٢
- فصل : فإن قال : إذا انفك قلب الولي عن التقليد ورأى المذاهب كلها متساوية في الصحة ..... ١٢٩
- فصل : فإن قلت هذا في حق العلماء بأحكام الشريعة فما القول في حق أئمة الأصول والنحو والمعاني والبيان ..... ١٣١
- فصل : فإن قلت إن الأئمة المجتهدين قد كانوا من الكمل بيقين لاطلاعهم على عين الشريعة ..... ١٣٤
- فصل : فإن قلت فماذا أجيب من نازعني في صحة هذه الميزان من المجادلين ..... ١٣٦
- فصل : فإن ادعى أحد من العلماء ذوق هذا الميزان والتدين بها هل نصدقه .. ؟ ..... ١٤٥
- فصل : إن أردت يا أخي الوصول إلى معرفة هذه الميزان ..... ١٤٩
- فصل : في بيان تقرير قول من قال : إن كل مجتهد مصيب ..... ١٥٢
- فصل : لا يلزم من تقييد كامل من الأولياء أو المجتهدين بالعمل ..... ١٥٦
- بقول دون الآخر ..... ١٥٦

- فصل: وإياك يا أخي أن تطالب أحداً من طلبة العلم الآن بصدق اعتقاده في  
 ١٦١ أن كل مجتهد مصيب .....
- فصل: ومما يدل على صحة ارتباط جميع أقوال علماء الشريعة بعين الشريعة ١٦٥  
 فصل: ومما يؤيد هذه الميزان عدم إنكار أكابر العلماء في كل عصر على من  
 انتقل من مذهب إلى مذهب ..... ١٧٠
- فصل: في بيان استحالة خروج شيء من أقوال المجتهدين عن الشريعة .. ١٨١  
 فصل: إن قال قائل أي فائدة في تأليف هذه الميزان ؟ ..... ١٩٠
- فصل: في بيان جلة من الأمثلة المحسوسة التي يعلم منها. اتصال أقوال جميع  
 المجتهدين ومقلديهم بعين الشريعة ..... ١٩١
- فصل: في بيان الذم من الأئمة المجتهدين للقول في دين الله تعالى بالرأي ١٩٩  
 فصل: في بيان ما ورد في ذم الرأي عن الشارع وعن أصحابه والتابعين ... ٢٠٢
- فصل: فيما نقل عن الإمام مالك من ذم الرأي ..... ٢١٠
- فصل: فيما نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه من ذم الرأي ..... ٢١٢
- فصل: فيما نقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه من ذمه الرأي ..... ٢١٧
- فصول: في بعض الأجوبة عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ..... ٢٢٠
- فصل: في شهادة الأئمة له بغزارة العلم ..... ٢٢٠
- فصل: في بيان ضعف قول من نسب الإمام أبا حنيفة إلى أنه يقدم القياس على  
 حديث رسول الله ﷺ ..... ٢٢٤
- فصل: في تضعيف قول من قال إن أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة  
 ضعيفة غالباً ..... ٢٣٠
- فصل: في بيان ضعف قول من قال: إن مذهب الإمام أبي حنيفة أقل  
 المذاهب احتياطاً في الدين ..... ٢٣٩
- فصل: في بيان ذكر بعض من أطنب في الثناء على الإمام أبي حنيفة  
 من بين الأئمة ..... ٢٤١
- فصل: قال المحققون إن للعلماء وضع الأحكام بالاجتهاد ..... ٢٥٠

فصل : في الجمع بين الأحاديث الشريفة .....	٢٦٢
فصل : في بيان ما اطلعت عليه من كتب الشريعة قبل وضعي	
هذه الميزان .....	٢٥١
فصل : في أمثلة مرتبتي الميزان من الأخبار والآثار من كتاب الصلاة	
إلى الزكاة .....	٢٧٥
فصل : في أمثلة مرتبتي الميزان من الزكاة إلى الصوم .....	٢٩٦
فصل : في أمثلة مرتبتي الميزان من الصيام إلى الحج .....	٣٠١
فصل : في أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب الحج إلى كتاب البيع .....	٣٠٥
فصل : في أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب البيع إلى الجراح .....	٣٠٧
فصل : في بيان أمثلة مرتبتي الميزان من كتاب الجراح إلى آخر أبواب الفقه	٣١٩
فصل : في أيام التضحية .....	٣٢٢
كتاب الطهارة .....	٣٢٩
باب النجاسة .....	٣٤٣
باب أسباب الحدث .....	٣٥٢
باب الوضوء .....	٣٦٣
باب الغسل .....	٣٧٤
باب التيمم .....	٣٧٨
الفهارس : .....	٣٨٩
فهرس الآيات القرآنية .....	٣٩١
فهرس الأحاديث النبوية .....	٤٠١
فهرس الأعلام .....	٤١٥
ثبت بالمراجع .....	٤٣٧
فهرس الموضوعات .....	٤٣٩